رسائل اخوان الصفاء

وخلان الوفاء

« مصدرة بمقدمة ضافية بقلم
« الدكتور طه حسين أستاذ
« الآداب بالجامعة المصرية
« مقفاة بخلاصة تاريخية بقلم
« للعلامة أحمد زكي باشا
« سكرتير مجلس الوزراء
« الاسبق

الجزء الأول

عني بتصحيحه
خير الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م

مقدمة

بقلم العلامة الدكتور طه حسين

أستاذ الاداب العربية بالجامعة المصرية

(١) لم يعرف المسلمون عصراً كالقرن الرابع للهجرة تناقضت فيه حياتهم العامة أشد التناقض فكانت سيئة أشد السوء مجدبة أقبح الاجداب من ناحية، وكانت حسنة قيمة خصبة منتجة من ناحية أخرى. فسدت فيه حياتهم السياسية فساداً ظاهراً فانحل سلطان الخلافة في بغداد وأصبح أمر الخلفاء الى المسيطرين عليهم من رجال القصر ونسائه، يعبثون بهم ويحتكمون فيهم، ويكلفونهم صروف الذلة والهوان، واضطربت الدولة كلها فاستقلت عنها الاطراف البعيدة استقلالا تاماً، وطمحت الأقاليم القريبة الى شيء من الاستقلال الداخلي يختلف قوة وضعفاً باختلاف مالهذه الأقاليم من حظ في حياتها الاقتصادية والاجتماعية وباختلاف من ينجم فيها من الزعماء وأصحاب المطامع، بحيث أصبح العالم الاسلامي فى هذا العصر ميداناً للتنافس وازدحام الأهواء والشهوات والاستباق الى مظاهر الفوضى والاضطراب. وصلحت فيه من ناحية أخرى حياتهم العقلية صلاحاً لم يعرفوا له مثيلا من قبل: فأزهر الشعر والنثر ونضج العلم والفلسفة ونمت علوم اللغة وفنونها ونهض التاريخ والجغرافيا بحيث إنك

تنظر الى هاتين الناحيتين من نواحي الحياة الاسلامية في هذا العصر فلا تكاد تستريح الى أنهما تمثلان أمة واحدة هي الامة الاسلامية، متأثرة بحضارة واحدة هي الحضارة الاسلامية، وخاضعة لسلطان واحد هو سلطان الاسلام.

ذلك أن هذه الامة لم تكن في حقيقة الامر أمة واحدة! وانما كانت أمماً مختلفة أشد الاختلاف متباينة أشد التباين، جمعها الاسلام تحت لواء واحد في أمد قصير من الدهر، وحاول أن يمزجها ويلغي ما بينها من الفروق، فوفق الى ذلك أحياناً ولم يوفق اليه أحياناً أخرى.

وبينما كان يخيل الى من ينظر الى الأمة الاسلامية إبان قوة الأمويين أو العباسيين أن ستكون من كل هذه الشعوب وحدة قوية قد كونتها وحدة اللغة والدين والنظام، كانت هناك مؤثرات أخرى تحول بين وحدة الدين واللغة والنظام وبين نتائجها الطبيعية المنتظرة. وكان أهم هذه المؤثرات بعض الجنسيات القوية التي لم يستطع النظام الجديد أن يهضمها ولا أن يمحوها، بل لم يستطع أن يغير طموحها الى الحياة القوية ويضعف ميلها الى الاستقلال والسلطان.

فقد أسلم الفرس جميعاً وتعلم كثير منهم العربية أو استعربوا، ولكن الأمة الفارسية في جملتها ظلت فارسية، إن لم تحتفظ بدينها القديم فقد احتفظت بلغتها وأدبها وعاداتها وكثير من نظمها الاجتماعية، بل هي لم تكتف بهذا وإنما جدت في إخضاع الغالبين، الى حد ما، لما احتفظت به من

لغة وعادة ونظام . ثم اتصلت بالسياسة العربية الاسلامية فأثرت فيها أشد التأثير، وانتهزت فرصة الخلاف بين الامويين والهاشميين فانحازت الى هؤلاء الآخرين ومنحتهم القوة وأجلست زعماءهم على عرش الخلافة . ثم أحاطت بهذا العرش تذود عنه وتحميه ، وتحتكره في حقيقة الامر وتستأثر به وتقصي عنه العرب شيئاً فشيئاً . وماهي إلا أن يمضي القرن الثاني وينتصف القرن الثالث حتى تنقطع الصلة أو تكاد تنقطع بين هذا العرش وبين الامة العربيـة : واذا العرب قد ارتدوا الى أوطانهم الاولى ، واذا الخلفاء قد أصبحوا أسرى للعناصر الاجنبيـة المغلوبة في الدولة ،واذا هذه العناصر قدأخذت ترفع رؤوسها وتمد أيديها الى السلطان فتأخذ منه ـ كما قدمنا ـ بحظوظ مختلفة من القوة والبأس ومن السيادة والاستقلال .

وكانت الأمة الفارسية أسبق الامم الى اقتطاع حظها من هذا السلطان وكانت أعظمها منه حظاً وأوفرها منه نصيباً ولاسيما فى هذا القرن الرابع للهجرة .

(٢) ولكن هذه الحركة العنيفة التى بعثها الاسلام فى العالم القديم كله أنتجت مالم يكن بد من إنتاجه فقد اختلطت كل هذه الامم وائتلفت كل هذه الشعوب وعرف بعضها بعضاً وأحب أن يتزيد من هذه المعرفة فانكشفت للعرب نفوس الفرس والروم والساميـين والقبط والبربر والاسبانيين ،وانكشفت لهؤلاء جميعاً نفوس العرب . وكانت بينهم الى هذه الصلات السياسية التي أحدثها الفتح والدين صلات عقلية أشبه شيء

بما حدث فى العالم القديم حين أغار الاسكندر على الشرق وحين بسطت روما سلطانها على الشرق والغرب معا

أصبحت اللغة العربية لغة رسمية لهذه الشعوب تترجم مابينهم من صلات سياسية ودينية، وتترجم مابينهم من صلات نفسية وعقلية . وأخذ كل شعب من هذه الشعوب يحرص على أن يكون له فيها أثر ظاهر . وأخذ العرب أنفسهم يحرصون على أن يكون فى لغتهم مثال صادق لخير ما انتهت إليه حضارات هذه الشعوب وحياتها من أدب وفن ، ومن علم وفلسفة . فكانت الترجمة عن الفارسية والهندية والسريانية واليونانية ، وكثرت هذه الترجمة وكثر درسها وشرحها وتفسيرها ، وتأثرت بهذا كله حياة المسلمين العقلية منذ عهد بعيد فظهرت آثارها في فلسفتهم وكلامهم وعلومهم وآدابهم .

ولكن هذا كله لم يسغه العقل الاسلامى الجديد ولم يحسن هضمه إلا بعد أن انقضى القرن الثالث وأظل المسلمين هذا القرن الرابع . فى هذا القرن والقرن الذي بعده أخذت تظهر للمسلمين حياة عقلية جديدة مصطبغة بالصبغة الاسلامية الخالصة ، وأخذ يظهر في العالم الاسلامي مفكرون مسلمون لا يصطبغ تفكرهم بصبغة الدين ولا بالصبغة الفلسفية الاجنبية ، كما كان ذلك شأن المتكلمين إبان القرنين الثانى والثالث ، وانما هم مفكرون مستقلون يحاولون أن يصبغوا ما انتهي الى المسلمين من آثار الامم الاخرى صبغة إسلامية صرفة مستقلة. وكان من زعماء هؤلاء جماعة كالفارابي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة الذين ظهروا فى هذا العصر . وكان لنضج هذه

العلوم والفنون فى نفوس المسلمين أثرها في الفن والادب أيضاً . فليس شعر المتنبي وأبى العلاء كشعر البحتري وأبي تمام أو كشعر أبي نواس ومسلم أو كشعر الفرزدق وجرير ، وليس نثر الصابي وابن العميد كنثر الجاحظ أو كنثر ابن المقفع ، أو كما يروي من النثر لكتاب الامويين وخطبائهم ، وانما هذا كله شيء جديد لاهو بالبدوي أو القريب من البدوي ، ولاهو بالأجنبي أو القريب من الأجنبي ، وإنما هو فن عربي قوى الأسر متمكن فى عربيته الجديدة أشد التمكن .

(٣) من خضوع المسلمين فى هذا العصر لهاتين الظاهرتين المتناقضتين : ظاهرة الانحطاط السياسى والرقي العقلى بقيت لنا آثار مختلفة كثيرة لعل أظهرها وأقواها وأشدها تشخيصا لهذا العصر هذا الكتاب الذى أقدمه إلى القراء وهو « رسائل اخوان الصفاء » . فهذا الكتاب يمثل أصدق تمثيل وأقواه هاتين الظاهرتين المتناقضتين : يمثل من جهة فساد الحياة السياسية الاسلامية فى ذلك الوقت لأن الذين كتبوه جماعة لانكاد نعرف منهم أحداً لانهم كانوا يعملون من وراء ستار وكانوا يعملون لغرض سياسى قبل كل شيء فهم كانوا خصوما للنظام السياسى القائم في بغداد كما لم يكونوا أنصاراً مخلصين للنظام السياسى القائم فى القاهرة : لم يكونوا يرتاحون الى خلافة العباسيين ولم يكونوا يحبون خلافة الفاطميين ، وانما كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف ، فهم من غلاة الشيعة ولعلهم من

الاسماعيليين . والقول كثير في أغراض الاسماعيليين ووسائلهم السياسية ونفورهم من الفاطميين وبغضهم لدولة بني العباس .

كان هؤلاء الناس إذن يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة سرية وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر، سياسى وعقلي ، فهم يريدون قلب النظام السياسى المسيطر على العالم الاسلامى يومئذ ، وهم يتوسلون الى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين أيضاً . وهم يسلكون في ذلك مسلك جماعات سبقتهم فى العالم القديم أظهرها جماعة الفيثاغوريين في المستعمرات اليونانية الايطالية ، فقد كانت هذه الجماعة مبغضة للنظام السياسى اليوناني المألوف وكانت تريد قلبه وتغييره وكانت تتوسل الى ذلك بوسائل أهمها تغيير النظام العقلى وإنشاء فلسفة جديدة تكوّن الحياة العقلية والعملية للفرد والجماعة تكويناً جديداً يلائم بينها وبين السياسة الجديدة ويمكن هذه الجماعة من السيطرة على الأمور العامة . وقد وفقت هذه الجماعة الفيثاغورية بعض التوفيق . وحاول أفلاطون شيئا من ذلك فوفق من الجهة العقلية وتخيل نظاماً سياسياً بسطه فى كتاب الجمهورية وكتاب القوانين ، وأقامه على الفلسفة الافلاطونية كلها، كما أقام الفيثاغوريون نظامهم على الفلسفة الفيثاغورية. ولكن أفلاطون لم يوفق فى الحياة العملية الى شيء وظلت سياسته خيالا ليس غير . وفلاسفة اليونان جميعا متفقون على أن النظام السياسي كائنا ما كان لاقيمة له اذا لم يعتمد على نظام من نظم التربيـة يلائمه ويهيء الأفراد والجماعات لتأييده والذود عنه . فالتربية أهم مايعنى به أفلاطون في الجمهورية

وهي أهم مايعنى به ارستطاليس في كتاب السياسة ، وكلاهما يبين أحسن تبيين الصلة بين أنواع التربية والتعليم المختلفة وبين مايوجد أو يتخيل من نظم الحكم والسياسة .

فجماعتنا السرية هذه متأثرة من غير شك بما كان فى العالم اليوناني من محاولات تشبه محاولتها السياسية ، متأثرة بمحاولة الفيثاغوريين متأثرة بمحاولة أفلاطون ، وقد كان حظها من التوفيق كحظ الفيثاغوريين ، فقد وفق الاسماعيليون الى وجود سياسى مكن لهم فى بعض الأرض ونشر الرعب فى العالم الاسلامى حينا .

وليس أدل على فساد الحياة السياسية من قيام هذه الجماعات السرية التى تعمل لهدمها وتقويضها جادة ماجة . فكما كانت فلسفة الفيثاغوريين والافلاطونيين دليلا على فساد الحياة السياسية اليونانية ، ففلسفة إخوان الصفا دليل على فساد الحياة السياسية الاسلامية فى ذلك العصر . وقد احتاط هؤلاء الناس في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحداً — كما قلنا — وإنما سميت اسماء لاتتجاوز الخمسة ولا تخلو أن يحيط بها الشك . وكل مانستطيع أن نعرفه من أمر هذه الجماعة أنها نشأت في البصرة فى منتصف القرن الرابع ، وعرف لها فرع فى بغداد ، وليس عندى شك في أن أبا العلاء قد اتصل بهذا الفرع البغدادى حين ارتحل الى بغداد آخر هذا القرن وكان يحضر اجتماعه يوم الجمعة من كل أسبوع ، نرى ذلك في سقط الزند بل نرى بعض أسماء الذين كانوا يحضرون جلسات هذا الفرع ، ونكاد نعرف المكان الذي

كانوا يجتمعون فيه يوم الجمعة من كل أسبوع، ونكاد نلمح فى هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو المعتدل الذى لابد منه فيما يظهر لتستقيم فلسفة الفلاسفة. وقد أشرت الى شىء من ذلك في «ذكرى أبي العلاء» على انى أشد استيقاناً به الآن وأعتقد أنا نجد فى رسائل اخوان الصفاء أحسن تفسير لكثير من غوامض اللزوميات .

(٤) و «رسائل اخوان الصفاء» هذه تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر كما تمثل الحياة السياسية أو قل أقوى من تمثيلها للحياة السياسية، فهي مرآة تنعكس فيها الحياة العقلية انعكاساً مباشراً . ونحن نرى فيها هذه الحياة واضحة جلية : نرى أن العقل الاسلامي فى القرن الرابع كان قد وعي ما نقل اليه من فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفرس والآداب العربية والاسلام وغيره من الديانات السماوية وغير السماوية وجمع ذلك كله ورتبه ولاءم بينه وحاول أن يكوّن منه مزاجاً واحداً مؤتلفاً هو خلاصة الثقافة التى يجب على الرجل المستنير حقاً أن يظفر بها ويأخذ منها بالحظ الموفور .

ونلاحظ ونحن نقرأ «رسائل اخوان الصفاء» ما نلاحظ ونحن نقرأ اللزوميات ورسالة الغفران من أن الصلات كانت فى ذلك العصر قد كثرت واستوثقت بين المسلمين في العراق وبين الهند، فانتقلت الى أهل العراق مذاهب الهند الفلسفية وأساطيرها الشعبية، واختلط هذا كله بمجموعة العلم المحصلة يومئذ عند المسلمين فأثر فيه أثراً ظاهراً . ولعل مذهب التناسخ

لم يكثر التحدث به ومحاولة شرحه وتأييده وتصويره فى الصور المختلفة كما كثر ذلك فى هذا العصر

ولسنا نقول شيئاً جديداً حين نقول إن « رسائل اخوان الصفاء » هذه أشبه شيء بدائرة معارف فلسفية علمية جمعت كل ما لم يكن بد من تحصيله للرجل المثقف حقاً فى ذلك العصر ، ولكنها جمعت ذلك كله على شيء من النظام يمثله الفهرست الذى قدم بين يديها . وهذا النظام يجب أن ينظر اليه من وجهين : أحدهما الوجه الفلسفي الصرف وهو من هذه الناحية متأثر بما عرف المسلمون عن فلسفة الفيثاغوريين والافلاطونيين القدماء والمحدثين وأرستطاليس ، متأثر بهذا كله فهو يقسم الكتاب الى اجزاء أربعة: أولها فى أربع عشرة رسالة في الرياضة على اختلافها في العدد والهندسة والفلك ، ثم في الفنون العملية ، ثم في المنطق . وهذا الجزء فيثاغورى وافلاطونى في أوله وهو في آخره متأثر بارستطاليس إذ منطقه هو منطق ارستطاليس بترتيبه وأسمائه . والجزء الثاني ارستطاليسى الصبغة يتناول الطبيعيات كلها على النحو الذي تناولها عليه ارستطاليس : يبدأ بالهيولي والصورة والزمان والمكان والحركة وينتقل الى الآثار العلوية ، ثم ما يزال يتدرج حتى يصل الى المعادن ثم الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان ويختم بعلم النفس . والجزء الثالث عشر رسائل فيما بعد الطبيعة ، وهو ظاهر التأثر بهذه الضروب الثلاثة من الفلسفة اليونانية ، ففيه من الفيثاغوريين وفيه من افلاطون وفيه من الافلاطونية الحديثة وفيه من ارستطاليس . فاذا كان الجزء

الرابع فهو يتناول الالهيات وما يتصل بالديانات والشرائع والتصوف، وهو المزاج الذي التأمت فيه كل العناصر المؤثرة فى الفلسفة الاسلامية سواء منها الشرقي والغربي والفلسفي والعلمي والديني والأدبي والفني والخرافي أيضاً . وهذه الاجزاء الاربعة كلها ورسائلها التي تبلغ اثنتين وخمسين رسالة ليست في حقيقة الامر إلا مقدمة ومدخلا الى رسالة جامعة هي خلاصة العلم وغاية الغايات التي كانت تنتهي اليها الجماعة . لاينبغي أن تعرض على أحد حتى يكون قد أخذ بحظه من كل هذه الرسائل . والجماعة تشبه نفسها برجل حكيم جواد كريم له بستان فيه من كل لذة مافيه بهجة لا تعدلها بهجة ولكنه لايدخل الناس فى هذا البستان حتى يعرض عليهم نماذج مما فيه، فهم ينظرون اليها ويدنون منها فيذوقون ويشمون ويلمسون حتى اذا أنسوا واطمأنوا ثم رغبوا واشتهوا أدخلوا فى هذا البستان . وهم يشبهون رسالتهم الجامعة هذه بالدواء الذى يشفى إن كان الجسم متهيئاً لقبوله ويقتل ان كان الجسم لم يتهيأ له . ولكن هذه الرسالة الجامعة لم تصل الينا . ولو قد وصلت لعرفنا كنه هذه الجماعة وأغراضها ووسائلها معرفة واضحة قاطعة .

(٥) درس هذه الرسائل مفيد للذين يريدون أن يدرسوا تاريخ الفلسفة الاسلامية لأنه - كما رأيت - يمثل عصراً من أنضر العصور الفلسفية في الاسلام! ومن يدرى : لعل قراءة هذا الكتاب في عناية وتحقيق تكشف عن أشياء لم تظهر بعد . فهل يبعد أن يكون رجل كالغزالى قد تأثر الى حد قريب أو

بعيد بفلسفة هـذه الجماعة ولا سيما حين نلاحظ أنه نشأ فيلسـوفاً وانتهى صوفياً ، وأن اخوان الصفاء يستخلصون التصوف والغلو فيه من الفلسـفة الخالصة . وهذا الدرس يفيد الذين يدرسون التاريخ السياسي للمسلمين فهو يكشف لهم عن أشياء قد لا يظفرون بها في كتب التاريخ السياسي لأن التاريخ السياسي قد كتب كما يعلم كل إنسان متأثراً بطائفة من المؤثرات حالت بينه وبين الانصاف فى كثير من الاحيان. وكثير من الذين كتبوا هذا التاريخ السياسي لم يكونوا ينظرون الا الى ظواهر الامور وأعراض الحياة العامة . ومن يدرى : لعل هذه الرسائل لو قرأها المؤرخون في عناية وتحقيق تكشف عن أسرار تاريخية لا نقدرها بل لا نفترضها نحن الآن . وهذا الدرس يفيد الذين يريدون أن يتثقفوا وأن يأخذوا بحظ من قديمنا العربي . فالفكرة العامة الآن عند الذين ينصرون القديم ويتعصبون له أن هذا القديم ينحصر أو يكاد ينحصر في الشعر والنثر وما يتصل بهما من علوم اللغة وفنون الادب . وهم لا يكادون يحفلون بالفلسفة والعلم لانهم يحسون في وضوح وجلاء تفوق الفلسفة الحديثة والعلم الحديث على ما كان للقدماء من فلسفة وعلم . وهم في ذلك نفعيون يتأثرون منافعهم القريبة خاضعين لعقول هي أرقى من أذواقهم ، يقدرون رقي العلم والفلسفة في هذا العصر فيزدرون ما للعصور القديمة من علم وفلسفة . ولا يقدرون رقي الادب لفتور أذواقهم فيحفلون بالادب القديم ويسرفون في تقديمه . ولو قد أنصفوا أنفسهم ، ولو قد لاءم الله بين عقولهم وأذواقهم لقدروا الادب القديم والعلم القديم والفلسفة

القديمة كلها على سواء وفي شيء من العدل والانصاف . فليس أدب القدماء أشد لذة وإمتاعاً للنفوس من علم القدماء وفلسفتهم . واذا كان علم القدماء وفلسفتهم لا يلائمان عقولنا الآن فأدب القدماء يجب ألا يلائم أذواقنا الآن إلا أن يكون الله قد مسخ هذه النفوس فضمم عقولها ومحا أذواقها أو كاد .

فالذين ينصرون القديم ويتعصبون له ، والذين يريدون أن يكونوا لانفسهم ثقافة قديمة صالحة ، والذين يريدون أن يعرفوا القديم على وجهه ليستطيعوا أن يعرفوا الحديث حق معرفته ، كل هؤلاء خليقون أن يقرءوا الفلسفة القديمة كما يقرءون الأدب القديم . وليس كل الناس ، بل ليس كل المثقفين ، يستطيع أن يتصرف في فلسفة الفارابى وابن سينا ، وإنما هذه الفلسفة وقف على الاخصائيين لانها كتبت للاخصائيين . في حين كتبت رسائل إخوان الصفاء لعامة المثقفين وقصد بها الى إيجاد الثقافة الفلسفية الصالحة ، فهي أدنى الى العقول وأيسر على النفوس وهي مقدمة صالحة لدرس الفلاسفة الاخصائيين .

على أن من الحق أن نلفت الناس الى أن هذه الرسائل لم تقصد بها الفلسفة من حيث هي ، ولا العلم من حيث هو ، وانما أريد بها تكوين ثقافة معينة تهيء لنحو من السياسة معين . ففيها من التأويل والدوران ، وفيها من الحيل والخيال ما يحسن الالتفات اليه والاحتياط منه . وقد كان إخوان الصفاء أنفسهم مخلصين فقدروا ذلك ولفتوا اليه ودعوا وألحوا فى الدعاء الى ألا تعطى هذه الرسائل للناس الا بمقدار . وقد كان ذلك ميسوراً فى العصر

القديم حين كان العلم لا يؤخذ الا فى المدارس وعن العلماء وحين كان تحصيل الكتب واقتناؤها لا يتأتيان الا بعد مشقة وجهد . فأما الآن وقد وجدت المطبعة وأصبحت الكتب تعرض نفسها على الناس وتلح في العرض والاغراء فنحن بين أمرين : إما أن نحظر نشر الكتب الا بمقدار وبعد امتحان وفتنة واختبار وتمحيص ، وإذن فهو الجهل والجمود والضعف عن احتمال الجهاد فى سبيل الحياة ، وإما أن نذيع الكتب وننشرها ولا نقيد حرية المطبعة الا بما لا بد منه لحماية الاخلاق وحياطة النظام الاجتماعى ، وهذا هو الوجه وهو الطريق التى سلكتها الامم الى الآن والتى نسلكها نحن راضين أو كارهين . وكل ما يجب علينا لأنفسنا ولشبابنا إنما هو التنبيه واللفت الى ما يجب من الاحتياط والحذر حين تعرض عليهم كتب بعينها حتى لا تقرأ على علاتها ولا تؤخذ في غير حذق وفطنة فيكون شرها أكثر من خيرها وضرها أكثر من نفعها

« لرسائل اخوان الصفاء » قيمة أخرى لم أشر اليها بعد . وهى قيمتها الفنية الخالصة . فهي من حيث إنها تتجه الى جمهرة الناس للتعليم والتثقيف قد عدل فيها عن العسر الفلسفي الى اليسر الادبي وعني كتابها بألفاظها وأساليبها عناية أدبية خاصة . ففيها خيال كثير وفيها تشبيه متقن وفيها ألفاظ متخيرة ومعان ميسر ، وليس من الغلو أن يقال انها قاربت المثل الأعلى في تذليل اللغة العربية وتيسيرها لقبول ألوان العلم على اختلافها . ولو أن لدينا من الذين يعنون بالدرس الادبي جماعة تتوفر على « رسائل اخوان الصفاء » درساً وتحليلا

ونقداً لكان من الممتع أن تتبين ما فيها من الشخصيات الفنية المتفاوتة ، بل لكان من الممكن أن نستكشف بعض هذه الشخصيات . ومن يدرى : لعل منها شخصيات معروفة كتبت فى الادب والفلسفة والعلم وعرفت كتبها واشتركت في هذه الرسائل سراً ولم يعرف اشتراكها الى الآن .

وجملة القول أن هذه الرسائل كنز لم يقدر بعد لأنه لم يعرف بعد . وهو اذا عرف فقد يجلو قطعة من حياة الامة الاسلامية في عصر من أهم عصورها وأجلها خطراً . وعسى أن يكون في نشر هذه الرسائل وتيسير الحصول عليها مايدنى من هذه الغاية ويقرب من هذا المثل الأعلى .

طه حسين

فصل فى رسائل اخوان الصفا

بقلم سعادة الاستاذ العلامة احمد زكى باشا [١]

قد رأيت أن اطيل القول على هذا الكتاب ، وأوفيه حقه من الشرح والبيان ، لمناسبة انتشاره واشتهاره على أثر طبعه حديثاً بالهند وبمصر ، بعد ان لم يكن يوجد منه سوى نسخ تعد على الاصابع . ولعمرى ! إنه لجدير بالعناية ، لانه يدلنا على حالة المعارف العقلية عند العرب ، بعد انتشار الدين الاسلامى بزمن قليل .

اشتهر هذا الكتاب بين بنى الآداب ، وعلا قدره وطار صيته ، حتى صار موضوعاً لحديث القوم فى كل ناد ، يهيمون بالمذاكرة في تاريخه وأصله فى كل واد . وما تجلت عرائس الحقيقة ، الا لنفر من نخبة الافاضل المدققين ، فاستجلوها وضنوا بها على المتسائلين . فحملنى ذلك على التنقيب في دفاتر الاوائل والاواخر ، حتى تيسر لى بعون الله تعالى جمع خلاصة تميط النقاب عن حقيقة هذا الكتاب . فاقول :

لم يظهر بدر هذا الكتاب في أفق المعارف ، حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب ، وعنوا بقراءته والاعجاب به : مدة طويلة من الزمان .

ولقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه لكونهم كتموا اسماءهم ، فزادوا بذلك

---

(١) كتب فى سنة ١٣٠٨هـ (١٨٨٩م) تكملة لتصنيفه المسمى « موسوعات العلوم العربية » (الناشر)

فضل الكتاب واهتمام الباحثين ، حتى بلغ صيته المشارق والمغارب ، وتنبه اليه العلماء وقدروه حق قدره .

فقد رأيت ، أثناء مطالعاتي ومراجعاتي ، عبارة في ترجمة « الطبيب أبي الحكم الكرماني القرطبي » أحد الراسخين في علم العدد والهندسة (في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء نقلا عن القاضي صاعد) وهي « ... ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة .... ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها . وجاب معه الرسائل المعروفه « برسائل اخوان الصفاء » ولا نعلم أحداً ادخلها الاندلس قبله »

فهذا القول يدل على جليل مكانتها وعظيم أهميتها التى جعلت العلماء يقيدون تاريخ دخولها واسم من أتى بها فى ربوع العلم بالأندلس . وسنستعين به فيما سيجيء معنا من التحقيق الدقيق ، ان شاء الله

ولقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فأحلوها محلها الرفيع ، واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها . وكان السابق لهم فى حلبة هذا المضمار العلامة سافستر دوساسى المشهور ، فانه كتب عليها خلاصة وجيزة باللغة الفرنساوية

وقد طبعت هذه الرسائل فى سنة ١٨١٢ مسيحية بمدينة كلكته بالهند تحت عنوان « تحفة اخوان الصفاء » . والذى راجعها وباشر طبعها هو الشيخ « احمد بن محمد شروان اليمنى »

وفى سنة ١٨٣٧ طبع العلامة نوفرك في برلين خلاصة على رسائل اخوان الصفاء ، تكلم فيها عليهم وعلى كتابهم ، ونقل منها شيئاً باللغة العربية ووضع امامه ترجمته بالالمانية

وللمعلم فريدرخ ديتريصى الالمانى كتاب في ثمانية أجزاء ، بحث فيه عن العلوم الفلسفية عند العرب في القرن العاشر للمسيح (القرن الرابع للهجرة) واعتمد فى كتابه كله على «رسائل اخوان الصفاء» . وقد طبعه في برلين من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٩

أقول إنه أشبه فى صنيعه هذا رجلا من الخراسانيين ألف كتاباً عنوانه «مجمل الحكمة» . واليك ماقاله صاحب «كشف الظنون» عنه: «فارسى فى حكمة الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات . واكثره رموز . انتخبه رجل من الخراسانيين بحذف الحشو وإيضاح الرمز ، كما فى «رسائل اخوان الصفاء» . ونقله بعضهم من الفارسي الى التركى » اه

واعلم ان المعلم ديتريصى المذكور قد طبع في سنة ١٨٨٦ بمدينة برلين كتابا اسمه «خلاصة الوفاء فى اختصار رسائل اخوان الصفاء» وباشر تصحيحه ، فانه من المتبحرين في الفنون واللغات المشرقية . واليك ما قاله فى آخر الكتاب بحروفه : «ان النسخات التى نقل عنها هذا الكتاب كثيرة التحريف والتصحيف . وهو يشتمل على زبدة الكتاب وخلاصة مايلزم معرفته من مواده . وهو مرتب على غير ترتيب الكتاب الاصلى لان مختصره [1] راعى فى ذلك أسلوبا احسبه أجود وأفضل من الاول وادخل في باب الكمال.

فانه ابتدأ بالكلام على مبادىء الموجودات وأصول الكائنات، ثم نضد العالم

(١) لم نعثر على اسم الذى أختصر الكتاب . ولكن الطريقة التى اتبعها فى الترتيب تدل على زيادة فضله وغزارة علمه

فالهيولى والصورة ، فماهية الطبيعة ، فالارض والسماء. ثم اعقب ذلك بالكلام على وجه الارض والتغيرات فيه ، ثم الكون والفساد، ثم فى الآثار العلوية ، ثم السماء والعالم. ثم شرح الاسطرونوميا (الذي هو علم النجوم) ثم تكوين المعادن ، ثم علم النبات ، ثم أوصاف الحيوان ، ثم مسقط النطفة وكيفية رباط النفس بها ، ثم تركيب الجسد ، ثم الحاس والمحسوس ، ثم العقل والمعقول ، ثم الصنائع العملية ثم الصنائع العلمية ، ثم العدد وخواصه (عني الارثماطيقي) ثم الجومطريقي (الذي هو علم الهندسة) ثم الموسيقي ، ثم علم النسب العددية والهندسية والتأليفية ، ثم المنطقيات ، فمعاني الالفاظ العشرة (المعروفة بالمقولات العشرة) ثم قاطيغورياس وبارى أرمينياس وانولوطيقا الاولى وانولوطيقا الثانية ، ثم بيان اختلاف الاخلاق ، ثم طبيعة العدد ، ثم تكلم على ان العالم انسان كبير (١) وان الانسان عالم صغير (٢) ثم شرح الاكوار والادوار ، وتكلم على ماهية البعث والنشور والقيامة . وأفاض بعد ذلك فى الكلام على أجناس الحركات والعلل والمعلومات ، والحدود والرسوم ، حتى تخلص الى بيان اعتقاد اخوان الصفاء وكيفية عشرتهم ، ثم أورد فى آخر الكتاب فهرست الرسائل ، وماهية اغراض اخوان الصفاء .

وهذا كله دليل كاف يعلمك بمكانتها من نفوس العلماء ، ومقامها عند جمهور الفضلاء فى مشارق الارض ومغاربها

ولا يغرب عن بال القارىء اللبيب ان الاعمال العظام والتآليف المعتبرة

---

(١) وهذا مأخوذ عن فلاسفة اليونان فى قولهم Macrocosme

(٢) « « « « « « « Microcosme

ونوابغ الرجال ، قد كانت وستكون فى جميع الازمان والبلاد ، عرضة لسهام الطعن والانتقاد . ولا تكاد تخلو من ذلك أمة من الامم، والشواهد كثيرة ليس هذا محل بيانها . بل إن هذه حقيقة مقررة، لاينكرها الا من يطلب الدليل على ثبوت النهار . وتلك سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا

اذا ثبت ذلك، فاعلم أن هذه الرسائل حازت قبولا كثيراً عند جماعة من الناس، كما استوجبت لاصحابها السخط واللعنة عند فريق آخرين. ونحن لا نتشيع لاحد المذهبين، بل نترك الحكم لمن يطلع عليها في ابداء رأيه بالانتصار لاربابها، أو التحامل عليهم ، ونورد له كلاما يعينه على تعيين حكمه ورشده في أمره

فاكبر دليل على عناية العلماء بالتنقير والتنقيب عن أمر هذه الرسائل هو ما رأيته أثناء البحث والمراجعة، فى كتاب تراجم الحكماء للوزير جمال الدين بى الحسن القفطى المتوفي سنة ٦٤٦ هـ (المترجم فى كتاب الخطط الجديدة التوفيقية) . فانه أفرد لهافصلا مخصوصا فى حرف الالف [١] كانها اسم أحد الفلاسفة الذين أتى على ذكر أخبارهم وأحوالهم في كتابه . وقد أورد فى هذا الفصل كلاما طويلا ضمنه الرسالة التى كتبها أبو حيان التوحيدى الى الوزير صمصام الدولة فانها تحتوى على ايضاحات وارشادات مفيدة فى بابها، ولا بد منها لكل من طلب الوقوف على حقيقة هذه الرسائل . قال القفطى المصري

---

(١) وكذلك فعل صاحب « كشاف اصطلاحات العلوم » فانه افردها كلاما فى حرف الالف ، اورده باللغة الفارسية، . وهذه ترجمته « هم جماعة من الاصدقاء العقلاء والاخوان الالباء سلموا من شوائب الكدورات البشرية وتحلوا بأوصاف الكمالات الروحانية » . ولعله يصف بذلك اخوان الصفاء على العموم

« رسائل اخوان الصفا

«هؤلاء جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب فى أنواع الحكمة الاولى ورتبوه مقالات ، عدتها احدى وخمسون مقالة . خمسون منها فى خمسين نوعاً من الحكمة ، والحادية والخمسون جامعة لانواع المقالات، على طريق الاختصار والايجاز . وهى مقالات مشوقات ، غير مستقصاة ، ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج . وكأنها للتنبيه والايماء الى المقصود الذى يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة

« ولما كتم مصنفوها اسماءهم ، اختلف الناس فى الذى وضعها. فكل قوم قالوا قولا ، بطريق الحدس والتخمين . فقوم قالوا : هى من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) واختلفوا في اسم الامام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة . وقال آخرون : هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة فى العصر الاول .

« ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها، حتى وقفت على كلام لابي حيان التوحيدي، جاء فى جواب له عن أمر سأله عنه الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة، فى حدود سنة ثلاث وسبعين وثلثماية . وصورته :

«قال ابو حيان حاكياً عن الوزير المذكور: حدثنى عن شىء هو أهم من هذا الىّ ، واخطر على بالى ! اني لاأزال اسمع من زيد بن رفاعة قولا يريبنى ومذهباً لاعهد لى به ، وكناية عما لاأحقه ، واشارة الى مالايتوضح شىء منه . يذكر الحروف ويذكر اللفظ ، ويزعم أن الباء لم تنقط من تحت واحدة

الا لسبب ، والتـاء لم تنقط من فوق اثنتين الا لعلة ، والالف لم تهمل الا لغرض ، واشباه هذا . واشهد منه في عرض ذلك دعوى يتعاظم بها وينتفخ بذكرها ، فاحديثه ؟ وما شأنه ؟ ومادخلته ؟ فقد بلغني ، ياأباحيان ، أنك تغشاه وتجلس اليه ، وتكثر عنده ، ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان ، صدقت خبرته ، وأمكن اطلاعه على مستكن رأيه وخافي مذهبه

« فقلت : أيها الوزير ، أنت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً ، لاختبار ولاستخدام ، وله منك الأمرة القديمة والنسبة المعروفة

« قال : دع هذا ، وصفه لي !

« فقلت : هناك ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ومتسع فى قول النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة فى الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع المقالات ، وتبصر في الآراء والديانات ، وتصرف فى كل فن : إما بالشد الموهم ، وإما بالتوسط المفهم ، وإما بالتناهي المفحم [1]

« قال : فعلى هذا ، مامذهبه ؟

« قلت : لا ينسب الى شيء ، ولا يعرف له حال ، حيث أنه تكلم في كل شيء وغليانه في كل باب . ولاختلاف مايبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه

« وقد أقام بالبصرة زماناطويلا ، وصادق بها جماعة لاصناف العلم وأنواع الصناعة . منهم أبو سليمان محمد بن مشعر البيستى (ويعرف بالمقدسى) وأبو

---

(١) اذا كانت هذه صفة زيد بن رفاعة وهو أحد أخوان الصفاء ، بل خادمهم كما سيجيء فى بقية الكلام ، فما بالك باخوان الصفاء انفسهم . لاجرم انهم كانوا على جانب عظيم من الفضل والعلم

الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو احمد المهرجاني، والعوفي، وغيرهم، وصحبهم وخدمهم . وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة . فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله

«وذلك انهم قالوا إن الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة، لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال

«وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة، علمياً وعملياً ، وأفردوا لها فهرساً وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم ، وبثوها في الوراقين ، ووهبوها للناس . وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية، والامثال الشرعية، والحروف المحتملة، والطرق المموهة

« قال : الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل ؟

«قلت : قد رأيت جملة منها . وهي مبثوثة من كل فن ، بلا اشباع ولا كفاية . وهي خرافات ،وكنايات، وتلفيقات، وتلزيقات، وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي (١) السجستاني محمد بن بهرام، وعرضتها عليه . فنظر فيها أياما، وتبحرها طويلا . ثم ردها علي، وقال :

تعبوا وما اغنوا . ونصبوا وما أجروا ، وحاموا وما وردوا، وغنوا

---

(١) هو الذي اقتبس عنه ابو حيان اشياء كثيرة في كتابه المعروف «بالمقابسات» . فراجع هذا الكتاب ، تعلم فضل الرجل ومكانه من العلم

وما اطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا . ظنوا ما لايكون ، ولا يمكن ، ولايستطاع . ظنوا انهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة (التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطى وآثار الطبيعة ، والموسيقى الذى هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذى هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات) فى الشريعة وان يربطوا الشريعة فى الفلسفة وهذا مرام دونه جدد . وقد تورك على هذا قبل هؤلاء قوم ، كانوا أحدأ نياباً ، واحضر اسباباً ، وأعظم أقداراً ، وأرفع اخطاراً ، وأوسع ، قوى ، وأوثق عرى . فلم يتم لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا ما أملوه . وحصلوا على لوثات قبيحة ، ولطخات واضحة موحشة ، وعواقب مخزية

«فقال له النجارى بن العباس : ولم ذلك ، أيها الشيخ ؟

«فقال : إن الشريعة مأخوذة عن الله «عز وجل» بواسطة السفير بينه وبين الخلق ، ومن طريق الوحى وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات . وفى أثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه . ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبه عليه . وهناك يسقط «لم» ويبطل «كيف» ويزول «هلا» ويذهب «لو» و «ليت» فى الريح . لان هذه المواد عنها محسومة ، وجملتها مشتملة على الخير ، وتفصيلها موصول على حسن التقبل . وهى متداولة بين متعلق بظاهر مكشوف ، وصحيح بتأويل معروف ، وناصر باللغة الشائعة ، وحام بالجدل المبين ، وذاب بالعمل الصالح ، وضارب للمثل السائر ، وراجع الى البرهان الواضح ، ومتفقه فى الحلال والحرام ، ومستند الى الأثر والخبر المشهورين بين أهل الملة ، وراجع الى اتفاق الامة . ليس

فيها حديث المنجم فى تأثيرات الكواكب وحركات الافلاك ، ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وما الفاعل وما المنفعل منها ، وكيف تمازجها وتنافرها . ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادير الاشياء ولوازمها ، ولا حديث المنطقي الباحث عن مراتب الاقوال ومناسب الاسماء والحروف والافعال

«قال : فعلى هذا كيف يسوغ «لاخوان الصفاء» أن ينصبوا لأنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة : على أن وراء هذه الطوائف جماعة ايضا لهم مأخذ من هذه الاغراض كصاحب العزيمة وصاحب الكيمياء ، وصاحب الطلسم ، وعابر الرؤيا ، ومدعي السحر ، ومستعمل الوهم

«فقال : ولو كانت هذه جائزة ، لكان الله ينبه عليها ، وكان صاحب الشريعة يقوم شريعته بها ، ويكملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التى تجدها في غيرها ، أو يحض المتفاسفين على إيضاحها ، بها يتقدم اليهم باتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل مايذبّ به عنها حسب طاقتهم فيها . ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وكله الى غيره من خلفائه والقائمين بدينه . بل نهى عن الخوض في هذه الاشياء ، وكره الى الناس ذكرها ، وتوعدهم عليها . وقال من أتى عرافا أو كاهناً أو منجما يطلب غيب الله منه ، فقد حارب الله ! ومن حارب الله ، حرب ، ومن غالبه ، غلب . وحتى قال : « لو أن الله حبس عن الناس القطر سبع سنين . ثم أرسله، لاصبحت طائفة كافرين ! يقولون مطرنا بنوء المجدح » وهذا كما ترى . والمجدح الدبران

«ثم قال : ولقد اختلفت الامة ضروبا من الاختلاف في الاصول والفروع وتنازعوا فيها فنونا من التنازع في الواضح والمشكل، من الاحكام والحلال والحرام والتفسير والتأويل والعيان والخبر والعادة والاصلاح . فما فزعوا فى شيء من ذلك الى منجم ولا طبيب ولا منطقي ولا هندسى ولا موسيقار ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحر وكيمياء . لان الله تعالى تمم الدين بنبيه (صلى الله عليه وسلم) . ولم يحوجه ، بعد البيان الوارد بالوحي ، الى بيان موضوع بالرأى .

«وقال : وكما لم تجد هذه الامة تفزع الى الفلاسفة فى شيء من دينها ، فكذلك أمة عيسى صلى الله عليه وسلم (. هي النصارى) وكذلك المجوس

«قال : ومما يزيدك وضوحا أن الامة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها . فصارت أصنافا فيها وفرقا . كالمعتزلة والمرجئة ، الشيعة والسنية والخوارج . فما فزعت طائفة من هذه الطوائف الى الفلسفة ، ولا حققت مقالاتها بشواهدهم وشهاداتهم . وكذلك الفقهاء الذين اختلفوا في الاحكام من الحلال والحرام منذ أيام الصدر الاول الى يومنا هذا ، لم نجدهم تظاهروا بالفلاسفة واستنصروهم

وقال : وأين الآن الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل من الشيء المأخوذ بالرأى الزائل ؟ فان أدلوا بالعقل ، فالعقل موهبة الله جل وعز لكل عبد : ولكن بقدر مايدرك به مايعلوه ، كما لا يخفى عليه مايتلوه . وليس كذلك الوحي ، فانه على نوره المنتشر ، وبيانه المتيسر

«قال : ولو كان العقل يكتفى به ، لم يكن للوحي فائدة ولا غناء . على أن

منازل الناس متفاوتة فى العقل . وأنصباؤهم مختلفة فيه . فلو كنا نستغنى عن الوحي بالعقل ، كنا كيف نصنع ، وليس العقل بأسره لواحد منا ، وانما لجميع الناس ؟ فان قال قائل ، بالعنت والجهل : كل عاقل موكول الى قدر عقله، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره . لانه مكفي بهوغير مطالب بما زاد عليه . قيل له كفاك عاراً في هذا الرأى ، أنه ليس لك فيه موافق ولا عليه مطابق . ولو استقل انسان واحد بعقله في جميع حالاته « في دينه ودنياه » لاستقل أيضاً بقوته فى جميع حاجاته « في دينه ودنياه » ولكان وحده يفى بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لايحتاج الى أحد من نوعه وجنسه . وهذا قول مرذول ، ورأى مخذول

« قال النجارى . فقد اختلف أيضاً فى درجات النبوة بالوحي . واذا ساغ هذا الاختلاف بالوحى . لم يكن ذلك ثالماً له ، ساغ أيضاً فى العقل

« فقال : ياهذا ! اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن اصطفاهم بالوحى وخصهم بالمناجاة ، واجتباهم للرسالة ، وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان فى الناظرين بالعقول المختلفة . لانهم على بعد من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل . وعوار هذا الكلام ظاهر ، وخطل هذا المتكلم بين

« قال الوزير : فما سمع شيئاً من هذا المقدسى ؟

« قلت . بلى . قد ألقيت اليه هذا وما أشبهه ، بالزيادة والنقصان ، وبالتقديم والتأخير ، فى أوقات كثيرة بحضرة الوراقين بباب الطاق . فسكت ، وما رآني أهلا للجواب

«لكن الحريرى ، غلام ابن طرارة ، هيجه يوما في الوراقين بمثل هذا الكلام ، فاندفع فقال :

«الشريعة طب المرضي ، والفلسفة طب الاصحاء . والانبياء يطبون للمرضى ؛ حتى لايتزايد مرضهم ، وحتى يزول المرض بالعافيـة فقط . وأما الفلاسفة ، فانهم يحفظون الصحة على أصحابها ، حتى لايعتريهم مرض أصلا . فبين مدبر المريض وبين مدبر الصحيح فرق ظاهر ، وأمر مكشوف . لان غاية تدبير المريض أن ينتقل به الى الصحة ، هذا اذا كان الدواء ناجحاً والطبع قابلا ، والطبيب ناصحاً . وغاية تدبير الصحيح أن يحفظ الصحة . واذا حفظ الصحة ، فقد أفاده كسب الفضائل وفرغه لها ، وعرضه لاقتنائها . وصاحب هذا الحال فائز بالسعادة العظمى ، وقد صار مستحقاً الحياة الالهية . والحياة الالهية هي الخلود والديمومة . وإن كسب من يبرؤ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضاً ، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل . لان احديها تقليدية والاخرى برهانية . وهذه مظنونة ، وهذه مستيقنة ، وهذه روحانية ، وهذه جسمانية . وهذه دهرية ، وهذه زمانية » اهـ كلام أبي حيان (١)

---

(١) العجب كل العجب اني رأيت هذه الرسـالة منقولة بالحرف الواحد في العدد الحادى عشر من السنة الثامنة من جريدة «روضة المدارس». فان محررها حضرة علي بك فهمي ، نجل العـلامة المخلد الاثر رفاعة بك ، قد صـدر بها هذا العدد وقال انها بقلم تحرير الروضة ، مع انها موجودة في كتاب تراجم الحكماء المحفوظ بالكتبخانة الخديوية . ولا اعلم كيف جوز لنفسـه أن يثبت فى الروضة هذه العبارة « ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها حتى وقفت على كلام لابى حيان التوحيدي الخ » فان البحث والتطلب يجوز حصوله منه ولـكن السابق له القفطى وتلك هى عبارته بالحرف الواحد فهل يصح أن نقول انه ورد على

قال المؤلف (أى القفطي) ثم ان ابا حيان ذكر تمام المناظرة بينهما فأطال فتركته اذ ليس ذلك من شرط هذا التأليف والله الموفق للصواب (انتهى) كلام القفطي

وقد رأيت فى كتاب «جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين» تأليف السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الالوسى البغدادى ، المطبوع ببولاق في سنة ١٢٩٨ هجرية ، كلاما على هذه الرسائل منقولا من كشف الظنون ومن شرح عقيدة السفارينى ، وها هو بالحرف الواحد :

خاطر محرر الروضة أن يكشف عن امر رسائل اخوان الصفاء كما سنح ذلك للقفطى من قبل ثم لم يفتح عليه بغير العبارة التى أوردها القفطى كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ؟ بل هل يعقل ان فكرهما توارد على ايراد الديباجة بصورة واحدة ومعنى واحد؟ إن صح ذلك كان حقيقة من اغرب الغرائب التى يسمع بها الانسان بل يقول هي حديث خرافة يا أم عمرو. والذي اذهب اليه ان محرر الروضة نقل الرسالة برمتها من كتاب تراجم الحكماء وأثبتها فى جريدته من غير ان يغير حرفا واحدا . يدلك على ذلك انه ختمها بهذه العبارة (قال المؤلف ثم ان ابا حيان ذكر تمام المناظرة بينهما فتركته اذ ليس ذلك من شرط هذا التأليف انتهى) مع انه لم يشر الى المؤلف قط . فمتى وصل القارىء الى هذه العبارة اختلط عليه الكلام وداخلته الريبة وظن ان فى الامر دخيلة والحقيقة ان هذه العبارة بحذافيرها للقفطى ، نقلها من الكتاب الذى اشار اليه بقوله (ولم ازل شديد البحث والتطلب حتى وقفت على كلام لابى حيان الخ) فان ذلك يشعر بأنه نقلها من كتاب وان لم يصرح باسمه فجاء صاحب الروضة ونقلها كما هي . وياليته اختصر هذه الرسالة وتصرف فيها بما كان يجعله آمنا من التعقب والمؤاخذة . ولكن السهم نفذ .

نقول وقد صدرت هذه العبارة فى حياة المرحوم على باشا رفاعة فلم يمكنه ان يتملص من هذه الخنقة ولا ان يتمحل عذرا لهذه السرقة وأما الكتاب الذي نقل عنه ابن القفطي فقد ظفر الاستاذ زكى باشا به ونقله لنفسه بالفتوغرافيا وهو عنده الآن وعنوانه « الامتاع والمؤانسة »

هي أصل مذهب القرامطة . وربما نسبوها الى جعفر الصادق ، رضي الله تعالى عنه ، ترويجاً . وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه . أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو احمد النهرجوري والعوفي زيد (١) بن رفاعة : كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة .

وفي فتاوى الشيخ ابن حجر ما نصه : نسبها كثير الى جعفر الصادق ، وهو باطل . وانما الصواب ان مؤلفها مسلمة بن قاسم الاندلسي (٢) كان جامعاً لعلوم الحكمة من الالهيات والطبيعيات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وغيرها وإليه انتهى علم الحكمة بالاندلس، وعنه أخذ حكماؤها ، وتوفي سنة ٣٥٣ هـ ، وممن ذكره ابن بشكوال . وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية . وممن شدد النكير عليه ابن تيمية ، لكنه يفرط في كلامه فلا يعتبر بجميع مايقوله اهـ

قال صاحب « جلاء العينين » : فتدبره وأنصف وأقول اني طالعت كثيراً من الرسائل المذكورة ، فرأيتها كما أشار الشيخ ابن تيمية ، وأنها مشوبة بالتصوف المشوب بفلسفة المتفلسفين والابحاث التي تمجها اسماع المتشرعين ، وربما يفوح منها ريح المتشيعين . فان أردت كمال الوقوف عليها فارجع اليها . ولنعم ماقيل

---

(١) في النسخة المطبوعة ورد هذا الاسم هكذا (العرفي) بالراء . وهو خطأ مطبعي

(٢) ذلك ليس بصواب ، وستعلم الحقيقة فيما نورده عليك من النبأ الصادق والقول اليقين

رسائل اخوان الصفاء كثيرة ولكن اخوان الصفاء (١) قليل

انتهى كلام صاحب جلاء العينين

فأنت ترى ان الآلوسي صدر كلامه عن هذه الرسائل بأنها أصل مذهب القرامطة . وأقول ان من اطلع عليها خصوصا الجزء الرابع منها ونظر في خطط المقريزي وسفينة الراغب وكشاف اصطلاحات العلوم ودايرة المعارف للبستاني وغير ذلك من كتب علماء المشرقيات الذين تكلموا عن الاسماعيلية الذين هم القرامطة ، رأى ما يحقق له هذا القول ، لكن العبارة في هذه الكتب واضحة صريحة وهي في « اخوان الصفاء » دقيقة لا يكاد يدركها الا من تنبه اليها أو نبه عليها فتلا الرسائل على بصيرة

ومما يدلك على ذلك ، ويؤكد لك صحة هذا النظر ، أني رأيت في الجزء الخامس من جرنال آسيا « Journal Asiatique » الصادر في يناير سنة ١٨٥٥ — المحفوظ بالكتبخانة الخديوية — فصلا هذه ترجمة عنوانه « بحث جديد على الاسماعيلية أو الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين (١) وفي علاقاتهم على

(١) يذكرني هذا البيت بقول الحمامي

أولئك اخوان الصفاء رزئتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع

(٢) وردت هذه الكلمة في الكتب الاسلامية القديمة المعتبرة مثل ابن الاثير . وعبر عنها صاحب كتاب الروضتين « بالحشيشية » واحدها « حشيشي » ، ولما اراد الافرنج نقلها الى لغتهم ، اختاروا الصيغة الاولى فقالوا Assassins (اساسان واساسين) . ولما شاعت عندهم اختلفوا في بيان اشتقاقها على الاقوال اشهرها انها ماخوذة من كلمة حشيش . وهو الاصح لان اللفظ العربي يؤيد هذا الاشتقاق . وقد دخلت هذه اللفظة في لغاتهم ايام الحروب الصليبية ورسمها كتبتهم ومؤلفوهم

الخصوص مع ممالك الفرنج بالمشرق . وقد قال صاحب هذا الفصل المفيد فى عرض كلامه ماتعريبه :

« ان سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل وأفخم رؤساء الاسماعيليـة . قد خدم فى أَلَمُوتَ المقدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم

بكيفيات شتى وصـور متعـددة فذهبوا . مدة طويلة الى انهـا منحوتة من اسم « حسن الصباح » الذى كان اول مقدم عليهم في بلاد فارس . ثم عرفوا خطأ ذلك ، وان قواعد اللغة العربية لاتساعد على مثل هذا النحت . وذهب توماس هيد إلى انها مشتقة من فعل « حس » فانه عربي ومن معانيه القتل . ولذلك كانت كلمة Assassins تدل الآن عند الافرنج على القاتلين ، أي الذين يرتكبون جناية القتل عمدا مع سبق الاصرار . ووافقه على ذلك المؤرخ الـكسا ندرمازا فى سيرة صلاح الدين وا عا دعاهم الى التضـارب في الاراء عدم ابتداء الـكلمة الافرنكية بحرف H الذي يقابله حرف الحاء أو الهاء فى العربية . ولـكنهم ، لو رجعوا الى كتبهم القديمة المصنفة فى ايام الحروب الصليبية ، لرأوها مرسومة هكذا Hassasins . ولذلك كان جمهور الباحثين المحققين على ان الـكلمة مشتقة من لفظة « حشيش » . لان شيخ الجبل ، (هذا هو اسم الرئيس الاكبر عندهم ويسمى بالافرنجية Le Vieux de la Montagne وفيه تسامح) كان يدعو « الفداوية » الذين يرى فيهم الاستعداد لانفاذ مقاصد عشيرته ، ثم يامر بمعاطاتهم الحشيشة حتى يفقدوا الحواس . ويريهم حينئذ نعيم الجنة فى جنان أعدها لذلك ، ثم يامر باعادتهم . ومتى زال تاثير الحشيشة ، كان الواحد منهم يعتقد انه ذاق لذة النعيم فعلا ، وشاهد الفردوس الموعود بها عيانا . فينقاد حينئذ لرئيسه انقياد الاعمى ، ويسعى فى تنفيذ جميع أوامره ، رغبة فى الرجوع الى النعيم المقيم . فلا بدع اذا لقبوهم بالحشاشين . وافسدها الصليبيون فجعلوها « حساسين » ثم اساسين Assassins . فان السين والشين يكثر تواردها في النقل من بعض اللغات الى البعض الآخر ، بل فى اللغة الواحدة . ولا يعتد بقول من ذهب من الافرنج الى ان لفظة « اساسين » عندهم محرفة عن « عساسين » جمع « عساس » بمعنى حارس وانهم انما سموا بذلك من ادعائهم حراسة البلاد من السرقات

الفلسفة ، وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف ، وأكب على مطالعة رسائل « اخوان الصفاء »

فان تخصيص هذه الرسائل بالذكر ، والنص عليها دون غيرها ، يدل صراحة على أن هذا الرئيس انما كان يهيم بمطالعتها ويهتم بمراجعتها لكي يقتبس منها تعاليمه ، ويستمد منها مايؤيد سلطته في عشيرته . وعلى ذلك يكون مؤلفوها ممن نحوا نحو الاسماعيلية ، وذهبوا مذهبهم ، وقالوا بمقالاتهم .

وقد ذكر صاحب « كشف الظنون » بعد أن أورد اسماءهم ، التي مرت عليك في رسالة التوحيدي ، أنهم كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا إحدى وخمسين رسالة . ولم يزد على هذا

وقد أعملت الجهد الجهيد في تطلاب ترجمتهم ، ومعرفة أخبارهم وشؤونهم ، والوقوف على سيرتهم ، ونظرت كثيراً في كتب التواريخ والطبقات ، فلم يسعفني القدر ببلوغ الوطر . ولكني أقول ان إطناب أبي حيان في مدح زيد بن رفاعة ، كما رأيته فيما تقدم ، يدلك دلالة ضمنية على فائق فضلهم وواسع اطلاعهم

وقد ساعدتني المقادير ، أثناء البحث الطويل والمراجعة المتوالية ، فرأيت صاحب « كشف الظنون » يقول ان لابي الحسن العوفي (وهو من اصحاب اخوان الصفاء) رسالة في « أقسام الموجودات وتفسيرها » قال : وهي لطيفة ذكرها الشهرزوري في « تاريخ الحكماء »

* أشرنا الى ان ابن تيمية كان ممن يشددون النكير على « اخوان الصفاء » . ونريد الآن ان نؤيد ذلك بما جاء في فتواه عن « طائفة النصيرية » . فهذه

الفتوى، قد سبقنا الافرنج الى طبعها بالعربى (مع بعض أغلاط خفيفة وأخرى سخيفة، ثم ترجموها الى الفرنساوى ونشروا الاصل والترجمة معاً فى «جرنال آسيا» سنة ١٨٧١ صفحة ١٧١). ثم طبعها بعد ذلك – عن أصل آخر – السيد بدر الدين النعساني فى القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ضمن مجموعة رسائل ابن تيمية، وفيها تلك الفتوى بعنوان «الرد على النصيرية». وقد أخذت محل الشاهد من كل منهما، مع اجتناب الاغلاط التي فيهما. قال ابن تيمية:

«وحقيقة أمرهم (أى النصيرية) انهم لايؤمنون بنبي من الانبياء والمرسلين.. ولا بشيء من كتب الله المنزلة... وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبائعيين لا الالهيين، كما فعل أصحاب «رسائل اخوان الصفاء». فانهم تارة يبنونه على قول المتفلسفة وغرض المجوس الذين يعبدون النور ويضمون الى ذلك الكفر والرفض ويحتجون لذلك من كلام النبوات اما بلفظ يكذبون به.. فيحرفون لفظه.. ليوافق قول المتفلسفة أتباع ارسطو... وإما بلفظ ثابت عن النبي (صلعم) فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل «اخوان الصفاء» ونحوهم فانهم من أئمتهم (١) [»]

وعلى ذكر هذه الرسائل نسوق الحديث الى نبأ غريب، وموضوع تحار فيه الالباب.

---

(١) هذه العبارة المحصورة بين قوسين مربعين يعلوهما نجمتان، لم ترد فى المقال المكتوب سنة ١٣٠٨ و (١٨٩٠ م) ـ فقد كان عثورنا عليها بعد ظهور «مجموعة رسائل ابن تيمية». ثم تحرينا الامر فعرفنا ان السابق لنشر هذه الفتوى وترجمتها هو العلامة ستانسلاس جيار المستشرق الفرنساوى الشهير

ذلك أن هذا الكتاب قد تم طبعه كله ببلاد الهند في هذه الايام(١) ، ولكن ، ياللعجب ! ويالغرابة ! فقد ورد فيه اسم مؤلفه ... ! فهل يتصور القارىء صحة ذلك ، مع علمه باشتغال العلماء بلا طائل من زمان طويل للوقوف على معرفة واضعي هذه الرسائل ؟

وليس بغريب أن يستولى الذهول على قارىء هذه السطور ، أو من يطلع على الكتاب المذكور . فقد قيل في آخره أن المؤلف هو رجل يدعى «احمد بن عبدالله» (ولا أرى هذا الاسم الا مرادفا لمحى بن بى) . والاغرب من هذا وذاك قوله بأن الرجل مترجم في كتاب اسمه « عيون الاخبار » لمن يدعى «ادريس عماد الدين» . مع أن هذا الكتاب أثر لاعين ؛ وليس له مسمى في الوجود . فإني لما رأيت ذلك ، أخذ العجب مني مأخذه ، فشرعت أتحرى الامر لأكون على بينة وبصيرة من هذا المشكل الذي ليس له في بابه مثيل . وقد تحققت بأن هذه العبارات ، انما هي تلفيق ومحض اختلاق . وذلك لأنني كابدت مشقة عظيمة في البحث عن أمر هذا الكتاب المزعوم ، وعن شأن ذلك الرجل الموهوم ، وكل مايتعلق به مما هو مدون زوراً وبهتاناً بآخر تلك الطبعة . ولما لم أعثر على شيء وداخلتني الريبة واختلفت عندي الظنون ، كاشفت بهذا الامر أحد العارفين .

فقال لي : إن الحقيقة على خلاف ماورد بهذه الطبعة ، وان أصحاب المطبعة انما اضطروا لاختلاق مثل هذه الاكاذيب التي ما انزل الله بها من سلطان ، ليحتكروا طبع الكتاب وبيعه في بلاد الهند . فان القوانين هناك تحفظ

---

(١) الاشارة الى ماقبل ١٣٠٧هـ (١٨٨٩ م)

للمؤلفين ولورثتهم من بعدهم حقوق الطبع ، كما هو الشأن فى بلاد أوربا .
فلما شرع أصحاب هـذه المطبعة فى نشر الرسائل التى نحن بصدد الكلام عليها ، أرادوا أن يختصوا بربحها دون سواهم ، ويقفلوا باب المزاحمة على من عداهم ، فجاؤا برجل وقالوا إنه من ذرية المؤلف ، وأخذوا منه رخصة تخولهم وحدهم طبع الكتاب ، ونقدوه في نظير ذلك ماطابت به نفسه . وبهذا انتفع الرجل وانتفع أصحاب المطبعة بنيل الاحتكار . فهذا هو السبب في التلبيس والتدليس

وأما الطبعة التى أخذت فيها مطبعة الآداب في العام الماضى (١) ولم يفرغ منها الى اليوم سوى جزء واحد ، مع طول انتظار الناس لباقى الاجزاء يوما فيوماً ، فهي خالية من التمويهات فيمن ألف ومن خلف ، كما جاء في طبعة الهند . وغاية مايقال فيها إن حضرة محرر الآداب (٢) نقل في المقدمة (٣) التى كتبها فى صدر هذا الكتاب عبارة قال أنها للوزير القفطي ومن مقتضاها أن رسائل « اخوان الصفاء » من تأليف « المجريطى »

(١) أى سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)

(٢) هو المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد

(٣) وقد لخص فيها رسالة التوحيدى ولم يشر الى انه نقلها من مصدرها الذي هو تراجم الحكماء بل نقل عبارة هذا الكتاب كما فعل على بك فهمي في روضة سنة ١٢٩٤ وهى « ولم ازل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها حتى وقفت على كلام لابى حيان الخ » اذ لا يقدر ان يقول أنه عثر على كلام التوحيدى الا في تراجم الحكماء او فى روضة المدارس التي نقلت عنه ولا يقدر ان يقول انها موجودة فى كتاب مختصر الدول لابن حكيما الذي قال عنه انه أورد جواب ابي حيان بالايجاز فان هذا الكتاب غير متيسر الان

وأقول ان هذا مناف للحقيقة ، مخالف للصواب . لان القفطي لم يشر الى مثل هذا، فضلا عن النص عليه في كتاب (تراجم الحكماء) وهو بالكتبخانة الخديوية لمن يريد من الباحثين والمحققين الذين يعنيهم هذا الامر . ثم ان هذه الرسائل ليست للمجريطي ، كما ستراه بعيد هذا . نعم ان حضرة الشيخ قال في آخر جملته « وقد علمت ان رسائل اخوان الصفاء التى ألفها المجريطي هى غير هذه » وذلك عقيب قوله « وبعد ان شاع اسم [1] هذه الرسائل بالاندلس وتطلعت لها علماء الغرب ألف أبو محمد مسلمة المجريطى القرطبي رسائل على مثالها وكتم اسمه فيها الخ » . وهو قول نطالبه عليه بالدليل ولا نأخذه منه قضية مسلمة [2] . فان مثل هذا مما يهم المؤرخين نقله . والمؤرخون لما ذكروا ان تلميذ المجريطى هو أول من أدخل الرسائل الى الاندلس ، ما تكلموا في شيء من هذا القبيل ، وما أشاروا الى هذا المعنى أصلا مع ان عبارتهم تدل على عنايتهم بأمر هذا الكتاب

وقد قال محرر « الآداب » في مقدمته أيضا مانصه : « وفي كتاب المقابسات ان زيد بن رفاعه وجماعة من كبار فلاسفة الاسلام كانوا يجتمعون في منزل ابي سليمان النهرجوري ، وكان شيخهم وان لم يحز شهرتهم . وكانوا اذا اجتمع معهم اجنبي ، التزموا الكنايات والرموز والاشارات . قال : ولعل كيفية اجتماعاتهم هذه

---

(١) الاان شيوع الاسم لايدل على شيوع المسمى . فتنبه .

(٢) وقد سكت الشيخ رحمه الله عن الجواب منذ صدور انكارنا هذا الى ان دخل غمار السياسة الى ان اختاره الله لجواره . لانه لا يمكن الجواب عن شيء غير موجود بشيء غير السكوت أو الاعتراف الصريح .

هي التي أرابت صمصام الدولة حتى أوجس من زيد بن رفاعة وهو شيخه خيفة » انتهى

وهو قول يؤيد انهم من الاسماعيلية

واعلم اني قد راجعت ترجمة الحكيم أبي القاسم مسلمة بن احمد بن عمر ابن وضاع المرجيطي المعروف بالمجريطي في كثير من الكتب والتواريخ، فما رأيت شيئاً يدل على انه وضع « رسائل اخوان الصفاء » أو كتاباً على نمطها . فقد ذكره جم غفير من العلماء، ولم يقل أحد في سيرته قولا ينطبق على هذا الرأي . وأقوى دليل أورده مكتفياً به عما سواه ان أبا الحكم الكرماني هو أول من جلب الى الاندلس الرسائل المعروفة باخوان الصفا ، كما علمت ذلك مما سبق بيانه في أول هذا الفصل . والظاهر أن الذي أوهم بعض القوم أن هذه الرسائل للمجريطي ، هو قوله في كتابه الذي سماه « رتبة الحكيم » في علم الكيمياء : « وقد قدمنا من التاليف في العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعابا لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا ألبتة ، وقد شاعت هذه الرسائل فيهم ، وظهرت اليهم ، فتنافسوا في النظر اليها ، وحضوا أهل زمانهم عليها . ولا يعلم من ألف ولا ابن ألف غير الحذاق، منهم لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم اياها واستعذابهم لالفاظها ، علموا انها من تأليف زمانهم وعصرهم الذي هم فيه ، ولا يعلمون من ألفها . وكل ذلك من تلك التاليف مبسوط المرسوم » انتهى

فالظاهر أنهم لما اطلعوا عليه (أي على كتاب رتبة الحكيم) قالوا أن الرسائل التي يذكرها انما هي المعروفة برسائل اخوان الصفاء . وهو وَهْمٌ .

فانه يقول انه استوعب فيها العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعاباً لم يتقدمه فيه أحد من أهل عصره . وليست رسائل اخوان الصفا كذلك ، كما علمت وتعلم إن شاء الله . وأيضاً ، فقوله إن هذه الرسائل شاعت بين أهل عصره وظهرت اليهم فتنافسوا فيها وحضوا أهل زمانهم عليها وان الحذاق دأبوا على مطالعتها وعلموا أنها تأليف زمانهم ، يؤيد ماقلنا من وهم القوم . فانه يقال : اذا كانت هذه الرسائل التي يقول بشيوعها بين أهل عصره هي رسائل اخوان الصفا ، وقد كان الرجل اندلسياً ، فأى معنى بعد لقول المؤرخين بان الكرماني هو أول من أدخل رسائل اخوان الصفا الى بلاد الاندلس ، حاملا لها من المشرق ؟ اللهم الا أن يقال إن هـذا الشيوع كان بالمشرق ، ودون ذلك القول خرط القتاد

وقد قال المجريطي أيضاً « وكل ذلك من تلك التآليف مبسوط المرسوم » كأنه أراد أن يؤكد ماقاله قبيل هذا من أنه استوعب فى هذه الرسائل العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعاباً لم يتقدمه فيه أحد ، مع أن ذلك مخالف لما نراه فى الكتاب المعروف برسائل « اخوان الصفا » المتداول بين أيدينا الآن

ذلك لان من اجال جواد الناظر فى هـذه الرسائل ، وجدها يصدق عليها ماقاله « القفطي » من أنها مشوقات ، غير مستقصاة ، وكأنها للتنبيه والايماء . وينطبق عليها ماقاله أبو حيان التوحيدي من أنها مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية . وتأكد من موافقتها لما قصده أصحابها اذ قالوا في موضع :

« واعلم ياأخي ، أيدك الله ، انما نذكر فى كل علم شبه المقدمة والمدخل

الى مافيه، ليكون تحريضاً لاخواننا على التميز فيه والشوق اليه . لان بالشوق الى شيء يكون الحرص على الاطلاع عليه »

وقالوا فى موضع آخر :

« اعلم ، يا أخى ، انما نورد من العلوم فى كتبنا ورسائلنا ما يكون تذكية للعقول وتنبيهاً للنفوس . فاخذنا من كل علم بقدر ما اتسع له الامكان ، وأوجبه الزمان . وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من أحسن ما قدرنا عليه ، ووصلنا اليه . ولذلك وضعناه واثبتناه وأوردناه لاخواننا (أيدهم الله وإيانا) ورضينا لهم مارضينا لأنفسنا . اذ كنا كلنا روحاً واحدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايكمل المؤمن ايمانه حتى يرضى لاخيه ما يرضاه لنفسه . وقال الله تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه » الخ

فهذه الاقوال كلها تناقض ما صرح به المجريطي مناقضة كلية . وحينئذ لا يصح القول بأن الكتاب الذي يشير اليه هو « رسائل اخوان الصفا » الذي بين أيدينا الآن .

وغاية ما أراه في هذا الشأن أن لهذا الحكيم كتابا آخر أو كتبا متعددة لم يضع اسمه عليها . فلما رأى الناس عبارته في « رتبة الحكيم » وكانوا يبحثون على مؤلف « رسائل اخوان الصفا » بغير جدوى ، ظنوا انهم أدركوا الطلبة وأصابوا الغرض فنسبوا له هذه الرسائل ، من غير ما تمعن ولا تدبر

وهنا نذكر أمراً آخر لايخلو من الغرابة . وهو أن المجريطى لم يذكر فى عبارته ، التى أوردتها قبيل هذا ، اسماء الكتب التى اطنب في مدحها والتنبيه عليها . فليت شعري ! ماهو الباعث الذى دعاه فى أول الامر الى كتم اسمه

عن مصنفات جليلة ، تاقت اليها نفوس أهل عصره وشغفوا بمطالعتها ؟ ثم ماهو الداعي الذى جعله يصرح أخيراً فى كتابه «رتبة الحكيم» بانه هو الذى صنف تلك الكتب ؟

ولعل هذا التصريح من المجريطي هو الذى حمل صاحب « كشف الظنون » على القول بوجود كتاب آخر اسمه « رسائل اخوان الصفاء» لهذا الحكيم ، وانه صنفه على مثال الرسائل المعروفة المشهورة بهذا الاسم

واذا اعتبرنا هذا القول بميزان البحث والتدقيق ،وصلنا الى ملحوظة لطيفة . وذلك أن هذا الحكيم توفى سنة ٣٩٥ كما قاله حاجي خليفة (صاحب كشف الظنون). ولا شك أن هذه الرسائل كانت موجودة في سنة ٣٧٣، كما يتضح من كلام أبي حيان . ومن ذلك يستنبط ان أصحاب الرسائل الشرقية المتداولة الآن كانوا معاصرين للمجريطي، وان وقت تأليف رسائلهم يقارب الوقت الذى ألف فيه هو رسائله على ذلك النمط ، لان صاحب الكشف قال (ان رسائله غير رسائل اخوان الصفا وانها على نمطها).

والنتيجة ان المجريطي يمكن أن يكون صنف رسائل ، ولم يضع لها اسما ، كما كتم اسمه فيها . وكان هذا سببا لتسمية بعضهم لها حين رآها برسائل «اخوان الصفا» تشبيهاً لها برسائل المشرق . لان الاتفاق في التسمية أيضا ، فوق الاتفاق في النمط وكتم الاسم ، من الامور المستبعدة بل المتعذرة

وهنا نرى فضل صاحب الكشف واضحاً فانه لم يخلط بين الكتابين ، ولم ينسب كتاب المشرق الى المجريطي ، كما فعل كثير من العلماء . بل قال بوجود كتاب آخر بهذا الاسم ، وأورد كلمتين من خطبته .فلا بد أن يكون

اطلع على الكتاب . ولكن اذا كان هـذا الكتاب موجوداً حقيقة ، فكيف لم ينبه عليه القاضى صاعـد لما ذكر أن الكرمانى هو أول من أدخل رسائل « اخوان الصفاء» الى الاندلس ، وأنه لايعلم أحداً أدخلها فيه قبله ؟ فان هـذا الكلام يدل ، كما قدمنـا ، على عناية كبيرة بشأن الكتاب . واذا كان ذلك كذلك ، وكان المجريطي مؤلفاً لكتاب آخر بهذا الاسم وهـذا النمط (كما يقول صاحب الكشف) فلا بد انه كان من واجبه أن ينبه عليه بعبارة صريحة ، لاسيما وأن صاحب طبقات الاطباء ترجم المجريطي قبل ايراد هـذه العبارة بصحيفة وبضعـة اسطر خصصهما لذكر سيرة ثلاثة من تلامذة المجريطي ، وأعقبهم بترجمـة تلميـذه الكرمانى ، وأورد فيها العبارة المذكورة قبل

ومهما يكن فقد ثبت أن الرسائل المتداولة الآن ليست للمجريطي ، وأنه لايصح أن يقال بأن له كتابا بهذا الاسم . بل انه اذا ثبت وجود كتاب له بهذا الاسم ، فيكون الاسم موضوعا عرضا ، لا من المؤلف نفسه . والله أعلم

وقبل أن اختم المقال فى هذا المجال ، أنبه القارىء النبيه الى رسالة فى «اخوان الصفا» رجاء مطالعتها واقتطاف ثمراتها . وتلك هي الرسالة الواحدة والعشرون من الكتاب أو الثامنة من القسم الثاني من الطبيعيات المعروفة برسائل الحيوان (وقد طبعها العلامة دبتريصي بأوروبا على حدتها) ، فقد احتوت[١] ضروب المرافعة والمدافعة والمنازعة بين الحيوان والانسان ، فى شكل

(١) أنظرها فى صفحة ١٥٢ وما بعدها من جزء ٢ من هذه الطبعة

عجيب على منوال غريب . فزعموا أن جميع الحيوان اتحدت كلمتها على إقامة الدعوى على الانسان ومطالبته بالرفق بها ، والعدول عن ظلمها الى العدل فيها . وان كل فريق من الحيوان أخذ يرتقى منبر الخطابة ، ويتفنن فى بيان اعتساف الانسان ، ويناضل عن حقوقه بثبات جنان ، وقوة برهان ، يخجل امامهما قس وسحبان . فيقوم كل فريق من بنى آدم، ويدحض حجة الحيوان ويذكر لأعضاء المحكمة شرفه على سائر المخلوقات . ويدوم الحال هكذا بين أخذ ورد ، ودفاع ونزاع ، وجدال وخصام ، وهم لم يخرجوا عن قوانين المناظرة ، ولم يدخلوا فى طريق المكابرة . بل كلٌ يورد من الشواهد القواطع والحجج الدوامغ مايؤيد قوله ، ويزكي فعله ، ويجعل الحق في جانبه ، والباطل من طريق صاحبه ، الى أن تحكم المحكمة باقفال باب المرافعة ، وأنها ستنظر في حسم هذه الواقعة . وهناك تنتهى الرسالة بعد أن ينص فيها على أن الحكم هو المقصود من وضع الكتاب كله ، وأنه ينبغى على الطلاب ، ان يدرسوا جميع الفصول والابواب ، لينكشف لهم الحجاب ، ويتجلى امامهم الجواب ، ويفوزوا بحسن العقبى وخير المآب . والله أعلم

الصورة الفوتوغرافية

لكتاب المستشرق الفرنسوى المسيو باربييه دومينار (١)

الى العلامة احمد زكى باشا

Paris 22 Janvier 1891

Monsieur

Je m'empresse de vous remercier de l'intéressante brochure que vous avez bien voulu m'envoyer.

Bien que nous possédions en Europe d'excellentes éditions du كشف الظنون, Fihrest et d'autres recueils de bibliographie arabe, il est toujours utile pour nous d'avoir dans la main un résumé de ce que la science musulmane nous a légué dans ce genre de travaux.

Votre travail, Monsieur, mérite donc d'être bien accueilli dans le monde savant et, à l'occasion, je ne manquerai pas d'en signaler la publication et le titre aux lecteurs du Journal asiatique.

---

(١) راجع كلمة الناشر

ترجمة الكتاب

باريس في ٢٢ يناير سنة ١٨٩١

سيدي

ابادر بشكرك على الكراسة الشائقة التى تكرمت فاتحفتنى بها

نعم لدينا فى أوروبا طبعات جيدة لكتاب « كشف الظنون » ولكتاب « الفهرست » وغيرهما من المجاميع التى تتضمن التعريف بالمصنفات العربية، ولكننا نرى من المفيد لنا على الدوام أن يكون تحت يدنا خلاصة تكشف اللثام عما خلفه لنا العلم الاسلامي في هذا النوع من الموضوعات

وان صنيعك ، ياسيدى ، جدير بحسن القبول لدى جمهرة العلماء. وبهذه المناسبة فانى لن اقصر فى الاشادة بهذا التصنيف ، والاشارة الى عنوانه في « جرنال آسيا »

Flügel, et surtout Dieterici ont écrit sur cette question si digne encore d'être étudiée. La question de nom d'auteur doit être écartée. il n'est pas douteux que les 51 traités n'aient été le résultat d'une collaboration parfaitement homogène, mais anonyme entre les membres de l'association à Basra et dans les autres loges.

J'aurais bien souhaité, Monsieur, que vous eussiez insisté davantage sur cette belle et courageuse tentative d'émancipation intellectuelle.

Je ne doute pas que si l'esprit de tolérance qui en a favorisé l'essor, n'avait pas été étouffé de bonne heure (vous savez par quelle funeste réaction) la civilisation du monde musulman marcherait encore de pair avec celle du monde occidental.

Mais toute vérité n'est pas bonne à dire...

ولقد كتب « فلوجل » ومن بعده « ديتريصى » بنوع أخص، على هذه المسألة التى لاتزال جديرة بالدرس

أما مسألة البحث عن اسم المؤلف، فمن الواجب استبعادها

إذ ليس هناك من شك في أن الاحدى والخمسين رسالة هي نتيجة المشاركة والتعاون بين أشخاص كتموا اسماءهم، وهم متجانسون تمام التجانس فى المذهب والمشرب، ومن أعضاء الجمعية (اخوان الصفاء) في مدينة البصرة وفي «المحافل» الأخرى

Je ne doute pas non plus qu'il rencontre le même accueil parmi vos compatriotes, au moins chez ceux qui s'intéressent encore au passé si brillant de la civilisation arabe, surtout au IVe siècle de l'hégire.

Il était bon de leur rappeler, même en suivant de près les renseignements de Kiatib Tchelebi, tout ce qu'elle a produit d'œuvres remarquables dans le domaine des sciences au moyen-âge.

Vous avez mieux fait encore, Monsieur, en signalant les mérites de cette collection infiniment précieuse qui fera vivre la mémoire des إخوان الصفا dans l'histoire de la culture intellectuelle. Vous avez lu, je n'en doute pas ce que M. S. de Sacy,

وكان بودى ياسيدى ، ان تزيدنا بسطة في القول على هـذه المحاولة الجميلة الجريئة التى كانت ترمي الى التحرير الفكرى (١)

ولا ريب عندى في أن روح التساهل التى ساعدت على تولدهذه الحركة، لو لم يصادفها ماخنقهافي مهدها (وأنت تعلم مافعلته الرجعية المشؤومة) لكانت حضارة العالم الاسلامي لاتزال متمشية مع حضارة العالم الغربي على قدم المجاراة والمساواة .

ولكن « ماكل مايعلم يقال » . وأنت، ياسيدى ، خير قاض لمعرفة الحدود التى ينبغي لك أن تقف عندها

---

(١) وقد فعل الاستاذ زكي باشا فى النسخة التى هيأها للطبعة الثانية ، وهى محفوظة بخزانة لندرة فانه قدمها — وهى فذة — الى مؤتمر المستشرقين الذى أوفدته اليه الحكومة المصرية فى السنة التالية أي سنة ١٨٩٢

et vous êtes, Monsieur, le meilleur juge des limites devant lesquelles vous devriez vous arrêter.

Je saisis avec empressement cette occasion de vous dire combien je m'estime heureux d'être entré en relation directe avec un savant d'un mérite distingué et que je me mets volontiers à votre disposition pour les renseignements littéraires relatifs à mes études qui pourraient vous intéresser. Bien entendu, vous pouvez m'écrire en arabe.

Veuillez agréer en attendant, Monsieur, l'assurance de ma considération la plus distinguée

A C Barbier de Meynard

18 Boulevard Magenta. Paris.

وانى أسارع الى التشبث بهذه الفرصة، فاعرب لك عن عظيم ابتهاجي بما صار لى من علاقة مباشرة و ارتباط ذاتي مع عالم له فضل ممتاز مثلك. وانى بكل ارتياح أضع نفسى تحت تصرفك فيما يتعلق بالمعلومات التاريخية الخاصة بمباحثنا التي قد تكون فيها فائدة لك.

ومن المفهوم أنه يمكنك أن تكاتبني بالعربية

وفي انتظار ذلك، ارجوك، ياسيدى، أن تتفضل بقبول تأكيدى عما أشعر به نحوك من عواطف الاحترام والاجلال

باربييه دومينار

١٨ شارع ماجنتا — باريس

كلمة الناشر

لما صحت مني العزيمة على احياء هذه الموسوعات النفيسة (رسائل اخوان الصفا) ونشرها بين أيدي قراء العربية، علمت أن الأستاذ الجليل صاحب السعادة احمد زكي باشا كان قد كتب عنها فصلا تاريخياً مستفيضاً ضمنه ما قاله الثقاة فيها وفي مؤلفيها.

كتب هذا البحث التاريخي سعادة أستاذنا العلامة احمد زكي افندي (حينذاك) في سنة ١٣٠٧ هـ — ١٨٨٩ م حينما بدأت مطبعة الآداب لصاحبها المرحوم الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد بطبع هذه الموسوعات ولما حالت الحوائل دون اتمام طبعها نشره في كتابه (موسوعات العلوم العربية) الذي كان قد صدر في سنة ١٣٠٨ هـ — ١٨٩٠ م فنال اعجاب كبار المستشرقين نكتفي بذكر واحد منهم هو العلامة باربييه دومينار رئيس تحرير المجلة الآسيوية فقد كتب الى سعادته كتاباً نفيساً أعرب فيه عن اعجابه الزائد بذلك الفصل الشائق وقد نشرنا فيما تقدم الصورة الفوتوغرافية لهذا الكتاب التاريخي الثمين زيادة في الفائدة وليكون دليلا على ما لرسائل اخوان الصفا من التقدير العلمي في نفوس كبار المستشرقين

ولم يكتف سعادة الباشا أن يسمح لي بأن أحلي جيد هذه الموسوعة بهذا المبحث الجليل بل تفضل — حفظه الله — فتولى تصحيحه بنفسه وأضاف اليه اضافات قيمة خدمة للعلم وأهله شأنه في كل زمان ومكان. وقد تكرم أيضاً نابغة مصر وفخر المصريين العلامة الدكتور طه حسين أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية بأن صدر هذه الموسوعة بمقدمة تحليلية نفيسة تشرح آراء جماعة اخوان الصفا في التربية والآداب والفلسفة والدين والرياضة والهيئة والتقنين والسياسة واختلاف آراء الأقدمين في ذلك فلحضرته وافر الشكر وجزيل الثناء على عظيم خدمته للعلم والثقافة العربية.

فالى القراء أقدم هذه الموسوعة الهامة بل هذا الكنز الثمين راجياً أن ينال عملي قبولهم وارتياحهم (وما توفيقي إلا بالله)

مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة

فهرس الجزء الاول

من رسايل اخوان الصفا

صفحة

صفحة

الصحفة

الصحيفة

الصحيفة

الصحيفة

الصحيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذه فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد، بمجمل معانيها وماهية أغراضهم فيها، وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني عن كلام الخلصاء الصوفية، صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد. وهي مقسومة على أربعة أقسام: فمنها رياضية تعليمية، ومنها جسمانية طبيعية، ومنها نفسانية عقلية، ومنها ناموسية إلهية

فالرسائل الرياضية التعليمية أربع عشرة رسالة: الرسالة الاولى منها في «العدد» وماهيته وكميته وكيفية خواصه. والغرض المراد من هذه الرسالة هو رياضة انفس المتعلمين للفلسفة، المؤثرين للحكمة الناظرين في حقائق الاشياء، الباحثين عن علل الموجودات بأسرها. وفيها بيان أن صورة العدد في النفوس مطابق لصور الموجودات في الهيولى، وهي انموذج من العالم الاعلى، وبمعرفته يتدرج المرتاض الى سائر الرياضيات والطبيعيات. وان علم العدد جذر العلوم وعنصر الحكمة ومبدأ المعارف واسطقس المعاني.

الرسالة الثانية في «الهندسة» وبيان ماهيتها وكمية أنواعها وكيفية موضوعاتها. والغرض المقصود منها هو التهدي للنفوس من المحسوسات الى المعقولات، ومن الجسمانيات الى الروحانيات ومن ذوات الهيولى الى المجردات، وكيفية رؤية البسائط التي لا تتكثر ولا تزداد، ولا تنفرد بالاتحاد، ولا تتقدر بمقدار ولا انحصار في الاقصار، كالصورة المجردة المعراة من المواد المبرأة من الهيولى والجواهر

المحضة الروحانية والذوات المفردة العلوية التي لا تدرك بالعيان، وفوق الزمان والمكان، وكيفية الاتصال بها والاطلاع عليها والترقي بالنفس اليها .

الثالثة رسالة في « النجوم » شبه المدخل في معرفة تركيب الافلاك وصفة البروج وسير الكواكب ومعرفة تأثيراتها في هذا العالم وكيفية انفعال الامهات والمواليد منها بالنشوء والبلى والكون والفساد ، والغرض منها هو تشويق النفوس الصافية للصعود إلى عالم الافلاك واطباق السموات ، منازل الروحانيين والملائكة المقربين والملأ الاعلى والجواهر العلى ، والوصول الى القدس والروح الامين

الرابعة رسالة في « الموسيقى » وهو المدخل الى علم صناعة التأليف والبيان بأن النغم والالحان الموزونة لها تأثيرات في نفوس المستمعين لها كتأثير الادوية والاشربة والترياقات في الاجسام الحيوانية ، وان للأفلاك في حركاتها ودورانها واحتكاك بعضها ببعض نغمات مطربة ملهية وألحاناً طيبة لذيذة معجبة منها كنغمات أوتار العيدان والطنابير وألحان المزامير ، والغرض منها التشويق للنفوس الناطقة الانسانية الملكية للصعود الى هناك بعد مفارقتها الاجساد التي تسمى الموت ، لانه الى هناك يعرج بأرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المحقين المستبصرين كما بين الله تعالى بقوله : « ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم » . الخامسة رسالة في « جغرافيا » يعني صورة الارض والاقاليم والبيان بأن الارض كرية الشكل بجميع ما عليها ، من الجبال والبحار والبراري والانهار والمدن والقرى ، وانها حية تشبه بجملتها صورة حيوان تام عابد لله تعالى بجميع أعضائها وأجزائها وظاهرها وباطنها ، وكيفية تخطيطها وتقديرها ومسالكها وممالكها ، والغرض منها هو التنبيه على علة ورود النفس الى هذا العالم وكيفية اتحادها وعلة ارتباطها بغيرها واستعمالها الحواس واستنباطها للقياس ، والتنبيه على خلاصها والحث على النظر والتفكر فيما نصب الله لنا من الدلالات وأرانا من الآيات التي في الآفاق والانفس ، حتى يتبين للناظر انه الحق

فيتمسك به ويزدلف اليه ويتوكل في أحواله عليه ، فيستعد للرحلة والتزود الى دار الآخرة قبل الممات وفناء العمر وتقارب الاجل وفوت الامل ووجدان الحسرة والندامة .

السادسة رسالة فى «النسب العددية» والهندسية ، والتأليفية وكمية أنواعها، وكيفية ترتيبها . والغرض منها التهدي لنفوس العقلاء الى أسرار العلوم وخفياتها وحقائقها وبواطن الحكم ومعانيها ، والوقوف على ان الموجودات المختلفة القوى المتباينة الصور المتنافرة الطباع اذا جمع بينها على النسبة المتعادلة ائتلفت وصحت وبقيت ودامت، واذا كانت على غير النسبة المتعادلة اضطربت وتنافرت حتى اضمحلت وفنيت وما اعتدلت ولا استقام شيء الا على قدر المناسبة وصحة الائتلاف، وبمعرفة كمية ذلك وكيفيته يكون الحذق والمهارة بالصنائع كلها والتبرز فيها .

السابعة رسالة في «الصنائع العلمية النظرية » وكمية أقسامها وكيفية مراتبها وايضاح طرائقها ومذاهبها . والغرض منها تعديد أجناس العلوم وأنواع الحكم وبيان أغراضها وحقائقها والتهدى لطلب العلوم والحكم والتوقيت عليها وكيفية الطريق اليها وبيان معرفتها .

الثامنة رسالة فى «الصنائع العملية والمهنية » وتعديد اجناس الصنائع العملية والحرف والغرض منها هو تنبيه نفوس الغافلين على معرفة جواهرها التى هى الفاعلة على الحقيقة والمستنبطة الصنائع كلها ، المستعملة لاجسامهم المستخدمة لابدانهم، اذ هي للصنائع كالآلات للنفوس والادوات لهـا تستعملها لتبلغ بها غرضها على اختلاف مقاصدها وفنون حاجاتها .

التاسعة رسالة فى « بيان اختلاف الاخلاق » وأسباب اختلافها وأنواع عللها ونكت من آداب الانبياء وسننهم وزبد من أخلاق الحكماء وسيرهم . والغرض في ذلك منها تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق اللذان بهما الوصول الى البقاء الدائم والسرور المقيم وكمال السعادة الباقية في الدنيا والآخرة .

العاشرة رسالة في « ايساغوجي » وهي الالفاظ الستة التي تستعملها الفلاسفة في المنطق وفي أقاويلهم ومخاطباتهم في كتبهم وحججهم وبراهينهم والغرض منها هو التنبيه على ما يقوم ذات الانسان ويتممه ويعرفه البقاء الدائم ويعرفه الفرق بين الكلام المنطقي واللغوي والفلسفي، وما حقيقة كل واحد منها وبيان مايحتاج من ذلك اليه لتسديد العقل وتثقيفه نحو الحقائق، ورده عن الزلل والغلط كما يحتاج الى النحو لتسديد اللسان وتقويمه نحو الصواب ورده عن اللحن لان نسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات مثل نسبة صناعة النحو الى اللسان والالفاظ

الحادية عشرة رسالة في « قاطيغورياس » وهو البيان عن المعقولات الكليات وهي الالفاظ العشرة التي كل واحد منها اسم لجنس من الموجودات كلها. والغرض منها هو البيان بان معاني الموجودات كلها قد اجتمعت في هذه المقولات العشرة التي يسمى كل واحد منها جنساً من الاجناس. والاجناس داخلة فيها وكيف تنقسم الاجناس الى الأنواع والانواع الى الاشخاص والاشخاص الى الامهات وانها حدائق الاداب وبساتين العلوم وجنات الحكم وفواكه النفوس ونزه الارواح .

الثانية عشرة رسالة في « باريمانياس » وهي الكلام في العبارات واداء المعاني على حقها والابانة عنها . والغرض منها تعريف الاقاويل الجازمة المفردة البسيطة الجلية التي هي أقسام الصدق والكذب وكيف تحصل المقدمات القياسية وتركيبها من الالفاظ البسيطة المفردة وتقابل الايجاب والسلب وتقسيم أصناف الاقاويل وأنها هي الجازم الذي منه تتركب المقدمات البرهانية وما الاسم وما الكلمة وما القول المطلق وما القول الجازم وما الموجبة وما السالبة وما المحصل والمستقيم والعدول وما القضايا الثنائية والثلاثية والرباعية وما العناصر الثلاثة من ضروري وممكن وممتنع، وما الضد والنقيض وغير ذلك مما يحتاج اليه في مقدمات القياس . الثالثة عشرة رسالة في « انولوطيقا الاولى » وهي القياس والغرض منها هو بيان كمية القياس الذي تستعمله الحكماء والمتكلمون في

احتجاجاتهم والدعاوى والبينات والمناظرات في الآراء والمذاهب وانه الميزان بالقسط وضعته الفلاسفة ليعرف به الصدق من الكذب في الاقاويل ، والخطاء من الصواب فى الاراء والحق من الباطل فى الافعال ، وأي شيء يكون وكيف يكون ومتى يكون وأيها الصحيح وأيها الفاسد . الرابعة عشرة رسالة فى «انولوطيقا الثانية» وهى البرهان والغرض منها هو البيان والكشف عن كيفية القياس الصحيح الذي لاخطاء فيه ولا زلل وهو المسمى «البرهان» وهو ميزان البصائر يقيم الوزن بالقسط ومثاقيلها بداية العقول والمعارف الاولى يستعملها الصيارفة الالهيون من الحكماء الذين يعرفون به الصواب من الخطاء والحق من الباطل ويوضح الحق المبين والعلم اليقين . تمت الرسائل الرياضية التعليمية والفلسفية

***

ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة : الاولى منها رسالة في «الهيولى والصورة» وماهيتها وما الزمان والمكان والحركة واختلاف أقاويل الحكماء في حقائقها وكيفياتها والغرض منها هو تعريف ماهية الجسم وحقيقته وما يخصه من الاعراض اللازمة والزائلة والصور المقومة والمتممة وتلقب هذه الرسالة بسمع الكيان . الثانية منها رسالة في «السماء والعالم» وبيان كيفية اطباق السموات وكيفية تركيب الافلاك وماهو العرش العظيم وماهو الكرسى الواسع والغرض منها هو البيان عن كيفية تحريك الافلاك وتسييرات الكواكب وان المحرك لها كلها هو الروح القدس والنفس الكلية الفلكية الموكلة بها باذن باريها . الثالثة منها رسالة في «الكون والفساد» والغرض منها هو البيان عن ماهية الصور المقومة لكل واحد من الاركان الاربعة ، أعنى الامهات التى هي النار والهواء والماء والارض ، وانها هي الامهات الكلية الكائن منها المعدن والنبات والحيوان وكيفية استحالة بعضها الى بعض باختلاف كيفياتها عليها بدوران الافلاك حولها ومطارح شعاعات الكواكب عليها ، وان الطبيعة الفاعلة لها المحركة لكل واحد منها الى كمالها وغايتها هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية

وملك من جملة الملائكة الموكلة بها وسائقة لها الي تمام ماأعدلها من غايتها . الرابعة منها رسالة في « الآثار العلوية » والغرض منها هو البيان عن كيفية حوادث الجو وتغييرات الهواء من النور والظلمة والحر والبرد وتصاريف الرياح من البحار والانهار، ومايكون منها من الغيوم والضباب والطل والندى والامطار والرعود والبروق والثلوج والبرد والهالات وقوس قزح والشهب وذوات الاذناب وماشا كل ذلك .

الخامسة منها رسالة في « كيفية تكوين المعادن » وكمية الجواهر المعدنية وعلة اختلاف جواهرها وكيفية تكوينها في باطن الارض، والغرض منها هو البيان بأنها أول مفعولات الطبيعة التى هي دون فلك القمر التى هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية باذن باريها المصور للجميع والموجد للكل لا من موجود ابداعاً واختراعاً وخلقاً وتكويناً ،ومنها تبتدىء الانفس الجزئية بالتهدي الباعث بها الى الترقي من أسفل سافلين من مركز الارض الى اعلى عليين ، عالم الافلاك وفوق السموات، موقف الابرار المتقين ومقر الاخيار المنتجبين ومحل الانبياء والمرسلين ، وهذا أول صراط تجوز عليه الانفس الجزئية ثم النبات بوساطة الكون والنمو ثم الحيوان بوساطة الكون والنمو والحس ، ثم الانسان بوساطة الكون والنمو والحس والعقل ، ثم التجرد والدخول في زمرة الملائكة الذين هم سكان الافلاك والملأ الأعلى الذين هم أهل السموات . السادسة رسالة في « ماهية الطبيعة » وكيفية أفعالها فى الاركان الاربعة التى هي الامهات ومواليدها التى هي : الحيوان والنبات والمعادن . والفرق بين الفعل الارادي ، من الفكري والشوقي ، وبين الضروري من الطبيعى والقهرى، والغرض منها تنبيه الغافلين على أفعال النفس وماهية جوهرها والبيان عن أجناس الملائكة وهى التى تسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب الموكلة بانشاء المواليد بتحريكها الى استكمال صورها والتمام المعد لها السابعة منها رسالة في «أجناس النبات » وأنواعها وكيفية سريان قوى النفس

النامية فيها والغرض منها هو تعديد أجناس النبات و بيان كيفية تكوينها ونشوئها واختلاف أنواعها من الاشكال والالوان والطعوم والروائح في أوراقها وازهارها وثمارها وحبوبها و بذورها وصموغها ولحائها وعروقها وقضبانها وأصولها وغير ذلك من المنافع، وان أول مرتبة النبات متصلة بآخر مرتبة المعادن وآخر مرتبتها متصلة باول مرتبة الحيوان. الثامنة منها رسالة في «أصناف الحيوان» وعجائب هياكلها وغرائب أحوالها والغرض منها هو البيان عن أجناس الحيوانات وكمية أنواعها واختلاف صورها وطبائعها واخلاقها وكيفية تكوينها وتناجها وتوالدها وتربيتها لاولادها وان أول مرتبة الحيوانية متصلة بآخر مرتبة النبات وآخر مرتبة الحيوانية متصلة باول مرتبة الانسانية وآخر مرتبة الانسانية متصلة باول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء والافلاك واطباق السموات وان نفوس بعض الحيوانات ملائكة ساجدة لنفس الانسان التي هي خليفة الله في أرضه ونفوس بعضها راكعة له ونفوس بعض الحيوان شياطين عصاة مغلغلة في جهنم عالم الكون والفساد، وان الانسان اذا كان خيراً عاقلا فهو ملك كريم خير البرية واذا كان شريراً فهو شيطان رجيم شر البرية. التاسعة منها رسالة في «تركيب الجسد» والبيان بانه عالم صغير وان بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة وأن نفسه تشبه ملكا في تلك المدينة. والغرض منها هو معرفة الانسان جسده وبنيته المهيأة له وان انتصاب القامة أجل أشكال الحيوانات، وان بنية جسد الانسان مختصر من العالم الذى هو في اللوح المحفوظ، وانه الصراط الممدود بين الجنة والنار وانه ميزان القسط الذى وضعه الله بين خلقه، وانه الكتاب الذى كتبه الله بيده وصنعته الذى صنع الله بنفسه وكلمته الذى ابدع الله بذاته، وان نفس الانسانية هى خليفة الله في أرضه حاكما بين خلقه سائسا لبريته مستعملا لعالمه السفلي مدة من الزمان فاذا انتقل صار زينة لعالمه العلوي وحافظا لذاته الوجودى على الابد وان الانسان اذا عرف نفسه المستخلف عرف ربه الذى استخلفه وامكنه الوصول اليه والزلفى لديه فائزاً بنعيم الابد والدوام السرمد. العاشرة منها رسالة في «الحاس

والمحسوس» والغرض منها هو البيان عن كيفية ادراك الحواس محسوساتها واتصالها بواسطة القوة الحاسة واتصالها الى الحاسة المشتركة الروحانية الواصلة التي منها انبعثت قوى الحواس الظاهرة وانها ترد كالخطوط الخارجة من المركز الى المحيط بنقط كثيرة، الراجعة اليه بنقطة واحدة ، وهو أول منازل الروحانية اذ القوة الحاسة المؤدية اليه جسماني بوجه وروحاني بوجه والحاسة المشتركة أعني الداخلة روحانية محضة لان حكم الجزء منها حكم الكل وان كانت التجزئة لاتقع عليه بالحقيقة لان تصورها الشيء بادراكها واتصالها الى القوة المتخيلة التي مجراها مقدم الدماغ لتوصلها الى القوة المفكرة التي مجراها وسط الدماغ لتميزها وتخلصها بجولانها فيها وتعرف حقائقها ثم توصلها الى القوة الحافظة الذاكرة التي مجراها مؤخر الدماغ لتمسكها وتحفظها معتقدة أو غير معتقدة الى وقت التذكار ثم تؤديها الى القوة الناطقة العاقلة التي هي ذات الانسان المدبرة للكل الباقية بالذات تنتزع جميع المعاني والصور ثم تصور تلك المعاني والصور المنتزعة من مصوراتها المرتسمة فيها وهي القوة الناطقة أيضا بوساطة الاولى ، فتلك الصورة هي لها كالموضوع وكالهيولى. والقوة المعتبرة أيضا للنطق الخارج هي القوة الناطقة أيضا على وجه ثالث بواسطة الالسن فاذا همت الاولى باظهار شيء الى خارج وهو النطق الالهي على الحقيقة من صورة النفس تصورت النفس الثانية اذ هما جوهر واحد لتجردهما عن المواد وتعريهما عن الهيولى أعني الجسمانية فتأدت الى القوة الناطقة التي مجراها على اللسان لتعبر عنها بالالفاظ الدالة للمخاطبين على المعاني التي تخرج من النفس الى القوة الصانعة التي مجراها اليدان لتخط بالاقلام على اوجه الالواح وصفحات الدفاتر وبطون الطوامير تلك الالفاظ وهي النطق الخارج والكلام الظاهر لتبقى العلوم بصورها الذاتية أعني معانيها محفوظة من الاولين الى الآخرين وخطاباً من الحاضرين للغائبين الى يوم يبعثون . الحادية عشرة منها رسالة في « مسقط النطفة » وكيفية رباط النفس بها أعني الهيولانية عند تقلب حالاتها شهراً بعد شهر وتأثيرات أفعال روحانيات الكواكب في أحكام بنية الجسد

من المزاج والتركيب أربعة أشهر قدر مسير الشمس ثلث الفلك واستيفائها طبائع البروج من النارية والترابية والهوائية والمائية، ثم كيفية تأثيراتها وأفعالها في أحكام النفس أربعة أشهر أخر وماينطبع فيها من التهيؤ والاستعداد التي هي صورة الاولى بالقوة لتصير صورة بالفعل عند التهيؤ لقبول الاخلاق والاعمال والعلوم والآداب والحكم والآراء فى مقبل الزمان ومستقبل العمر بعدالولادة فى الشهر التاسع عند دخول الشمس من بيت التاسع من موضعها يوم مسقط النطفة بيت الحركة والسفر والنقلة والتصور والعلم والفطنة. والغرض منها هو الاخبار عن حال الانفس البسيطة قبل تشخصها واتصالها بالاجسام الجزئية المحصورة المحدودة المحسوسة بوساطة الالوان والاشكال والاعراض الاخر وان المكث فى الرحم هذه المدة لتتميم البنية وتكميل الصورة وهو الكمال الاول لاستكمال الآلة واعدادها الادوات ولاستتمام رباط النفس بالهيكل واتحادها بقواه وانبساطها في البنية وتمكنها من الجملة. الرسالة الثانية عشرة منها في معنى قول الحكماء: «ان الانسان عالم صغير» وهو معنى العالم الكبير المؤدي عن جملته والمخصوص بثمرته، وان صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير الجسماني وان احوال نفسه وسريان قواها في بنية هيكله وحقيقة جوهره مماثلة لاحوال الخلائق الروحانيين من الملائكة والجن والشياطين وأرواح الحيوانات أجمعين فان الانسان مختصر من العالمين الروحانى والجسمانى جميعاً مهيأ مجبول من سوس هو في الحقيقة خلاصة هذا العالم وثمرته وزبدته وكدر ذلك العالم وثفالته، وأن يكون جوهر آخر المعانى الجسمانية وأول المعانى الروحانية، فهو كالحد المتاخم لكل العالمين وكالاصل الصالح لمجموع الكائنين وكالجوهر الذي هو بانيته معقول وكيفيته محسوس وكالشيء الذى بذاته حياة من وجه وذوحياة من وجه، وكالذات القائم بنفسه من جهة، والقائم بغيره من جهة وكالمعنى المشير بمضمون فحواه ويفطن بمفهومه، لماسواه، ومن وجه آخر كالفرخ المتفقىء عنه البيضة الذى هو له كمال من وجه ومنتهى للكمال من وجه آخر، فهو اللازم للوكر مادام طائراً

بالقوة فاذا استكمل طار فصار طائراً بالفعل، وكالزاوية التي يوجد ذاتها متوسطة بين المتجزىء وغير المتجزىء ثم النقطة جامعة لحاليهما أعني البسيط والمركب، وكالنبوة التي هي ممتدة الى الروحانيين بخط والى الجسمانيين بخط ثم الوحي جامع بين طرفيها والالهام حاو لحديها وكنهاية المحيط التي هي السطح لذي مكان وليس له مكان. والغرض من هذه الرسالة هو الاخبار عن حال الانفس البسيطة قبل تشخيصها واتصالها بالاجسام الجزئية والاشخاص الحسية وعلة اتصالها مدة وحال مفارقتها عند بلوغ نهايتها، وكيف يعرف الانسان هويته وآنيته وكيفية نفسه وحقيقة ذاته وانه مجموع فيه معاني الموجودات كلها، فهو كالكل ومحيط بالجميع فينتبه كذلك ويتأمل الصواب والفرصة مدة حياته فيقصده ويقتنيه ويحتويه، اذ لذلك انشأه منشيه فيعيده ويبديه ويديمه ويبقيه وهو يبليه ويشفيه ويهديه لينجيه فيفوز بالبقاء والنعيم المقيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الرسالة الثالثة عشرة منها في « كيفية نشر الانفس الجزئية في الاجساد البشرية والاجسام الطبيعية » والغرض منها البيان عن كيفية بلوغ الانسان بدوام انتقاله وتغير أحواله وآخر معاده ومآله وكيف يصير الى رتبة الملائكة ومنازل الروحانيين دار القرار ومحل الاخيار عند خلع المادة وبلوغ الارادة ونهاية السعادة الى حلوله بعد الموت أو قبله بوجوده الصوري وجوهره النوري. الرسالة الرابعة عشرة منها في « بيان طاقة الانسان في المعارف » الى أي حد هو ومبلغه في العلوم الى أي غاية ينتهي وأي شرف منها يرتقي . والغرض منها هو التنبيه على معرفة الله جل جلاله والقصد نحوه واستنجاز لقائه والوقوف بين يديه والرجوع بالكلية اليه كما كان منه المبدأ واليه المعاد والمنتهى. الرسالة الخامسة عشرة منها في « ماهية الموت والحياة » وما الحكمة في وجودها في الدنيا عالم الكون والفساد وما حقيقة المعاد . والغرض منها هو البيان عن علة رباط الانفس الناطقة بالاجساد البشرية واتصالها بالاشخاص الجزئية الى وقت الموت وكيفية التأهب

والاستعداد قبل الفوت والاستعجال مادام الخلاص ممكنا والنجاة معرضة والاجسام موجودة والآلة متمكنة والاستهانة بالموت والتجافي عنه وازالة الخوف منه ببقاء النفس بعد الموت الذى هو مفارقتها الجسد وترك استعمالها اياه واستراحتها من اذاه ووصولها الى عالمها ووجودها مناها وبلوغها منتهاها وانه لاسبيل لها الى البقاء السرمدى الذى لايتغير ولا يزول الا بمفارقة الجسد المستحيل الذى هو سبب الانتقال والزوال والتغير من حال الى حال

الرسالة السادسة عشرة منها في «ماهية اللذات والآلام الجسمانية والروحانية» وعلة كراهية الحيوانات الموت وكيف أسباب الآلام واللذة التى تنال النفوس بسبب الاجسام وكيف تنال بمجردها اذا فارقت الجسد، وكيف يكون انفرادها بذاتها وتجردها بنفسها خلوا منها وانتهاؤها الى الفردانية واتحادها بالجواهر الصورانية والذوات الروحانية وكيف تكون لذات أهل الجنان وآلام أهل النيران. والغرض منها هو التصور ان عذاب أهل جهنم كيف يكون مع الجن والشياطين المغللة المقيدة المنكوسة المعكوسة وان نعيم أهل الجنان كيف يكون مع الملائكة والروحانيين مسرورين فيها مخلدين لايمسهم فيها نصب ولاعناء يتبوؤن من الجنة حيث يشاؤون، وان جهنم عالم الكون والفساد يصلاها من شقي بسوء المنقلب والمعاد، وان الجنان في أعالي عالم الافلاك وسعة السموات سعد بها من فاز بعد الممات بذخائر الخيرات والباقيات الصالحات. الرسالة السابعة عشرة منها فى « علل اختلاف اللغات » ورسوم الخطوط والعبارات وكيف مبادىء المذاهب والديانات والآراء والاعتقادات وأول نشوئها وابتداؤها ونماؤها وتزايدها حالا بعد حال وقرناً بعد قرن، وكيفية انتقالها من قوم الى قوم، وسبب تغييراتها والزيادة فيها والنقصان منها . والغرض منها هو التنبيه على ان أفعال النفس انما تقع بحسب مافي طبعها وغريزتها ، وان قوة البحث عن الخفيات موجودة فى جوهريته أي بضمير التذكير اعتباراً للانسان أي في جوهرية النفس كالمادة والعلم صورة لتلك المادة فهي علامة بالقوة والعلم صورة قائمة فيها وان في قوتها

أن تعلم الاشياء المحسوسة والمعقولة من أصناف العلوم في الاعلى والاسفل والادق والاجل منها بقوة النطق ولذلك يسنح لذاته سوانح ويخطر ببـاله خواطر فيعمل فيها فكره فيستخرج بعلمه آراء ويستنبط بذهنه مذاهب ثم يعبر عن تلك الصورة المتخيلة في ضميره بألفاظ مؤدية عنها ثم يقيد تلك الالفاظ برسوم من الكتابة دالة على تلك الالفاظ دلالة الالفاظ على تلك الخواطر ودلالة الخواطر على أعيان الاشياء وحقائقها ومعانيها وانما يتعـاطون ذلك على حسب مناسبات من الطباع واتفاقات تقع في الاوقات والبقاع والمنشأ والمولد والمخالطات بأقوام أصدقاء وأقارب ومعارف والاصغاء اليهم والاخذ عنهم والتخلق بأخلاقهم فبحسب هذه الاتفاقات يقع ايثار الانسان الشيء على غيره من الآراء والمذاهب والمطالب والاعتقادات والنحل والصناعات والمكاسب لأن كل انسان وان كان في ظاهر أمره متمكناً من اختيار مايقتنيه من المذاهب والآراء فبينه وبين كل واحد منها مناسبات جبليـة باطنة وعادات الفية ظاهرة تجذبها اليه وتحببها عنده وتحرضه عليها وتدعوه اليها وبحسب انجذابه في طبعه وميله والفه يكون تبرزه فيها ومهارته بها، ولذلك برز أحدهم في شيء وتخلف آخر واجتهادهما واحد وربما اتفق واحد منهم أن يسمع كلاماً أو يرى أمراً فيرضاه لنفسه ويميل اليه بطبعه ويقتنيه ويدخل في جملة أهله فيتأكد الفته وأنسه به على مرور الزمان فاذا قوي الالف واستمرت العادة وسكنت نفسه اليه وتمكن من قلبه لشدة صحبته له ومعرفته به وفرط ميله اليه آثره على غيره حتى يصير في آخر الامر الفاً لما يختاره منه ومعانداً لما سواه ويرى له الفضل على غيره من المذاهب الحقيقية والآراء العقليـة وان كان مفضولا ويحكم له بالشرف والعلو وان كان مشروفاً فبحسب ذلك تكثر الاختلافات وتتبـاين المذاهب والديانات والحق فيهم مع الانزر الاقل والآخر لاحق بالاول

***

ومنها الرسائل النفسانيـة العقلية ، تشتمل على عشر رسائل : الرسالة الأولى

منها في « المبادىء العقلية » على رأي الفيثاغوريين ، والغرض منها ان الباري جل جلاله لما أبدع الموجودات في المبدع الاول وهو العقل واخترع المخترعات بوساطته في النفس وخلقها مقدرة في الطباع وكونها بحسب الامهات والموالد ورتبها ونظمها كمراتب الاعداد من الواحد الذي قبل الاثنين والاثنين قبل الثلاثة وكذلك مابعده وجعل لكل جنس منها حداً مخصوصاً ونهاية معلومة مطابقة بعضها لبعض فاعلة ومنفعلة هيولى وصورة، نوعاً وجنساً ، اذا رأى ذلك أحكم وأتقن وأكمل وأهدى اليه وأبين . الرسالة الثانية منها في « المبادىء العقلية » على رأي اخوان الصفا وخلان الوفا ، والغرض منها هو البحث عن علة الاشياء والاخبار وأسباب الكائنات الكليات والجزئيات عن الباري جل وعز كترتيب العدد الصحيح عن الواحد قبل الاثنين . الرسالة الثالثة منها في معنى قول الحكماء « ان العالم انسان كبير » ذو نفس وروح حي عالم طائع لباريه خلقه ربه جل ثناؤه يوم خلقه تاماً كاملا، وان كل الخلائق داخلون فيه وهو جملتهم ، وليس خارج العالم شيء آخر لاخلاء ولاملاء، وليس العالم في مكان وكل مافيه في مكان موكل كل واحد من أهل العالم بما يتأتى منه ويقدر عليه يفعلون مايؤمرون وكل في فلك يسبحون، يسبحون الليل والنهار لايفترون كما قال تعالى « ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ». الرسالة الرابعة منها في « العقل والمعقول » وما العقل الهيولاني وما العقل بالقوة وما العقل بالفعل وما العقل المستفاد وما العقل الفعال. والغرض منها هو تعريف ذات الانسان وصورة الصور وماجوهر النفس بحقيقتها والاشارة الى الباقي فيها وكيف اجتماع صور المعلومات فيها على تباينها وتغايرها وكيف تصورها الموجودات المنتزعة من المواد وكيف تصير أحد موجودات العالم بعد أن لم يكن شيء من الموجودات الا بالقوة وكيف خروجه بالصورة من العدم الى الوجود وكيف يحصل عقلا بالفعل وعاقلا بالفعل ومعقولا بالفعل والوجود الصوري مجرداً من سائر المواد معراة من الهيولات فتبقى ببقاء العقل الفعال وجه الله ذي الجلال والاكرام، لا إله إلاهو، كل شيء

هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون . الرسالة الخامسة منها فى « الاكوار والادوار واختلاف القرون والاعصار والزمان والدهور » والغرض منها هو البيان عن كيفية انشاء العالم ومبدأه وترتيبه وظهوره وغايته وكيفية فنائه وخرابه لو انقطعت مواد بقائه عن مبقيه لينعدم فى الحال ويضمحل بلا زمان، وماأمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب

الرسالة السادسة منها في «ماهية العشق» ومحبة النفوس ونزوعها وتشوقها الى الاتحاد والمرض الالهي وما حقيقته ومن أين مبدأه والغرض منها هو البيان بان السابق المشوق اليه المعشوق المطاع المراد المطلوب المحبوب على الحقيقة هو الباري جل ثناؤه ، وان الخلائق وجملة العالم مشتاقة اليه مريدة متحركة نحو الكمال باتمام الصورية وعاشقة الى مصورها الذي هو فوق الصور والكمال التمام، وهو الباري المصور له الاسماء الحسنى والامثال العلى

الرسالة السابعة منها فى « ماهية البعث والصور والنشور والقيامة والحساب وكيفية المعراج » وعلمها هو الغرض الاقصى من رسائلنا كلها واليه المنتهى وهو الغاية القصوى واليه أشار بقوله « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة » . الرسالة الثامنة منها فى « كمية أجناس الحركات وكيفية اختلافها ومباديها وغاياتها » والغرض منها هو البيان عن كيفية وجود العالم عن الباري جل جلاله وكيف حركة الطبائع الى استكمالها وقبول صورها الخاصية في كل واحد منها وكيفية سكونها عند استكمال كل واحد منها لصورته الخاصية اذ بالصورة يصير الشيء هو ماهو وبه يحصل فى الوجود ويتميز ويتحيز ويصير شيئا معلوما مشاراً اليه . الرسالة التاسعة منها فى «العلل والمعلولات» وكيف رجوع أواخرها على أوائلها وأوائلها على أواخرها، والغرض المقصود منها هو معرفة أصول العلوم ومباديها وأسبابها وقوانينها ورسومها وكيفياتها على الحقيقة . الرسالة العاشرة منها فى «الحدود والرسوم» والغرض منها هو معرفة حقائق الاشياء وماهياتها

وأجناسها وأنواعها المركبة والبسيطة بما هي كل واحد منها وبمعرفتها الوقوف على ذوات الاشياء وكيفياتها وفصولها

***

ومنها (الرسائل الناموسية الالهية والشرعية الدينية) وهي تشتمل على احدى عشرة رسالة: الرسالة الاولى منها فى «الآراء والمذاهب» في الديانات الشرعية الناموسية والفلسفية وبيان اختلاف العلماء فى أقاويلهم وما أدى اليه اجتهادهم من البحث والنظر والكشف عن الحقائق والاصول وكمية تلك المقالات وما الاسباب والعلل التى من أجلها كان اختلافهم ومن المحق ومن المبطل وما يصلح للجميع وما يصلح للخاص وما يصلح للعام والغرض من هذه كلها هو البيان بأن المذاهب والديانات كلها وضعت كالعقاقير والادوية والاشربة لمرض النفوس وكسب الصحة ولطف الحيل لخلاصها من بحر الهيولى وأسر الطبيعة، ووصف طريق الآخرة وكيفية النجاة فى المعاد من جهنم عالم الكون والفساد والوصول الى الجنان والفردوس عالم الافلاك والسبع السموات، وان أكثر هذه الديانات لاقوام قد انحرفوا عن طريق النجاة وبعدوا عن انتهاج سبيل الرشاد فاستولى عليهم الميل والعصبية والحمية الجاهلية نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فضلوا ضلالا بعيداً وما الله بظلام للعبيد. الرسالة الثانية منها في «ماهية الطريق الى الله عز وجل» وكيفية الوصول اليه. والغرض منها هو الحث على تهذيب النفس واصلاح الاخلاق وتطهير السرائر وتنزيه الضمائر وتنبيه النفوس الساهية عما بعد الموت في المعاد من أحوال القيامة والبعث والنشر والحساب والميزان والصراط والجواز على جهنم والورود فيها وحقائق معانيها، وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا. الرسالة الثالثة منها فى «بيان اعتقاد اخوان الصفا وخلان الوفا» ومذاهب الربانيين الالهيين والغرض منها هو وضوح الحجة على بقاء النفوس بعد مفارقتها الجسد الذي يسمى الموت، وحل الشكوك فيها وكشف الشبه بطريق اقناعي لا برهاني اذ الرسالة

الجامعة مقصورة على البراهين على ماأشرنا اليه في رسائلنا التي هي كالمدخل اليه والعنوان له . الرسالة الرابعة منها في « كيفية عشرة اخوان الصفا وخلان الوفا » وتعاون بعضهم لبعض بصدق المودة وصحة المحبة ومحض الرأفة والشفقة والتحنن والرحمة وسيرهم في صلواتهم ومذاكرتهم ومجالستهم واجتماعاتهم . والغرض منها تأليف القلوب والتعاضد في الدين والدنيا جميعا اذ هي سبب نجاتهم والمؤدية الى خلاصهم

الرسالة الخامسة منها في « ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين » والغرض منها هو معرفة الجلالة الروحانية وما الالهام وما الوسوسة وما التوفيق وما الخذلان وما الهداية وما الضلالة ، اذ كان هذا الباب علماً غامضاً وسراً خفياً من العلوم الروحانية والاسرار النفسانية . الرسالة السادسة منها في « ماهية الناموس الالهي والوضع الشرعي » وشرائط النبوة وكمية خصالهم ومذاهب الربانيين والالهيين والغرض منها هو التنبيه على أسرار الكتب النبوية ومرامي مرموزاتهم المقصودة واوضاعهم الناموسية الالهية والتهدي اليها وكيفية الكشف لها من المهدي المنتظر والبرقليط الاكبر . الرسالة السابعة منها في « كيفية الدعوة الى الله عز وجل » بصفوة الاخوة وصدق الوفاء ومحض المودة وخطاب طبقات المدعوين ومنازل المستجيبين الى ذلك ، والغرض منها هو البيان بان دولة أهل الخير تبتدىء أولها من قوم أخيار فضلاء ابرار يجتمعون ويتفقون على رأي واحد ومذهب واحد وسنة رضية وسيرة عادلة من غير تخاذل ولا تقاعد . الرسالة الثامنة منها في « كيفية أفعال الروحانيين والجن والملائكة المقربين والمردة والشياطين » والغرض منها هو البيان ان في العالم فاعلين نفسانيين روحانيين غير جسمانيين ، لا يتمانعون ولا يتزاحمون ولا يتضايق بهم المكان ولا يحويهم الزمان ولا يتحصلون بمشاعر الحواس ومدارك العيان ، ذواتهم حيث أفعالهم وصورهم معروفة بآثارهم . الرسالة التاسعة منها في « كمية أنواع السياسات » وكيفيتها ومراتب المسوسين وصفات المدبرين لها في العالم ، والغرض منها هو البيان بان مدبر الجميع وسائس الكل الحكيم الاول الباري المصور جل جلاله وان من كان أحسن سياسة وأحسن تدبيرا كان عند الله أعظم منزلة ولديه أقرب زلفة

ومن كان بقدرة الله أبصرو بحكمته أعرف كان بسياسة خلقه أعلم ومن كان بها أعلم فسياسته أحسن وأعدل ومن كان كذلك فاليه أقرب ولديه أوجه. الرسالة العاشرة منها في « كيفية نضد العالم باسره » وفي مراتب الموجودات ونظام الكائنات وان آخرها منعطف على أولها من أعلى الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض، وانها كلها عالم واحد كمدينة واحدة وكحيوان واحد وكانسان واحد، والغرض منها هو الوقوف على معرفة الحقائق ومباديها وتواليها وسوابقها ولواحقها علماً يقينا وبيانا شافيا مقنعا كافيا بلا شك ولا شبهة ولا ريب ولا مرية وان مبدأها كلها صادرة عن فعل الله عزوجل وحده الذي هو الابداع المحض لا من موجود هو أولها بالوجود والوحدة وأقدمها فيه، وهو المبدئ الذي أبرزالله فيه سائر الموجودات تنبعث منه القوى متكثرة نحو غايتها المختلفة واليها تتصاعد متحدة، وان الى ربك المنتهى والى الله ترجع الامور ، وجعله السبب الاول الذي به يتعلق ماسواه من سائر الموجودات تعلق المعلول بالعلة مرتبطا بعضها ببعض فاعلة . ومنفعلة ،منتقلا من رتبة الدنيا الى رتبة القصوى ارتباط معلول بعلة على حسب بواديها وتواليها الى ان تتلاحق باجمعها وتتوارد باسرها اليه ، فيكون هو علة العلل ومبدأ المبادئ الفائضة بما أفاض اليه الباري جل جلاله على مادونها بخيرها ووجودها يقبل كل ذات من الذوات بقدر مايحتمله منها من الوجود اللائق به في الدوام والبقاء نور الله وعنايته ورحمته وكلمته به الله يهدي من يشاء ويثيب واليه يرجع من ينيب

الرسالة الحادية عشرة منها فى « ماهية السحر والعزائم » وماهية العين والزجر والفال والوهم والرقى وكيفية أعمال الطلسمات الباقيـة وما عمارة الارض وما الجن وما الشياطين وما الملائكة المقربون والروحانيون وكيف تأثيرات بعضهم فى بعض. والغرض منها هو البيان بان فى العالم فاعلين غير مرئيين ولا محسوسين يسمون روحانيين أفعالهم ظاهرة وذواتهم باطنة منها ما تظهر أفعاله بوساطة الطبيعة ومنها بوساطة النفس ومنها بوساطة العقل وهو أجل منازل المخلوقين

وأعلى رتبة الروحانيين، لان الباري جل ثناؤه جعل العقل سابقا والنفس لاحقا والطبيعة سائقا والهيولى شائقا والعدم ماحقا والعقل هو المبدىء الاول والموجود الاول عن موجده بدىء وبه يبقى ولذلك صار ممتد الوجود بوجوده مستكمل الفضائل والخيرات تام الانوار والبركات معرى من الشوائب والتغييرات مبرءاً من النقص الواقع من جهة الهيوليات يرتب كل موجود مرتبة وينزله منزلة ويوفيه قسطه فى لزوم النظام والبلوغ الى التمام، ولذلك جعل له القوة الحافظة على سائر الموجودات ووجوداتها العاقلة لهم ذواتها الخاصة بواحد واحد منها يستحقها أو يليق بها، فلذلك يشار الى ذاتها باسم الفعل الصادر عنها اذ فعله ذاته وصورته تاثيراته فهذا هو السابق البادي، ثم يليه اللاحق التالى وهو القوة المخترعة بوساطته المبدعة بها الذوات من سائر الموجودات افضل احوالها فى الوجود الذي هو الحياة وهي النفس التى بها أعطى الاجسام أفضل صورها واتم وجودها، ولما تصورت الاجسام بها وانطبعت فيها حصلت لها بها قوة تتعلق بها الاجسام على قدر اختلافها فحصل صورة كل واحد منها مخالفة لصورة الآخر وهو الطبيعة الباقية فى الاجسام يحصل بها التخلق والتصور والتشكل بالصورة الخاصة لواحد واحد منها وهي قوة وضعها الباري جل جلاله فى الجسم وعلق قوامه بوجودها فيه وصيره بخاصتها للتحرك به الى تمام معد له وغاية قدر لبلوغه اليه ووقوفه عنده الا ان يعوقه عائق من خارج فيمتنع من حركته الى أن ينقطع ذلك فيعود الى حركته الخاصية ثم الهيولى الاولى التى هى ذات بالقوة لا وجود بالفعل يخرج الى الوجود بالفعل بقبول الصورة التى بها يصير الشيء هو ماهو ويفارقه كون العدم والعدم هو لا موجود بالفعل ولا موجود بالذات موجود بالعرض فسبحان خالق الوجود والعدم وباسط الانوار والظلم موجد وجود كل موجود فينعدم ومعيده فينصرم ومنشئه فيبلى ومبقيه ليبقى، منه المبدأ واليه المنتهى. تم الكلام على الرسائل

وتليها «الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها» المشتملة على حقائقها بأسرها . والغرض منها إيضاح حقائق ما أشرنا اليه ونبهنا في هذه الرسائل عليه أشد الايضاح والبيان يأتي على ما فيها فيتبين حقائقها ومعانيها ملخصة مستوفاة مهذبة مستقصاة ببراهين هندسية يقينية ودلائل فلسفية حقيقية وبينات علمية وحجج عقلية وقضايا منطقية وشواهد قياسية وطرق اقناعية لا يقف على كنهها ولا يحيط بحقائقها ولا يحصلها ولا شيئا منها الامن ارتاض بما قدمنا وحذق وعرف وتدرب فيها وتمهر او بما يشاكله، اذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمداخل اليها والادلة عليها والانموذج منها لا ينفتح غلق معتاصها ولا ينكشف مستور غامضها الا لمن تهذب بهذه الرسائل الاثنتين والخمسين أو بما شاكلها من الكتب . والرسالة الجامعة من رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه واقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد ولله الحمد والمنة وله الحول والقوة

هذه فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وابناء الحمد ، وهي اثنتان وخمسون رسالة، ورسالة، في تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق .

واعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه بان مثل صاحب هذه الرسائل مع طالبي العلم ومؤثري الحكمة ومن احب خلاصه واختار نجاته كمثل رجل حكيم جواد كريم له بستان خضر نضر بهج مونق معجب طيب الثمرات لذيذ الفواكه عطر الرياحين ارجِ الاوراد فائحة الازهار بهية المنظر نزهة المرامى مختلفة الاشكال والاصباغ والألوان والمذاق والمشام من بين رطب ويابس وحلو وحامض، وفيها من سائر الطيور المطربة الاصوات الملهية الالحان المستحسنة التغريد، تطرد تحت أشجارها انهار جارية وخلال أزهارها وخضرها جداول منسابة تموج، وفي حافات الانهار خضر مونقة واصداف مشرقة الألوان وجواهر متناسبة الاصباغ رائقة المناظر عجيبة الصور بديعة التأليف غريبة التنضيد فرحة ، كل نفس ونزهة كل عين مسلاة كل هم مدعاة كل انس ، فاراد لكرم نفسه وسخاء سجيته أن يدخلها كل

مستحق ويتلذذ فيها وبها كل مشرف عاقل فنادى في الناس ان هلموا وادخلوا هذا البستان وكلوا من ثمارها ما اشتهيتم وشموا من رياحينها ما اخترتم وتفرجوا كيف شئتم وتنزهوا اين هويتم وافرحوا واطربوا وكلوا واشربوا وتلذذوا وتنعموا واستروحوا بطيبها وتنسموا بروائحها، فلم يجبه أحد ولم يصدقه خلق ولا عبئوا به ولا التفتوا اليه استعظاماً لقوله واستبعاداً لوصفه واستنكاراً لكلامه واستغرابا لذكره، فرأى الحكيم من الرأى ان وقف على باب البستان واخرج مما فيه تحفاً وطرفا ولطفاً من كل ثمرة طيبة وفاكهة لذيذة وريحان زكي وورد جني ونور انيق وجوهر بهي وطير غرد وشراب عذب، فكل من مر به عرضها عليه وشهاها اليه وذوقه منها وحياه بها واشمه من فوائح الرياحين واسمعه من بدائع التلحين حتى اذا ذاق وشم وفرح به وطرب منه وارتاح اليه واهتز وعلم انه قد وقف على جميع ما في البستان ومالت اليه نفسه واشتاق الى دخول البستان وعناه وقلق اليه ولم يصبر عنه فقال له عند ذلك ادخل البستان وكل ماشئت وشم ماشئت واختر ماشئت وانظر كيف شئت وتنزه أين شئت وجيء من أين شئت وتلذذ وتنعم وتطيب وتنسم

فهكذا ينبغي لمن حصلت عنده هذه الرسائل والرسالة لا يضيعها بوضعها في غير أهلها وبذلها لمن لم يرغب فيها ولا يظلمها بمنعها عن مستحقها وصرفها عن مستوجبها ولا يعرفها الا لكل حر خير سديد مبصر للقصد مجلب للرشد من طالبي العلم ومؤثري الادب ومحبي الحكم، وليتحرز في حفظها واسرارها واعلانها واظهارها كل التحرز ويحرسها غاية الحراسة ويصنها أحسن الصيانة، وليكن المؤدي فيها حق الامانة بان لايضعها الا في حقها ولا يمنعها عن مستحقها فانها جلاء وشفاء ونور وضياء بل كالداء ان لم تكن دواء وكالفساد ان لم تكن صلاحا وكالهلاك ان لم تكن نجاة تداوى وقد تدوي وتميت وتحيي، فهي كالترياق الكبير الذي هو في نفسه وحده وتختلف الاحوال عنده فيفعل

الشيء وضده بحسب القوابل والمنفعلات عنه والحواصل والمتوالد منه بل مثلها الغذاء والضياء فان بالغذاء القوة والزيادة وبالضياء الابصار والهداية

فكما ان الصبي الصغير والطفل الرضيع السالم من الداء المستعد للزيادة والنماء يحتاج الى حسن التربية ولطف التغذية واطعام ماهو له أوفق وأصلح وفيه أزكى وانجع على معرفة ومقدار ثم التدرج بغذائه حالا بعد حال الى استكمال قوته وتمام بنيته لئلا يتغذى بما لاينجع فيه ولا يستمرئه فيمرضه ويدويه بل يهلكه ويرديه فكان الذي أعد لشفائه وبقائه هو سبب دائه وفنائه أو كالعليل الملتبس بالداء البعيد من الشفاء ان غذي لاينتفع بغذائه بل يزيد في دائه وربما كان سبب هلاك نفسه وانقضاء عمره، واما الضياء فانه لا يصلح الا لمن فتح عينه وصح نظره وقوي بصره ويزيده الجلاء جلاء والنور قوة وضياء فاما من لم يفتح عينه أو كان قريب العهد بالخروج من الظلام فيضعف جداً عن مقابلة ضوء النهار ونور الشمس بل يكسبه الضياء ظلمة البصر حتى ربما صار ضلالا وعمى، وكذلك من كان عليل الطرف ارمد العين ذاعور أوفي بصره سوء وقذى فلا يفتح عينه فيبصر ولا يعاين الصور فيميز بل يسترح أبدا الى الظلمات ويهرب من الضياء، وكلما زاد الضياء نقص إبصاره وضعف إدراكه، فان لج اداه الى الغشاء والعماء، وفقد النظر وذهاب البصر. كذلك الواجب على من حصلت عنده هذه الرسائل وهذه الرسالة ان يتقي الله تعالى فيها بان يهتم ويعتني بها غاية العناية ولا يخل بهذه الوصاية ويتلطف في استعمالها وايصالها تلطف الاخ الشقيق والاب الشفيق والواد الصديق والطبيب الرفيق بعد بذل وسعه واستفراغ جهده في توخي القصد وتحري الصواب في بذله شيئاً بعد شيء لمن رآه شديد الحاجة اليه عظيم الحرص عليه كثير الرغبة فيه بعد ان اختبرهم واستبرأهم واستكشف حالهم فمن أنس منه رشداً ورجا فيه خيراً ممن أقصى مناه خلاص روحه ونجاة نفسه وجعل سعيه فيما يرجع الى ذاته والى ماهو سبب حياته يزهد في اعراض الدنيا ويرغب فيما هو خير

وابقى لايكذب نفسه ولا يسامحها بل يصدقها صدقا ويجد حزما ويعلم حقا ان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى ، دفعها اليه رسالة رسالة على الولاء شبيه الغذاء والتربية والنماء وكالدواء للصحة والشفاء والكحل والجلاء لتقوية البصر والضياء مايقرب من فهمه ويليق بمحله من علمه ويستصلحه لمثله قدر مايغذيه ويربيه ويصحه ويشفيه بل يبصره ويهديه ويشده ويقويه أولا فاولا على الترتيب المبين في الفهرست حتى اذا ماتمكنت الحكمة من نفسه وانست به وتصورت عنده واستقر في خلده وقوى فيه وتحقق بفكره معانيه طلب عند ذلك الكل بشدة حرص وانشراح صدر وغاية رغبة وخلوص نية وقوة عزيمة وفضل معرفة وزيادة يقين وصحة بصيرة لحصلها وعمل بها واستحق بعد النظر فيهن والوقوف على جمل معانيهن النظر في الرسالة الجامعة التى هى نهاية المراد ونزهة المرتاد والفوز في المعاش والمعاد لان بهن التوصل اليها وبفهمهن الوقوف عليها فمن وفقه الله لذلك ويسره فقد هداه من الحيرة واحياه بعد الموت وامنه من الخوف وازلفه اليه واسبغ جلائل نعمه عليه فيبقى بقاء الابد ويدوم دوام السرمد في السعادة التامة والبركات العامة والنعيم المقيم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تمت فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وابناء الحمد وأرباب الحقائق وأصحاب المعانى ، في تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق ، للبلوغ الى السعادة الكبرى والجلالة العظمى والبقاء الدائم والكمال الاخير بحول الله وقوته وتأييده وتوفيقه ، وله الحمد وحده وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الأئمة الطاهرين وسلم تسليما عليهم أجمعين

الرسالة الاولى

من القسم الرياضي

في العدد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، بأنه لما كان من مذهب اخواننا الكرام أيدهم الله النظر في جميع علوم الموجودات التى في العالم ،من الجواهر والأعراض والبسائط والمجردات والمفردات والمركبات والبحث عن مباديها وعن كمية أجناسها وأنواعها وخواصها وعن ترتيبها ونظامها على ماهي عليه الآن وعن كيفية حدوثها ونشوئها عن علة واحدة ومبدأ واحد من مبدع واحد جل جلاله ، ويستشهدون على بيانها بمثالات عددية وبراهين هندسية مثل ما كان يفعله الحكماء الفيثاغوريون احتجنا أن نقدم هذه الرسالة قبل رسائلنا كلها ونذكر فيها طرفا من علم العدد وخواصه التى تسمى «الارثماطيقى» شبه المدخل والمقدمات لكيما يسهل الطريق على المتعلمين الى طلب الحكمة التى تسمى الفلسفة ويقرب تناولها للمبتدئين بالنظر في العلوم الرياضية فنقول :

الفلسفة أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم . والعلوم الفلسفية أربعة أنواع أولها الرياضيات ، والثاني المنطقيات ، والثالث العلوم الطبيعيات ، والرابع العلوم الالهيات . فالرياضيات أربعة أنواع : أولها الارثماطيقي ، والثاني الجومطريا والثالث الاسطرنوميا ، والرابع الموسيقى ، فالموسيقى هو معرفة تأليف الاصوات

وبه استخراج اصول الالحان ، والاسطرنوميا هو علم النجوم بالبراهين التى ذكرت في كتاب المجسطى ، والجومطريا هو علم الهندسة بالبراهين التى ذكرت في كتاب اقليدس ، والارثماطيقى هو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معانى الموجودات التى ذكرها فيثاغورس ونيقوماخس : فأول مايبتدا بالنظر به فى هذه العلوم الفلسفية الرياضيات ، وأول الرياضيات معرفة خواص العدد لانه أقرب العلوم تناولا ، ثم الهندسة ثم التأليف ، ثم التنجيم ، ثم المنطقيات ، ثم الطبيعيات ثم الالهيات . وهذا أول مانقول في علم العدد شبه المدخل والمقدمات :

الالفاظ تدل على المعاني والمعاني هي المسميات ، والالفاظ هي الاسماء ، وأعم الالفاظ والاسماء قولنا « الشىء » والشىء أما أن يكون واحداً أو أكثر من واحد ، فالواحد يقال على الوجهين إما بالحقيقة وإما بالمجاز ، فالواحد بالحقيقة هو الشىء الذي لاجزء له البتة ولا ينقسم ، وكل مالاينقسم فهو واحد من تلك الجهة التى بها لاينقسم ، وان شئت قلت الواحد ماليس فيه غيره بما هو واحد ، وأما الواحد بالمجاز فهو كل جملة يقال لها واحد كما يقال عشرة واحدة ومائة واحدة والف واحد والواحد واحد بالوحدة كما أن الاسود اسود بالسواد والوحدة صفة للواحد كما أن السواد صفة للاسود . وأما الكثرة فهي جملة لآحاد وأول الكثرة الاثنان ثم الثلاثة ثم الاربعة ثم الخمسة ، وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ . والكثرة نوعان إما عدد واما معدود ، والفرق بينهما ان العدد انما هو كمية صور الاشياء في نفس العاد ، وأما المعدودات فهي الاشياء نفسها ، وأما الحساب فهو جمع العدد وتفريقه . والعدد نوعان صحيح وكسور ، والواحد الذي قبل الاثنين هو أصل العدد ومبدأه ومنه ينشأ العدد كله ، صحيحه وكسوره ، واليه ينحل راجعاً . أما نشوء الصحيح فبالتزايد وأما الكسور فبالتجزؤ ، والمثال في ذلك ماأقول في نشوء الصحيح أنه اذا اضيف الى الواحد واحد آخر يقال عند ذلك انهما اثنان واذا اضيف اليهما واحد آخر يقال لتلك الجملة ثلاثة ، واذا أضيف اليها واحد آخر يقال لها أربعة واذا أضيف اليها واحد

يقال لها خمسة. وعلى هذا القياس نشوء العدد الصحيح بالتزايد واحداً واحداً بالغاً مابلغ. وهذه صورتها: « ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ »

وأما تحليل العدد الى الواحد فعلى هذا المثال الذي أقول أنه اذا اخذ من العشرة واحد تبقى تسعة واذا ألقى من التسعة واحد تبقى ثمانية واذا اسقط من الثمانية واحد تبقى سبعة، وعلى هذا القياس يلقى واحد واحد حتى يبقى واحد، فالواحد لا يمكن ان يلقى منه شيء لانه لاجزء له البتة. فقد تبين كيف ينشأ العدد الصحيح من الواحد وكيف ينحل اليه. وأما نشوء العدد المكسور من الواحد فعلى هذا المثال الذي أقول أنه اذا رتب العدد الصحيح على نظمه الطبيعي الذي هو واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة ثم اشير الى الواحد من كل جملة فانه يتبين كيف يكون نشوؤه من الواحد وذلك انه اذا اشير الى الواحد من الاثنين يقال للواحد عند ذلك نصف واذا اشير الى الواحد من جمله الثلاثة فيقال له الثلث واذا اشير اليه من جملة الاربعة يقال له الربع واذا اشير اليه من جملة الخمسة يقال له الخمس وكذلك السدس والسبع والثمن والتسع والعشر وأيضا اذا اشير الى الواحد من جملة الاحدى عشر فيقال له جزؤ من أحد عشر ومن اثنى عشر نصف السدس ومن ثلاثة عشر جزؤ من ثلثة عشر ومن أربعة عشر نصف السبع وخمسة عشر ثلث الخمس وعلى هذا المثال يعتبر سائر المكسور. فقد تبين كيف يكون نشوء العدد من الواحد الصحيح منها والمكسور جميعاً وكيف هو أصل لهما جميعاً وهذه صورتها

ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ى
نصف	ثلث	ربع	خمس	سدس	سبع	ثمن	تسع	عشر

يا	يب	يج	يد	يه
جزء من ١١	نصف السدس	جزء من ١٣	نصف السبع	ثلث الخمس

واعلم يا أخي بأن العدد الصحيح رتب أربع مراتب: آحاد وعشرات ومئات

والوف ، فالآحاد من واحد الى تسعة، والعشرات من عشرة الى تسعين ، والمئات من مئة الى تسع مائة والالوف من الف الى تسعة آلاف . ويشتملها كلها اثنتا عشرة لفظة بسيطة ، وذلك من واحد الى عشرة عشرة الفاظ ولفظة مئة ولفظة الف فصار الجميع اثنتا عشرة لفظة بسيطة . وأما سائر الالفاظ فمشتقة منها أو مركبه أو مكررة، فالمكررة كالعشرين من العشرة ، والثلاثين من الثلاثة ، والاربعين من الاربعة ، وأمثال ذلك . وأما المركبة كالمئتين وثلثمائة واربعمائة وخمسمائة فانها مركبة من لفظة المئة مع سائر الآحاد ، وكذلك الفان وثلاثة آلاف وأربعة آلاف ، فانها مركبة من لفظة الالف مع سائر الالفاظ من الآحاد والعشرات والمئات ، كما يقال خمسة آلاف وسبعة آلاف وعشرون الفاً ومئة الف وسائر ذلك وهذه صورتها :

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠

ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠

ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠

ظ	غ
٩٠٠	١٠٠٠

بغ	جغ	دغ	هغ	وغ
٢٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠

زغ	حغ	طغ	يغ	كغ
٧٠٠٠	٨٠٠٠	٩٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠

لغ	مغ	نغ	سغ	عغ
٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
فغ	صغ	قغ	رغ	
٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	
شغ	تغ	ثغ	خغ	
٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	
ذغ	ضغ	ظغ		
٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠		

اما الآحاد فهى « ا ب ج د ه و ز ح ط ي » واما العشرات فهى « ك ل م ن س ع ف ص » واما المئات فهى « ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ » واما الالوف فهى « غ بغ ،جغ، دغ، هغ، و غ، ز غ، حغ، طغ ،يغ »

واعلم بان كون العدد على أربع مراتب التى هى الآحاد والعشرات والمئات والالوف ليس هو أمر ضرورى لازم لطبيعة العدد مثل كونه أزواجا وأفرادا صحيحا وكسوراً بعضها تحت بعض لكنه أمر وضعي رتبته الحكماء باختيار منهم وانما فعلوا ذلك لتكون الامور العددية مطابقة لمراتب الامور الطبيعية وذلك ان الامور الطبيعية أكثرها جعلها البارى جل ثناؤه مربعات مثل الطبائع الاربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومثل الاركان الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض، ومثل الاخلاط الاربعة التى هى الدم والبلغم والمرتان المرة الصفراء والمرة السوداء، ومثل الازمان الاربعة التى هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، ومثل الجهات الاربع والرياح الاربع الصبا والدبور والجنوب والشمال، والاوتاد الاربع الطالع والغارب ووتد السماء ووتد الارض، والمكونات الاربع التى هي المعادن والنبات والحيوان والانس . وعلى هذا المثال وجد أكثر الامور الطبيعية مربعات

واعلم بان هذه الامور الطبيعية انما صارت أكثرها مربعات بعناية الباري جل ثناؤه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الامور الطبيعية مطابقة للامور الروحانية التي هي فوق الامور الطبيعية وهي التي ليست باجسام، وذلك ان الاشياء التي فوق الطبيعية على أربع مراتب أولها الباري جل جلاله ثم دونه العقل الكلي الفعال ثم دونه النفس الكلية ثم دونه الهيولى الاولى، وكل هذه ليست باجسام

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان نسبة الباري جل ثناؤه من الموجودات كنسبة الواحد من العدد ، ونسبة العقل منها كنسبة الاثنين من العدد ، ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العدد ونسبة الهيولى الاولى كنسبة الاربعة

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان العدد كله آحاده وعشراته ومئاته والوفه أو مازاد بالغا مابلغ فأصلها كلها من الواحد الى الاربعة وهي هذه (١ ٢ ٣ ٤) وذلك ان سائر الاعداد كلها من هذه يتركب ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها. بيان ذلك انه اذا أضيف واحد الى أربعة كانت خمسة وان أضيف اثنان الى أربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة الى أربعة كانت سبعة وان أضيف واحد وثلاثة الى أربعة كانت ثمانية وان أضيف اثنان وثلاثة الى أربعة كانت تسعة وان أضيف واحد واثنان وثلاثة الى أربعة كانت عشرة ، وعلى هذا المثال حكم سائر الاعداد من العشرات والمئات والالوف ومازاد بالغاً مابلغ. وكذلك أصول الخط أربعة وسائر الحروف منها يتركب والكلام من الحروف يتركب كما بينا فيما بعد فاعتبرها فانك تجد ماقلنا حقاً صحيحاً ، ومن يريد أن يعرف كيف اخترع الباري جل ثناؤه الاشياء في العقل وكيف أوجدها في النفس وكيف صورها في الهيولى فليعتبر ماذكرنا في هذا الفصل

واعلم يا أخي ان الباري جل ثناؤه أول شيء اخترعه وأبدعه من نور

وحدانيته جوهر بسيط يقال له العقل الفعال كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين، ثم أنشأ الهيولى الاولى من حركة النفس كما أنشأ الاربعة بزيادة الواحد على الثلاثة، ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس كما أنشأ سائر العدد من الاربعة باضافة ماقبلها اليها كما مثلنا قبل

واعلم يا أخي، أيدك الله بروح منه، بأنك اذا تأملت ماذكرنا من تركيب العدد من الواحد الذي قبل الاثنين ونشوئه منه وجدته من أدل الدليل على وحدانية البارى جل ثناؤه وكيفية اختراعه الاشياء وإبداعه لها وذلك ان الواحد الذي قبل الاثنين وان كان منه يتصور وجود العدد وتركيبه كما بينا قبل فهو لم يتغير عما كان عليه ولم يتجزأ، كذلك الله عز وجل وان كان هو الذي اخترع الاشياء من نور وحدانيته وأبدعها وأنشأها وبه قوامها وبقاؤها وتمامها وكمالها فهو لم يتغير عما كان عليه من الوحدانية قبل اختراعه وابداعه لها كما بينا في رسالة المبادىء العقلية فقد أنبأناك بما ذكرنا من ان نسبة الباري جل ثناؤه من الموجودات كنسبة الواحد من العدد، وكما ان الواحد أصل العدد ومنشأه وأوله وآخره كذلك الله عزوجل هو علة الاشياء وخالقها وأولها وآخرها وكما ان الواحد لاجزء له ولامثل له في العدد فكذلك الله جل ثناؤه لامثل له في خلقه ولاشبه وكما ان الواحد محيط بالعدد كله ويعده كذلك الله جل جلاله عالم بالاشياء وماهياتها تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

واعلم يا أخي بأن مراتب العدد عند أكثر الامم على أربع مراتب كما تقدم ذكرها واما عند الفيثاغوريين فعلى ستة عشر مرتبة وهذه صورتها :

آحاد	١
عشرات	١٠
مئات	١٠٠

	ألوف	١٠٠٠
ربوات	عشرات ألوف	١٠٠٠٠
نوعات	مئات ألوف	١٠٠٠٠٠
غايات	ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠
سورات	عشرات ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠
حلبات	مئات ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠
البطات	ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠
هنيات	عشرات ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
دعورات	مئات أنوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
وهوات	ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
مجوات	عشرات ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
ومور	مئات ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
مارو	ألوف ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن العدد المكسور مراتبه كثيرة لانه مامن عدد صحيح إلا وله جزء أو جزآن أو عدة أجزاء كالاثني عشر فان له نصفاً وثلثاً وربعاً وسدساً ونصف سدس وكذلك الثمانية وعشرون وغيرهما من الاعداد إلا ان العدد المكسور وان كثرت مراتبه وأجزاؤه ، فهي مرتبة بعضها تحت بعض ، ويشملها كلها عشرة ألفاظ لفظة منها عامة مبهمة وتسعة مخصوصة مفهومة ومن التسعة الالفاظ لفظة موضوعة ، وهي النصف ، وثمانية مشتقة وهي : الثلث من الثلاثة والربع من الاربعة والخمس من الخمسة والسدس من الستة والسبع من السبعة والثمن من الثمانية والتسع من التسعة والعشر من العشرة . وأما اللفظة العامة المبهمة فهي الجزء لان الواحد من احد عشر يقال له جزء من

أحد عشر وكذلك من ثلاثة عشر ومن سبعة عشر وما شا كل ذلك. واما باقي الالفاظ الكسور فمضافة الى هذه العشرة الالفاظ كما يقال لواحد من اثنى عشر نصف السدس ولواحد من خمسة عشر خمس الثلث ولواحد من عشرين نصف العشر، وعلى هذا المثال يتبين سائر معاني الكسور باضافة بعضها لبعض

واعلم بأن نوعي العدد يذهبان فى الكثرة بلا نهاية ، غير ان العدد الصحيح يبتدئ من أقل الكمية وهو الاثنان ويذهب فى التزايد بلا نهاية واما الكسور فيبتدئ من أكثر الكمية وهو النصف ويمر فى التجزؤ بلا نهاية، فكلاهما من حيث الابتداء ذو نهاية ومن حيث الانتهاء غير ذى نهاية

فصل فى خواص العدد

ثم اعلم أن ما من عدد إلا وله خاصية أو عدة خواص ومعنى الخاصية انها الصفة المخصوصة الموصوف الذي لايشركه فيها غيره نخاصية الواحد أنه أصل العدد ومنشأه كما بينا قبل وهو يعد العدد كله الازواج والافراد جميعاً ومن خاصية الاثنين أنه أول العدد مطلقاً وهو يعد نصف العدد الازواج دون الافراد ومن خاصية الثلاثة أنها أول عدد الافراد وهي تعد ثلث الاعداد تارة الافراد وتارة الازواج ومن خاصية الاربعة انها أول عدد مجذور ومن خاصية الخمسة انها أول عدد دائر ويقال كري ومن خاصية الستة انها أول عدد تام ومن خاصية السبعة انها أول عدد كامل ومن خاصية الثمانية انها أول عدد مكعب ومن خاصية التسعة انها أول عدد فرد مجذور وانها آخر مرتبة الآحاد ومن خاصية العشرة انها أول مرتبة العشرات ومن خاصية الاحد عشر انها أول عدد اصم ومن خاصية الاثنى عشر انها أول عدد زائد. وبالجملة ان من خاصية كل عدد انه نصف حاشيتيه مجموعتين واذا جمعت حاشيتاه تكونان مثله مرتين ومثال ذلك خمسة فان احدى حاشيتيها أربعة والاخرى ستة ومجموعهما عشرة وخمسة نصفها وعلى هذا القياس يوجد سائر الاعداد اذا اعتبر ، وهذه صورتها :

١ ٢ ٣ ٤ — ٥ — ٦ ٧ ٨ ٩

وأما الواحد فليس له الا حاشية واحدة وهي الاثنان والواحد نصفها وهي مثله مرتين، وأما قولنا ان الواحد أصل العدد ومنشأه فهو ان الواحد اذا رفعته من الوجود ارتفع العدد بارتفاعه واذا رفعت العدد من الوجود لم يرتفع الواحد واما قولنا ان الاثنين أول العدد مطلقا فهو ان العدد كثرة الآحاد واول الكثرة اثنان واما قولنا ان الثلاثة اول الافراد فهي كذلك لان الاثنين اول العدد وهو الزوج ويليه ثلاثة وهي فرد، واما قولنا انها تعد ثلث العدد تارة الافراد وتارة الازواج فلأنها تتخطى العددين وتعد الثالث منهما وذلك الثالث يكون تارة زوجاً وتارة فرداً . واما قولنا ان الاربعة اول عدد مجذور فلأنها من ضرب الاثنين في نفسه وكل عدد اذا ضرب في نفسه يصير جذراً والمجتمع من ذلك مجذوراً

واما ماقيل من ان الخمسة اول عدد دائر فمعناه انها اذا ضربت في نفسها رجعت الى ذاتها وان ضرب ذلك العدد المجتمع من ضربها في نفسها رجع الى ذاته ايضا وهكذا دائماً مثال ذلك خمسة في خمسة خمسة وعشرون واذا ضرب خمسة وعشرون في مثله صار ستمائة وخمسة وعشرون واذا ضرب هذا العدد ايضا في نفسه خرج ثلثمائة الف وتسعون الفاً وستمائة وخمســة وعشرين ، وان ضرب هذا العدد في نفسه خرج عدد آخر وخمسة وعشرون ، الا ترى ان الخمسة كيف تحفظ نفسها وما يتولد منها دائماً بالغاً مابلغ وهذه صورتها :

٥ _ ٢٥ _ ٦٢٥ _ ٦٢٥ ٣٩٠

واما الستة فان فيها مشابهة للخمسة في هذا المعنى لكنها ليست ملازمة كلزوم الخمسة ودوامها ٦ ٣٦ ١٢٩٦ ستة في ستة ستة وثلاثون فالستة راجعة الى ذاتها وظهر ثلاثون واذا ضربت ستة وثلاثون في نفسها خرج الف ومئتان وستة وتسعون فظهرت الستة ولم يظهر الثلاثون فقد بان ان الستة تحفظ نفسها ولا تحفظ مايتولد منها واما الخمسة فانها تحفظ نفسها وما يتولد منها دائماً ابداً، واما ما قيل من خاصية الستة انها اول عدد تام فمعناه ان كل عدد اذا جمعت اجزاء

فكانت مثله سواء سمي ذلك العدد عددا تاما فالستة اولها وذلك ان لها نصفاً وهو ثلاثة ، وثلثا وهو اثنان وسدساً وهو واحد فاذا جمعت هذه الاجزاء كانت ستة سواء وليست هذه الخاصية لعدد قبلها ولكن لما بعدها لثمانية وعشرين ولأربع مائة وستة وتسعين وثمانية آلاف ومائة وثمانية وعشرين وهذه صورتها ٦ ٢٨ ٤٩٦ ٨١٢٨

وأما ماقيل ان السبعة أول عدد كامل فمعناه أن السبعة قد جمعت معاني العدد كلها وذلك ان العدد كله أزواج وأفراد والأزواج منها أول وثان فالاثنان أول الأزواج والاربعة زوج ثان والافراد منها أول وثان والثلاثة أول الافراد والخمسة فرد ثان فاذا جمعت فرداً أولا الى زوج ثان اوزوجا أولا الى فرد ثان كانت منها سبعة مثال ذلك أنك اذا جمعت الاثنين الذي هو أول الازواج الى الخمسة الذي هو فرد ثان كان منهما سبعة وكذلك اذا جمعت الثلاثة التي هي فرد أول الى الاربعة التي هي زوج ثان كانت منهما سبعة وكذلك اذا أخذ الواحد الذي هو أصل العدد مع الستة التي هي عدد تام يكون منهما السبعة التي هي عدد كامل وهذه صورتها ٧٦٥٤٣٢١ وهذه الخاصية لاتوجد لعدد قبل السبعة ولها خواص أخر سنذكرها عند ذكرنا ان الموجودات بحسب طبيعة العدد

وأما ماقيل ان الثمانية أول عدد مكعب فمعناه ان كل عدد اذا ضرب في نفسه سمي جذراً والمجتمع منهما مجذوراً كما بينا من قبل ، واذا ضرب المجذور في جذره سمي المجتمع من ذلك مكعباً وذلك ان الاثنين أول العدد فاذا ضرب في نفسه كان المجتمع منه أربعة وهي أول عدد مجذور ثم ضرب المجذور في جذره الذي هو اثنان تخرج من ذلك ثمانية فالثمانية أول عدد مكعب

وأما ماقيل أنها أول عدد مجسم فلأن الجسم لايكون الا من سطوح متراكمة ، والسطح لا يكون الا من خطوط متجاورة ، والخط لايكون الا من نقط منتظمة كما بينا في رسالة «الهندسة» فاقل خط من جزأين وأضيق سطح من خطين وأصغر جسم من سطحين ، فينتج من هذه المقدمات ان أصغر جسم من ثمانية أجزاء

أحدها الخط وهو جزءان فاذا ضرب الخط في نفسه كان منه السطح وهو أربعة أجزاء واذا ضرب السطح في أحد طوليه كان منه العمق فيصير جملة ذلك ثمانية أجزاء طول اثنين في عرض اثنين في عمق اثنين

وأما ماقيل ان التسعة أول فرد مجذور فلأن الثلاثة في الثلاثة تسعة وليس من السبعة والخمسة والثلاثة شيء مجذور

واما ماقيل ان العشرة اول مرتبة العشرات فهو بين ، كما ان الواحد اول مرتبة الآحاد وهذا بين ليس يحتاج الى الشرح ولها خاصية أخرى وهي تشبه خاصية الواحد وذلك انه ليس لها من جنسها الاطرف واحد وهو العشرون وهي نصفها كما بينا للواحد انه نصف الاثنين

وأما ماقيل ان الاحد عشر اول عدد أصم، فلأنه ليس له جزء ينطق به ولكن يقال واحد من احد عشر واثنان منه. وكل عدد هذا وصفه يسمى أصم مثل ثلاثة عشر وسبعة عشر وما شاكل ذلك وهذه صورتها يا يج يز يط
١١ ١٣ ١٧ ١٩

كج كط لا لز ما مج مز نج نط سا سز عا عج عط فج فط صا
٢٣ ٢٩ ٣١ ٣٧ ٤١ ٤٣ ٤٧ ٥٣ ٥٩ ٦١ ٦٧ ٧١ ٧٣ ٧٩ ٨٣ ٨٩ ٩١

وأما ماقيل ان الاثنى عشر أول عدد زائد فلأن كل عدد اذا جمعت أجزاؤه وكانت أكثر منه سمي عدداً زائداً والاثنا عشر أولها وذلك ان لها نصفاً وهو ستة ولها ثلث وهو أربعة وربع وهو ثلاثة وسدس وهو اثنان ونصف سدس وهو واحد واذا جمعت هذه الاجزاء كانت ستة عشر وهي أكثر من الاثنى عشر بزيادة أربعة وهذه صورتها : ١٢ نصف ٦ ثلث ٤ ربع ٣ سدس ٢ نصف السدس ١

وبالجملة مامن عدد صحيح الا وله خاصية تختص به دون غيره ونحن تركنا ذكرها كراهية للتطويل

***

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، ان العدد ينقسم قسمين صحيح وكسور كما بينا قبل، فالصحيح ينقسم قسمين أزواجاً وأفراداً فالزوج هو كل عدد ينقسم بنصفين صحيحين والفرد كل عدد يزيد على الزوج واحداً أو ينقص عن الزوج بواحد ، فأما نشوء عدد الزوج فيبتدىء من الاثنين بالتكرير دائماً على مايرى :

« ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ .١٤ ١٦ ١٨ ٢٠ »

« ب د و ح ى يب يد يو يح ك »

وأما نشوء الافراد فيبتدىء من الواحد اذا أضيف اليه اثنان وأضيف الى ذلك اثنان دائماً بالغاً مابلغ

« ٣ ٥ ٧ ٩ ١١ ١٣ ١٥ ١٧ ١٩ »

« ج ه ز ط يا يج يه يز يط »

والزوج ينقسم على ثلاثة أنواع : زوج الزوج ، وزوج الفرد ، وزوج الزوج والفرد ، فزوج الزوج هو كل عدد ينقسم بنصفين صحيحين متساويين ونصفه بنصفين دائما الى ان تنتهي القسمة الى الواحد . مثال ذلك أربعة وستون، فانه زوج الزوج ، وذلك ان نصفه اثنان وثلاثون، ونصفه ستة عشر ، ونصفه ثمانية ، ونصفه أربعة ، ونصفه اثنان، ونصفه واحد. ونشوء هـذا العدد يبتدىء من الاثنين اذا ضرب في الاثنين ثم ضرب المجموع في الاثنين وما يجتمع من ذلك في الاثنين ، ثم ضرب المجموع في الاثنين دائماً بلا نهاية

ومن أراد ان يتبين هذا مستقصى فليضعف بيوت الشطرنج فانه لايخرج الا من هذا العدد أعني زوج الزوج، ولهذا العدد خواص اخر ذكرها نيقوماخس في كتابه بشرح طويل ونحن نذكر منها طرفا قال :

ان هذا العدد اذا رتب على نظمه الطبيعي وهو واحد اثنان اربعة ثمانية ستة عشر اثنان وثلاثون اربعة وستون وعلى هـذا القياس بالغاً ما بلغ فان من خاصيته ان من ضرب الطرفين احدهما في آخر يكون مساويا لضرب

الواسطة فى نفسهـا ان كان له واسطة واحـدة ، وان كانت له واسطتان فمثل ضرب أحدهما فى الاخرى، مثال ذلك أربعة وستون فانه الطرف الآخر والواحـد الطرف الاول وله واسطة واحدة وهى ثمانية فاقول ان ضرب الواحد فى أربعة وستين أو الاثنين فى اثنين وثلاثين أو الاربعة فى ستة عشر مساو لضرب ثمانية فى نفسها وهذه صورتها:

ا ب د ح يو لب سد
١ ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤

وان زيدت فيه رتبة أخرى حتى يصير له واسطتان فاقول : ان ضرب الطرفين احدهما فى الآخر يكون مساويا لضرب الواسطتين احداهما فى الاخرى مثال ذلك مئة وثمانية وعشرون اذا ضرب فى واحداوأربع وستون فى اثنين أو اثنان وثلاثون فى أربعة يكون مساويا لضرب ستة عشر فى ثمانية وهذه صورتها:

ب د ح يو لب سد قكح
٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤ ١٢٨

ولهذا العدد خاصية أخرى انه اذا جمع من واحد الى حيث ما بلغ يكون أقل من ذلك العدد الذي انتهى اليه بواحد مثال ذلك اذا أخذ واحد واثنان وأربعة يكون جملتها أقل من ثمانية بواحد وان زيدت الثمانية عليها يكون الجملة أقل من ستة عشر بواحد وان زيدت الستة عشر عليها يكون الجملة أقل من اثنين وثلاثين بواحد وعلى هذا القياس توجد مراتب هذا العدد بالغا ما بلغ وهذه صورتها

ا ب د ح يو لب سد قكح رنو
١ ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤ ١٢٨ ٢٥٦

واما زوج الفرد فهو كل عدد ينقسم بنصفين مرة واحدة ولا ينتهي فى القسمة الى الواحد مثل ستة وعشرة وأربعة عشر وثمانية عشر واثنين وعشرين وستة وعشرين فان كل واحد من هذه وأمثالها من العدد ينقسم مرة واحدة ولا ينتهى الى الواحد ونشوء هـذا العدد من ضرب كل عدد فرد فى اثنين وهذه صورتها (و ى يد يح كب كول لو لج مب مو) كل واحد من هـذه الاعداد نصف لما فوقه من العدد واما زوج الزوج والفرد فهو كل عـدد ينقسم بنصفين أكثر من مرة واحدة ولا ينتهى فى القسمة الى الواحد مثل اثنى عشر وعشرين وأربعة وعشرين وثمانية وعشرين

وأمثالها في الاعداد وهذه صورتها يب ك كد كح لو مد نب س سح
ونشوء هذا العدد من ضرب زوج الفرد ١٢ ٢٠ ٢٤ ٢٨ ٣٦ ٤٤ ٥٢ ٦٠ ٦٨
في اثنين مرة أو مرارا كثيرة ولها خواص تركنا ذكرها مخافة التطويل. واما العدد الفرد فيتنوع قسمين: فرد اول وفرد مركب، والفرد المركب نوعان، مشترك ومتباين. تفصيل ذلك: اما الفرد الاول فهو كل عدد لا يعده غير الواحد عدد آخر مثل ثلاثة خمسة سبعة أحد عشر ثلاثة عشر سبعة عشر تسعة عشر ثلاثة وعشرين واشباه ذلك من العدد وخاصية هذا العدد انه ليس له جزء سوى المسمى له وذلك ان الثلاثة ليس لها الا الثلث والخمسة ليس لها الا الخمس وكذلك السبعة ليس لها الا السبع وهكذا الاحد عشر والثلاثة عشر والسبعة عشر، وبالجملة جميع الاعداد الصم لا يعدها الا الواحد فان اسم جزئها مشتق منها. واما الفرد المركب فهو كل عدد يعده غير الواحد عدد آخر مثل تسعة وخمسة وعشرين وتسعة واربعين وواحد وثمانين وأمثالها من العدد وهذه صورتها (ط كه مط فا قكا قسط) واما الفرد المشترك فهو كل عددين يعدهما غير الواحد عدد آخر مثل تسعة وخمسة عشر وواحد وعشرين فان الثلاثة تعدها كلها وكذلك خمسة عشر وخمسة وعشرون وخمسة وثلاثون فان الخمسة تعدها كلها، فهذه الاعداد وأمثالها تسمى مشتركة في العدد الذي يعدها وهذه صورتها (ط يه كا كه له) واما الاعداد المتباينة فهي كل عددين يعدهما عددان آخران غير الواحد ولكن الذي يعد احدهما لا يعد الآخر مثل تسعة وخمسة وعشرين فان الثلاثة تعد التسعة ولا تعد الخمسة والعشرين والخمسة تعد الخمسة والعشرين ولا تعد التسعة فهذه الاعداد وأمثالها يقال لها المتباينه

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي، ايدك الله وايانا بروح منه، بان من خاصية كل عدد فرد انه اذا قسم بقسمين كيف ما كان فأحد القسمين يكون زوجا والآخر فردا ومن خاصية كل عدد زوج انه اذا قسم كيف ما كان فيكون كلا قسميه اما زوجا واما فردا وهذه صورتها :

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

واعلم ياأخي، ايدك الله واياانا بروح منه، بان العدد ينقسم من جهة أخرى ثلاثة أنواع اما تاما واما زائدا واما ناقصا، فالتام هو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت الجملة مثله سواء مثل ستة وثمانية وعشرين وأربعمائة وستة وتسعين وثمانية آلاف ومائة وثمانية وعشرين، فان كل واحد من هذه الاعداد إذا جمعت أجزاؤه كانت الجملة مثله سواء. ولا يوجد من هذا العدد إلا في كل مرتبة من مراتب العدد واحد كالستة في الآحاد وثمانية وعشرين فى العشرات واربعمائة وستة وتسعين في المئات وثمانية آلاف ومائة وثمانية وعشرين في الالوف وهذه صورتها ٦ ٢٨ ٤٩٦ ٨١٢٨ وأما العدد الزائد فهو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت أكثر منه مثل الاثنى عشر والعشرين والستين وأمثالها من العدد وذلك أن الاثنى عشر نصفها ستة وثلثها اربعة وربعها ثلثة وسدسها اثنان ونصف سدسها واحد فجملة هذه الاجزاء ستة عشر وهي أكثر من اثنى عشر وأما العدد الناقص فهو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت أقل منه مثل أربعة وثمانية وعشرة وأمثالها من العدد وذلك أن الثمانية نصفها أربعة وربعها اثنان وثمنها واحد وجملتها تكون سبعة فهي أقل من الثمانية وعلى هذا القياس حكم سائر الاعداد الناقصة

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي، أيدك الله واياانا بروح منه، بأن العدد من جهة أخرى ينقسم قسمين أحدهما يقال له أعداد متحابة وهي كل عددين أحدهما زائد والآخر ناقص واذا جمعت أجزاء العدد الزائد كانت مساوية لجملة العدد الناقص واذا جمعت أجزاء العدد الناقص كانت مساوية لجملة العدد الزائد، مثال ذلك مائتان وعشرون

وهو عدد زائد ومائتان وأربعة وثمانون وهو عدد ناقص ، فاذا جمعت أجزاء مائتين وعشرين كانت مساوية لمائتين وأربعة وثمانين واذاجمعت أجزاءهذا العدد يكون جملتها مائتين وعشرين فهذه الاعداد وأمثالها تسمى «متحابة» وهى قليلة الوجود ، وهذه صورتها :

عددزائد	٢٢٠	مخرج ربع الخمس	٢٠	عدد ناقص	٢٨٤
نصفه	١١٠	مخرج نصف الخمس	١٠	نصفه	١٤٢
ربعه	٥٥	مخرج الخمس	٥	ربعه	٧١
خمسه	٤٤	مخرج الربع	٤	مخرج الربع	٤
نصف الخمس	٢٢	مخرج النصف	٢	مخرج النصف	٢
ربع الخمس	١١	جزؤه	١	جزؤه	١
جملته	٢٨٤			جملته	٢٢٠

واعلم ياأخي بأن من خاصية العدد انه يقبل التضعيف والزيادة بلا نهاية ويكون ذلك على خمسة انواع : فمنها « على النظم الطبيعي » مثل هذا بالغاً مابلغ : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ومنها « على نظم الازواج » بالغاًمابلغ مثل هذا ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ومنها « على نظم الافراد » بالغاً مابلغ مثل هذا ١ ٣ ٥ ٧ ٩ ١١ ١٣ ١٥ ١٧ ومنها « بالطرح » كيفما اتفق كما يوجد فى سائر الحساب ، ومنها « بالضرب » كما نبين بعد

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن لكل نوع من هذه الانواع عدةخواص وقد ذكر ذلك فى كتاب الارثماطيقي بشرح طويل ، ولكن نذكر منها طرفا في هذا الفصل فنقول :

ان من خاصية النظم الطبيعي انه اذا جمع من واحد الى حيث مابلغ يكون المجموع مساويا لضرب ذلك العدد الاخير بزيادة واحد عليه فى نصفه مثال ذلك

اذا قيل: كم من واحد الى عشرة مجموعا على النظم الطبيعي ؟ فقياسه ان يزاد على العشرة واحد ثم يضرب فى نصف العشرة فيكون خمسة وخمسين او تضرب الخمسة فى نفسها فيكون خمسة وعشرين ثم في النصف الآخر الذي هو ستة فيكون ثلاثين، الجملة خمسة وخمسون وذلك بابه المطلوب وقياسه. واما نظم الازواج فهو مثل واحد اثنين اربعة ستة ثمانية عشرة اثنى عشر وعلى هذا المثال بالغاً مابلغ ، ومن خاصية هذا النظم ان يكون المجموع ابداً فرداً ومن خاصيته ايضا انه اذا جمع على نظمه الطبيعي من واحد الى حيث مابلغ يكون المجموع مساويا لضرب ذلك العدد فى النصف الآخر بزيادة واحد ثم يزاد على الجملة واحد مثال ذلك اذا قيل لك : كم من واحد الى العشرة مجموعا على نظم الازواج ؟ فقياسه ان تأخذ نصف العشرة فتزيد عليه واحداً ثم تضربه فى النصف الآخر ثم تزيد على الجملة واحداً فذلك احد وثلاثون وعلى هذا القياس سائر الاعداد

واما نظم الافراد فمثل واحد ، ثلاثة ، خمسة ، سبعة ، تسعة ، احد عشر ، بالغاً مابلغ . فمن خاصيته انه اذا جمع على نظمه الطبيعي يكون المجموعان الواحد زوج والآخر فرد ، يتلو بعضها بعضا ، بالغاً مابلغ ،وتكون كلها مجذورات. ومن خاصيته ايضا انه اذا جمع على نظمه الطبيعي من واحد الى حيث مابلغ فان المجموع يكون مساويا لضرب نصفه مجذوراً مجبوراً فى نفسه، مثال ذلك اذا قيل : كم من واحد الى احد عشر؟ فبابه ان تأخذ نصف العدد وهو خمسة ونصف فتجبره فيصير ستة فتضربه في نفسه فيكون ستة وثلاثين وذلك بابه فقس عليه

***

واعلم ياأخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن معنى الضرب هو تضعيف احد العددين بقدر مافي الآخر من الآحاد ، مثال ذلك اذا قيل : كم ثلاثة فى اربعة ؟ فمعناه كم جملة ثلاثة أربع مرات ؟

واعلم ياأخي بان العدد نوعان صحيح وكسور كما بينا قبل، فصار أيضاً ضرب العدد بعضها في بعض نوعين مفرد ومركب فالمفرد ثلاثة أنواع الصحيح في الصحيح

مثل اثنين في ثلاثة وثلاثة في أربعة وما شاكله ، ومنها الكسور في الكسور مثل نصف في ثلث وثلث في ربع وما شاكله . ومنها الصحيح في الكسور مثل اثنين في ثلث أو ثلث في أربعة وما شاكله ، وأما المركب فهو أيضاً ثلاثة أنواع ، فنها الكسور والصحيح في الصحيح مثل اثنين وثلث في خمسة وما شاكلها ، ومنها الصحيح والكسور في الصحيح والكسور مثل اثنين وثلث في ثلاثة وربع وما شاكلها ، ومنها الصحيح والكسور في الكسور مثل اثنين وثلث في سبع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن ضرب العدد الصحيح على أربعة أنواع وجملتها عشرة أبواب وهي : آحاد وعشرات ومئات وألوف . فالآحاد في الآحاد واحدها واحد وعشرتها عشرة ، والآحاد في العشرات واحدها عشرة وعشرتها مئة ، والآحاد في المئات واحدها مئة وعشرتها الف ، والآحاد في الالوف واحدها الف وعشرتها عشرة آلاف . فهذه أربعة أبواب . وأما العشرات في العشرات فواحدها مئة وعشرتها الف ، والعشرات في المئات واحدها الف وعشرتها عشرة آلاف ، والعشرات في الالوف واحدها عشرة آلاف وعشرتها مئة الف ، فهذه ثلاثة أبواب . وأما المئات في المئات فواحدها عشرة آلاف وعشرتها مئة الف ، والمئات في الالوف واحدها مئة الف وعشرتها الف الف فهذان بابان . وأما الالوف في الالوف فواحدها الف الف وعشرتها عشرة آلاف الف ، وهو باب واحد ، فصار جملة الجميع عشرة أبواب ، وهذه صورتها :

(آحاد في آحاد) (آحاد في عشرات) (آحاد في مئات) (آحاد في ألوف)
(عشرات في عشرات) (عشرات في مئات) (عشرات في الوف) (مئات في مئات)
(مئات في ألوف) (ألوف في ألوف)

﴿ فصل ﴾

في الضرب والجذر والمكعبات ، وما يستعمله الجبريون والمهندسون من الالفاظ ومعانيها ، فنقول :

كل عددين ، أي عددين كانا، اذا ضرب أحدهما في الآخر فان المجتمع من ذلك يسمى عدداً مربعاً . فان كان العددان متساويين يسمى المجتمع من ضربيهما عدداً مربعاً مجذوراً أو العددان يسميان جذري ذلك العدد مثال ذلك اذا ضرب اثنان في اثنين يكون اربعة وثلاثة في ثلاثة تسعة وأربعة في أربعة ستة عشر فالاربعة والتسعة والستة عشر وامثالها من العدد يسمى كل واحد منها مربعاً مجذوراً ، والاثنان والثلاثة والاربعة يسمى جذراً ، لان الاثنين هو جذر الاربعة والثلاثة جذر التسعة والاربعة جذر الستة عشر ، وعلى هذا القياس يعتبر سائر المربعات المجذورات وجذورها

٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

د ط يو كه لو مط دس فا

وكل عددين مختلفين أي عددين كانا اذا ضرب أحدهما في الآخر فان المجتمع من ذلك يسمى عدداً مربعاً غير مجذور والعددان المختلفان يسميان جزأين له ويسميان ضلعين لذلك المربع وهي من الفاظ المهندسين مثال ذلك اثنان في ثلاثة أو ثلاثة في أربعة أو أربعة في خمسة وأشباه ذلك فان المجتمع من مثل هذه الاعداد المضروبة بعضها في بعض تسمى مربعات غير مجذورات

﴿ فصل ﴾

كل عدد مربع ، كان مجذوراً أو غير مجذور ، ضرب في عدد آخر أي عدد كان فان المجتمع من ذلك يسمى عدداً مجسما فان كان العدد المربع مجذوراً وضرب في جذره يسمي المجتمع من ذلك عدداً مجسما مكعبا مثال ذلك اربعة فانه عدد

مربع مجذور ضرب في الاثنين الذي هو جذرها خرج منه ثمانية وكذلك ايضا التسعة وهو أيضا عدد مربع مجذور ضرب في الثلاثة الذي هو جذرها كانت منه سبعة وعشرون، وكذلك الستة عشر فانه عدد مجذور ضرب في الاربعة التي هي جذرها خرج منه أربعة وستون فالثمانية والسبعة والعشرون وأربعة وستون وأمثالها من الاعداد تسمى أعداداً مجسمة مكعبة والمكعب جسم طوله وعرضه وعمقه متساوية وله ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثنا عشر ضلعاً متوازية وثماني زوايا مجسمة واربعة وعشرون زاوية مسطحة

وان ضرب العدد المربع المجذور في عدد أقل من جذره يسمى المجتمع من ضربه عدداً مجسما لبنيا والجسم اللبني هو الذي طوله وعرضه متساويان وسمكه أقل منهما وله ستة سطوح مربعات متوازي الاضلاع قائم الزوايا لكن له سطحين متقابلين مربعين متساويي الاضلاع قائمي الزوايا وله اربعة سطوح مستطيلات وله اثنا عشر ضلعا كل اثنين منها متوازيان وثماني زوايا مجسمة واربع وعشرون زاوية مسطحة. وان ضرب المربع المجذور في اكثر من جذره يسمى المجتمع منه عدداً مجسما بيريا مثال ذلك اربعة فانه عدد مجذور ضرب في الثلاثة التي هي اكثر من جذرها فكان منه اثناعشر وكذلك التسعة اذا ضربت في اربعة التي هي اكثر من جذرها خرج منها ستة وثلاثون فالاثناعشر والستة والثلاثون وامثالها من العدد يسمى مجسما بيريا و« الجسم البيري » هو الذي سمكه أكثر من طوله وعرضه، وله ستة سطوح مربعات اثنان منها مربعان متقابلان متساويا الاضلاع قائما الزاويا واربعة منها مستطيلة متوازية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثنا عشر ضلعاً كل اثنين منها متوازيان متساويان وله ثماني زوايا مجسمة واربع وعشرون زاوية مسطحة وكل عدد مربع غير مجذور ضرب في ضلعه الاصغر فان المجتمع منه يسمى مجسما لبنياً وان ضرب في ضلعه الاطول فان المجتمع منه يسمى مجسما بيريا، وان ضرب في عدد أقل منهما أو اكثر فان المجتمع منه يسمى « مجسما لوحياً » مثال ذلك الاثناعشر فانه عدد مربع غير مجذور واحد ضلعيه ثلاثة والآخر أربعة فان ضرب اثناعشر في

ثلاثة خرج منه ستة وثلاثون وهو مجسم لبنى وان ضرب في أربعة خرج منه ثمانية واربعون وهو مجسم بيري وأن ضرب في أقل من الثلاثة أو أكثر من الاربعة يسمى مجسما لوحياً. والجسم اللوحي هو الذي طوله أكثر من عرضه وعرضه أكثر من سمكه وله ستة سطوح كل اثنين منها متساويان متوازيان وله اثنا عشر ضلعاً كل اثنين منها متوازيان وثماني زوايا مجسمة واربع وعشرون زاوية مسطحة

﴿ فصل ﴾

في خواص العدد المجذور ، فنقول : وكل عدد مجذور اذا زيد عليه جذراه وواحد كان المجتمع من ذلك مجذوراً وكل عدد مجذور اذا انتقص منه جذراه الا واحداً يكون الباقي مجذوراً وكل عددين مجذورين على الولاء اذا ضرب جذر احدهما فى جذر الآخر وزيد عليه ربع يكون الجملة مجذوراً مثال ذلك : جذر أربعة وهو اثنان فى جذر تسعة وهو ثلاثة فيكون ستة وزيد عليه ربع يكون ستة وربعا جذرها اثنان ونصف فاذا ضرب الاثنان والنصف فى مثله كان ستة وربعاً جذرها اثنان ونصف وكل عددين مجذورين على الولاء اذا ضرب جذر أحدهما فى جذر الآخر يخرج بينهما عدد وسط وتكون ثلاثتها فى نسبة واحدة مثال ذلك : أربعة وتسعة فانهما عددان مجذوران وجذراهما اثنان وثلاثة واثنان فى ثلاثة ستة فنسبة الاربعة الى الستة كنسبة الستة الى التسعة وعلى هذا القياس يعتبر سائرها

﴿ فصل ﴾

فى مسائل من المقالة الثانية من كتاب اقليدس فى الاصول

كل عددين قسم أحدهما بأقسام كم كانت فان ضرب أحدهما فى الآخر مساو لضرب الذي لم يقسم فى جميع أقسام العدد المقسوم قسما قسما مثال ذلك عشرة وخمسة عشر وقسم الخمسة عشر ثلاثة أقسام سبعة وثلاثة وخمسة فنقول « ا » ان

ضرب العشرة في خمسة عشر مساو لضرب العشرة في سبعة وفي ثلاثة وفي خمسة «ب» كل عدد قسم بأقسام كم كانت فان ضرب ذلك العدد في مثله مساو لضربه في في جميع أقسامه مثال ذلك عشرة قسمت بقسمين سبعة وثلاثة فأقول ان ضرب العشرة في نفسها مساو لضربها في سبعة وفي ثلاثة «ج» كل عدد قسم بقسمين فنقول ان ضرب ذلك العدد في أحد قسميه مساو لضرب ذلك القسم في نفسه وفي القسم الآخر مثال ذلك عشرة قسمت بقسمين ثلاثة وسبعة فأقول ان ضرب العشرة في سبعة مساو لضرب سبعة في نفسها وثلاثة في سبعة «د» كل عدد قسم قسمين فأقول ان ضرب ذلك العدد في نفسه مساو لضرب كل قسم في نفسه وأحدهما في الآخر مرتين مثال ذلك عشرة قسمت قسمين سبعة وثلاثة فأقول ان ضرب العشرة في نفسها مساو لضرب سبعة في نفسها وثلاثة في نفسها وسبعة في ثلاثة مرتين «ه» كل عدد قسم بنصفين ثم بقسمين مختلفين فان ضرب احد المختلفين في الآخر وضرب التفاوت في نفسه مساو لضرب نصف ذلك العدد في نفسه مثاله عشرة قسمت بنصفين ثم بقسمين مختلفين ثلاثة وسبعة فنقول ان ضرب السبعة في ثلاثة والتفاوت في نفسها وهو اثنان مجموعا مساو لضرب الخمسة في نفسها «و» كل عدد قسم بنصفين ثم يزاد فيه زيادة ما فأقول ان ضرب ذلك العدد مع الزيادة في تلك الزيادة ونصف العدد في نفسه مجموعا يكون مساوياً لضرب نصف ذلك العدد مع الزيادة في نفسه، مثاله عشرة قسمت بنصفين ثم زيد عليه اثنان فنقول ان ضرب الاثنى عشر في اثنين وخمسة في نفسها مجموعاً مساو لضرب الاثنين وخمسة مجموعاً في نفسه «ز» كل عدد قسم بقسمين فأقول ان ضرب ذلك العدد في نفسه وضرب أحد القسمين في نفسه مجموعا مساو لضرب ذلك العدد في ذلك القسم مرتين، وضرب القسم الآخر في نفسه مجموعا مثاله عشرة قسمت بقسمين سبعة وثلاثة فأقول ان ضرب العشرة في نفسها وسبعة في نفسها مجموعا مساو لضرب العشرة

في سبعة مرتين وثلاثة في نفسها مجموعا «ح» كل عدد قسم بقسمين ثم زيد عليه مثل أحد القسمين فنقول ان الذي يكون من ضرب جميع ذلك في نفسه مساو لضرب ذلك العدد قبل الزيادة في تلك الزيادة أربع مرات والقسم الاخر في نفسه مثاله عشرة قسمت بقسمين سبعة وثلاثة ثم زيدت عليه ثلاثة فنقول ان ضرب الثلاثة عشر في نفسه مساو لضرب عشرة في ثلاثة أربع مرات وضرب سبعة في نفسه مرة واحدة «ط» كل عدد قسم بنصفين ثم بقسمين مختلفين فان الذي يكون من ضرب القسمين المختلفين كل واحد منهما في نفسه مجموعاً مثلا مايكون من ضرب نصف ذلك في نفسه وضرب التفاوت مابين العددين في نفسه مجموعاً مثال ذلك عشرة قسمت بنصفين ثم بقسمين مختلفين ثلاثة وسبعة فأقول ان الذي يكون من ضرب سبعة في نفسها وثلاثة في نفسها مجموعاً مثلا مايكون من ضرب الخمسة في نفسها ومن ضرب الاثنين الذي هو التفاوت مابين القسمين في نفسه مجموعاً «ى» كل عدد قسم بنصفين ثم زيد فيه زيادة ما فان الذي يكون من ضرب ذلك العدد مع الزيادة في نفسه وضرب الزيادة في نفسها مجموعاً مثلا مايكون من ضرب نصف العدد مع الزيادة في نفسه وضرب نصف العدد في نفسه مثال ذلك عشرة قسمت بنصفين ثم زيد عليها اثنان فأقول ان ضرب الاثنى عشر في نفسه والاثنين في نفسه مجموعاً مثلا مايكون من ضرب سبعة في نفسها وخمسة في نفسها مجموعاً

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، انه انما قدم الحكماء النظر في علم العدد قبل النظر في سائر العلوم الرياضية لان هذا العلم مركوز في كل نفس بالقوة وانما يحتاج الانسان الى التأمل بالقوة الفكرية حسب ، من غير أن يأخذ لها مثالا من علم آخر بل منه يؤخذ المثال على كل معلوم . وأما ما أشرنا اليه من المثالات التي بالخطوط في هذه الرسالة فانما تلك للمتعلمين المبتدئين الذين قوة أفكارهم ضعيفة فأما من كان منهم فهما ذكيا فغير محتاج اليها

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه ان أحد أغراضنا من هذه الرسالة ماقد بينا فى أولها وأما الغرض الآخر فهو التنبيه على «علم النفس» والحث على معرفة جوهرها وذلك ان العاقل الذهين اذا نظر فى علم العدد وتفكر في كمية أجناسه وتقاسيم أنواعه وخواص تلك الانواع علم انها كلها اعراض وجودها وقوامها بالنفس فالنفس اذاً جوهر لان العرض لا يكون له قوام إلا بالجوهر ولا يوجد إلا فيه

***

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن غرض الفلاسفة الحكماء من النظر في العلوم الرياضية وتخريجهم تلامذتهم بها انما هو السلوك والتطرق منها الى علوم الطبيعيات ، وأما غرضهم في النظر فى الطبيعيات فهو الصعود منها والترقي الى العلوم الالهية الذي هو اقصى غرض الحكماء والنهاية التى اليها يرتقى بالمعارف الحقيقية ولما كان أول درجة من النظر فى العلوم الالهية هو معرفة جوهر النفس والبحث عن مبدأها من أين كانت قبل تعلقها بالجسد والفحص عن معادها الى أين تكون بعد فراق الجسد الذي يسمى الموت وعن كيفية ثواب المحسنين كيف يكون فى عالم الارواح وعن جزاء المسيئين كيف يكون فى دار الآخرة وخصلة أخرى ايضا لما كان الانسان مندوباً الى معرفة ربه ولم يكن له طريق الى معرفته الا بعد معرفة نفسه كما قال الله تعالى «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه» أي جهل النفس وكما قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه وقد قيل ايضا اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وجب على كل عاقل طلب علم النفس ومعرفة جوهرها وتهذيبها وقد قال الله تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » وقال الله تعالى حكايه عن امرأة العزيز فى قصة يوسف عليه السلام «ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربي» وقال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى» وقال تعالى «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها» وقال

تعالى «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية» وقال تعالى «الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها» وآيات كثيرة في القرآن ودلالات على وجود النفس وعلى تصرف حالاتها وهى حجة على الجرميين المنكرين أمر النفس ووجدانها

وأما أولئك الحكماء الذين كانوا يتكلمون فى علم النفس قبل نزول القرآن والانجيل والتوراة فانهم لما بحثوا عن علم النفس بقرائح قلوبهم واستخرجوا معرفة جوهرها بنتائج عقولهم دعاهم ذلك الى تصنيف الكتب الفلسفية التى تقدم ذكرها في أول هذه الرسالة ، ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن فهم معانيها ولا عرف أغراض مؤلفيها انغلق على الناظرين في تلك الكتب فهم معانيها وثقلت على الباحثين أغراض مصنفيها ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى أغراض واضعيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الاختصار فى اثنتين وخمسين رسالة أولها هذه ثم يتلوها أخواتها على الولاء كترتيب العدد تجدها ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد النبى وآله الطاهرين وسلم تسليما

الرسالة الثانية

من القسم الرياضي

الموسومة بجومطريا في الهندسة وبيان ماهيتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أم ما يشركون

اعلم ايها الاخ البار الرحيم ، ايدك الله وايانا بروح منه ، انا قد فرغنا من رسالة العدد في الارثماطيقي وبينا من خواص العدد قدر الكفاية والجهد وانتقلنا من تلك الرسالة الى هذه الرسالة التي هي الثانية من رسائل الرياضيات في المدخل الى علم الهندسة فنقول :

اعلم بان العلوم التي كان القدماء يخرجون اولادهم بها ويروضون بها تلامذتهم أربعة أجناس ، أولها العلوم الرياضيات ، والثاني العلوم المنطقيات والثالث العلوم الطبيعيات ، والرابع العلوم الالهيات فالرياضيات ، أربعة أنواع أولها الارثماطيقي وهو معرفة العدد وكمية أجناسه وخواصه وأنواعه وخواص تلك الانواع . ومبدأ هذا العلم من الواحد الذي قبل الاثنين . والثاني : « الجومطريا » وهو علم الهندسة وهي معرفة المقادير والابعاد وكمية أنواعها وخواص تلك الانواع ومبدأ هذا العلم من النقطة التي هي طرف الخط أي نهايته والثالث الاسطرنوميا يعني علم النجوم وهو معرفة تركيب الافلاك وتخطيط البروج وعدد الكواكب وطبائعها ودلائلها على الاشياء الكائنات في هذا العلم من حركة الشمس . والرابع الموسيقى وهو معرفة التأليفات والنسب بين الاشياء المختلفة والجواهر المتضادة

القوى ومبدأ هذا العلم من نسبة المساواة نسبة الثلاثة الى الستة كنسبة الاثنين الى الاربعة

وأما المنطقيات فهي معرفة معاني الاشياء الموجودة التى هي مصورة فى أفكار النفوس ومبدأها من الجوهر، وأما الطبيعيات فهي معرفة جواهر الاجسام وما يعرض لها من الاعراض ومبدأ هـذا العلم من الحركة والسكون ، وأما الالهيات فهي معرفة الصور المجردة المفارقة للهيولى ومبدأ هذا العلم من معرفة جوهر النفس كالملائكة والنفوس والشياطين والجن والارواح بلا أجسام وان الاجسام عندهم ذوو ابعاد ثلاثة ومبدأ هذا العلم من جوهر النفس . وقد عملنا فى كل نوع من هذه العلوم رسالة شبه المدخل والمقدمات فأولها رسالة فى العدد قبل هذه وقد بينا فيها طرفا من خواص الاعداد وكمية أنواعها وكيفية نشوئها من الواحد الذي قبل الاثنين ، ونريد ان نبين ونذكر في هذه الرسالة أصل الهندسة التى هي أصل المقادير الثلاثة وكمية أنواعها وخواص تلك الانواع وكيفية نشوئها من النقطة التى هي رأس الخط وانها فى صناعة الهندسة مثل الواحد فى صناعة العدد

واعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه ، ان الهندسة يقال على نوعين عقلية وحسية ، فالحسية هي معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض وهي مايرى بالبصر ويدرك باللمس والعقلى بضد ذلك وهو مايعرف ويفهم فالذي يرى بالبصر هو الخط والسطح والجسم ذوو الابعاد وما يعرض فيها كما ان الثقل فى الثقيل لا يعرف الا بالعقل والثقل عين الثقيل والمقادير ثلاثة أنواع وهي الخطوط والسطوح والاجسام وهذه الهندسة تدخل في الصنائع كلها وذلك ان كل صانع اذا قدر فى صناعته قبل العمل فهو ضرب من الهندسة العقلية فهى معرفة الابعاد وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض وهى مايتصور فى النفس بالفكر وهى ثلاثة أنواع الطول والعرض والعمق وهذه الابعاد العقلية صفات لتلك المقادير الحسية وذلك ان الخط هو

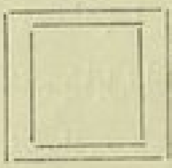
أحد المقادير وله صفة واحدة وهي الطول حسب. وأما السطح فهو مقدار ثان وله صفتان وهما الطول والعرض. واما الجسم فهو مقدار ثالث وله ثلاث صفات وهي الطول والعرض والعمق

واعلم ان النظر في هذه الابعاد مجردة عن الاجسام من صناعة المحققين فنبدأ أولا بوصف الهندسة الحسية لانها اقرب الى فهم المتعلمين فنقول :

ان الخط الحسي الذي هو أحد المقادير أصله النقطة كما بينا قبل في الرسالة التي في خواص العدد بأن الواحد أصل العدد وذلك ان النقطة الحسية اذا انتظمت ظهر الخط بحاسة النظر مثل هذا . . . . . فانا لا نقول ان هذه النقطة شيء لا جزء له لكن النقطة العقلية هي التي لا جزء لها، ونقول أيضا الخط أصل السطح كما ان النقطة أصل الخط وكما ان الواحد أصل الاثنين، والاثنان أصل لعدد الزوج كما بينا قبل ذلك وذلك ان الخطوط اذا تجاورت ظهر السطح لحاسة البصر مثل هذا



ونقول ان السطح أصل للجسم كما ان الخط أصل للسطح والنقطة أصل للخط كما ان الواحد أصل الاثنين والاثنان والواحد أصلان لاول الفرد كما بينا قبل ذلك وذلك ان السطوح اذا تراكمت بعضها فوق بعض ظهر الجسم لحاسة النظر مثل هذا



﴿ فصل في أنواع الخط ﴾

فنقول : الخطوط ثلاثة أنواع أولها المستقيم وهو مثل الذي يخط بالمسطر على ما يرى في هذه الصورة مثل هذا ———— والثاني المقوس وهو مثل الذي يخط بالبركار مثل هذا  والثالث الخط المنحنى وهو المركب منهما مثل هذا ـ⌒ـ فهذه أنواع الخطوط الثلاثة

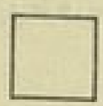
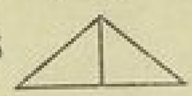
﴿ فصل في ألقاب الخطوط المستقيمة ﴾

فنقول : ان الخطوط المستقيمة اذا أضيف بعضها الى بعض اما ان تكون متساوية أو متوازية أو متلاقية أو مماسة أو متقاطعة، فالمتساوية هي التي طولها

واحد مثال هذا ═══ والمتوازية هي التي اذا كانت في سطح واحد واخرجت في كلتى الجهتين اخراجا دائما لا يلتقيان ابدا مثل هذا ═══ والمتلاقية هى التى تلتقى في احدى الجهتين وتحيط بزاوية واحدة مثل هذا ∠ والمماسة هي التي تماس احداهما الاخرى وتحدث زاويتين أو زاوية مثل هذا المثال  والمتقاطعة التى تقطع احداهما الاخرى وتحدث من تقاطعهما أربع زوايا مثل هذا  فهذه القاب الخطوط المستقيمة

﴿فصل في أسماء الخط المستقيم﴾

اذا قام خط مستقيم على خط آخر قياما مستويا من غير ميل الى طرف يقال عند ذلك للخط القائم العمود وللقائم عليه القاعدة مثل هذا  واذا أضيف الخطان الى زاوية يقال لهما الساقان لتلك الزاوية مثل هذا ∠

واذا قام خط مستقيم على خط وللخط القائم ميل الى أحد الطرفين يحصل زاويتان احداهما أكبر يقال لها المنفرجة والاخرى أصغر يقال لها الحادة وكل خط مستقيم يقابل زاوية مايقال له وتر تلك الزاوية التى يقابلها مثل هذا △ والخطوط اذا أضيفت الى سطح مايقال لها اضلاع ذلك السطح مثل هذا  وكل خط يخرج من زاوية وينتهي الى أخرى يقال له قطر المربع مثل هذا  وكل خط يخرج من زاوية المثلث وينتهي الى الضلع المقابل لها ويقوم على الخط المقابل لها على زوايا قائمة يقال لذلك الخط مسقط الحجر ويقال له العمود أيضا ويقال للخط الذي وقع عليه مسقط الحجر القاعدة مثل هذا  فهذه أسماء الخطوط المستقيمة

﴿فصل في أنواع الزوايا﴾

نقول : ان الزوايا على نوعين مسطح ومجسم والمسطحة هى التى يحيط بها

خطان على غير استقامة مثل هذا  والمجسمة هي التي تحيط بها ثلاثة خطوط في زاوية كل اثنين زاوية على غير استقامة

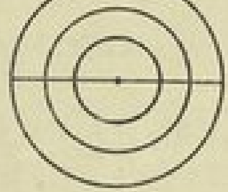
﴿ فصل في أنواع الزوايا المسطحة ﴾

تتنوع من جهة الخطوط ثلاثة أنواع اما من خطين مستقيمين مثل هذا  أو خطين مقوسين مثل هذا أو احدهما مقوس والآخر مستقيم . والزوايا التي تحيط بها خطوط مستقيمة تتنوع من جهة الكيفية ثلاثة أنواع قائمة ومنفرجة وحادة ، فالقائمة هي التي اذا قام خط مستقيم على خط آخر مستقيم قياما مستويا حدث عن جنبيه زاويتان متساويتان وكل واحدة منهما يقال لها زاوية قائمة مثل هذا  واذا قام ذلك الخط قياما غير مستو على خط مستقيم حدث عن جنبيه زاويتان مختلفتان احداهما أكبر من القائمة يقال لها المنفرجة والاخرى أصغر من القائمة يقال لها الحادة ومجموعهما مساو لقائمتين لان الزاوية الحادة تنقص عن القائمة بمقدار زيادة المنفرجة على القائمة على هذا المثال  فهذا عدد أنواع الزوايا

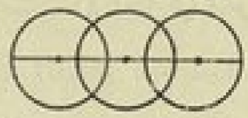
﴿فصل في أنواع الخطوط القوسية﴾

فنقول : ان الخطوط القوسية أربعة أنواع منها محيط الدائرة ومنها نصف الدائرة ومنها أكثر من نصف الدائرة ومنها أقل من نصف الدائرة ومركز الدائرة هي النقطة التي في وسط الدائرة وقطر الدائرة هو الخط المستقيم الذي يقطع الدائرة بنصفين والوتر الخط المستقيم الذي يصل بين طرفي الخط المقوس والسهم هو الخط المستقيم الذي يفصل الوتر والقوس كل واحد منهما بنصفين ، وهو اذا أضيف الى نصف القوس يقال له عند ذلك الجيب المعكوس واذا أضيف نصف الوتر الى نصف القوس يقال له عند ذلك الجيب المستوى والخطوط المقوسة المتوازية هي التي

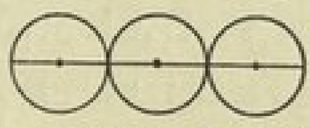
مركزها واحد مثل هذا



والخطوط القوسية المتقاطعة هي التي مراكزها مختلفة مثل هذا



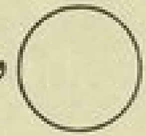
والخطوط القوسية المماسة هي التي تماس بعضها بعضاً اما من داخل أوخارج ولا



يتقاطع مثل هذا

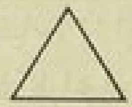
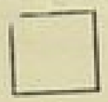
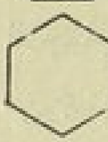
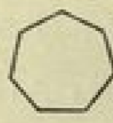
واما الخطوط المنحنية فقد تركنا ذكرها لانها غير مستعملة فاعلم جميع ذلك

﴿ فصل في ذكر السطوح ﴾

فنقول: السطح هو شكل يحيط به خط أو خطوط. والدائرة هي شكل يحيط به خط واحد مثل هذا  وفى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة التي تخرج منها وينتهي الى جهتين مساو بعضهما لبعض. ونصف الدائرة شكل يحيط به خطان أحدهما مقوس والآخر مستقيم مثل هذا  وقطعة الدائرة هو شكل يحيط به خط مستقيم وقوس من محيط الدائرة إما أكبر من نصفه واما أصغر حسب ما بينا وأوردنا مثالها قبل هذا

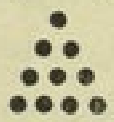
(فصل فى الاشكال المستقيمة الخطوط وأنواعها)

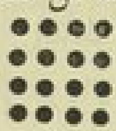
فنقول: الاشكال التي يحيط بها خطوط مستقيمة أولها الشكل المثلث وهو

لذى يحيط به ثلاثة خطوط وله ثلاث زوايا مثل هذا  ثم المربع وهو
الذى يحيط به أربعة خطوط مستقيمة وأربع زوايا قائمات مثل هذا 
ثم المخمس وهو شكل يحيط به خمسة خطوط وله خمس زوايا مثل هذا 
ثم المسدس وهو الذى يحيط به ستة خطوط وله ست زوايا مثل هذا 
وبعده المسبع مثل هذا  وعلى هذا القياس تتزايد الاشكال كتزايد العدد

فصل

وقد بينا ان الخطوط يظهر طولها لحاسة البصر من النقطة اذا انتظمت فاقصر خط من نقطتين مثل هذا •• ثم من ثلاث مثل هذا ••• ثم من أربع مثل هذا •••• ثم من خمس مثل هذا ••••• ويتزايد واحداً بعد واحد كتزايد العدد على النظم الطبيعى . وأصغر شكل المثلث من ثلاثة أجزاء مثل هذا .·. ثم من أربعة أجزاء مثل هذا :: ثم من عشرة أجزاء مثل هذا



وعلى هذا القياس يتزايد كما يتزايد جمع العدد على النظم الطبيعى . وأما الاشكال المربعات فأولها تظهر فى أربعة أجزاء مثل هذا :: وبعده من تسعة أجزاء مثل هذا  وبعده من ستة عشر مثل هذا 

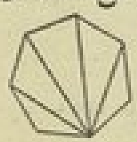
وبعده من خمسة وعشرين جزءاً مثل هذا



وعلى هذا القياس تتزايد المربعات دائما كتزايد جمع العدد على نظم طبيعة الافراد وتكون كلها مجذورات

« فصل فى بيان المثلث انه اصل لجميع الاشكال »

فنقول: ان الشكل المثلث أصل لجميع الاشكال المستقيمة الخطوط كما ان الواحد اصل لجميع العدد والنقطة اصل للخطوط والخط اصل للسطوح والسطح اصل للاجسام كما بينا قبل، وذلك انه اذا أضيف شكل مثلث الى شكل آخر مثله حدث من جملتهما شكل مربع مثل هذا  واذا اضيف اليهما شكل آخر مثلث حدث من ذلك شكل مخمس . وان اضيف اليها شكل آخر مثلث حدث شكل مسدس وان اضيف اليها شكل آخر حدث من ذلك شكل مسبع مثل هذا

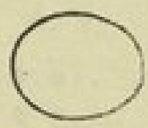


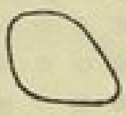
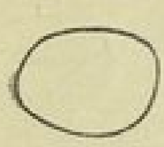
وعلى هذا القياس تحدث الاشكال المستقيمة الخطوط الكثيرة الزوايا من الشكل المثلث اذا ضم بعضها الى بعض وتتزايد دائما بلا نهاية كتزايد العدد من الآحاد اذا ضم بعضها الى بعض دائما بلا نهاية كما بينا قبل

وقد تبين ان من الشكل المثلث تتركب الاشكال المستقيمة الخطوط وان من السطح تتركب الاجسام وان من الخطوط تتركب السطوح وان من النقطة تتركب الخطوط كما ان من الواحد يتركب العدد فان النقطة في صناعة الهندسة كالواحد فى صناعة العدد وكما ان الواحد لاجزء له فكذلك النقطة العقلية لاجزء لها

« فصل فى أنواع السطوح »

السطوح من جهة الكيفية تتنوع ثلاثة أنواع مسطحا ومقعرا ومقببا فالمسطح كوجوه الالواح والمقعر كقعر الاوانى والمقبب كظهر القباب ومن . الاشكال

مايسمى البيضى مثل هذا  ومنها الهلالى مثل هذا 

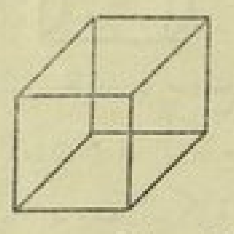
ومنها المخروط الصنوبري مثل هذا  ومنهـا الاهليلجي 

ومنها نيم خانجي مثل هذا  ومنها الطبلي مثل هذا 

ومنها الزيتوني مثل هذا 

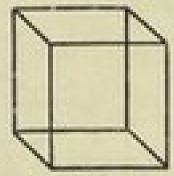
﴿ فصل في ذكر الاجسام ﴾

فنقول : السطوح هي نهايات الاجسام ونهايات السطوح الخطوط ونهايات الخطوط هي النقط. وذلك ان كل خط لابد أن يبتدىء من نقطة وينتهي الى أخرى ، فكل سطح ينتهي الى خط أو خطوط وكل جسم فلابد من أن ينتهي الى سطح أو سطوح فمن الاجسام مايحيط به سطح واحد وهي الكرة ومنها مايحيط به سطحان وهو نصف الكرة وذلك ان سطحاً منه مقبب وسطحاً مدور. ومن الاجسام مايحيط به ثلاثة سطوح وهو ربع الكرة ومنها مايحيط به أربعة سطوح مثلثات ويسمى الشكل النارى ومنها مايحيط به خمسة سطوح ومنها مايحيط به ستة سطوح مربعات فمنها المكعب ومنها اللبنى ومنها البئرى ومنها اللوحي . فالجسم المكعب هو الذى طوله مثل عرضه وعرضه مثل سمكه وله ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله ثمانى زوايا مجسمة وأربع وعشرون زاوية مسطحة واثناعشر ضلعاً متساوية كل أربعة منها متوازية وهذه صورتها

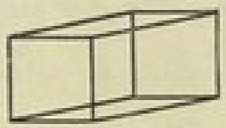


وأما الجسم البئري فهو الذي طوله مثل عرضه وسمكه أكبر منهما وله ستة سطوح مربعات اثنان منها متقابلان متساويا الاضلاع قائما الزوايا وأربعة منها ضيقات مستطيلات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثنا عشر ضلعاً أربعة منها طوال متساوية متوازية وثمانية قصار متساوية متوازية وله ثمانى زوايا مجسمة

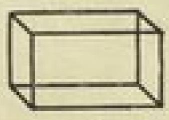
وأربع عشرون زاوية مسطحة



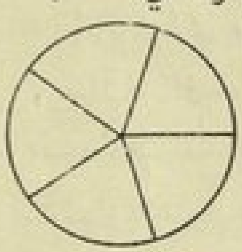
وأما الجسم اللوحي فهو الذي طوله اكبر من عرضه وعرضه أكبر من سمكه وله ستة سطوح مربعات اثنان منها طويلان متقابلان متسعان ومتساويا الاضلاع قائما الزوايا وسطحان آخران قصيران ضيقان متساويا الاضلاع قائما الزوايا وله اثناعشر ضلعاً أربعة منها طوال وأربعة منها قصار وأربعة أقصر من ذلك وله ثماني زوايا مجسمة وأربع وعشرون زاوية مسطحة مثل هذا



وأما الجسم اللبني فهو الذي طوله مثل عرضه وسمكه أقل منهما وله ستة سطوح مربعات اثنان منها واسعان متقابلان متساويا الاضلاع قائما الزوايا وأربعة منها ضيقات مستطيلات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثناعشر ضلعاً أربعة منها قصار متساوية متوازية وثمانية منها طوال متساوية كل أربعة منها متوازية ولها ثماني زوايا مجسمات وأربع وعشرون زاويه مسطحة مثل هذا

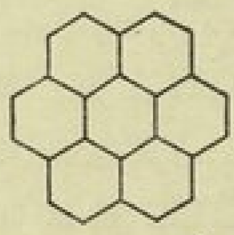


وأما الجسم الكري فهو الذي يحيط به سطح واحد وفي داخله نقطة وكل الخطوط المستقيمه الخارجة من تلك النقطة الى سطح الكرة متساوية يقال لتلك النقطة مركز الدائرة واذا دارت الكرة فيكون في سطحها نقطتان متقابلتان ساكنتان يقال لهما قطب الكرة مثل هـذا واذا وصل بينهما بخط مستقيم جاز ذلك الخط على مركز الكرة يقال له محور الكرة واذا اتصل الخط من نقطة الى نقطة فهو المحور

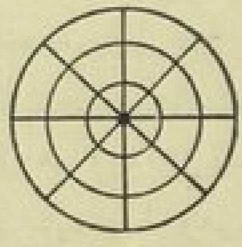


وإذ قد ذكرنا طرفاً من أصل الهندسة الحسية شبه المدخل والمقدمات وقلنا ان هذا العلم يحتاج اليه أكثر الصناع فلنبين ذلك. وهو التقدير قبل العمل لان كل صانع يؤلف الاجسام بعضها الى بعض ويركبها فلابد له ان يقدر اولا المكان في أى موضع يعملها والزمان في أي وقت يعملها ويبتدىء فيها والامكان هل يقدر عليه أم لا وبأي آلة وأدوات يعملها وكيف يؤلف أجزاءها حتى تلتئم وتأتلف فهذه هي الهندسة التي تدخل في أكثر الصنائع التي هي تأليف الاجسام بعضها الى بعض

واعلم ان كثيراً من الحيوانات تعمل صنعة طبيعية قد جبلت عليها بلا تعليم كالنحل في اتخاذها البيوت وذلك انها تبنى بيوتها مطبقات مستديرات الشكل كالأتراس بعضها فوق بعض وتجعل ثقب البيوت كلها مسدسات الاضلاع والزوايا لما في ذلك من اتقان الحكمة لان من خاصية هذا الشكل انه أوسع من المربع والمخمس وأنها تكشف تلك الثقوب حتى لا يكون بينها خلل فيدخل الهواء فتفسد العسل فيعفن العسل وهذا مثال ذلك



وهكذا العنكبوت تنسج شبكتها في زوايا البيت والحائط شفقة عليها من تخريق الرياح لها وتمزيق حملها وأما كيفية نسجها فهو أن تمد سداها على الاستقامة وخيوط لحمتها على الاستدارة لما فيه من سهولة العمل وهذا مثال ذلك



ومن الناس من يستخرج صناعة بقريحته وذكاء نفسه لم يسبق اليها وأما أكثر الصناع فانهم يأخذونها توقيفاً وتعليما من الاستاذين

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان علم الهندسة يدخل في الصنائع كلها وخاصة في المساحة وهي صناعة يحتاج اليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والعقارات في معاملاتهم من جباية الخراج وحفر الانهار وعمل البريدات وماشا كلها

ثم اعلم بان المقادير التي تمسح بها الاراضي بالعراق خمسة مقادير وهي الاشل والباب والذراع والقبضة والاصبع . واعلم بان الاصبع الواحدة غلظها ست شعيرات مصفوفة مضمومة ظهور بعضها الى بطون بعض والقبضة الواحدة أربع أصابع والذراع الواحد ثماني قبضات وهو اثنان وثلاثون أصبعا والباب طوله ستة أذرع وهي ثمان وأربعون قبضة وهو مائة واثنان وتسعون أصبعا والاشل حبل طوله عشرة أبواب وهو ستون ذراعا وأربعمئة وثمانون قبضة والف وتسع مئة وعشرون أصبعا واعلم بانك اذا ضربت هذه المقادير بعضها في بعض فالذي يخرج منها يسمى تكسيراً فاذا جمعت فيكون منها جريبات وقفيزات وعشيرات واما حسابها فهو ان القبضة الواحدة في مثلها تكون ستة عشر أصبعاً والذراع الواحدة في مثلها تكون أربعاً وستين قبضة مكسرة والفا وأربعة وعشرين أصبعا مكسرة وهو تسع ربع عشر عشير الجريب والباب الواحد في مثله يكون ستة وثلاثين ذراعا مكسرة وهذه صورتها ٣٦ وهو ٢٣٠٤ قبضات مكسرة وهو ٣٦٨٦٤ أصبعا مكسرة وهو عشر عشير الجريب

واما الاشل في مثله فيكون جريبا وهو عشرة اقفزة وهو مائة عشير وهذه صورتها ٣٦٠٠ ذراعا مكسرة وهو ٢٣٠٤٠٠ قبضة مكسرة وهو ٣٦٨٦٤٠٠ أصبعا مكسرة واما القفيز فهو عشرة اعشار وهو عشرة أبواب مكسرة وهو من ضرب تسعة عشر ذراعا الا شيئاً يسيراً في مثله وهو ثلاثمائة وستون ذراعا واما

العشير فهو من ضرب باب واحد في مثله وهو ٣٦ ذراعا مكسرة وهو ٢٣٠٤ قبضات مكسرة وهو ٣٦٨٦٤ أصبعا مكسرة والاشوال في الاشوال الواحد ها جريب وعشرتها عشرة أجربة والاشوال في الابواب واحدها قفيز وعشرتها جريب والاشوال في الاذرع واحدها عشير وثلثا عشير وست منها قفيز والاشل في القبضات واحدها سدس عشير وربع سدس عشير وكل ثلاثة اخماس منها عشير وكل ٣٦ منها قفيز والاشل في الاصابع كل واحد منها ربع سدس عشير وربع ربع سدس عشير وكل عشرة منها ربعا عشير وسدس ثمن عشير والابواب في الابواب واحدها عشير وعشرتها قفيز والابواب في الاذرع واحدها سدس عشير وستة منها عشير والابواب في القبضات كل واحد منها ثلاثة أرباع ربع تسع عشير. والابواب في الاصابع كل خمسة وثمانين منها ثلث عشير وربع سدس عشير وتسع عشير تقريبا وكل أربعة منها ثلاثة أرباع وتسع عشير وكل مائة ثمان وعشرين منها ثلثا ثلث عشير والاذرع في الاذرع واحدها ربع تسع عشير. وكل أربع منها تسع عشير وكل مائة منها عشيران وثلثا عشير وتسع عشير فهذا شرح مساحة العرض والطول فاما مساحة العمق فهو ان تضرب الطول في العرض فما اجتمع من ذلك فاضربه في العمق وما يجتمع فهو تكسير المجسم والحاجة الى هذا العمل عند حفر الانهار والابار والحفائر والبريدات والمسنيات والاساسات للديار والبنيان وماشا كل ذلك

ثم اعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه انه قد تدخل الشبه في كل صناعة علمية على من يتعاطاها وليس من أهلها وكان ناقصا فيها أو ساهياً عنها مثال ذلك ما ذكروا ان رجلا باع من رجل آخر قطعة أرض بالف درهم على ان طولها مائة ذراع وعرضها مائة ذراع ثم قال له خذ مني عوضا عنها قطعتين من أرض كل واحدة منهما طولها خمسون ذراعا وعرضها خمسون ذراعا وتوهم ان ذلك حقه فتحا كما الى قاض غير مهندس فقضى بمثل ذلك خطأ ثم تحاكما الى حاكم من أهل الصناعة فحكم بان ذلك نصف حقه . وهكذا أيضا ذكر أن رجلا استأجر رجلا على ان

يحفر له بركة طولها أربعة أذرع في عرض أربعة أذرع في عمق أربعة أذرع بثمانية دراهم لحفر له ذراعين في ذراعين طولا وعرضا وعمقا فطالبه باربعة دراهم نصف الاجرة فتنازعا وتحاكما الى مفت غير مهندس فحكم بان ذلك حقه ثم تحاكما الى أهل الصناعة فحكموا له بدرهم واحد. وقيل لرجل يتعاطى الحساب ولم يكن من أهله كم نسبة الف الف الى الف الف الف فقال ثلثان فقال أهل الصناعة انه عشر عشر العشر فعلى هذا المثال تدخل الشبهة على كل من يتعاطى صناعة وليس من أهلها ومن أجل هذا قيل استعينوا على كل صنعة باهلها

﴿ فصل في حاجة الانسان الى التعاون ﴾

اعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه، بأن الانسان الواحد لا يقدر ان يعيش وحده الا عيشا نكدا لانه محتاج الى طيب العيش من إحكام صنائع شتى ولا يمكن الانسان الواحد ان يبلغها كلها لان العمر قصير والصنائع كثيرة فمن أجل هذا اجتمع في كل مدينة أو قرية اناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضا وقد أوجبت الحكمة الالهية والعناية الربانية بان يشتغل جماعة منهم باحكام الصنائع وجماعة في التجارات وجماعة باحكام البنيان وجماعة بتدبير السياسات وجماعة باحكام العلوم وتعليمها وجماعة بالخدمة للجميع والسعي فى حوائجهم لان مثلهم فى ذلك كمثل اخوة من أب واحد فى منزل واحد متعاونين فى أمر معيشتهم كل منهم في وجه منها فأما ما اصطلحوا عليه من الكيل والوزن والثمن والاجرة فان ذلك حكمة وسياسة ليكون حثا لهم على الاجتهاد فى أعمالهم وصنائعهم ومعاوناتهم حتى يستحق كل انسان من الاجرة بحسب اجتهاده في العمل ونشاطه فى الصنائع

واعلم يا أخي، أيدك الله وايانا بروح منه، أنه ينبغي لك ان تتيقن بأنك لا تقدر ان تنجو وحدك مما وقعت فيه من محنة هذه الدنيا وآفاتها بالجناية التي كانت من أبينا آدم عليه السلام لانك محتاج في نجاتك وتخلصك من هذه الدنيا التي هي عالم الكون والفساد ومن عذاب جهنم وجوار الشياطين وجنود إبليس أجمعين والصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات ومسكن العليين وجوار ملائكة الرحمن المقربين الى معاونة اخوان لك نصحاء وأصدقاء لك فضلاء متبصرين

بأمر الدين علماء بحقائق الامور ليعرفوك طرائق الآخرة وكيفية الوصول اليها والنجاة من الورطة التى وقعنا فيها كلنا بجناية أبينا آدم عليه السلام فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة المذكورة فى كتاب «كليلة ودمنة» وكيف نجت من الشبكة لتعلم حقيقة ماقلنا

واعلم ان الحكماء اذا ضربوا مثلا لامور الدنيا فانما غرضهم منه أمور الآخرة والاشارة اليها بضروب الامثال بحسب ماتحتمل عقول الناس فى كل مكان وزمان.

« فصل في الهندسة العقلية »

واذ قد ذكرنا طرفا من الهندسة الحسية شبه المدخل والمقدمات فنريد ان نذكر طرفا من الهندسة العقلية إذ كانت هى احد أغراض الحكماء الراسخين فى العلوم الآلهية المرتاضين بالرياضات الفلسفية وذلك ان غرضهم في تقديم الهندسة بعد علم العدد هو تخريج المتعلمين من المحسوسات الى المعقولات وترقيتهم لتلاميذهم وأولادهم من الامور الجسمانية الى الامور الروحانية

فاعلمْ ياأخى، ايدك الله وايانا بروح منه ، ان النظر فى الهندسة الحسية يؤدي الى الحذق فى الصنائع العملية كلها ، والنظر فى الهندسة العقلية يؤدى الى الحذق فى الصنائع العلمية ، لان هذا العلم هو أحد الابواب التى تؤدى الى معرفة جوهر النفس التى هي جذر العلوم وعنصر الحكمة وأصل الصنائع العلمية والعملية جميعاً أعنى معرفة جوهر النفس ، فاعلم جميع ماقلنا

« فصل »

الخط العقلى لايرى مجرداً الا بين السطحين وهو مثل الفصل المشترك الذى هو بين الشمس والظل واذا لم يكن شمس ولا فيء لم تر خطاً بنقطتين وهميتين فاذا توهمت ان قد تحركت احدى النقطتين وسكنت الاخرى حتى رجعت الى حيث ابتدأت بالحركة حدث فى فكرك السطح ، والسطح العقلي أيضا لايرى

بمجرده الا بين الجسمين وهو الفصل المشترك بين الماء والدهن والنقطة العقلية لاترى أيضا بمجردها الا حيث ينقسم الخط بنصفين بالوهم أي موضع وقعت للاشارة اليها فهى تنتهى هناك

واعلم ياأخى أنك اذا توهمت حركة هذه النقطة على سمت واحد حدث فى فكرك خط وهمى مستقيم واذا توهمت حركة هذا الخط فى غير الجهة التى تحركت اليها النقطة حدث فى فكرك سطح وهمى واذا توهمت حركة هذا السطح في غير الجهة التى تحرك اليها الخط والنقطة حدث في وهمك جسم وهمى له ستة سطوح مربعات قائمة الزوايا وهو المكعب ، وان كانت مسافة حركة السطح أقل من مسافه حركة الخط حدث من ذلك جسم لبنى وان كان أكثر من ذلك حدث من ذلك جسم بئرى وان كانت متساوية حدث مكعب

واعلم ياأخى بأن كل خط مستقيم مفروض في الوهم فلا بدله من نهايتين وهما رأساه ويسميان النقطتين الوهميتين واذا توهمت أنه تحركت احدى النقطتين وسكنت الاخرى حتى رجعت الى حيث ابتدأت بالحركة حدث في فكرك من ذلك سطح مدور وهمى وتكون النقطة الساكنة مركز الدائرة والنقطة المتحركة التى قد حدثت فى فكرك بحركتها محيط الدائرة

ثم اعلم بأن أول سطح يحدث من حركتها ثلث الدائرة ثم ربع الدائرة ثم نصف الدائرة ثم الدائرة واذا توهمت ان الخط المقوس الذى هو نصف محيط الدائرة سكن رأساه جميعا وتحرك الخط نفسه حتى يرجع الى حيث ابتدأ بالحركة حدث فى فكرك من حركتها جسم كرى . فقد بان لك بما ذكرنا ان الهندسة العقلية هي النظر فى الابعاد الثلاثة التى هي الطول والعرض والعمق خلواً من الاجسام الطبيعية وذلك ان الناظرين فى الهندسة الحسية التى تقدم ذكرها اذا ارتاضوا فيها وقويت افكارهم بالنظر فيها انتزعوا هذه الابعاد الثلاثة التى هي الخط والسطح والجسم وصورها فى نفوسهم لتلك الابعاد المصورة كالهيولى وهى فيها كالصورة يسمونها مقادير مساحية ويستغنون عن النظر الى المقادير الحسية

ثم يتكلمون عليها ويخبرون عن اجناسها وأنواعها وخواصها وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض فيقولون الخط هو مقدار ذو بعد واحد والسطح هو مقدار ذو بعدين والجسم هو مقدار ذو ثلاثة أبعاد والخط المستقيم هو أقصر خط وصل بين النقطتين والنقطة رأس الخط والخط المقوس هو الخط الذي لا يمكن أن يفرض عليه ثلاثة فقط على سمت واحد والزوايا ما بين خطين على غير استقامة والشكل ما أحاط به خط واحد أو خطوط والدائرة شكل يحيط به خط واحد يقال له المحيط وفي داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة المخرجة منها اليه متساوية والمثلث شكل يحيط به ثلاثة خطوط وثلاث زوايا والمربع شكل يحيط به أربعة خطوط وله أربع زوايا قائمات وعلى هذا القياس والمثال سائر ما يتكلمون به في أشكال الهندسة من غير اشارة الى جسم من الاجسام الطبيعية

﴿ فصل في حقيقة الابعاد في الهندسة العقلية ﴾

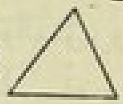
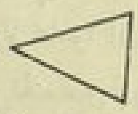
واعلم بان كثيراً من المهندسين والناظرين في العلوم يظنون ان لهذه الابعاد الثلاثة، اعني الطول والعرض والعمق، وجودا بذاتها وقوامها ولا يدرون ان ذلك الوجود انما هو في جوهر الجسم أو في جوهر النفس وهي لها كالهيولى وهي فيها كالصورة اذا انتزعتها القوة المفكرة من المحسوسات. ولو علموا ان الغرض الاقصى من النظر في العلوم الرياضية انما هو ان ترتاض أنفس المتعلمين بان يأخذوا صور المحسوسات من طريق القوى الحساسة وتصورها في ذاتها بالقوة المفكرة حتى اذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم التي أدتها القوى الحساسة الى القوة المتخيلة والمتخيلة الى القوة المفكرة والمفكرة أدت الى القوة الحافظة مصورة في جوهر النفس، فاستغنت عند ذلك النفس عن استخدامها القوى الحساسة في ادراك المعلومات عند نظرها الى ذاتها ووجدت صور المعلومات كلها في جوهرها فعند ذلك استغنت عن الجسد وزهدت في السكون معه وانتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة ونهضت بقوتها واستقلت بذاتها وفارقت الاجسام وخرجت من بحر الهيولى ونجت من أسر الطبيعة واعتقت من عبودية الشهوات الجسمانية وتخلصت من حرقة الاشتياق الى اللذات الجرمانية، وشاهدت عالم الارواح، وارتقت الى هناك حيث قال « اليه يصعد

الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه» أراد به النفس الزكية، وجوزيت بأحسن الجزاء وهذا هو الغرض الاقصى من النظر في العلوم الرياضية التى كانوا يخرجون بها أولاد الحكماء وتلامذة القدماء. هكذا مذهب اخواننا الكرام، وفقك الله وإيانا سبيل الرشاد انه رؤف بالعباد .

﴿ فصل في خواص الاشكال الهندسية ﴾

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن للاشكال الهندسية خواص ولمجموعها خواص أيضا وقد بينا في رسالة الارثماطيقى طرفاً من خواص العدد فنريد ان نذكر في هذا الفصل طرفاً من خواص الاشكال الهندسية ليكون تنبيهاً للناظرين في هذين العلمين على الغرض منهما ويكون ايضا ارشاداً لطالبي خواص الاشياء وكيفية المسلك فيها. ونبدأ أولا بذكر المثلثات اذ كانت هي أول الاشكال الهندسية كما بينا في رسالة جومطريا فنقول :

ان الشكل المثلث هو الذي له ثلاثة أضلاع وثلاث زوايا وهو سبعة أنواع :—

أولها المتساوي الاضلاع الحاد الزوايا مثل هذا  والثاني الحاد الزوايا المتساوي الضلعين مثل هذا  والثالث الحاد الزوايا المختلف الاضلاع كهذا 

والرابع المتساوي الضلعين القائم الزاوية مثل هذا  والخامس القائم الزاوية المختلف الاضلاع مثل هـذا  والسادس المنفرج الزاوية المتساوي الضلعين هكذا  والسابع المنفرج الزاوية المختلف الاضلاع مثل هذا 

﴿ فصل في بيان تلك الخواص ﴾

واعلم يا أخي بأن لكل واحد من هذه المثلثات خاصية ليست للآخر، فقد تبين ذلك في كتاب اوقليدس في المقالة الاولى ببراهينها ولكن نذكر منها الخاصية التى تشتمل على سبعتها كلها . وذلك أن من خاصية كل شكل مثلث أي مثلث كان أنه لابد من ان يكون فيه زاويتان حادتان فاما الزاوية الثالثة فيمكن ان تكون

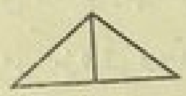
حادة أو قائمة أو منفرجة

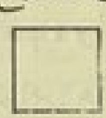
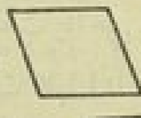
ومن خاصيتها ايضا ان ثلاث زوايا كل مثلث مجموعها مساو لزاويتين قائمتين ومن خاصيتها ايضا ان الضلع الأطول من كل مثلث بوتر الزاوية العظمى ومن خاصيتها ان كل ضلعين مجموعين من كل مثلث أطول من الضلع الثالث ومن خاصيتها أيضاً انه اذا أخرج ضلع من اضلاعه أي ضلع كان على استقامته فانه يحدث زاوية خارجة من المثلث وتكون هي اكبر من كل زاوية تقابلها ويكون مساويا للداخلتين المقابلتين لها. ومن خاصيتها ايضاً ان ضرب مسقط الحجر من كل مثلث في نصف قاعدتها هو مساحة ذلك المثلث

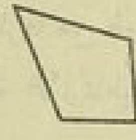
واما خاصية المثلث القائم الزاوية فهي ان مربع وتر الزاوية القائمة مساو للمربعين الكائنين من الضلعين

ومن خاصية المثلث الحاد الزاوية ان مربع الوتر اقل من مربع الضلعين الباقيين بمقدار مربع الضلع الذي وقع عليه العمود فيما بين مسقط العمود والزاوية مرتين

ومن خاصية المثلث المنفرج الزاوية ان مربع الوتر اكثر من مربع الضلعين بمقدار مربع احد الضلعين فيما هو خارج منه الى مسقط العمود مرتين مثل هذا



واما الشكل المربع فهو الذي له اربعة اضلاع واربع زوايا وهو خمسة انواع اولها المتساوي الاضلاع القائم الزوايا مثل هذا  والثاني المستطيل القائم الزوايا المتساوي كل ضلعين متقابلين مثل هذا  الثالث المعين وهو المتساوي الاضلاع المختلف الزوايا مثل هذا  والرابع الشبيه بالمعين وهو المتساوي كل ضلعين متقابلين مثل هذا  والخامس المختلف الاضلاع والزوايا مثل هذا



واعلم يااخي بان لكل واحد من هذه الاشكال خواص يطول شرحها ولكن نذكر الخاصية التى تشملها كلها وهي ان كل مربع اي مربع كان فان زواياه الاربع مجموعة تكون مساوية لاربع زوايا قائمة وان كل مربع يمكن ان ينقسم بمثلثين وان زيد عليه مثلث آخر صار منها شكل مجسم. واما الشكل المخمس فهو الذي يحيط به خمسة اضلاع وله خمس زوايا وهو اول الاشكال الكثيرة الزوايا المتساوي الاضلاع وانه يمكن ان يحيط بكل واحد منها دائرة ،ويمكن ان يحيط هو ايضاً بدائرة وان كل شكل منها الذي هو اكثر زوايا فهو اكثر واوسع مساحة من الذي هو اقل منه اذا كان المحيط بها مقدارا واحداوان ضرب عمود واحدمن تلك المثلثات في نصف قواعدها فهو مساحة ذلك الشكل الكثير الزوايا

ومن خاصية الشكل المسدس المتساوي الاضلاع ان كل ضلع من أضلاعه مساو لنصف قطر الدائرة التى تحيط به وبالجملة مامن شكل الا وله خاصية أوعدة خواص تركنا ذكرها مخافة التطويل فأما خواص الشكل المستدير فقد أفرد لها أوقليدس مقالة من كتابه ولكن نذكر منها طرفا فنقول:ان الشكل المستدير هو سطح يحيط به خط واحد وان مركزه في وسطه وان اقطاره كلها متساوية وانه اوسع من كل شكل كثير الزوايا اذا كان الذي يحيط به سطحاً واحداً وهو يشارك الدائرة في خواصها، ونسبته من سائر الاجسام كنسبة الدائرة من سائر السطوح .وقد تبين خواص هذا الشكل في المقالة الاخيرة من كتاب اوقليدس بشرح وبراهين

وبالجملة انك لو تأملت ياأخي غرض أوقليدس من البيان وعلم ما في سائر كتب الهندسة لوجدت كلها انما هو البحث عن خواص المقادير ومعرفة حقائقها التى هي الخطوط والسطوح والاجسام وما يعرض فيها من الابعاد والزوايا والمناسبات التى بين بعضها وبعض.واذ قد بينا طرفا من خواص الاشكال في هذه الرسالة وقبلها طرفا من خواص العدد في رسالة الارثماطيقي فنريد ان نذكر

طرفا من خواص مجموعهما وذلك انه اذا جمع بين بعض الاعداد وبين بعض الاشكال الهندسية ظهر منها خواص أخر لا يتبين في كل واحد منهما بمجرده مثال ذلك اذا كتب التسعة الاعداد في الشكل المتسع على هذه الصورة فان خاصيته في الشكل المتسع انه كيفما عد كانت الجملة خمسة عشر مثل هذا

٢	٧	٦
٩	٥	١
٤	٣	٨

وهكذا الستة عشر اذا كتب في الشكل ذى الستة عشر بيتا على هذ الصورة فان من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة اربعة وثلاثين مثل هذا

٤	١٤	١٥	١
٩	٧	٦	١٢
٥	١١	١٠	٨
١٦	٢	٣	١٣

وهكذا الخمسة والعشرون اذا كتب فى الشكل ذي الخمسة والعشرين بيتا على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة خمسة وستين مثل هذا

٢١	٣	٤	١٢	٢٥
١٥	١٧	٦	١٩	٨
١٠	١٤	١٣	٢	١٦
١٨	٤٧	٢٠	٩	١١
١	١	٢٢	٢٣	٥

وهكذا الستة والثلاثون اذا كتب في الشكل ذي الستة والثلاثين بيتاً على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة مئة واحد عشر مثل هذا

١١	٢٢	٣٢	٥	٢٣	١٨
٢٥	١٦	٧	٣	١٣	٢٠
٢٧	٦	٣٥	٣٦	٤	٣
١٠	٣١	١	٢	٣٣	٣٤
١٤	١٩	٨	٩	٢٦	١٥
٢٤	١٧	٢٨	٩	١٢	٢١

وهكذا التسعة والاربعون اذا كتب فى الشكل ذي التسعة والاربعين بيتاً على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عدكانت الجملة مئة وخمسة وسبعين مثل هذا

٨٤	١١	٨	٩	٦	٤٥	٤٩
٤	٣٧	٢٠	١٧	١٦	٣٥	٤٦
٢	١٨	٢٦	٢١	٣٨	٣٢	٤٨
٤٣	١٩	٢٧	٢٥	٢٣	٣١	٧
٣٨	٣٦	٢٢	٢٩	٢٤	١٤	١٢
٤٠	١٥	٣	٣٣	٣٤	٣	١٠
١	٣٩	٤٣	٣١	٤٤	٥	٣

وهكذا الاربعة والستون اذا كتب فى الشكل ذي الاربعة والستين بيتا على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة مئتين وستين وهذه صورتها

٥٢	٤٤	٤٢	٦٣	١	٢٨	٢٩	٧
٣٥	٥٦	٢٢	٤	٦٣	٣٠	٩	٤٠
٣٣	٢٥	١٢	٦٠	٦	٥٥	٣٦	٤٧
١٤	١٧	٤٧	٣٣	٣١	١٨	٤٨	٥٢
١٦	١٣	٥٠	٣٢	٥٤	١٥	٥١	٤١
٢٠	٢٩	١١	٥	٥٦	٥٣	٤٦	٣٧
٣٨	٥٧	٤٥	٦١	٣	٢٢	١٠	٢٤
٥٨	٢	٢٧	٢	٦٤	٣٩	٤١	٨

وهكذا الاحد والثمانون اذا كتب في الشكل ذي الاحد والثمانين بيتاً على هذه الصورة فانّ من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة ثلاثمئة وتسعة وستين وهذه صورتها

٧٨	٦٥	٦٤	٢٧	١	١٨	١٩	١٧	٨٠
٢٥	٥	٤٧	٤٩	٦٨	٣٩	٤٠	٧٤	٢٢
٤٦	٤٥	٦	٥٠	١٥	٤٤	٧٣	٣٣	٥٧
٣٤	٤٣	٤٨	٧	١٦	٧٢	٣٧	٥٢	٦٠
٦٩	٥٦	٧١	٧٢	٣١	٤١	١٤	١٢	٣
٢٩	٤٢	٣١	١١	٦٦	٧٩	٣٤	٥١	٢٦
٣٢	٣٠	٩	٣٦	٦٧	٢٤	٧٧	٣٥	٥٩
٥٤	٨	٢٣	٥٧	١٣	٢٨	٥٣	٧٥	٥٨
٢	٦١	٦٢	٦٣	٨١	٥٥	٢٠	٢١	٤

وفي التي هي الاساس بالواسطة السفلى لأي حساب كان ثم يمشى على (كتمي) صاعداً سير الخسرو فيقع العدد مايتلو الواسطة على النظم الطبيعي في الزاوية العليا التي عن (كتمي) ثم يمشى سير الرمك التي تنت الفرس التي هي واسطة للزاويتين اللتين على كرابوي ثم يصعد صعود البيدق الى الزاوية العليا من يسارك فالحساب على النظم الطبيعي ثم منها يسير سير الفرزان بعددين اثنين على النظم الطبيعي الى أن يبلغ الزاوية السفلى على يمينك ثم تدفع دفع البيدق بالعدد الذي يتلو العدد الواقع في الزاوية على النظم الطبيعي الى بيت الفرس الذي هو الزاوية السفلى عن يسارك على النظم الطبيعي ثم تدفع سير الفرس على النظم الطبيعي الى بيت الفرس الذي هو واسطة العليا ومن خاصيتها أن الزوايا كلها أزواج والاوساط كلها أفراد والسير فيه سير الفرس ثم سير البيدق ثم سير الفرزان مرتين ثم سير البيدق مرة ثم سير الفرس مرة أخرى ثم سير الفرس الى الواسطة العليا.

وأما منافعها والفائدة منها فقد ذكرنا في رسالة الطلسمات والعزائم طرفاً منها ولكن نذكر منها في هذا الفصل مثالا واحداً ليكون دلالة على صدق ماقلنا. فنقول: ان من خاصية هذا الشكل المتسع ومنفعته تسهيل الولادة اذا كتب على خزفين لم يصبهما الماء وعلقتهما على المرأة التي ضربها الطلق وان اتفق ان يكون القمر في التاسع ومتصلا برب التاسع سهل الولادة أو برب بيته من التاسع وما شاكل ذلك من المتسعات

د	ج	ح
ط	ه	ا
ب	ز	و

وعلى هذا الطريق سلك أصحاب الطلسمات في نصبها وذلك انه مامن شيء من الموجودات الرياضية والطبيعية والالهية الا وله خاصية ليست لشيء آخر ولمجموعاتها خواص ليست لمفرداتها من الاعداد والاشكال والصور والمكان والزمان والعقاقير والطعوم والالوان والروائح والاصوات والكلمات والافعال والحروف والحركات فاذا جمعت بينها على النسب التأليفية ظهرت خواصها وأفعالها

والدليل على صحة ماقلنا أفعال التَرياقات والمراهم والشربات وألحان الموسيقي وتأثيراتها في الاجساد والنفوس جميعا مما لاخفاء به عن كل ذي لب حكيم فيلسوف كما بينا طرفا من ذلك في رسالة الموسيقى

﴿فصل في ثمرة هذا الفن﴾

واعلم بان النظر في علم الهندسة الحسية يعين على الحذق في الصنائع والنظر في الهندسة العقلية ومعرفة خواص العدد والاشكال يعين على فهم كيفية تأثيرات الاشخاص الفلكية وأصوات الموسيقى في نفوس المستمعين والنظر في كيفيات تأثيرات الحس في منفعلاتها يعين على فهم كيفية تأثيرات النفوس المفارقة في النفوس المتجسدة في عالم الكون والفساد وفي علم الهندسة العقلية للناظرين طريق الى الوصول الى معرفتها بعون الله وهدايته

تمت رسالة الجومطريا ويتلوها رسالة في مدخل علم النجوم وهى الثالثة من القسم الاول من الاربعة الاقسام

الرسالة الثالثة

من القسم الرياضي

الموسومة بالاسطرنوميا في علم النجوم وتركيب الافلاك

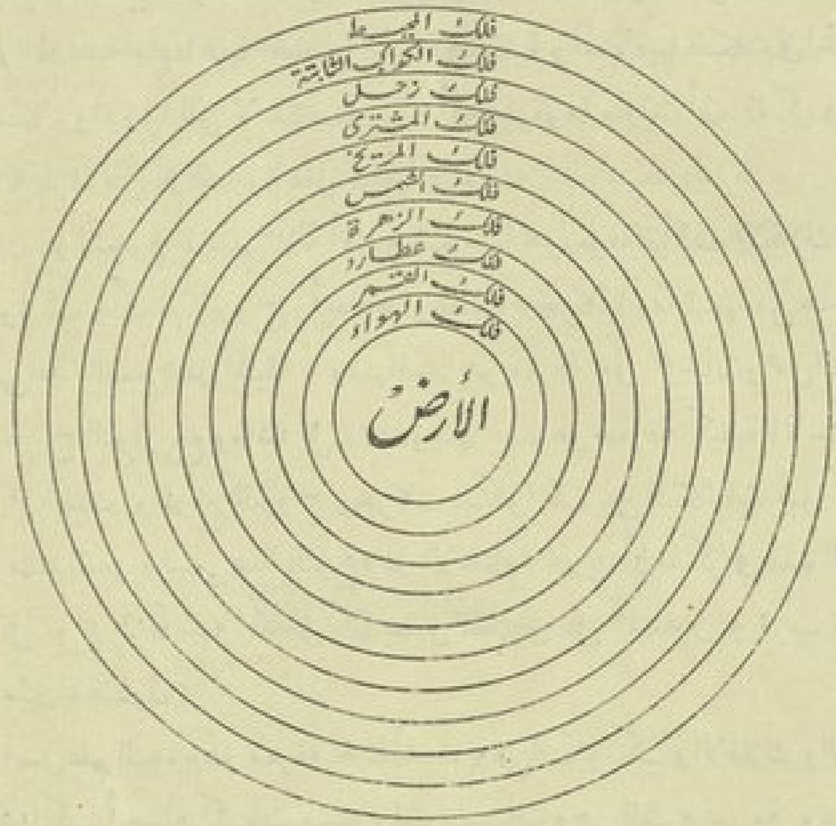
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون . اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، انا قد فرغنا من رسالة المدخل الى علم الهندسة وبينا فيها الهندسة الحسية والعقلية واستوفينا الكلام في الخطوط والاشكال والزوايا التي لابد للمهندسين أن يعرفوها ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من علم النجوم مثل مافيها فنقول :

ان علم النجوم ينقسم ثلاثة أقسام قسم منها هو معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركاتها ومايتبعها من هذا الفن ويسمى هذا القسم «علم الهيئة » ومنها قسم هو معرفة حل الزيجات وعمل التقاويم واستخراج التواريخ وماشا كل ذلك. ومنها قسم هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر ويسمى هذا النوع «علم الاحكام» فنريد أن نذكر في هذه الرسالة من كل نوع طرفاً شبه المدخل كيما يسهل الطريق على المتعلمين ويقرب تناوله للمبتدئين ، فنقول :

أصل علم النجوم هو معرفة ثلاثة أشياء وهي الكواكب والافلاك والبروج فالكواكب أجسام كريات مستديرات مضيئات وهي الف وتسعة وعشرون كوكباً كباراً التي أدركت بالرصد منها سبعة يقال لها السيارة وهي زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، والباقية يقال لها ثابتة ولكل كوكب

من السبعة السيارة فلك يخصه. والافلاك هي أجسام كريات مشفات مجوفات وهي تسعة أفلاك مركبة بعضها في جوف بعض كحلقة البصلة فأدناها الينا فلك القمر وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كاحاطة قشرة البيضة ببياضها والارض في جوف الهواء كالمح في بياضها ومن وراء فلك القمر فلك عطارد ومن وراء فلك عطارد فلك الزهرة ومن وراء فلك الزهرة فلك الشمس ومن وراء فلك الشمس فلك المريخ ومن وراء فلك المريخ فلك المشترى ومن وراء فلك المشترى فلك زحل ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة ومن وراء فلك الكواكب الثابتة فلك المحيط وهذا مثال ذلك



وذلك ان الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض في كل يوم وليلة دورة

واحدة ويدير سائر الافلاك والكواكب معه كما قال الله عز وجل «وكل في فلك يسبحون» وهذا الفلك المحيط مقسوم باثنى عشر قسماً كجزر البطيخة كل قسم منها يسمى برجا وهذه اسماؤها :الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. فكل برج ثلاثون درجة جملتها ثلثمائة وستون درجة وكل درجة ستون جزءاً ، كل جزء يسمى دقيقة جملتها احد وعشرون الفاً وستمائة دقيقة ، وكل دقيقة ستون جزءاً يسمى ثانية وكل ثانية ستون جزءاً وكل جزء يسمى ثالثة وهكذا الى الروابع والخوامس ومازاد بالغاً مابلغ، مثال ذلك:



وهذه البروج توصف باوصاف شتى من جهات عدة . وقبل وصفها نحتاج ان نذكر اشياء لابد من ذكرها منها ان الزمان اربعة اقسام وهي: الربيع والصيف والخريف والشتاء . والجهات اربع وهي المشرق والمغرب والجنوب والشمال والاركان اربعة وهي النار والهواء والماء والارض.والطبائع اربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. والاخلاط اربع وهي الصفراء والسوداء والبلغم والدم. والرياح اربع وهي الصبا والدبور والجربياء والتيماء

﴿ فصل في ذكر صفة البروج ﴾

فنقول : منها ستة شمالية وستة جنوبية وستة مستقيمة الطلوع وستة معوجة الطلوع وستة ذكور وستة اناث وستة نهارية وستة ليلية وستة فوق الارض وستة تحت الارض وستة تطلع بالنهار وستة تطلع بالليل وستة صاعدة وستة هابطة وستة يمنة وستة يسرة وستة من حيز الشمس وستة من حيز القمر

تفصيلها : أما الستة الشمالية فهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة واذا كانت الشمس في واحد منها يكون الليل أقصر والنهار أطول . وأما الستة الجنوبية فهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت واذا كانت الشمس في واحد منها يكون الليل أطول والنهار أقصر . وأما المستقيمة الطلوع فهي السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس وكل واحد منها يطلع في أكثر من ساعتين واذا كانت الشمس في واحد منها تكون هابطة من الشمال الى الجنوب ومن الاوج الى الحضيض والليل آخذ من النهار وأما المعوجة الطلوع فهي الجدى والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء وكل واحد منها يطلع فى أقل من ساعتين واذا كانت الشمس في واحد منها تكون صاعدة من الجنوب الى الشمال ومن الحضيض الى الاوج والنهار آخذ من الليل. وأما الستة الذكور النهارية فهي الحمل والجوزاء والاسد والميزان والقوس والدلو . وأما الستة الاناث الليلية فهي الثور والسرطان والسنبلة والعقرب والجدي والحوت. وأما الستة التى تطلع بالنهار فهي من البرج الذي فيه الشمس الى البرج السابع منها. والستة التى تطلع بالليل هي من البرج السابع الى البرج الذي فيه الشمس وأما الستة التى من حيز الشمس فهي من برج الاسد الى برج الجدي . والستة التى من حيز القمر هي من برج الدلو الى برج السرطان. ومن وجه آخر هذه البروج تنقسم أربعة أقسام منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي الحمل والثور والجوزاء وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة

الليل من النهار وهي السرطان والاسد والسنبلة. منها ثلاثة خريفية هابطة فى الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس. ومنها ثلاثة شتوية صاعدة من الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدى والدلو والحوت

وتنقسم هذه البروج من جهة أخرى أربعة أقسام ثلاثة، منها مثلثات ناريات حارات يابسات شرقيات على طبيعة واحدة وهي : الحمل والاسد والقوس ، وثلاثة منها مثلثات ترابيات باردات يابسات جنوبيات على طبيعة واحدة وهي : الثور والسنبلة والجدى ، وثلاثة منها مثلثات هوائيات حارات رطبات غربيات على طبيعة واحدة وهى : الجوزاء والميزان والدلو. ومنها مثلثات مائيات باردات رطبات شماليات على طبيعة واحدة وهى السرطان والعقرب والحوت وكذلك من جهة أخرى تنقسم هذه البروج ثلاثة أثلاث أربعة منها منقلبة الزمان وهى الحمل والسرطان والميزان والجدى وأربعة منها ثابتة الزمان وهى الثور والاسد والعقرب والدلو، وأربعة منها ذوات الجسدين وهى الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت. فقد بان بهذا الوصف فى هذا الشكل ان لو كانت البروج أكثر من اثنى عشر أو أقل من ذلك لما استمرت فيه هذه الاقسام على هذا الوجه الذي ذكرناه فاذا بواجب الحكمة كانت اثنى عشر لأن الباري جل ثناؤه لايفعل الا الأحكم والأتقن . ومن أجل هذا جعل الافلاك كريات الشكل لأن هذا الشكل أفضل الاشكال وذلك أنه أوسعها وأبعدها من الآفات وأسرعها حركة ومركزه فى وسطه وأقطاره متساوية ويحيط به سطح واحد ولا يماس غيره الا على نقطة ولا يوجد فى شكل غيره هذه الاوصاف. وجعل ايضا حركته مستديرة لأنها أفضل الحركات وهذه البروج الاثنا عشر تنقسم بين هذه الكواكب السبعة السيارة من عدة وجوه ولها فيها أقسام وخطوط من وجوه شتى فمنها البيت والوبال ومنها الاوج والحضيض ومنها الشرف والهبوط ومنها الجوزهر يعنى الرأس والذنب ومنها ربوبية المثلثات ومنها ربوبية الوجوه ومنها ربوبية الحدود ومنها ربوبية النوبهرات

ومنها ربوبية الاثنى عشريات ومنها ربوبية مواضع السهام وغير ذلك وانّ هذه الكواكب السيارة كالارواح، والبروج لها كالاجساد

﴿ فصل في ذكر البيوت والوبال ﴾

فنقول : اعلم أن الاسد بيت الشمس والسرطان بيت القمر والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والثور والميزان بيتا الزهرة والحمل والعقرب بيتا المريخ والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل ولكل واحد من هذه الكواكب الخمسة بيت من حيز الشمس وبيت من حيز القمر ووبال كل كوكب في مقابلة بيته وهذه الكواكب لبعضها في بيوت بعض مواضع مخصوصة فمنها الشرف والهبوط ومنها الاوج والحضيض ومنها الجوزهر ، مثال ذلك



تفسير ذلك : فأما الشرف فهو أعز موضع للكواكب فى الفلك والهبوط ضده والاوج أعلى موضع للكواكب فى الفلك والحضيض ضده فشرف الشمس فى الحمل وهو بيت المريخ واوجها فى الجوزاء بيت عطارد وشرف زحل فى الميزان بيت الزهرة واوجه فى القوس بيت المشتري وجوزهره فى السرطان بيت القمر ومعنى الجوزهر تقاطع طريق الكواكب لطريق الشمس بممرها فى البروج في موضعين أحدهما يسمى رأس الجوزهر والآخر ذنب الجوزهر، وذلك أن زحل

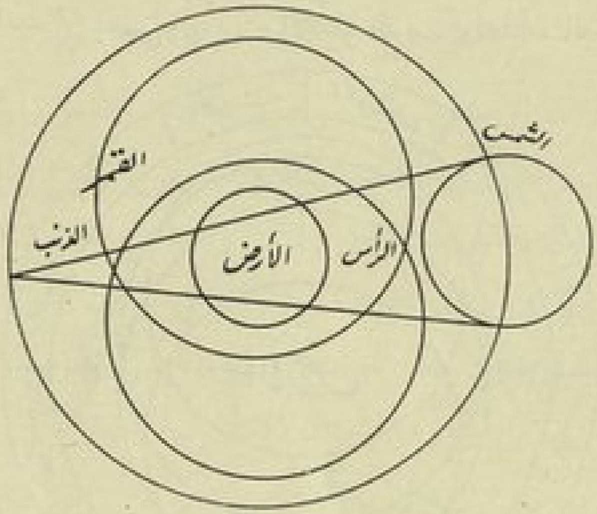
اذا سار فى البروج يكون مسيره في ستة أبراج عن يمنة طريق الشمس ثم يعبر الى الجانب الآخر ويسير ستة أبراج عن يسرة طريق الشمس فيحدث لطريقيهما تقاطع في موضعين أحدهما يسمى الرأس والآخر الذنب وهذا مثاله



ولكل كوكب من الخمسة السيارة جوزهر مثل ما لزحل مذكور ذلك فى الزيجات . وأما المذكور فى التقاويم فهو الذي للقمر . ويقال لهما أيضاً العقدتان وانما اختص ذكرهما فى التقاويم لانهما ينتقلان في البروج والدرج ولهما سير كسير الكواكب ولهما دلالة كدلالة الكوكب

واذا اجتمع الشمس والقمر فى وقت من الاوقات عند أحدهما في برج واحد ودرجة واحدة انكسفت الشمس ولا يكون ذلك الا في آخر الشهر لأن القمر يصير محاذياً لموضع الشمس من البرج والدرجة فيمنع نور الشمس عن أبصارنا فنراها منكسفة مثل ما تمنع قطعة غيم عن أبصارنا نور الشمس اذا مرت محاذية لأبصارنا ولعين الشمس . واذا كانت الشمس عند احدهما وبلغ القمر الى الآخر انكسف القمر ولا يكون كسوف القمر الا فى نصف الشهر لان القمر فى نصف الشهر يكون فى البرج المقابل للبرج الذى فيه الشمس وتكون الارض فى الوسط فتمنع نور الشمس

عن اشراقه على القمر فيرى القمر منكسفا لانه ليس له نور من نفسه وانما يكتسى النور من الشمس ومثال ذلك :



وشرف المشترى فى السرطان واوجه فى السنبلة ورأس جوزهره فى الجوزاء وشرف المريخ فى الجدى واوجه فى الاسد وجوزهره فى الحمل وشرف الزهرة فى الحوت واوجها فى الجوزاء ورأس جوزهرها فى الثور وشرف عطارد فى السنبلة واوجه فى الميزان وجوزهره فى الحمل وشرف القمر فى الثور واوجه فى البروج متحرك يعرف موضعه ذلك من التقويم والزيج وجملته ان القمر اذا قارن الشمس فهو عند الاوج أو قابلها فهو عند الاوج وفى مقابلة شرف كل كوكب هبوطه من البرج السابع مثله وفى مقابلة الاوج الحضيض مثل ذلك وفى مقابلة شرف رأس الجوزهر موضع الذنب من البرج السابع مثله

﴿ فصل فى ذكر أرباب المثلثات والوجوه والحدود ﴾

اعلم ان هذه الكواكب السيارة لبعضها فى بيوت بعض شركة تسمى «ربوبية المثلثات» ولها فيها أقسام تسمى «الوجوه» ولها فيها خطوط تسمى «الحدود» تفصيل ذلك ان كل ثلاثة ابراج على طبيعة واحدة تسمى المثلثات كما بين من قبل ذلك وتدبرها ثلاثة كواكب تسمى أرباب المثلثات يستدل بها على اثلاث أعمار

المواليد. فارباب المثلثات الناريات بالنهار الشمس ثم المشترى وبالليل المشترى ثم الشمس وشريكهما بالليل والنهار زحل وأرباب المثلثات الترابيات بالنهار الزهرة ثم القمر وبالليل القمر ثم الزهرة وشريكهما بالليل والنهار المريخ وأرباب المثلثات الهوائيات بالنهار زحل ثم عطارد وبالليل عطارد ثم زحل وشريكهما بالليل والنهار المشترى وأرباب المثلثات المائيات بالنهار الزهرة ثم المريخ وبالليل المريخ ثم الزهرة وشريكهما بالليل والنهار القمر

﴿ فصل فى ذكر أرباب الوجوه ﴾

اعلم ان كل برج من هذه الابراج ينقسم ثلاثة اثلاث كل ثلث عشر درجات يسمى وجها منسوبا ذلك الى كوكب من السيارة يقال له «رب الوجه» يستدل به على صورة المولود وعلى ظواهر الامور. تفصيل ذلك العشر درجات الاولى من برج الحمل وجه المريخ وعشر درجات الثانية وجه الشمس وعشر درجات الاخيرة وجه الزهرة وعشر درجات من الثور وجه عطارد والعشر الثانية وجه القمر والعشر الاخيرة وجه زحل وعشر درجات من الجوزاء وجه المشترى والعشر الثانية وجه المريخ والعشر الاخيرة وجه الشمس وعلى هذا القياس الى آخر الحوت كل عشر درجات وجه لكوكب واحد على توالى افلاكها كما بينا. فاما ذكر الحدود وأربابها فان كل برج من هذه الابراج ينقسم بخمسة أقسام مختلفة الدرج أقل جزء منها درجتان وأكثرها اثنتا عشرة درجة كل جزء منها يسمى حداً منسوبا ذلك الحد الى كوكب من الخمسة السيارة يقال له «رب الحد» يستدل به على أخلاق المولود وليس للشمس ولا للقمر فيها نصيب وقد صورنا الحسابه دائرة فيها مكتوب حرفان الحرف الأول من اسم صاحب الحد والثاني كمية درج الحد وكذلك حساب الوجوه حرفان اسم صاحب الوجه حرف والثاني كمية درج الوجه وهذه اسماؤها: كيوان (ك) مشترى (م) بهرام (ب) شمس (ش) قمر (ق) زهرة (ز) عطارد (ع)

فأما الأوسع من الدائرة فهو حساب الحدود حرفان حرفان والدائرة الوسطى حساب الوجوه

﴿ فصل في ذكر الكواكب السيارة ﴾

فنقول : اثنان منها نيران وهما الشمس والقمر واثنان منها سعدان وهما المشترى والزهرة واثنان منها نحسان وهما زحل والمريخ وواحد ممتزج وهو عطارد وعقدتان وهما الرأس والذنب

ذكر طبائعها :(الشمس)ذكر حار ناري نهارى سعد (زحل) بارد يابس ذكر نهاري نحس (المشتري) حار رطب ذكر نهارى سعد (المريخ) حار يابس انثى ليلى نحس (الزهرة) باردة رطبة مؤنثة ليلية سعد (عطارد) لطيف ممتزج سعد (القمر) بارد رطب انثى ليلى سعد أسود (الرأس) مثل المشتري (الذنب) مثل زحل

ذكر أنوارها : نور الشمس خمس عشرة درجة أمامها ومثل ذلك خلفها نور زحل والمشتري كل واحد تسع درجات قدامه ومثل ذلك خلفه نور المريخ ثماني درجات أمامه ومثل ذلك خلفه . نور الزهرة وعطارد كل واحد سبع درجات امامه ومثل ذلك خلفه . نور القمر اثنتا عشرة درجة قدامه ومثل ذلك خلفه

ذكر مالها من الايام والليالى : اعلم ان الليل والنهار وساعاتهما مقسومة بين الكواكب السيارة، فأول ساعة من يوم الاحد ومن ليلة الخميس للشمس وأول ساعة من يوم الاثنين ومن ليلة الجمعة للقمر وأول ساعة من يوم الثلاثاء ومن ليلة السبت للمريخ وأول ساعة من الاربعاء وليلة الاحد لعطارد وأول ساعة من يوم الخميس وليلة الاثنين للمشتري وأول ساعة من يوم الجمعة وليلة الثلاثاء للزهرة وأول ساعة من يوم السبت وليلة الاربعاء لزحل . فأما سائر ساعات الليل والنهار فقسومة بين هذه الكواكب على توالى أفلاكها ، مثال ذلك ان الساعة الثانية من يوم الاحد للزهرة التى فلكها دون فلك الشمس والساعة الثالثة لعطارد الذي فلكه دون فلك الزهرة والساعة الرابعة للقمر الذي فلكه دون فلك عطارد والساعة الخامسة لزحل والساعة السادسة للمشتري والساعة السابعة للمريخ والساعة الثامنة للشمس والتاسعة للزهرة والعاشرة لعطارد والحادية عشرة للقمر والثانية عشرة لزحل وعلى

هذا الحساب سائر ساعات الايام والليالى يبتدىء من رب الساعة الاولى على توالي أفلاكها كما بينا

﴿ ذكر ما للكواكب من الاعداد ﴾

ان هذه الكواكب السيارة لكل واحد منها دلالة على اعداد معلومة من السنين والشهور والايام والساعات يستدل بها على كمية أعمار المواليد وعلى دول بقاء الكائنات في عالم الكون والفساد فمنها

	زحل	المشتري	المريخ	الشمس	الزهرة	عطارد	القمر
العظمى	١٦٥	٤٢٩	٢٦٤	١٤٦١	١١٥١	٤٨٦	٥٢٥
الكبرى	٥١	عط	سو	قط	قب	عو	مح
الوسطى	٤٣	مه	ب م	بط	مب	مح	لط
الصغرى	ح	يب	يه	يب	ح	ك	كه
العدادات	ك	يب	ل	ي	ح	صح	ك
الرأس	ح	الذنب	ب	الجميع	عه		

﴿ ذكر دوران الفلك وقسمة أرباعه ﴾

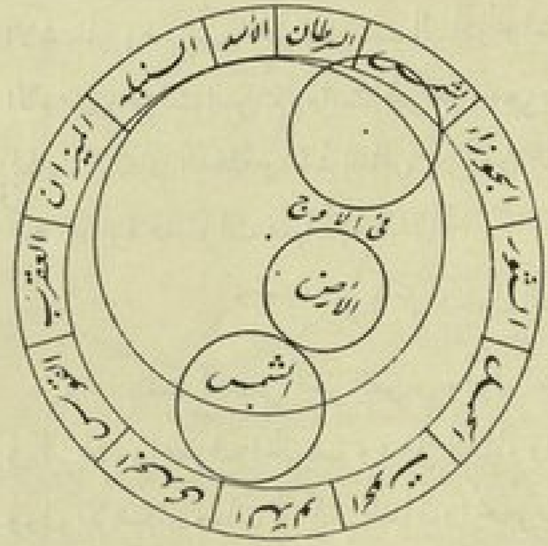
الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض فيكون في دائم الاوقات نصف الفلك ستة أبراج ماية وثمانين درجة فوق الارض ويسمى يمنة والنصف الآخر ستة أبراج ماية وثمانين درجة تحت الارض يسمى يسرة وكلما طلعت درجة من أفق المشرق غابت نظيرتها في أفق المغرب من البرج السابع منه فيكون في دائم الأوقات ستة أبراج طلوعها بالنهار وستة طلوعها بالليل ويكون في دائم الاوقات درجة في أفق المشرق وأخرى نظيرتها في أفق المغرب ودرجة أخرى فى كبد السماء ويسمى وتد العاشر وأخرى نظيرتها منحطة تحت الارض تسمى وتد الرابع

فيكون الفلك في دائم الأوقات منقسما بأربعة أرباع كل ربع منها تسعون درجة فمن أفق المشرق الى وتد السماء تسعون درجة يقال لها الربع الشرقي الصاعد في الهواء ومن وتد السماء الى وتد المغرب تسعون درجة يقال لها الربع الجنوبي الهابط ومن وتد المغرب الى وتد الارض تسعون درجة يقال لها الربع الغربي الهابط فى الظلمة ومن وتد الارض الى وتدالمشرق تسعون درجة يقال لها الربع الشمالى الصاعد وهذا مثال ذلك



﴿ ذكر دوران الشمس فى البروج وتغييرات أرباع السنة ﴾

الشمس تدور فى البروج الاثنى عشر في كل ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع دورة واحدة تقيم فى كل برج ثلاثين يوماً وكسرا وفي كل درجة يوما وليلة وكسراً تكون بالنهار فوق الارض وبالليل تحت الارض وتكون فى الصيف فى البروج الشمالية فى الهواء وتقرب من سمت رؤوسنا وتكون في الشتاء فى البروج الجنوبية وتنحط فى الهواء وتبعد من سمت رؤوسنا وفى الاوج ترتفع في الفلك وتبعد من الارض وفى الحضيض تنحط فى الفلك وتقرب من الارض والدائرة الآتية مثاله وصورته :



﴿ ذكر نزول الشمس في أرباع ﴾
﴿ الفلك وتغييرات الازمان ﴾

اذا نزلت الشمس أول دقيقة من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم فذابت الثلوج وسالت الاودية ومدت الانهار ونبعت العيون ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر واورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهائم ودرت الضروع وتكونت الحيوانات وانتشرت على وجه الارض وأخرجت الارض زخرفها وازينت وفرح الناس واستبشروا وصارت الدنيا كأنها جارية شابة تزينت وتجلت للناظرين

﴿ ذكر دخول الصيف ﴾

اذا بلغت الشمس آخر الجوزاء وأول السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وأخذ النهار في النقصان وانصرف الربيع ودخل الصيف واشتد الحر وحمي الهواء وهبت السموم ونقصت المياه ويبس العشب واستحكم الحب وأدرك الحصاد ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الابدان واخصبت الارض وكثر الريف ودرت أخلاف النعم وبطر الانسان وصارت الدنيا كأنها عروس غنية منعمة رعناء ذات جمال

﴿ ذكر دخول الخريف ﴾

واذا بلغت الشمس آخر السنبلة وأول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى وأخذ الليل في الزيادة على النهار وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت ريح الشمال وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق

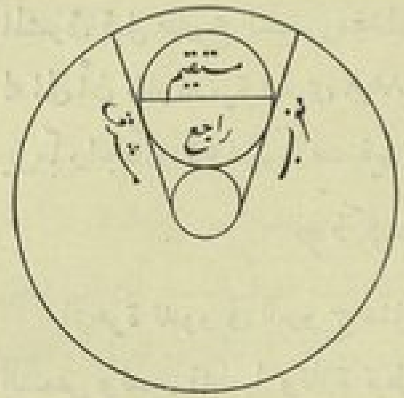
الاشجار وصرمت الثمار وديست البيادر واحرز الحب وفنى العشب واغبر وجه الارض وهزلت البهائم وماتت الهوام وانحجزت الحشرات وانصرف الطير والوحش يطلب البلدان الدفئة وأخذ الناس يحرزون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة قد تولت عنها أيام الشباب

﴿ ذكر دخول الشتاء ﴾

واذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدى تناهى طول النهار وأخذ الليل في الزيادة وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الاشجار ومات أكثر النبات وانحجرت هوام الحيوانات فى باطن الارض وضعفت قوى الابدان وعرى وجه الارض من زينته ونشأت الغيوم وكثرت الانداء واظلم الهواء وكلح وجه الارض وهرم الزمان ومنع الناس عن التصرف وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت واذا بلغت الشمس آخر الحوت وأول الحمل عاد الزمان كما كان فى العام الاول وهـذا دأبه، ذلك تقدير العزيز العليم

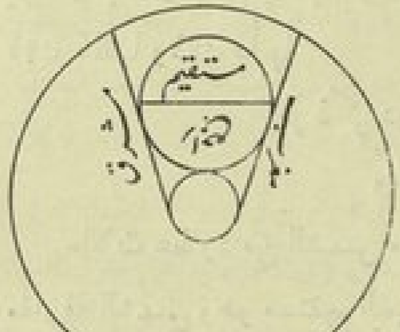
﴿ذكر دوران زحل في البروج وحالاته من الشمس﴾

زحل يدور في البروج الاثنى عشر في كل ثلاثين سنة بالتقريب دورة واحدة يقيم في كل برج سنتين ونصفاً وفى كل درجة شهراً، وفى كل دقيقة اثنتى عشرة ساعة وتقابله الشمس في كل سنة مرة واحدة اذا صارت الشمس في السابع منه وتربعه مرتين مرة يمنة ومرة يسرة وتقارنه فى كل سنة مرة اذا صارت معه في برج واحد ودرجة واحدة ثم تجاوزه الشمس ويظهر زحل بعد عشرين يوما من المشرق بالغدوات قبل طلوع الشمس ويسير زحل من وقت مفارقة الشمس الى ان تقارنه مرة أخرى ثلثمائة واحداً وثمانين يوما من ذلك مائة وثلاثة وعشرون يوما مستقيما مشرقاً ومائة وأربعة وثلاثون يوما راجعاً ومائة وأربعة وعشرون يوما مستقيما مغربا وذلك دأبهما في كل سنة وفيما يلى مثال ذلك



﴿ ذكر دوران المشترى فى البروج ﴾
﴿ وحالاته من الشمس ﴾

المشترى يدور فى البروج الاثنى عشرفى اثنتىعشرة سنة بالتقريب مرة واحدة يقيم في كل برج سنة وفي كل درجتين ونصف شهراً وفي كل خمس دقائق يوما وليلة وتقابله الشمس فى كل مرة اذا صارت معه في البرج السابع منه وتربعه مرتين مرة يمنى ومرة يسرى وتقارنه في كل سنة مرة اذا صارت معه فى برج واحد ودرجة واحدة ثم تجاوزه الشمس ويظهر المشتري بعد عشرين يومامن المشرق بالغدوات قبل طلوعها ويسير المشتري من وقت مفارقتها الى وقت مقارنتها دفعة أخرى ثلثمائةوتسعةوتسعين يوما من ذلك مائة وأربعة وأربعون يومامستقيمامشرقا ومائة واحد عشر يوماراجعاومائةوأربعةوأربعون يومامستقيمامغرباوذلك دأبهاوهذه دائرة مثال ذلك المذكور وصورته



﴿ ذكر دوان المريخ في الفلك ﴾
﴿ وحالاته من الشمس ﴾

المريخ يدور فى الفلك في مدة سنتين الا شهراً واحداً بالتقريب يقيم في كل برج خمسة وأربعين يوماً يزيد وينقص ويقيم في كل درجة مقدار يوم وبعض يوم فاذا رجع فى البرج اقام فيه ستة أشهر يزيد وينقص وتقابله الشمس في هذه المدة مرة واحدة عند رجوعه من البرج السابع وتربعه مرتين مرة يمنى ومرة يسرى وتقارنه في هذه المدة مرة اذا صارت معه في برج واحد ودرجة واحدة ثم تجاوره الشمس ويسير المريخ تحت شعاع الشمس مقدار شهرين ثم يظهر بالغدوات من

المشرق قبل طلوع الشمس مقدار شهرين ويسير المريخ من وقت مفارقة الشمس له الى أن تقارنه مرة اخرى ٨٥٨ يوماً من ذلك ٣٢٥ يوماً مستقيما مشرقاً و ٨٨ يوماً راجعاً و ٤٥٥ يوما مستقيما مغربا وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ ذكر دوران الزهرة فى الفلك ﴾

الزهرة تدور فى البروج مثل دوان الشمس غير أنها تسرع السير تارة فتسبق الشمس وتصير قدامها وتارة تبطىء فى السير فترجع وتصير خلفها فتقارنها مرة وهي راجعة ومرة اخرى وهي مستقيمة فاذا قارنتها وهي راجعة ظهرت بعد خمسة أيام طالعة من المشرق بالغدوات قبل طلوع الشمس وترى ثمانية أشهر تطلع في أواخر الليل فيقال لها مشرقية ثم تسرع فى السير وتلحق بالشمس وتسير تحت شعاعها ثلاثة أشهر لا ترى ثم تظهر بالعشيات فى المغرب بعد غروب الشمس فترى ثمانية أشهر ثم تغيب في أول الليل وتسمى مغربية فمن وقت مقارنتها الشمس وهي مستقيمة الى أن تقارنها مرة أخرى يكون ٤٧٨ يوما ومن ذلك تكون ٤٥ يوما راجعة والباقى مستقيمة وأكثر ماتبعد عن الشمس ٤٨ درجة قدامها ومثل ذلك خلفها وذلك دأبها

﴿ ذكر دوران عطارد فى الفلك
وحالاته من الشمس ﴾

حالات عطارد من الشمس مثل حالات الزهرة منها غير أن عطارد من وقت مفارقة الشمس وهو مستقيم السير الى ان يقارنها مرة أخرى على تلك الحال يكون ١٢٤ يوماً من ذلك ٢٢ يوماً راجعاً والباقى مستقيما وأكثر مايبعد من الشمس ٢٧ درجة قدامها ومثل ذلك خلفها ويرجع فى كل سنة ثلاث مرات ويحترق ست مرات ويشرق ثلاث مرات ويغرب ثلاث مرات وذلك دأبه

﴿ ذكر دوران القمر فى الفلك وحالاته من الشمس ﴾

القمر يدور فى البروج فى كل سنة عربية اثنتى عشرة مرة فى كل شهر مرة ويقيم

فى كل برج يومين وثلثاً وفى كل منزل يوماً وليلة وفي كل درجة ساعتين بالتقريب ويقابل الشمس في كل شهر مرة ويربعها مرتين مرة يمنة ومرة يسرة ويقارنها في كل شهر مرة فلا يرى يومين ثم يظهر فى المغرب بعد مغيب الشمس ويهل ثم يزيد فى نوره كل ليلة نصف سبع الى ان يستكمل ويمتلىء من النور ليلة البدر الرابع عشر من كل شهر ثم يأخذ فى النقصان فينقص كل ليلة نصف السبع الى ان يمحق فى آخر الشهر وللقمر فى البروج ثمانية وعشرون منزلة كما قال الله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» وفى كل ثلاثة أبراج منها سبعة منازل وفى كل برج منزلتان وثلث وهذه أسماؤها :السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع . وهذه منازل الربيع :النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك . وهذه منازل الصيف الغفر الزبانيان الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة وهذه منازل الخريف: سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرع المقدم الفرع المؤخر بطن الحوت . وهذه منازل الشتاء :الحمل بيت المريخ وشرف الشمس وهبوط زحل ووبال الزهرة وهو برج ناري شرقي ذكر منقلب طبيعته المرة الصفراء ربيعي اذا نزلت الشمس أول دقيقة منه استوى الليل والنهار وأخذ النهار يزيد والليل ينقص ثلاثة أشهر تسعين يوماً وله ثلاثة أوجه وخمسة حدود (الثور) بيت الزهرة وشرف القمر ووبال المريخ وهو برج ترابي ليلي جنوبي ثابت ربيعي وطبيعته المرة السوداء وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الجوزاء) وشرف الرأس وهبوط الذنب ووبال المشترى وهو برج هوائي ذكر نهاري غربي ربيعي دموي ذو جسدين وفي آخره ينتهي طول النهار وقصر الليل وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود والسرطان بيت القمر وشرف المشتري وهبوط المريخ ووبال زحل وهو برج مائي انثى ليلي شمالى منقلب صيفي بلغمي وفى أوله يبتدىء الليل بالزيادة والنهار فى النقصان تسعون يوماً وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الاسد) بيت الشمس وليس فيه شرف ولا هبوط وهو وبال زحل وهو برج ناري ذكر نهاري شرقى ثابت صيفي طبيعته مرة صفراء وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (السنبلة) بيت عطارد وشرفه وهبوط الزهرة ووبال المشترى وهو برج ترابى

ليلى انثى جنوبى صيفى ذوجسدين طبيعته السوداء وفى آخره يستوى الليل والنهار مرة أخرى وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الميزان) بيت الزهرة وشرف زحل وهبوط الشمس ووبال المريخ وهو برج ذكر هوائى نهارى غربى منقلب خريفى دموى وفى أوله يبتدىء الليل بالزيادة على النهار ثلاثة أشهر تسعون يوماً وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (العقرب) بيت المريخ وهبوط القمر ووبال الزهرة وهو برج مائى ليلى انثى خريفى شمالى بلغمى وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (القوس) بيت المشترى وشرف الذنب وهبوط الرأس ووبال عطارد وهو برج نارى ذكر نهارى ذو جسدين خريفى طبيعته المرة الصفراء وفى أخره ينتهى طول الليل وقصر النهار وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الجدى) بيت زحل وشرف المريخ وهبوط المشترى ووبال القمر وهو برج ترابى ليلى منقلب طبيعته السوداء شتوى جنوبى وفى أوله يأخذ النهار فى الزيادة والليل فى النقصان ثلاثة أشهر وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الدلو) بيت زحل وليس فيه شرف ولا هبوط بل هو وبال الشمس وهو برج هوائى ذكر نارى غربى ثابت شتوى دموى وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الحوت) بيت المشترى وشرف الزهرة وهبوط عطارد ووباله وهو برج مائى انثى ليلى شمالى بلغمى وفى آخره يستوى الليل والنهار ثم تنزل الشمس أول الحمل ويستأنف الزمان مثل ما كان فى العام الاول ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل فى قران الكواكب ﴾

وهذه الكواكب السيارة تسير فى هذه البروج الاثنى عشر بحركاتها المختلفة كما بينا فربما اجتمع منها اثنان فى برج واحد وثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو كلها واذا اجتمع منها اثنان فى درجة واحدة من البرج يقال انهما مقترنان واما فى أكثر الاوقات فانها تكون متفرقة فى البروج فيعرف مواضعها فى البروج والدرج كيف كانت متفرقة أو مجتمعة من التقويم أو الزيج

﴿ ذكر البيوت الاثني عشر ﴾

اذا ولد مولود أو حدث أمر من الامور فلابد من ان تكون في تلك اللحظة درجة طالعة من أفق المشرق فمن تلك الدرجة الى تمام ثلاثين درجة فما يتلوها يسمى طالع بيت الحياة سواء كانت تلك الدرج من برج واحد أو من برجين ومن تمام ثلاثين درجة الى تمام ستين درجة يسمى الثاني بيت المال والى تمام تسعين درجة يسمى الثالث بيت الاخوة والى تمام مائة وعشرين درجة يسمى الرابع بيت الآباء والى تمام مائة وخمسين درجة يسمى الخامس بيت الاولاد والى تمام مائة وثمانين درجة يسمى السادس بيت الامراض والى تمام مائتين وعشر درجات يسمى السابع بيت الازواج والى تمام مائتين وأربعين درجة يسمى الثامن بيت الموت والى مائتين وسبعين درجة يسمى التاسع بيت الاسفار والى تمام ثلثمائة درجة يسمى العاشر بيت السلطان والى ثلثمائة وثلاثين درجة يسمى الحادي عشر بيت الرجاء والى تمام ثلثمائة وستين درجة يسمى الثاني عشر بيت الاعداد وكل بيت من هذه البيوت يدل على أشياء كثيرة تركنا ذكرها لانها مذكورة في كتب الاحكام بشرحها

﴿فصل في تجرد النفس واشتياقها الى عالم الافلاك﴾

اعلم ايها الاخ البار الرحيم ايدك الله وايانا بروح منه ان العاقل الفهم اذا نظر في علم النجوم وفكر في سعة هذه الافلاك وسرعة دورانها وعظم هذه الكواكب وعجيب حركاتها وأقسام هذه البروج وغرائب أوصافها كما وصفنا قبل تشوقت نفسه الى الصعود الى الفلك والنظر الى ماهناك معاينة ولكن لا يمكن الصعود الى ماهناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف بل النفس اذا فارقت هذه الجثة ولم يعقها شيء من سوء أفعالها أو فساد آرائها وتراكم جهالاتها أورداءة أخلاقها فهي هناك في أقل من طرفة عين بلا زمان لان كونها حيث همتها ومحبوبها كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه فاذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد ومعشوقها

هذه اللذات المحسوسة المحرقة الجرمانية وشهواتها هذه الزينة الجسمانية فهي لاتبرح من هاهنا ولا تشتاق الصعود الى عالم الافلاك ولا تفتح لها أبواب السموات ولا تدخل الجنة مع زمر الملائكة بل تبقى تحت فلك القمر سائحة في قعر هذه الاجسام المستحيلة المتضادة تارة من الكون الى الفساد وتارة من الفساد الى الكون كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب لابثين فيها أحقابا مادامت السموات والارض لايذوقون فيها برد عالم الارواح الذي هو الروح والريحان ولا يجدون لذة شراب الجنان المذكور في القرآن ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ، الظالمين لانفسهم الكافرين لحقائق الاشياء ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الجنة في السماء والنار في الارض

ويحكى في الحكمة القديمة أنه من قدر على خلع جسده ورفض حواسه وتسكين وساوسه وصعد الى الفلك جوزي هناك بأحسن الجزاء ويقال أن بطليموس كان يعشق علم النجوم وجعل علم الهندسة سلما صعد به الى الفلك فمسح الافلاك وأبعادها والكواكب وأعظامها ثم دونه في المجسطي وانما كان ذلك الصعود بالنفس لا بالجسد وهكذا

ويحكى عن هرمس المثلث بالحكمة وهو ادريس النبي عليه السلام انه صعد الى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ثم نزل الى الارض فخبر الناس بعلم النجوم قال الله تعالى ورفعناه مكاناً علياً

وقال ارسطاطاليس في كتاب الثالوجيا شبه الرمزاني ربما خلوت بنفسي وخلعت بدني وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلا في ذاتي خارجاً عن جميع الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجباً باهتاً فاعلم اني جزؤ من أجزاء العالم الأعلى الفاضل الشريف

وقال فيثاغورس في الوصية الذهبية اذا فعلت ما ذكرت لك يا ديوجانس وفارقت

هذا البدن حتى تصير نحلا في الجو فتكون حينئذ سائحاً غير عائد الى الانسانية ولا قابل للموت

وقال المسيح عليه السلام للحواريين في وصية له: اذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمنة عرش ربي وأنا معكم حيثما ذهبتم فلا تخالفوني حتى تكونوا معي في ملكوت السماء غداً

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في خطبة له طويلة أنا واقف لكم على الصراط وانكم ستردون على الحوض غداً فأقربكم مني منزلا يوم القيامة من خرج من الدنيا على هيئة ما تركته الا لا تغيروا بعدي ألا لا تبدلوا بعدي فهذه الحكايات والاخبار كلها دليل على بقاء النفس بعد مفارقة الجسد وان الانسان العاقل اذا استبصرت نفسه في هذه الدنيا وصفت من درن الشهوات والمآثم وزهدت في الكون هاهنا فانها عند مفارقة الجسد لا يعوقها شيء عن الصعود الى السماء ودخول الجنة والكون هناك مع الملائكة وفي مثل هذه النفوس قيل بالعربية

شعر

وما كان الا كوكباً كان بيننا فودعنا جادت معاهده ديم
رأى المسكن العلوي اولى بمثله ففاز وأضحى بين أشكاله نجم

(وقيل بالفارسية بيت)

خواهي تامرك نيا بدترا خواهى كزمرك بهابى أمان
زير زمين خيره نهفتى بجوى بس بفلك برشوبي نرد بان

وقيل أيضاً

خنك اين افتاب وزهره وماه كه نباشند جاودانه تباه
همه بريك نهاد خويش دوند كه نكردند هر كزا زيك راه
راست كوئي ستاركان ملك اند جشمه افتاب شاهنشاه
نه بخوانيد نامه مشغول يابشدين كين وحرب وسياه

دوستا تند بيش روباروي يك بديكر همي كنندنكاه

فمن بلغ رتبة نفسه هذه المرتبة كما ذكرت من قبل صار بهذه المنزلة الا ان في هذه السموات جنة لكنها محفوفة بالمكاره (قال) الله عز وجل (اخواناً على سرر متقابلين) وانما ذكرنا هذه المعاني في هذه الرسالة لأن أكثر أهل زماننا الناظرين في علم النجوم شاكون في أمر الآخرة متحيرون في أحكام أمر الدين جاهلون بأسرار النبوات منكرون البعث والحساب فدللناهم على صحة أمور الدين من صناعتهم واحتججنا عليهم من علمهم ليكون أقرب من فهمهم وأوضح لتبيانهم

﴿ فصل ﴾

(في علة انحصار الافلاك والبروج والكواكب في عدد مخصوص)

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن علة كون الافلاك تسع طبقات والبروج اثنى عشر والكواكب السيارة سبعة ومنازل القمر ثمانية وعشرين واقتصارها على هذه الاعداد فيه حكمة جليلة لايبلغ فهم البشر كنه معرفتها ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون تنبيهاً لنفوس المتعلمين المرتاضين بالنظر في خواص العدد ومطابقة الموجودات لخواص العدد وطبيعته على رأي الحكماء الفيثاغوريين وذلك أن هؤلاء الحكماء لما نظروا في طبيعة العدد وجدوا لكل عدد خاصية ليست لغيره ثم تأملوا أحوال الموجودات فوجدوا كل نوع منها قد اقتصر على عدد مخصوص لاأقل ولا أكثر ثم بحثوا عن طبيعة ذلك الموجود وخاصية ذلك العدد فكانا مطابقين واستبان لهم اتقان الحكمة الالهية فيها فمن أجل هذا قالوا ان الموجودات بحسب طبيعة العدد وخواصه فمن عرف طبيعة العدد وأنواعه وخواص تلك الانواع تبين له اتقان الحكمة وكون الموجودات على أعداد مخصوصة فكون الكواكب السيارة سبعة مطابق لأول عدد كامل وكون الافلاك تسعة مطابق لأول عدد فرد مجذور وكون البروج اثنى عشر مطابق لأول عدد زائد وكون المنازل ثمانية وعشرين مطابق لعدد تام. ولما كانت السبعة مجموعة من ثلاثة وأربعة وكان الاثنا عشر من ضرب ثلاثة في أربعة وثمانية

وعشرون من ضرب سبعة في أربعة فبواجب الحكمة صارت مقصورة على هذه الاعداد وكانت السبعة والاثنا عشر والتسعة مجموعها ثمانية وعشرون عدداً لتكون الموجودات الفاضلة مطابقة للأعداد الفاضلة

﴿ فصل ﴾

(في حكمة اختلاف خواص الكواكب)

وأما الحكمة في كون الكواكب السبعة السيارة اثنان منها نيران واثنان منها سعدان واثنان نحسان وواحد ممتزج وكون البروج الاثني عشر أربعة منها منقلبة وأربعة ثابتة وأربعة ذوات جسدين وكون العقدتين في خللها فالحكمة في ذلك أكثر مما يحصى ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقي وذلك ان الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل حال الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لايخفى وبعضها باطناً خفياً لاتدركه الحواس. فن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الاجسام واعراضها وحالاتها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفس. ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس أيضا أمور الدنيا. ومن الموجودات الباطنة الخفية عن أكثر العقول أمور الآخرة ثم جعل ما كان منها ظاهراً جلياً دليلا على الباطن الخفي فمن ذلك النيران الشمس والقمر فان أحدهما الذي هو القمر دليل على أمور الدنيا وحالات أهلها من الزيادة والنقصان والتغيير والمحاق. والاخرى التي هي الشمس دليل على أمور الآخرة وحالات أهلها من التمام والكمال والنور والاشراق

ومن ذلك حال السعدين المشترى والزهرة فان أحدهما دليل على سعادة أبناء الدنيا وهي الزهرة وذلك أنها اذا استولت على المواليد دلت لهم على نعيم الدنيا من الأكل والشرب والنكاح والميلاد. ومن كانت هذه حاله فى الدنيا فهو من السعداء فيها. وأما المشترى فهو دليل على سعادة أبناء الآخرة وذلك انه اذا استولى على المواليد دل لهم على صلاح الاخلاق وصحة الدين وصدق الورع ومحض التقى. ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من السعداء في الآخرة

ومن ذلك أيضا النحسان: زحل والمريخ فان أحدهما دليل على منحسة أبناء

الدنيا وهو زحل وذلك انه اذا استولى على المواليد دل ذلك على الشقاء والبؤس والفقر والمرض والعسر في الامور ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من الاشقياء فيها. واما المريخ فانه دليل على منحسة أبناء الآخرة وذلك أنه اذا استولى على المواليد دل لهم على الشرور من الفسق والفجور والقتل والسرقة والفساد في الارض ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من الاشقياء في الآخرة. واما من استولى على مولده المشترى والزهرة فسعادتهما دلالة على السعادة في الدنيا والآخرة ومن استولى على مولده زحل والمريخ فنحوستهما دلالة على منحسة الدنيا والآخرة. واما امتزاج عطارد بالسعادة والنحوسة فهو دليل على أمور الدنيا والآخرة وتعلق احداهما بالاخري. وأما كون البروج المنقلبة وحالاتها تدل على تقلب أحوال أبناء الدنيا. والبروج الثوابت تدل على ثبات أحوال أبناء الآخرة والبروج ذوات الجسدين تدل على تعلق أمور الدنيا والآخرة أحدهما بالآخر

وقد قيل ان طالع الدنيا السرطان وهو برج منقلب وأوتاده مثله وأما العقدتان اللتان تسمى احداهما رأس التنين والأخرى الذنب فليسا بكوكبين ولا جسمين ولكنهما أمران خفيان كما بينا قبل ولهما حركات في البرج كحركات الكواكب، ولهما دلالة على الكائنات كدلالة الكواكب النحوس وهما خفيا الذات ظاهرا الافعال لخفاء ذاتيهما وظهور أفعالهما يدل على ان في العالم نفوساً أفعالها ظاهرة وذواتها خفية يسمون الروحانيين وهم أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين، فأجناس الملائكة هي نفوس خيرة موكلة بحفظ العالم وصلاح الخليقة وقد كانت متجسدة قبل وقتاً من الزمان فتهذبت واستبصرت وفارقت أجسادها واستقلت بذاتها وفازت ونجت وساحت في فضاء الأفلاك وسعة السموات فهي مغتبطة فرحانة مسرورة ملتذة مادامت السموات والارض. وأما عفاريت الجن ومردة الشياطين فهي نفوس شريرة مفسدة وقد كانت متجسدة قبل وقتاً من الزمان ففارقت أجسادها غير مستبصرة ولا متهذبة فبقيت عمياً عن رؤية الحقائق صماً عن استماع الصواب بكماً عن النطق الفكري في المعاني اللطيفة

فهي سابحة فى ظلمات بحر الهيولى غائصة في قعر من الأجسام المظلمة ذي ثلاثة شعب تهوي في هاوية البرزخ كلما نضجت جلودهم بالبلاء بدلناهم جلوداً غيرها بالكون فذلك دأبهم مادامت السموات والأرض لابثين فيها أحقاباً لايجدون برد نسيم عالم الأرواح ولا يذوقون لذة شراب المعارف فهذه حالهم الى يوم يبعثون .
وأما الظاهر من تأثيرات الرأس والذنب فهو كسوف النيرين وذلك انهما من أوكد الأسباب في كسوفهما وانما اقتضت الحكمة كسوف النيرين لكيما تزول التهمة والريبة من قلوب المرتابين بأنهما إلهان فلو كانا إلهين ما انكسفا وانما صارت محنة الشخصين النيرين الجليلين بأمرين خفيين ليكون دليلا على ان أعظم المحنة من الشيطان على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين لأن الأنبياء هم شموس بنى آدم وأقمارهم فمن ذلك قصة ابليس مع آدم أبي البشر واخراجه له من الجنة وقصة ركوبه مع نوح في السفينة وقصته مع ابراهيم خليل الرحمن يوم طرح في النار فى اصلاح المنجنيق وقصته مع موسى عليه السلام حين وسوس اليه ان هذا الكلام الذي تسمع لعله ليس كلام رب العالمين فعند ذلك قال موسى رب أرني أنظر اليك قال لن تراني . وقصته مع المسيح وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء معروفة يطول شرحها . وانما ذكرنا هذه الأحرف في هذه الرسالة لأن أكثر أهل زماننا الناظرين في علم النجوم شاكون فى أمر الآخرة متحيرون فى أحكام الدين جاهلون بأسرار النبوات منكرون للحساب والبعث فدللناهم على تحقيق ما أنكروه من صناعتهم ليكون أقرب من فهمهم وأوضح لبيانهم وكذلك فعلنا فى سائر رسائلنا التى عملناها فى فنون العلوم

﴿ فصل فى علم أحكام النجوم ﴾

وإذ قد ذكرنا طرفاً من علم الهيئة وتركيب الافلاك شبه المدخل والمقدمات فنريد أن نذكر أيضاً طرفاً من علم « الأحكام » الذي يعرف بالاستدلال:

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه، ان العلماء مختلفون فى تصحيح علم

الأحكام وحقيقته فمنهم من يرى ويعتقد ان للأشخاص الفلكية دلالات على الكائنات فى هذا العالم قبل كونها ومنهم من يرى ويعتقد ان لها أفعالا وتأثيرات أيضاً مع دلالاتها ، ومنهم من يرى ويعتقد أن ليس لها أفعال ولا تأثيرات ولا دلالات البتة بل ترى ان حكمها حكم الجمادات والموات بزعمهم فأما الذين قالوا ان لها دلالات فهم أصحاب الأحكام وانما عرفوا دلالاتها بكثرة العناية بالارصاد لحركاتها وتأثيراتها والنظر فيها واعتبار أحوالها وشدة البحث عنها والناس لتصاريف أمورها على ممر الأيام والشهور والأعوام أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن كلما أدركوا شيئاً منها أثبتوه فى الكتب كما ذكروها فى كتبهم بشرح طويل وأما الذين أنكروا ذلك فهم طائفة من أهل الجدل تركوا النظر فى هذا العلم وأعرضوا عن اعتبار أحوال الفلك وأشخاصه وحركاته ودورانه وأغفلوا البحث عنها والتأمل لتصاريف أمورها فجهلوا ذلك وأنكروه وعادوا أهلها وناصبوهم العداوة والبغضاء وأما الذين ذكروا أن لها مع دلالاتها أفعالا وتأثيرات فى الكائنات التى تحت فلك القمر فانما عرفوا ذلك بطريق آخر غير طريق أصحاب الاحكام وبحث أشد من بحثهم واعتبار أكثر من اعتبارهم وهو طريق الفلسفة الروحانية والعلوم النفسانية وتأييد إلهي وعناية ربانية ونريد أن نذكر من هذا الفن طرفاً ليكون ارشاداً للمحبين للفلسفة والراغبين فيها ودلالة لهم عليها ورغبة فيها أعنى علم الفلسفة

فاعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سمواته خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله في أفلاكه كما ان ملوك الارض هم خلفاء الله في أرضه، خلفهم وملكهم بلاده وولاهم على عباده ليعمروا بلاده ويسوسوا عباده ويحفظوا شرائع أنبيائه بانفاذ أحكامهم على عباده، وحفظ نظامهم على أحسن حالات مايتأتي فيهم وأتم غايات مايمكنهم من البلوغ اليها وأفضل نهايات مايصلون اليها اما في الدنيا واما في الآخرة .

فعلى هذا المثال والقياس تجري أحكام هذه الكواكب في هذه الكائنات التي تحت فلك القمر ولها أفعال لطيفة وتأثيرات خفية تدق على أكثر الناس معرفتها وكيفيتها كما تدق على الصبيان والجهال معرفة كيفية سياسة الملوك وتدبيرهم في رعيتهم وانما يعرف ذلك منها العقلاء والبالغون المتأملون للامور فهكذا أيضاً لا يعرف كيفية تأثيرات هذه الكواكب وأفعالها في هذه الكائنات الا الراسخون في العلوم من الحكماء والفلاسفة البالغون في المعارف الربانية الناظرون في العلوم الالهية المؤيدون من السماء بتأييد الله والهامه لهم

« فصل »

(في كيفية وصول قوى أشخاص العالم العلوي الى أشخاص العالم السفلى)

« الذي هو عالم الكون والفساد »

اعلم أيدك الله وايانا بروح منه ان معنى قول الحكماء « العالم » انما هو اشارة الى جميع الاجسام الموجودة وما يتعلق بها من الصفات وهو عالم واحد كمدينة واحدة أو حيوان واحد ولكن لما كانت الاجسام كلها تنقسم قسمين حسب فمنها عالم الافلاك ومنها عالم الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ويسمى عالم الكون والفساد فنقول: ان أول حد عالم الافلاك هو من أعلى سطح الفلك المحيط الى منتهى مقعر سطح فلك الاثير وهو فلك القمر ثم مما يلي الهواء، وحد عالم الاركان هو من مقعر سطح فلك القمر الى منتهى الارض ويسمى احدهما العالم العلوي والآخر العالم السفلى لان العلوي هو مما يلي المحيط والسفلى مما يلي المركز واما الذي فوق الفلك فهو رتبة النفس الكلية التي هي سارية قواها في جميع الاجسام التي في العالمين جميعا من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض باذن الباري جل ثناؤه

واعلم يا أخي ان أول قوة تسري من النفس الكلية نحو العالم فهي في الاشخاص الفاضلة النيرة التي هي الكواكب الثابتة ثم بعد ذلك في الكواكب السيارة

ثم بعد ذلك فيما دونها من الاركان الاربعة وفى الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان

واعلم بان مثال سريان قوى النفس الكلية فى الاجسام الكلية والجزئية جميعاً كمثال سريان نور الشمس والكواكب فى الهواء ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض

واعلم يا أخي بان الكواكب السيارة ترتقى تارة بحركاتها الى أعلى ذرى أفلاكها واوجاتها وتقرب من تلك الاشخاص الفاضلة التى تسمى الكواكب الثابتة وتستمد منها النور والفيض والقوى وتارة تنحط الى الحضيض وتقرب من عالم الكون والفساد وتوصل تلك الفيضات والقوى الى هذه الاشخاص السفلية فتسري فيها كما تسري قوة النفس الحيوانية فى الدماغ، ثم بتوسط الاعصاب تصل الى سائر اطراف البدن كما بينا كيفيتها فى رسالة الحاس والمحسوس فاذا وصلت تلك القوى والفيضات مع شعاعاتها الى هذا العالم فانها تسري أولا فى الاركان الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض ثم يكون ذلك سببا لكون الكائنات التى هى المعادن والنبات والحيوان ويكون اختلاف أجناسها وأنواعها بحسب اختلاف أشكال الفلك واختلاف الاماكن واختلاف الازمان لايعلم أحد كثرتها وفنون أشخاصها وتفاوت أوصافها الا الله جل ثناؤه الذي هو خالقها وبارئها ومنشئها ومصورها كيف شاء

﴿فصل فى بيان كيفية سعادات الكائنات ومناحسها﴾

اعلم ان الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق والكواكب أيضاً هكذا دائمة وان الحركات على توالى البروج كما هو بين فى الزيجات والتقاويم وهكذا أيضاً الكائنات دائمة فى الكون والفساد متصلة لاتنقطع ليلا ولا نهارا ولا شتاء ولا صيفاً ولكن اذا اتفق فى وقت من الزمان ان تكون الكواكب السيارة فى أوجاتها أواشرافها أوبيوتها

أو حدودها أو يكون بعضها من بعض على النسبة الفضلى التى تسمى النسبة الموسيقية وهى النصف والثلث والربع والثمن سرت تلك القوى عند ذلك من النفس الكلية ووصلت بتوسط تلك الكواكب الى هذا العالم السفلى الذي هو دون فلك القمر وحدث بذلك السبب الكائنات على أعدل مزاج وأصح طبائع وأجود نظام ونشأت ونمت وتمت وكملت وبلغت الى أقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها التى هى قاصدة نحوها وتسمى تلك الاحوال والاوصاف وما يتكون عنها سعادة وخيرات واذا اتفق أن يكون شكل الفلك ومواضع الكواكب على ضد ذلك كان أمر الكائنات بالضد أيضا وتناقصت من بلوغ غاياتها وتمام نهاياتها وسميت تلك مناحس الفلك وسبب الشرور ولا يكون ذلك بالقصد الاول ولكن بأسباب عارضة كما بينا في رسالة الآراء والمذاهب في باب علل الشرور وأسبابها فاعرفها من هناك ان شاء الله وحده

﴿ فصل فى علة اختلاف تأثيرات الكواكب ﴾

« فى الكائنات الفاسدات التى دون فلك القمر »

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان اشراق الكواكب على الهواء ومطارح شعاعاتها على مركز الارض على سنن واحد ولكن قبول القابلات لها ليس بواحد بل مختلف بحسب اختلاف جواهرها

مثال ذلك أن الشمس اذا أشرقت من الافق أضاءت الهواء من نورها وسخن وجه الارض من انعكاس شعاعاتها كما بينا في رسالة الآثار العلوية وجف الطين وذاب الثلج ولان الشمع ونضج الثمر ونتن اللحم وابيضت ثياب القصارين واسودت وجوههم وانعكس الشعاع من السطوح الصقيلة الوجوه كوجه المرايا وسرى الضوء في الاجسام الشفافة كالزجاج والبلور والمياه الصافية وقويت أبصار أكثر الحيوانات وضعفت أبصار بعضها كالبوم والخفافيش وبنات وردان وما شاكلها من الحيوانات فيكون اختلاف تلك التأثيرات منها في هذه الاشياء بحسب اختلاف جواهرها وتركيبها ومزاجها وقبولها والا فالاشراق واحد . وعلى هذا

المثال اختلاف قبولها لتأثيرات سائر الكواكب فى المواليد وتحاويل السنين

ومثال آخر اذا اتفق للفلك شكل محمود من سعادة أحوال الكواكب في وقت من أوقات الازمان ويولد فى ذلك الوقت عدة مواليد من أجناس الحيوانات ومواليد الناس ولكن يكون بعضهم من أولاد الملوك والرؤساء وبعضهم من أولاد التجار والدهاقين وأرباب النعم وبعضهم من أولاد الفقراء والمساكين والمكدين فلا يكون قبولهم لسعادة الفلك على سنن واحد بل كل واحد منهم بحسب مرتبته وذلك ان أولاد المكدين اذا حسنت أحوالهم من السعادة فهو ان يبلغوا مرتبة أولاد التجار وأرباب النعم وأوساط الناس واذا حسن أولاد التجار فهو ان يبلغوا مرتبة أولاد الملوك وأولاد الملوك اذا قبلوا سعادة الفلك ارتقوا وبلغوا سرير الملك والسلطان وان نحسوا قصر بهم عن ذلك وكذلك كل واحد من اولئك الذين تقدم ذكرهم ينحط من درجة الى مادونها في المرتبة

ومثال آخر أنه اذا اتفق عدة مواليد في طالع واحد ووقت واحد في بلدان مختلفة وشكل الفلك يدل على ان يكونوا شعراء خطباء غير ان بعضهم في بلاد العرب وبعضهم فى بلاد النبط وبعضهم في بلاد الارمن فقبولهم يختلف لأن العربي أسرع قبولا لخاصية بلده والنبطي دون ذلك والارمنى دونه وعلى هذا المثال والقياس تختلف تأثيرات الكواكب في الكائنات وقد ذكرت علل ذلك في كتب الاحكام بشرح طويل فاعرفه من هناك

واعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن لهذه الكواكب السيارة في أفلاكها المختصة بها حالات مختلفة

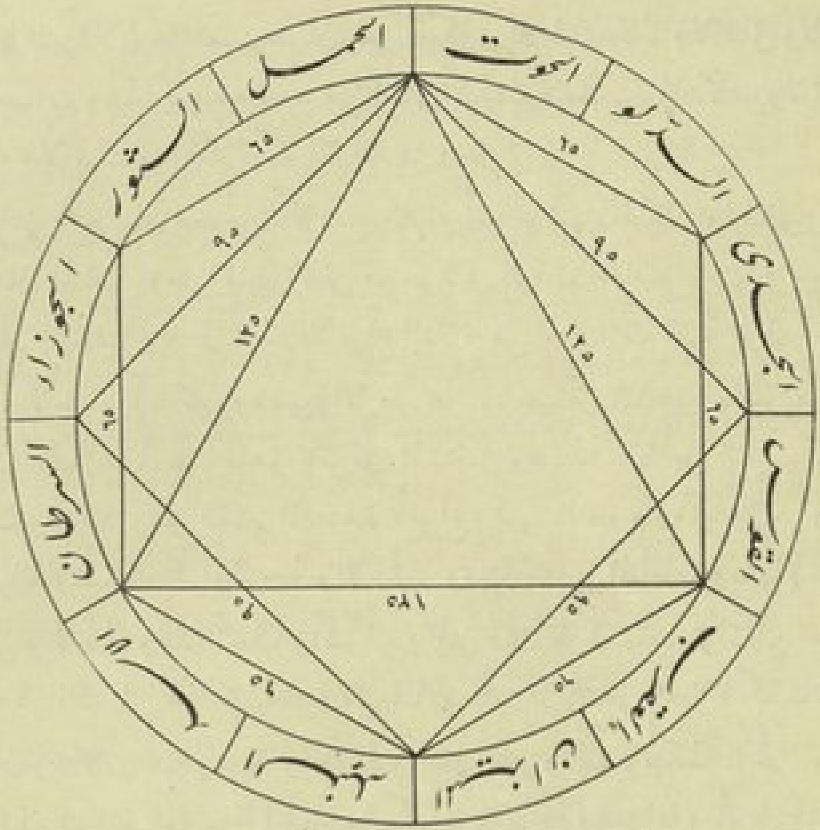
فمن ذلك السرعة فى السير والابطاء في الحركة والوقوف والاستقامة والرجوع والارتفاع فى الاوجات والانحطاط الى الحضيض والكون فى الميل والذهاب فى العرض والبلوغ الى الجوزهر وما يشاكل ذلك من الاوصاف المختلفة ولها ايضاً فى هذه البروج أقسام وانصبة كالبيوت والوبال والشرف والهبوط والمثلثات والحدود والنوبهرات وماشاكل ذلك ولها أيضاً مناظرات بعضها الى

بعض واتصالات ومقارنات وانصرافات واحترافات وتشريق وتغريب والكون في الاوتاد أو مايليها أو الزوال عنها وماشا كل هذه الاوصاف المذكورة فى كتب الاحكام بشرح طويل وقد ذكرنا طرفاً من هذه الاوصاف فيما تقدم من هذه الرسالة .

واعلم يا أخي ان هذه الكواكب السيارة تسير فى موازاة هذه البروج بحركاتها المختلفة فربما اجتمع اثنان منها فى برج واحد أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو كلها وذلك فى الندرة فى الازمان الطوال واما فى أكثر الاوقات فتكون متفرقة فى البروج ودرجاتها ويعرف مواضعها من البروج والدرج والدقائق من التقاويم والزيجات فى أي وقت وأي زمان شئت

واعلم ياأخي ان الشمس من بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود فى التمثيل والقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشتري كالقاضى وزحل كصاحب الخزائن والزهرة كالجواري والخدم والافلاك لها كالاقاليم والبروج كالبلدان والسوادات والحدود والوجوه كالمدن والدرجات كالقرى والدقائق كالمحال والاسواق فى المدن والثوانى فى الدقائق كالمنازل فى المحال والدكاكين فى الاسواق والكواكب فى البروج كالارواح فى الاجساد والكوكب فى بيته كالرجل فى بلده وعشيرته والكوكب فى شرفه كالرجل فى عزه وسلطانه والكوكب فى مثلثه كالرجل فى منزله أو دكانه أو ضيعته والكوكب فى وجهه كالرجل فى زيه ولباسه والكوكب فى حده كالرجل فى خلقه وسجيته والكوكب فى أوجه كالرجل فى أعلى مرتبته والكوكب في حيزه كالرجل فى حاله اللائقة به وفي أصحابه ورفقائه والكوكب في وباله كالرجل المختلف المدبر والكوكب في غير حيزه كالرجل فى حال منكر والكوكب فى برج لاحظ له فيه كالرجل الغريب في بلدة غريبة والكوكب فى هبوطه كالرجل الذليل المهين والكوكب في حضيضه كالرجل الوضيع الحال الساقط عن مرتبته والكوكب تحت الشعاع كالبطل المحبوس والمحترق كالمريض والواقف كالمتحير في أمره والراجع كالعاصى

المخالف والسريع السير كالمقبل الصحيح والبطيء السير كالضعيف الذاهب القوة والكوكب في التشريق كالرجل النشيط والكوكب في التغريب كالهرم والناظر كالطالع الذاهب نحو حاجته والمنصرف كقاضى وطره والمقترنان من الكواكب كالقرينين من الناس والكوكب في الوتد كالرجل الحاضر للشيء الحاصل فيه ومائل الوتد كالجاني المنتظر والزائل كالذاهب او الفائت والكوكب فى الطالع كالمولود فى الظهور أو الشيء فى الكون وفى الثاني كالمنتظر الذي سيكون وفى الثالث كالذاهب الى لقاء الاخوان وفى الرابع كالرجل في دار آبائه او الشيء فى معدنه وفى الخامس كالرجل المستعد للتجارة او الفرحان بما يرجو وفى السادس كالهارب المنهزم المتعوب وفى السابع كالرجل المبارز المنازع المحارب وفى الثامن كالرجل الخائف الوجل وفى التاسع كالرجل المسافر البعيد من الوطن الزائل من سلطانه وفى العاشر كالرجل فى عمله وسلطانه المعروف المشهور به وفى الحادى عشر كالرجل الواد الموافق المحب وفى الثاني عشر كالمحبوس الكاره لموضعه المبغض لما هو فيه . واذا توارى كوكبان منها في درجة من الفلك فيقال انهما مقترنان واذا جاوز أحدهما الآخر فيقال قد انصرف واذا لحق بالآخر فيقال قد اتصل به والاتصال قد يكون بالمقارنة وقد يكون بالنظر وهو أن يكون بينهما ستون درجة سدس الفلك أو تسعون درجة ربع الفلك أو مائة وعشرون درجة ثلث الفلك أو مائة وثمانون درجة نصف الفلك فاذا تناظرا فى التسديس فهما كالرجلين المتوادين بسبب من الاسباب واذا تناظرا فى التثليث فهما كالرجلين المتفقين فى الطبع والخلق واذا تناظرا فى التربيع فكالرجلين المتعاملين اللذين يدعي كل واحد منهما الامر لنفسه واذا تناظرا فى المقابلة فهما كالرجلين المتنازعين أو كالشريكين المتغارمين وهذا مثاله وصورته



فقد تبين بهذه الصورة ان مناظرة الكواكب بعضها الى بعض من سبعة مواضع من درجات الفلك ومعنى مناظراتها ومطارح شعاعاتها

واعلم ان الكواكب تطارح شعاعاتها الى جميع درجات الفلك فتضيئها وتملأها نوراً وضياء كما ان السراج يضيء جميع أجزاء الدائرة وبسيطها وانما ذكر علماء النجوم سبعة مواضع منها لظهور أفعالها وبيان تأثيراتها في هذا العالم من تلك الدرجات المعلومة لمناسبات بعضها بعضاً لان أفعال الكواكب وتأثيراتها في هذا العالم انما هي بحسب مناسباتها من الارض أعني نسب اجرامها الى جرم الارض وابعادها من مركز الارض أو بحسب تناسب حركاتها بعضها الى بعض وقد بينا طرفاً من علم هذا النسب في رسالة الموسيقي

﴿ فصل في ان المنجم لا يدعي علم الغيب فيما يخبر به من الكائنات ﴾

واعلم ان كثيراً من الناس يظنون ان علم أحكام النجوم هو ادعاء الغيب وليس

الامر كما ظنوا لان علم الغيب هو ان يعلم مايكون بلا استدلال ولا علل ولا سبب من الاسباب وهذا لا يعلمه أحد من الخلق كذلك لا منجم ولا كاهن ولا نبي من الانبياء ولا ملك من الملائكة الا الله عز وجل

واعلم يا أخي ان معلومات الانسان ثلاثة أنواع فنها ماقد كان وانقضى ومضى مع الزمان الماضي ومنها ماهو كائن موجود في الوقت الحاضر ومنها ماسيكون في الزمان المستقبل وله الى هذه الانواع الثلاثة من المعلومات ثلاثة طرق أحدها السماع والاخبار لما كان ومضى والآخر هو الاحساس لما هو حاضر موجود والثالث الاستدلال على ماهو كائن في المستقبل وهذا الطريق الثالث الطف الطرقات وأدقها وهو ينقسم الى عدة أنواع، فنها بالنجوم ومنها بالزجر والفال والكهانة ومنها بالفكر والروية والاعتبار ومنها بتأويل المنامات ومنها بالخواطر والوحي والالهام وهذا أجلها وأشرفها وليس ذلك باكتساب ولكن موهبة من الله عز اسمه لمن شاء ان يجتبيه من عباده. فأما علم النجوم فهو اكتساب من الانسان وتكلف منه وجهد واجتهاد في تعلم العلم وطلبه وهكذا الزجر والفال والنظر في الكتف وضرب الحصى والكهانة والقيافة والعرافة وتأويل المنامات وما شاكلها كلها يحتاج الانسان فيها الى التعلم والنظر والفكر والروية والاعتبار وهذا الفن من العلم يتفاضل فيه الناس بعضهم على بعض وكل واحد يختص بشيء منه

واعلم يا أخي ان الكائنات التي يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع فنها الملل والدول التي يستدل عليها من القرانات الكبار التي تكون في كل الف سنة بالتقريب مرة واحدة ومنها أن تنتقل المملكة من أمير الى أمير ومن أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت آخر وهي التي يستدل عليها وعلى حدوثها من القرانات التي تكون في كل مئتين وأربعين سنة مرة واحدة ومنها تبدل الاشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتن التي يستدل عليها من القرانات التي تكون في كل عشرين سنة مرة واحدة، ومنها الحوادث والكائنات التي تحدث في كل سنة من الرخص والغلاء والجدب والخصب

والحدثان والبلاء والوباء والموتان والقحط والأمراض والاعلال والسلامة منها ويستدل على حدوثها من تحاويل سني العالم التي تؤرخ بها التقاويم ومنها حوادث الأيام شهراً شهراً ويوماً يوماً التي يستدل عليها من الاوقات والاجتماعات والاستقبالات التي تؤرخ بها في التقاويم، ومنها أحكام المواليد لواحد واحد من الناس في تحاويل سنيهم بحسب ما يوجبه لهم تشكل الفلك ومواضع الكواكب في أصول مواليدهم وتحاويل سنيهم، ومنها الاستدلال على الخفيات من الامور كالخبر والسرقة واستخراج الضمير والمسائل التي يستدل عليها من طالع وقت المسئلة والسؤال عنها

واعلم يا أخي انه ليس في معرفة الكائنات قبل كونها صلاح لكل واحد من الناس لأن في ذلك تنغيصاً للعيش واستجلاباً للهم واستشعاراً للخوف والحزن والمصائب قبل حلولها وانما نظر الحكماء في هذا العلم وبحثهم عن هذه السرائر ليرضوا بذلك نفوسهم ويستعينوا بهذا العلم على الترقي الى ما هو أشرف منه وأجل وذلك ان الانسان العاقل المحصل المستيقظ القلب اذا نظر في هذا العلم وبحث عن هذا السر وعن أسبابه وعلله واعتبرها بقلب سليم من حب الدنيا انتبهت نفسه من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وانتعشت وانبعثت من موت الخطيئة وانفتحت لها عين البصيرة فأبصرت عند ذلك تصاريف الأمور وعرفت حقائق الموجودات ورأت بعين اليقين الدار الآخرة وتحققت أمر المعاد وعلمت عند ذلك بها ومن أجلها وتشوقت اليها وزهدت في الكون في الدنيا فعند ذلك تهون عليها مصائب الدنيا فلا تغتم ولا تجزع ولا تحزن اذا علمت موجبات أحكام الفلك من المخاوف والمصائب كما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وتصديق ذلك قول الله تعالى (كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)

واعلم يا أخي ان في معرفة علم النجوم فوائد كثيرة فنها ان الانسان اذا علم ما يكون من حادث في المستقبل أو كائن بعد الايام أمكنه أن يدفع عن نفسه

بعضها لا بأن يمنع ويدفع كونها ولكن يتحرز منها أو يستعد لها كما يفعل سائر الناس ويستعدون لدفع برد الشتاء بجمع الدثار ولحر الصيف بأخذ الكن ولسنى الغلاء بالادخار ولمواضع الفتن بالهرب منها والبعد عنها وترك الاسفار عند المخاوف وماشا كل ذلك مع علمهم بأنهم لا يصيبهم منها الا ما كتب الله لهم وعليهم وخصلة أخرى أيضاً وهي انه متى علم الناس الحوادث قبل كونها أمكنهم أن يدفعوها قبل نزولها بالدعاء والتضرع الى الله تعالى والتوبة والانابة اليه وبالصوم والصلاة والقربان والسؤال إياه أن يصرف مايخافون نزوله ويرفع ويدفع عنهم مايحذرون منه

واعلم يا أخي انك ان نظرت في أسرار النواميس وتأملت سنن الشرائع وأحكام الديانات علمت وتبين لك ان أجل أغراض واضعي النواميس كان هذا الذي ذكرت لك وذلك أن موسى عليه السلام ، أوصى بني اسرائيل فقال لهم احفظوا شرائع التوراة التي أنزل الله علي واعملوا بوصاياها فان الله تعالى يسمع دعاءكم ويرخص أسعاركم ويخصب بلادكم ويكثر أموالكم وأولادكم ويكف عنكم شر أعدائكم ومتى خفتم حوادث الأيام ومصائب الزمان فتوبوا الى الله جميعاً توبة نصوحاً واستغفروه وصلوا له وصوموا وتصدقوا في السر والعلانية وادعوه خوفاً وتضرعاً حتى يصرف عنكم شر ماتخافون ويدفع عنكم ماتحذرون ويكشف عنكم ماينزل بكم من محن الدنيا ومصائبها وحوادث أيامها وعلى هذا المثال كانت وصية المسيح عليه السلام لاصحابه الحواريين ولاحاجة بنا أن نكرر وصية محمد صلى الله عليه وسلم لأمته

***

واعلم ان الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل الورع والمتنسكين قد نهوا عن النظر في علم النجوم وانما نهوا عنه لأن علم النجوم جزء من علم الفلسفة ويكره النظر في علوم الفلسفة للأحداث والصبيان وكل من لم يتعلم علم الدين ولا يعرف

من أحكام الشريعة قدر مايحتاج اليه وما هو فرض عليه ولا يسعه جهله وتركه فاما من قد تعلم علم الشريعة وعرف أحكام الدين وتحقق أمر الناموس فان نظره في علم الفلسفة لايضره بل يزيده في علم الدين تحققاً وفى أمر المعاد استبصاراً وبثواب الآخرة وبالعقاب الشديد يقيناً واليها اشتياقا وفي الآخرة رغبة والى الله تعالى قربة وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد

تمت الرسالة الثالثة في الاسطرنوميا من رسائل اخوان الصفاء والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين



الرسالة الرابعة

من القسم الرياضي

فى الجغرافيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة الرابعة فى جغرافيا يعنى صورة الارض والاقاليم من رسائل اخوان الصفا صان الله اقدارهم

مالله سر الا وهو ظاهر على ألسنة خلقه ولا له ستر أنحن من جهلهم به لانه لايعلم ماهو إلا هو والى ربك المنتهى، منه بدأ واليه يعود ثم اليه ترجعون فوجد الله عنده فوفاه حسابه البارى . وحده قبل كثرة كل انسان . وحده بعد كل كثرة . وكل كثرة فمن الواحد بدئت واليـه تعود ، وكل الموجودات فمن البارى بدأت واليه تعود . ياابن آدم أنا الله حي لايموت ان اطعتنى وقبلت وصيتى جعلتك حيا لاتموت . ياابن آدم انا الله أقول للشيء كن فيكون اطعنى اجعلك تقول للشيء كن فيكون

من أجل أن مذهب أخواننا ايدهم الله وايانا بروح منه هو النظر فى جميع الموجودات والبحث عن مبادئها وعن علة وجدانها وعن مراتب نظامها والكشف عن كيفية ارتباط معلولاتها بعللها باذن باريها جل ثناؤه احتجنـا الى أن نذكر حال الارض وكيفية صورتها وسبب وقوفهـا فى مركز العالم، وذلك ان المعرفة بحالها وبكيفية وقوفها فى الهواء من العلوم الشريفة لأن عليها وقوف اجسامنا ومنها بدأ كون أجسادنا ونشوؤها ومادة بقائها واليها عودها عند مفارقتها نفوسها وايضاً فان النظر في هذا العالم يكون سببا لترقي همم نفوسنا الى عالم الافلاك مسكن

العليين ويكثر جولان أفكارنا فى محل الروحانيين وكثرة أفكارنا فى عالم الافلاك تكون سببا لانتباه نفوسنا من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويدعوها ذلك الى الانبعاث من عالم الكون والفساد الى عالم البقاء والدوام ويرغبها فى الرحلة من عالم الاجساد وجوار الشياطين الى عالم الارواح وجوار الملائكة المقربين. وقد ذكرنا فى هذه الرسالة طرفا من كيفيـة صورة الارض وصفة الربع المسكون منها وما فيه من الاقاليم السبعة ومن البحار والجبـال والبرارى والانهار والمدن ليكون طريقاً للمبتدئين بالنظر فى علم الهيئة وتركيب الافلاك وطوالع البروج ودوران الكواكب ويقرب تصورها فى افكار المتعلمين ويسهل تأملها للمتفكرين فى ملكوت السموات والارضين الذين يقولون (ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) وقال الله تعالى : (وفى الارض آيات للموقنين) . وقال (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)

﴿ فصل ﴾

﴿ فى صفة الاقاليم وما فى الربع المسكون من الارض مع مافيها من الجبال والبحار والبرارى والانهار والمدن وما فى البحار من الجزائر والمدن ﴾

وقبل وصفها نحتاج ان نذكر صفة الارض وجهاتها الست وكيفيـة وقوفها فى الهواء . أما الجهات فهي الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق والاسفل . فالشرق من حيث تطلع الشمس والغرب من حيث تغرب الشمس والجنـوب من حيث مدار سهيل والشمال من حيث مدار الجدى والفرقدين والفوق مما يلي السماء والاسفل مما يلي مركز الارض والارض جسم مدور مثل الـكرة وهي واقفة فى الهواء بأن الله يجمع جبالها وبحارها وبراريها وعماراتها وخرابها والهواء محيط بها من جميع جهاتها شرقها وغربها وجنوبها وشمالها ومن ذا الجانب ومن ذلك الجانب وبعد الارض من السماء من جميع جهاتها متساو وأعظم دائرة فى بسيط الارض ٢٥٤٥٥ ميلا ٦٨٥٥ فرسخاً وقطر هذه الدائرة هو قطر الارض ٦٥٥١

ميلا ٢١٦٧ فرسخاً بالتقريب ومركزها هي نقطة متوهمة في عمقها على نصف القطر وبعدها من ظاهر سطح الارض ومن سطح البحر من جميع الجهات متساو لان الارض بجميع البحار التي على ظهرها كرة واحدة وليس شيء من ظاهر سطح الارض من جميع جهاتها هو أسفل الارض كما يتوهم كثير من الناس ممن ليس له رياضة بالنظر في علم الهندسة والهيئة وذلك أنهم يتوهمون ويظنون بأن سطح الارض من الجانب المقابل لموضعنا هو أسفل الارض وان الهواء المحيط بذلك الجانب هو أيضاً أسفل من الأرض وان النصف من فلك القمر المحيط بالهواء هو أيضاً أسفل من الهواء وهكذا سائر طبقات الأفلاك كل واحد أسفل من الآخر حتى يلزم أن أسفل السافلين هو نصف الفلك المحيط الذي هو أعلى عليين في دائم الأوقات وليس الأمر كما توهموا لأن هذا رأي يتعقله الانسان من الصبا بالتوهم بغير روية ولا برهان فاذا ارتاض الانسان في علم الهيئة والهندسة تبين له ان الامر بخلاف ما توهم قبل وذلك أن أسفل الأرض بالحقيقة هو نقطة وهمية في عمق الارض على نصف قطرها وهو الذي يسمى مركز العالم وهو عمق باطنها مما يلي مركزها من أي جانب كان من الارض لان مركز الارض هو أسفل السافلين فأما سطحها الظاهر المماس للهواء وسطح البحار من جميع الجهات فهو فوق والهواء المحيط ايضاً من جميع الجهات.

وفلك القمر هو فوق فلك الهواء وفلك عطارد هو فوق فلك القمر وعلى هذا القياس سائر الافلاك واحد فوق الآخر الى الفلك التاسع الذي هو فوق كل فوق وهو أعلى عليين ومقابله مركز الأرض أسفل السافلين.

واعلم يا أخي ان الانسان أي موضع وقف على سطح الارض من شرقها أو غربها أو جنوبها أو شمالها أو من هذا الجانب أو من ذلك الجانب وقوفه حيث كان فقدمه أبداً يكون فوق الارض ورأسه الى فوق مما يلي السماء ورجلاه أسفل مما يلي مركز الارض وهو يرى من السماء نصفها والنصف الآخر يستره عنه حدبة الارض فاذا انتقل الانسان من ذلك الموضع الى الموضع الآخر ظهر

له من السماء مقدار ماخفي عنه من الجهة الاخرى وذلك المقدار كل تسعة عشر فرسخا درجة وكل فرسخ ثلاثة أميال ، كل ميل أربعة آلاف ذراع ، كل ذراع ست قبضات كل قبضة أربع أصابع كل أصبع ست شعيرات

﴿ ذكر وقوف الارض في وسط الهواء وسببه ﴾

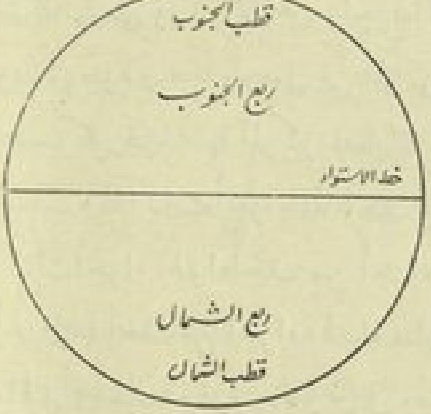
وأما سبب وقوف الارض في وسط الهواء ففيه أربعة أقاويل منها ماقيل ان سبب وقوفها هو جذب القلب لها من جميع جهاتها بالسوية فوجب لها الوقوف في الوسط لما تساوت قوة الجذب من جميع الجهات ومنها ماقيل أنه الدفع بمثل ذلك فوجب لها الوقوف في الوسط لما تساوت قوة الدفع من جميع الجهات ومنها ماقيل ان سبب وقوفها في الوسط هو جذب المركز لجميع أجزائها من جميع الجهات الى الوسط لانه لما كان مركز الارض مركز الفلك أيضاً وهو مغناطيس الاثقال يعنى مركز الارض وأجزاء الارض لما كانت كلها ثقيلة انجذبت الى المركز وسبق جزء واحد وحصل في المركز ووقف باقي الاجزاء حولها يعني حول النقط يطلب كل جزء منها المركز فصارت الارض بجميع أجزائها كرة واحدة بذلك السبب ولما كانت أجزاء الماء أخف من أجزاء الارض وقف الماء فوق الارض ولما كانت أجزاء الهواء أخف من أجزاء الماء صار الهواء فوق الماء والنار لما كانت أجزاؤها اخف من أجزاء الهواء صارت في العلو مما يلي فلك القمر والوجه الرابع ماقيل في سبب وقوف الارض في وسط الهواء هو خصوصية الموضع اللائق بها وذلك أن الباري عز وجل جعل لكل جسم من الاجسام الكليات يعني النار والهواء والماء والارض موضعا مخصوصاً هو اليق المواضع به وهكذا القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل جعل لكل واحد منها موضعاً مخصوصاً في فلكه هو ثابت فيه والفلك يديره معه. وهذا القول أشبه الاقاويل بالحق لان هذه العلة مستمرة في ترتيب الافلاك السبعة والكواكب الثابتة والسيارة والاركان الاربعة أعني النار والهواء والماء والارض وذلك ان الله تبارك وتعالى

جعل لكل موجود من الموجودات موضعاً يختص به دون سائر المواضع أو رتبة معلومة هي اليق به من سائر المراتب

﴿ صفة الارض وقسمة أرباعها ﴾

الارض نصفها مغطى بالبحر الاعظم المحيط والنصف الآخر مكشوف ، مثلها مثل بيضة غائصة نصفها في الماء والنصف الآخر ناتىء من الماء . وهذا النصف المكشوف نصف منه خراب مما يلي الجنوب من خط الاستواء والنصف الآخر الذي هو الربع المسكون مما يلي الشمال من خط الاستواء . وخط الاستواء هو خط متوهم ابتداؤه من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس برج الحمل ، والليل والنهار أبدا على ذلك الخط متساويان والقطبان هنالك ملازمان للافق احدهما مما يلي مدار سهيل في الجنوب والآخر في الشمال مما يلي الجدى وهذا مثال ذلك

﴿ صفة الربع المسكون من الارض ﴾



وفي هذا الربع الشمالي المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة جزائر تكسير كل جزيرة منها عشرون فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ فمنها بحر الروم وفيه نحو خمسين جزيرة ومنها بحر الصقالبة وفيه نحو من ثلاثين جزيرة ومنها بحر جرجان وفيه خمس جزائر ومنها بحر القلزم وفيه نحو من خمس عشرة جزيرة ومنها بحر فارس وفيه سبع جزائر ومنها بحر السند والهند وفيه نحو من الف جزيرة ومنها بحر الصين وفيه نحو من مائتى جزيرة ، وفى هذا الربع أيضاً خمس عشرة بحيرة صغاراً تكسير كل واحدة من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ منها مالح ومنها عذب . واما بحر الغرب وبحر يأجوج ومأجوج وبحر الزنج وبحر الزانج والبحر الاخضر والبحر المحيط فخارج عن هذا

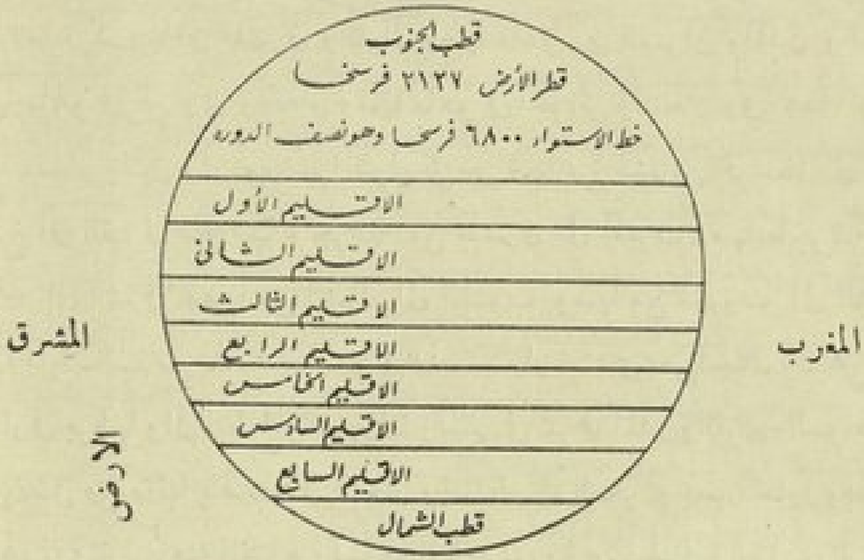
الربع المسكون وكل واحد من هذه الابحر شعبة وخليج من البحر المحيط وكلها مالح وفي هذا الربع أيضاً مقدار مئتى جبل طوال منها ماطوله من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ مختلف الالوان ومنها مايمتد طوله من المشرق الى المغرب أو من الجنوب الى الشمال ومنها مايتنكب مابين المشرق والجنوب ومنها مايتنكب مابين المشرق والشمال ومنها ماهو بين العمران والمدن والقرى ومنها ماهو في البراري والقفار ومنها ماهو في الجزائر والبحار وفي هذا الربع أيضاً مقدار مئتين وأربعين نهرا طول كل نهر منها من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ فمنها ماجريانه من المشرق الى المغرب ومنها ماجريانه من الغرب الى الشرق ومنها من الشمال الى الجنوب ومنها من الجنوب الى الشمال ومنها مايتنكب من هذه الجهات وكل هذه الانهار تبتدىء من الجبال وتنتهي الى البحار في جريانها والى البطائح والبحيرات وتسقي في ممرها المدن والقرى والسوادات وما يفضل من مائها ينصب الى البحار ويختلط بماء البحر ثم يصير بخاراً ويصعد في الهواء وتتراكم منه الغيوم وتسوقه الرياح الى رؤس الجبال والبراري ويمطر هناك ويسقي البلاد وتجري الاودية والانهار ويرجع الى البحار من الرأس وذلك دأبها في الشتاء والصيف ذلك تقدير العزيز العليم

وفي هذا الربع سبعة أقاليم تحتوي على سبعة عشر الف مدينة كبيرة يملكها نحو من الف ملك كل هذه في ربع واحد من بسيط الارض واما ثلاثة أرباعها الباقية فحكمها غير هذا

﴿ صفة الأقاليم السبعة ﴾

الأقاليم هي سبعة أقسام خطت في الربع المسكون من الارض كل اقليم منها كأنه بساط مفروش قد مد طوله من المشرق الى المغرب وعرضه من الجنوب الى الشمال وهي مختلفة الطول والعرض فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وذلك أن طوله من المشرق الى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب الى

الشمال نحو مئة وخمسين فرسخاً وأقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وذلك أن طوله من المشرق الى المغرب نحو من الف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب نحو من سبعين فرسخاً وأما سائر الاقاليم ففيما بينهما من الطول والعرض وهذا مثال ذلك والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب



﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن هذه الاقاليم السبعة ليست هي أقساماً طبيعية وكأنها خطوط وهمية وضعتها الملوك الأولون الذين طافوا الربع المسكون من الارض لتعلم حدود البلدان والممالك والمسالك مثل افريذون النبطي وتبع الحميري وسليمان بن داود الاسرائيلي عليهما السلام والاسكندر اليوناني وازدشير بن بابك الفارسي ليعلموا بها حدود البلدان والمسالك والممالك وأما ثلاثة أرباعها الباقية فمنعهم من سلوكها الجبال الشامخة والمسالك الوعرة والبحار الذاخرة والاهوية المتغيرة المفرطة التغير من الحر والبرد والظلمة مثل ما في ناحية الشمال تحت مدار الجدي فان هناك برداً مفرطاً جداً لانه ستة أشهر يكون الشتاء هناك ليلا كله فيظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه بشدة

البرودة ويتلف الحيوان والنبات وفى مقابل هذا الموضع فى ناحية الجنوب حيث مدار سهيل يكون نهاراً كله ستة أشهر صيفاً فيحمى الهواء ويصير ناراً سموماً ويحترق الحيوان والنبات من شدة الحر فلا يمكن السكنى ولا السلوك هناك وأما ناحية المغرب فيمنع السلوك فيها البحر المحيط لتلاطم أمواجه وشدة ظلماته وأما ناحية المشرق فيمنع السلوك هناك الجبال الشامخة فاذا تأملت وجدت الناس محصورين فى الربع المسكون من الارض وليس لهم علم بالثلاثة أرباع الباقية

واعلم ان الارض بجميع ماعليها من الجبال والبحار بالنسبة الى سعة الافلاك ماهي الا كالنقطة فى الدائرة وذلك أن فى الفلك ألفاً وتسعة وعشرين كوكباً أصغر كوكب منها مثل الارض ثمانى عشرة مرة وأكبرها مائة وسبع مرات فلشدة البعد وسعة الافلاك تراها كأنها الدر المنثور على بساط أخضر فاذا فكر الانسان فى هذه العظمة تبين له حكمة الصانع وجلالة عظمته فينتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويعلم أنه ماخلق هذه الاشياء الا لأمر عظيم وذلك قوله تعالى «ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق»

﴿ فصل فى الحث على النظر فى الارض للاعتبار ﴾

اعلم ياأخي بأن من دخل الدنيا وعاش فيها زماناً طويلا مشغولا بالأكل والشرب والنكاح دائباً فى طلب الشهوات والحرص على جمع المال والاثاث واتخاذ البنيان وعمارة الارض والعقارات وطلب الرياسة متمنياً الخلود فيها تاركا لطلب العلم غافلا عن معرفة حقائق الاشياء مهملا لرياضة النفس متوانياً في الاستعداد للرحلة الى الدار الآخرة حتى اذا فنى العمر وقرب الأجل وجاءت سكرة الموت التى هي مفارقة النفس الجسد ثم خرج من هذه الدار جاهلا لم يعرف صورتها ولم يفكر في الآيات التى فى آفاقها ولا اعتبر أحوال موجوداتها ولا تأمل الامور المحسوسة التى شاهد فيها فمثلهم مثل قوم دخلوا الى مدينة ملك عظيم حكيم عادل رحيم قد بناها بحكمته وأعد فيها من طرائف صنعته مايقصر

الوصف عنها الا بالمشاهدة لها ووضع فيها مائدة قوتاً للواردين اليها وزاداً للراحلين عنها ثم دعا عباداً له الى حضرته ليتحهم بالكرامة وأمرهم بالورود الى تلك المدينة فى طريقهم لينظروا اليها ويبصروا ما فيها ويتفكروا فى عجائب مصنوعاته ويعتبروا غرائب مصوراته ليروض بها نفوسهم فيصيرون برؤيتها ومعرفتها حكماء أخياراً فضلاء فيصلون الى حضرته ويستحقون كرامته فوردها قوم ليلا فباتوا طول ليلتهم مشغولين بالأكل والشرب واللعب واللهو ثم خرجوا منها سحراً لايدرون من أي باب دخلوا ولا من أيها خرجوا ولا رأوا مما فيها شيئاً من آثار حكمته وغرائب صنعته ولا انتفعوا بشيء منها أكثر من تمتعهم تلك الليلة بالأكل والشرب حسب .

فهكذا حكم أبناء الدنيا الواردين اليها جاهلين الماكثين فيها متحيرين مكرهين المنكرين أمر الدار الآخرة الراحلين عنها كما قال الله جل ثناؤه «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا» وقال ذماً لهم «صم بكم عمى فهم لايعقلون» بأمر الآخرة فأعيذك أيها الأخ البار الرحيم ان تكون منهم بل كن من الذين مدحهم عز وجل فقال جل ثناؤه «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» وحكى قولهم لما تمنوا عرض الدنيا حين قالوا «ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم» وقال الذين اوتوا العلم بحقيقة أمر الآخرة «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون» «وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم» وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم للسداد وهداك للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد. واذ قد فرغنا من ذكر الارض ووصفنا الربع المسكون نريد أن نذكر الاقاليم السبعة ونبين حدودها طولا وعرضاً وما فى كل اقليم من المدن الكبار والجبال والانهار الطوال

فاعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه بأن حدود الاقاليم

معتبرة بساعات النهار وتفاوت الزيادة فيها وبيان ذلك أنه اذا كانت الشمس فى أول برج الحمل كان طول الليل والنهار وساعاتهما تتساوى في هذه الاقاليم كلها فاذا سارت الشمس فى درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم حتى اذا بلغت آخر الجوزاء الذي هو أول السرطان صار طول النهار فى وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصفاً وفي وسط الاقليم الثالث أربع عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصفاً وفي وسط الاقليم الخامس خمسة عشر سواء وفى وسط الاقليم السادس خمسة عشر ونصف وفى وسط الاقليم السابع ستة عشر سواء وفى المواضع التى عرضها ست وستون درجة وما زاد الى تسعين درجة يصير نهاراً كله وشرح كيفيتها طويل مذكور فى المجسطي

واعلم ان معنى كل طول بلدة ومدينة هو بعدها من أقصى المغرب ومعنى عرضها هو بعدها من خط الاستواء ، وخط الاستواء هو الموضع الذي يكون الليل والنهار هناك أبداً متساويين فكل مدينة على ذلك الخط فلا عرض لها وكل مدينة في أقصى المغرب فلا طول لها أيضا ومن أقصى المغرب الى أقصى المشرق مائة وثمانون درجة مقدار كل درجة تسعة عشر فرسخاً وكل مدينة طولها تسعون درجة فهي فى وسط من المشرق والمغرب وما كان أكثر فهي الى المشرق أقرب وما كان أقل فهي الى المغرب أقرب وكل مدينتين إحداهما أكبر طولا وعرضاً فهي الى المشرق والشمال أقرب من الاخرى والتفاوت الذي يكون بينهما فى العرض كل درجة تسعة عشر فرسخاً بالتقريب وأما تفاوتهما في الطول فمختلف فما كان منها على خط الاستواء فكل درجة في الطول تسعة عشر فرسخاً وما كان فى الاقليم الاول فكل درجة سبعة عشر فرسخاً وما كان فى الثاني فكل درجة خمسة عشر فرسخاً وفي الثالث كل درجة ثلاثة عشر فرسخاً وفي الرابع كل درجة عشرة فراسخ وفي الخامس كل درجة سبعة فراسخ وفي السادس كل درجة خمسة فراسخ وفي السابع كل درجة ثلاثة فراسخ

﴿أسماء المدن الكبار﴾ التي ليست في الاقاليم السبعة وهي كل مدينة عرضها أقل من اثنتى عشرة درجة مما يلي خط الاستواء أولها مما يلي الشرق

العرض	الطول	أسماء المدن
يا	قكب	بشمير من الهند
ط	قب	جزيرة كوك من الهند
ه	عب	مدينة الطيب من السند
٣	عبا	حضرموت من اليمن
يب	س	رعاه من الحبشة
يا	ع	كوكو من الحبشة

(الاقليم الأول) لزحل وطوله من المشرق الى المغرب ٩٥٥٥ ميلا ٣١٨٥ فرسخاً وعرضه من الجنوب الى الشمال ٤٤٥ ميلا ١٤٦ فرسخاً وحده الاول مما يلي خط الاستواء حيث يكون ارتفاع القطب الشمالي ثلاث عشرة درجة غير ربع وساعات نهاره الأطول اثنتاعشرة ساعة و نصف وربع ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ست عشرة درجة وثلثى درجة وساعات نهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة وحده الثاني حيث يكون ارتفاع القطب عشرين درجة ونصفاً وطول نهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة وربع وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من عشرين جبلا منها ماطوله من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ وفيه أيضاً مقدار ثلاثين نهراً طوالا منها ماطوله من عشرين فرسخاً الى مائة فرسخ الى الف فرسخ وفيه من المدن المعروفة الكبار نحو من خمسين مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق على شمال جزيرة الياقوت فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب ثم يمر على شمال بلد سرنديب ثم يمر على وسط بلاد الهند ثم يمر على وسط بلاد السند ثم يقطع بحر فارس مما يلي الجنوب بلاد عمان ثم يمر على وسط بلاد الشحر ثم يمر على وسط بلاد اليمن ثم يقطع بحر القلزم هناك ويمر على وسط بلاد الحبشة

ويقطع نيل مصر هناك ثم يمر على بلاد النوبة ثم يمر على وسط بلاد البربر وبلاد البواي ثم يمر على جنوب بلاد مردانة وينتهي الى بحر المغرب وعامة أهل هذه البلدان سود

﴿أسماء المدن الكبار﴾ التي في هذه الاقاليم وهي كل مدينة عرضها من ثلاث عشرة درجة الى عشرين درجة فأولها مايلي المشرق

اسماء المدن	الطول	العرض
مدينة في اقصى الصين	سد	ط ط
مدينة في جزيرة من الصين	قل	يب
اسقريار وهي من الصين	فكه	بو
ماسيوقا من الهند	في	بو
حارون من الهند	قدل	بط
سقلي من السند	مه	يح
عمان من بلاد الغوب	سد	يح
الميد من السند	سد	ود
مدينة أخرى على البحر ميلا	بح	حه
عدن من اليمن	ل	بز
دنقلة من البلاد نوبة	يب	ك
كوص وواعله منه	لب	ك
مملكة الحبشة	ك	بط
جرمى الكبرى	كو	يط

الاقليم الثاني للمشتري وطوله من المشرق الى المغرب ٧٦٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٦٠٠ ميل وحده الاول مما يلي اقليم زحل ٤٠ حيث يكون ارتفاع القطب عشرين درجة ونصفاً فطول نهاره الاطول ثلاث عشرة

ساعة وربع ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب أربعـاً وعشرين درجة وست دقائق ونهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة و نصف وحده الثاني حيث يكون ارتفاع القطب من الافق سبعاً وعشرين درجة و نصفاً ونهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من سبعة عشر ميلا ومن الانهار الطوال مثل ذلك ومن المدن المعروفة الكبار نحو من خمسين مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق ويمر على وسط بلاد الصين ثم يمر على شمال بلاد سرنديب ثم يمر على بلاد الهند مما يلي الشمال ثم يمر على بلاد قندهار ثم يمر على وسط كابل وشمال بلاد السند وجنوب بلاد مكران ثم يقطع بحر فارس ويمر على بلاد عمان ثم يمر على وسط بلاد العرب ثم يقطع بحر القلزم ويمر على شمال بلاد الحبشة وجنوب بلاد صعيد مصر فيقطع نيل مصر هناك ثم يمر على وسط بلاد الزقة وأفريقيـة ثم يمر على شمال بلاد البربر وجنوب بلاد القيروان ثم يمر على وسط بلاد مرطانه وينتهي الى بحر المغرب واكثر أهل هذه البلدان ألوانهم من بين السمرة الى السواد

فمن المدن الكبار التي في هذا الاقليم أولها مما يلي المشرق في اقصى بلاد الصين وهو كل مدينة عرضها من ك الى كرك وأولها مما يلي المشرق

اسماء المدن	الطول	العرض
ط ما من الصين	قد	ك
طفولا من الصين	لمح	مه
طوانيا من الصين	فم	كد
قرى من الهند	فد	ا كد
مدينة في سفح جبل منه	فبا	كد
الغمرة من السند	مج	كب
البرور منه على البحر	مز	كم ل
الدميل منه	كب	كدك

تابع أسماء المدن	الطول	العرض
ديار تلي منه	عرمه	كدم
اليمامة من الحجاز	عامه	كاد
طائف من اليمن	يج	كب
مكة من تهامة	مر	كا
يثرب مدينة الرسول	سه	كه
اخميم من صعيد مصر	بهل	كوب
افريقية من الغرب	له	.
بلاد السواني	ك	كا

الاقليم الثالث للمريخ وطوله من المشرق الى المغرب ٨٢٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٣٥٥ ميلا وحده من سبعة وعشرين درجة ونصف الى ثلاث وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ثلاثين درجة ونصفاً وخمساً ونهاره الاطول أربع عشرة ساعة سواء وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثة وثلاثون جبلاومن الانهار الطوال اثنان وعشرون نهراً ومن المدن المعروفة الكبار مئة وثمانية وعشرون مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ثم يمر على شمال بلاد الهند وجنوب بلاد الترك ثم يمر على وسط كابل ثم على بلاد قندهار ثم على بلاد مكران ثم على جنوب بلاد سجستان ثم يمر على وسط بلاد كرمان ثم يمر على بلاد فارس مما يلي البحر ثم يمر على بلاد العراق مما يلي الجنوب ثم يمر على جنوب بلاد ديار بكر وشمال بلاد العرب ثم يمر على وسط الشام ثم يمر على بلاد مصر ويمر على بلاد الاسكندرية ثم يمر على وسط بلاد مرماريق ثم يمر على وسط بلاد القادسية وعلى وسط بلاد القيروان ثم يمر على بلاد طنجة وينتهي الى بحر المغرب وأ كثر أهل هذه البلدان سمر

﴿ أسماء المدن التي في الاقليم الثالث ﴾

وهى كل مدينة عرضها من (كرك الى الحرم) أولها مما يلى المشرق

أسماء المدن	الطول	العرض
اراندا من الصين	مح	كج
الفندهار من الهند	فك	لب
كابل من بلاد الهند	صديه	طل
روبح من سجستان	صب	ل
برمكران	لح	لو
السرحان من كرمان	عج	لا
شيراز من فارس	عه	لا
الاهواز من خوزستان	عد	لب
البصرة من العراق	سط	لح
الكوفة من العراق	سه	
دمشق من الشام	لو	لب
بيت المقدس من فلسطين	لزم	كط
الفسطاط من مصر	س	لا
الاسكندرية بطليموس	لانه	لامه
القيروان من المغرب	ك	له
طنجة من المغرب	صه	لح

الاقليم الرابع للشمس طوله من المشرق الى المغرب ٧٨٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٣٥٥ ميلا وحده من ثلاث وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة الى تسع وثلاثين درجة ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ستاً وثلاثين

درجة وخمسين دقيقة ونهاره الاطول أربع عشرة ساعة ونصف وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال خمسة وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان وعشرون نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو من مائتين واثنتي عشرة مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمر على الترك ممايلي الجنوب وشمال بلاد الهند وطخارستان ثم يمر على شمال بلاد بلخ باسيان ثم يمر على شمال بلاد مكران ثم يمر على وسط بلاد سجستان ثم بلاد كرمان ثم بلاد فارس ثم بلاد خوزستان ثم يمر على وسط بلاد العراق ثم يمر على وسط ديار ربيعة وديار بكر ثم يمر على جنوب بلاد الثغر وشمال بلاد الشام ويمر على وسط بحر الروم وجزيرة قبرص ويمر في البحر على شمال بلاد مصر والاسكندرية ثم يمر علي جزيرة صقلية وشمال بلاد مرماريقي وبلاد القادسية وبلاد القيروان وبلاد طنجة وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان الوانهم مابين السمرة والبياض . وهذا الاقليم هو اقليم الانبياء والحكماء لانه وسط لاقاليم ثلاثة منها جنوبية وثلاثة شمالية وهو أيضاً قسمة الشمس النير الاعظم وأهل هذا الاقليم أعدل الناس طباعا وأخلاقا ثم بعده الاقليمان اللذان عن جنبيه أعني الثالث والخامس فاما الاقاليم الباقية فاهلها ناقصون عن طبيعة الافضل لان صورهم سمجة وأخلاقهم وحشية مثل الزنج والحبشة وأكثر الامم الذين هم فى الاقليم الاول والثاني وكذلك الامم الذين هم فى الاقليم السادس والسابع مثل يأجوج ومأجوج والبلغار والصقالبة وأمثالهم وهى كل مدينة عرضها من لح م الى لط

اسماء المدن	العرض	الطول
كاشغر من بلاد الصين	كط	قف
نفت من بلاد الترك	لط	ص
سمرقند من وراء النهر	لور	صدك
بلخ من خراسان	نور	مه
هراة من خراسان	لح	قد
مرو من خراسان	لو	وح
نيسابور من خراسان	لح ر	لو
جرجان من الجبل	لزمه	عدك
امل من طبرستان	لي	عد
الري من فارس	لدمه	عه
الديلم وجيلان	ع لح	عدم.
اصفهان من فارس	لدك	عح لو
همذان من بلاد ماهان	مرمي	سط
بغداد من العراق	له ك	ماله
الموصل من ديار ربيعة	لح	سو
حلب من الشام	لدنب	لح

الاقليم الخامس للزهرة وطوله من الشرق الى الغرب ٧٤٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٢٥٥ ميلا وحده من تسع وثلاثين درجة الى ثلاث وأربعين درجة ونصف ووسطه من حيث يكون ارتفاع القطب احدى وأربعين درجة وثلثاً ونهاره الاطول ١٥ ساعة سواء

وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من ثلاثين جبلا ومن الانهار الطوال نحو من خمسة عشر نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو من مائتي مدينة

وابتداؤه من المشرق فيمر على وسط بلاد يأجوج ومأجوج ويمر على وسط بلاد الترك وعلى بلاد فرغانة وبلاد اسبيجاب وعلى وسط بلاد ماوراء النهر ويقطع جيحون وعلى وسط بلاد خراسان وعلى شمال بلاد سجستان وكرمان وعلى شمال بلاد فارس ووسط بلاد الري والمهان وعلى شمال بلاد العراق وجنوب بلاد اذربيجان وعلى وسط بلاد ارمينية وشمال بلاد الثغر ويمر على وسط بلاد الروم ويقطع خليج قسطنطينية هناك ويمر على شمال بحر الروم ووسط بلاد رومية ويمر على جنوب هيكل الزهرة وعلى وسط بلاد الاندلس وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان بيض وهي كل مدينة عرضها من لط الى مج ك

أسماء المدن	الطول	العرض
بلاد يأجوج ومأجوج	معا	سح
بلاد خاقان من الترك	فر	مت
الطراز من بلاد الترك	يول	م كه
اسبيجاب من السند	صح	م
خوارزم من وراء النهر	فيه	مو
اردبيل من اذربيجان	عح	م
اخلاط من ارمينية	سر	لط له
ملطية من ارمينية	سا	لط
ماقارونية	له	كد طر
رومية الكبرى من الروم	كح	مح

الاقليم السادس لعطارد وطوله من المشرق الى المغرب ٧٥٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٢٥٥ ميلاوحده من ثلاث وأربعين درجة ونصف الى

سبع وأربعين درجة وربع ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب خمساً وأربعين درجة وخمسين دقيقة ونهاره الاطول خمس عشرة ساعة ونصف

وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من اثنين وعشرين جبلا ومن الانهار الطوال نحو اثنين وثلاثين نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو تسعين مدينة وابتداؤه من المشرق فيمر على شمال بلاد يأجوج ومأجوج ويمر على جنوب بلاد سجستان وعلى جنوب بلاد الثغر وعلى وسط بلاد خاقان وجنوب بلاد كيماك وعلى شمال بلاد اسبيجاب وعلى شمال بلاد السغد وما وراء النهر وعلى وسط بلاد خوارزم وعلى شمال بلاد جرجان وطبرستان والديلم وكيلان ويقطع بحر طبرستان وعلى وسط بلاد اذربيجان وعلى وسط بلاد أرمنية وملطية على شمال بحر سطس وعلى شمال قسطنطينية وعلى وسط بلاد مقدونية وعلى وسط أفريقية مما يلي الشمال ويمر على جنوب بحر الصقالبة وعلى شمال هيكل الزهرة وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان ألوانهم مابين الشقرة والبياض وكل مدينة عرضها من مح مد الى مز به أولها مما يلي المشرق والله أعلم

الاقليم السابع: للقمر طوله من المشرق الى المغرب ٦٦٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ١٨٥ ميلا وحده من سبع وأربعين درجة وربع الى خمسين درجة ونصف ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ثمانياً وأربعين درجة وثلثين وطول نهاره الأطول ست عشرة ساعة سواء وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من عشرة جبال ومن الانهار الطوال نحو من أربعين نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو من اثنتين وعشرين مدينة وابتداؤه من المشرق فيمر على جنوب بلاد يأجوج ومأجوج وبلاد سجستان وبلاد غرغر وعلى بلاد كيماك وعلى جنوب اللان وعلى شمال بحر جرجان وبلاد خنخ وعلى جبل باب الابواب وعلى وسط بحر سطس وعلى جنوب بلاد جرجان وشمال بلاد مقدونية وعلى جنوب بحر الصقالبة وجنوب جزيرة الري وينتهي الى بحر المغرب وأكثر

أهل هـذه البلدان الوانهم مائلة الى الشقرة وهي كل مدينة عرضها من مزبه الى مط أولهامايلي المشرق

العرض	الطول	أسماء المدن
مع ب	لهك	بلاد يأجوج
عالا	ما كه	بلاد كيمان من الترك
عج	لط م	بلاد الجزائر من الترك
مب	مت	جزيرة من بحر جرجان
كوكه	موله	مراغه من اذر بيجان
مط د	م لا	جبل باب الابواب
كوكه	مب	بلاد بيحر
س	ما	بلاد هقطه من الروم

﴿ فصل ﴾

في خواص الاقاليم

واعلم يأخي بان في كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة الوفا من المدن تزيد وتنقص، وفى كل مدينة أمم من الناس مختلفة السنتهم والوانهم وطباعهم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وعاداتهم لايشبه بعضهم بعضاوهكذا حكم حيوانها ومعادنها مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة. و سب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها وكل هـذا الاختلاف بحسب طوالع البروج ودرجاتها على آفاق تلك البلاد بحسب ممرات الكواكب على مسامتات تلك البقاع ومطارح شعاعاتها من الآفاق على تلك المواضع . وهذه جملة يطول شرحها، وذكر ان ملكا من الاولين أمر وقتا من الزمان بان تعد المدن المسكونة من الربع المسكون من الارض فوجد سبعة عشر الف مدينة سوى القرى

واعلم بانه ربما يزيد عدد مـدن الارض وينقص وذلك بحسب موجبات احكام القرانات وأدوار الافلاك الالوف وذلك ان بالقرانات الدالة على قوة السعود واعتدال الزمان واستواء طبيعة الاركان ومجيء الانبياء وتواتر الوحي وكثرة العلماء وعدل الملوك وصلاح أحوال الناس ونزول بركات السماء بالغيث تزكو الارض والنبات ويكثر توالد الحيوان وتعمر البلاد ويكثر بنيان المدن وبالقرانات الدالة على قوة النحوس وفساد الزمان وخروج المزاج عن الاعتدال وانقطاع الوحي وقلة العلماء وموت الاخيار وجور الملوك وفساد أخلاق الناس وسوء أعمالهم واختلاف آرائهم يمنع نزول البركات من السماء بالغيث فلا تزكو الارض ويجف النبات ويهلك الحيوان وتخرب المدن فى البلاد

واعلم ياأخي بأن أمور هذه الدنيا دول ونوب تدور بين أهلها قرناً بعد قرن ومن أمة الى أمة ومن بلد الى بلد

﴿ فصل ﴾

واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدي، وغاية اليها ترتقي، وحد اليه تنتهي فاذا بلغت الى أقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع اليها الانحطاط والنقصان وبدا فى أهلها الشؤم والخذلان واستأنف فى الآخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط وجعل كل يوم يقوى هذا ويزيد ويضعف ذاك وينقص الى ان يضمحل الاول المقدم ويستمكن الآتى المتأخر والمثال في ذلك مجارى أحكام الزمان وذلك ان الزمان كله نصفان نصفه نهار مضيء ونصفه ليل مظلم وأيضا نصفه صيف حار ونصفه شتاء بارد وهما يتداولان في مجيئهما وذهابهما كلما ذهب هذا رجع هذا وتارة يزيد هذا وينقص هذا وكلما نقص من أحدهما زاد في الآخر بذلك المقدار حتى اذا تناهيا الى غايتهما في الزيادة والنقصان ابتدأ النقص في الذي تناهى في الزيادة وابتدأت الزيادة في الذي تناهى في النقصان فلا يزالان هكذا الى أن يتساويا في مقداريهما، ثم يتجاوزان على حالتيهما الى ان يتناهيا في غايتيهما

من الزيادة والنقصان وكلما تناهى أحدهما في الزيادة ظهرت قوته وكثرت أفعاله في العالم وخفيت قوة ضده وقلت أفعاله. فهكذا حكم الزمان في دولة أهل الخير ودولة أهل الشر تارة تكون الدولة والقوة وظهور الافعال في العالم لاهل الخير وتارة الدوله والقوة وظهور الافعال في العالم لاهل الشر كما ذكر الله عز وجل وقال «وتلك الايام نداولها بين الناس» . «وما يعقلها الا العالمون»

فصل

وقد نرى أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أنه قد تناهت دولة أهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة الا الانحطاط والنقصان. واعلم بان الدولة والملك ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقران من أمة الى أمة ومن أهل بيت الى أهل بيت ومن بلد الى بلد

واعلم ياأخي أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ويعقدون بينهم عهداً وميثاقا ان لايتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة لايبتغون سوي وجه الله ورضوانه جزاء ولا شكورا فهل لك أيها الاخ البار الحكيم أيدك الله وايانا بروح منه بان ترغب في صحبة اخوان لك نصحاء وأصدقاء لك أخيار فضلاء هذه صفتهم بان تقصد مقصدهم وتتخلق باخلاقهم وتنظر في علومهم لتعرف مناهجهم وتكون معهم وتنجو بمفازاتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون وفقك الله أيها الاخ وجميع اخواننا للصواب بفضله ومنه. حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله

الرسالة الخامسة

من القسم الرياضي

في الموسيقى

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قد فرغنا من ذكر الصنائع العلمية الروحانية التي هي أجناس العلوم ومن ذكر الصنائع العلمية الجسمانية التي هي أجناس الصنائع وبينا ماهية كل واحدة منهما وكمية أنواعهما وما الأغراض المطلوبة منهما في رسالتين لنا فنريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالموسيقى الصناعة المركبة من الجسمانية والروحانية التي هي صناعة التأليف في معرفة النسب وليس غرضنا من هذه الرسالة تعليم الغناء وصنعة الملاهي وان كان لابد من ذكرها بل غرضنا هو معرفة النسب وكيفية التأليف اللذين بهما وبمعرفتهما يكون الحذق في الصنائع كلها

اعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن كل صناعة تعمل باليدين فان الهيولى الموضوعة فيها انما هي أجسام طبيعية ومصنوعاتها كلها أشكال جسمانية إلا الصناعة الموسيقية فان الهيولى الموضوعة فيها كلها جواهر روحانية وهي نفوس المستمعين وتأثيراتها فيها مظاهر كلها روحانية أيضاً . وذلك ان ألحان الموسيقى أصوات ونغمات ولها في النفوس تأثيرات كتأثيرات صناعات الصناع في الهيوليات الموضوعة في صناعتهم فمن تلك النغمات والاصوات ما يحرك النفوس نحو الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة وينشطها ويقوي عزماتها على الأفعال الصعبة المتعبة للابدان التي تبذل فيها مهج النفوس وذخائر الأموال وهي الالحان المشجعة التي تستعمل في الحروب

وعند القتال في الهيجاء ولاسيما إذا غنى معها بأبيات موزونة في وصف الحروب ومديح الشجعان مثل قول القائل

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ومثل قول البسوس بنت منقذ :

لعمري لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعدعلى شاتي
فياسعد لاتغرر بنفسك وارتحل فانك في قوم عن الجار أموات

فان هذه الأبيات واخواتها يقال انها كانت سبباً لاثارة أقوام الى الحرب والقتال بين قبيلتين من قبائل العرب سنين متواترة . ومن الأبيات الموزونة أيضاً مايثير الأحقاد الكامنة ويحرك النفوس الساكنة ويلهب نيران الغضب مثل قول القائل

واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس

فان هذه الأبيات واخواتها أيضاً أثارت أحقاداً بين أقوام وحركت نفوسهم والتهبت فيها نيران الغضب وحثهم على قتل أبناء الأعمام والأقرباء والعشائر حتى قتلوهم بذنوب آبائهم ووزر أجدادهم ولم يرحموا منهم أحداً . ومن الألحان والنغمات أيضاً مايسكن سورة الغضب ويحل الأحقاد ويوقع الصلح ويكسب الألفة والمحبة فمن ذلك مايحكى ان في بعض مجالس الشراب اجتمع رجلان متغاضبان وكان بينهما ضغن قديم وحقد كامن فلما دار الشراب بينهما ثار الحقد والتهبت نيران الغضب وهم كل واحد منهما بقتل صاحبه فلما أحس الموسيقار بذلك منهما وكان ماهراً في صناعته غير نغمات الأوتار وضرب اللحن الملين المسكن وأسمعهما . وداوم حتى سكن سورة الغضب عنهما وقاما فتعانقا وتصالحا . ومن الألحان والنغمات ماينقل النفوس من حال الى حال ويغير أخلاقها من ضد الى ضد ومن ذلك مايحكى ان جماعة كانت من أهل هذه الصناعة مجتمعة في دعوة رجل

رئيس كبير فرتب مراتبهم فى مجلسه. بحسب حذقهم فى صناعتهم إذ دخل عليهم انسان رث الحال عليه ثياب رثة فرفعه صاحب المجلس عليهم كلهم وتبين انكار ذلك فى وجوههم فأراد أن يبين فضله ويسكن عنهم غضبهم فسأله أن يسمعهم شيئاً من صناعته فأخرج الرجل خشبات كانت معه فركبها ومد عليها أوتاره وحركها تحريكا فأضحك كل من كان فى المجلس من اللذة والفرح والسرور الذي حل داخل نفوسهم ثم قلبها وحركها تحريكا آخر أبكاهم كلهم من رقة النغمة وحزن القلوب ثم قلبها وحركها تحريكا نومهم كلهم وقام وخرج فلم يعرف له خبر

فقد تبين بما ذكرنا ان لصناعة الموسيقى تأثيرات فى نفوس المستمعين مختلفة كاختلاف تأثيرات صناعات الصناع فى الهيوليات الموضوعة فى صناعاتهم فمن أجلها يستعملها كل الامم من بنى آدم وكثير من الحيوانات أيضاً ومن الدليل على ان لها تأثيرات فى النفوس استعمال الناس لها تارة عند الفرح و السرور فى الاعراس والولائم والدعوات، وتارة عند الحزن والغم والمصائب وفى المآتم وتارة فى بيوت العبادات وفى الاعياد، وتارة فى الاسواق والمنازل، وفى الاسفار وفى الحضر وعند الراحة والتعب وفى مجالس الملوك ومنازل السوقة، ويستعملها الرجال والنساء والصبيان والمشايخ والعلماء والجهال والصناع والتجار وجميع طبقات الناس

﴿ فصل ﴾

فى ان أصل صناعة الموسيقى للحكماء

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الصنائع كلها استخرجتها الحكماء بحكمتها ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثة من الحكماء للعامة ومن العلماء للمتعلمين ومن الاساتذة للتلامذة فصناعة الموسيقى استخرجتها الحكماء بحكمتها وتعلمها الناس منهم واستعملوها كسائر الصنائع في أعمالهم ومتصرفاتهم بحسب اغراضهم المختلفة فاما استعمال أصحاب النواميس الالهية لها

فى الهياكل وبيوت العبادات وعند القراءة فى الصلوات وعند القرابين والدعاء والتضرع والبكاء كما كان يفعل داود النبى عليه السلام عند قراءة مزاميره وكما يفعل النصارى فى كنائسهم والمسلمون فى مساجدهم من طيب النغمة ولحن القراءة فان كل ذلك لرقة القلوب ولخضوع النفوس ولخشوعها والانقياد لاوامر الله تعالى ونواهيه والتوبة اليه من الذنوب والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باستعمال سنن النواميس كما رسمت

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان أحد الاسباب التى دعت الحكماء الى وضع النواميس واستعمال سننها هو ماقد لاح لهم من موجبات أحكام النجوم من السعادات والمناحس عند ابتداء القرانات وتحاويل السنين من الغلاء أو الرخص أو الجدب أو الخصب أو القحط أو الطاعون والوباء أو تسلط الاشرار والظالمين وما شاكلها من تغيرات الزمان وحوادث الايام فلما تبين لهم ذلك طلبوا حيلة تنجيهم منها ان كانت شراً وتوفر حظهم فيها ان كانت خيرا فلم يجدوا حيلة أنجى ولا شيئاً أنفع من استعمال سنن النواميس الالهية التى هى الصوم والصلاة والقرابين والدعاء عند ذلك بالتضرع الى الله تعالى جل ثناؤه بالخضوع والخشوع والبكاء والسؤال اياه ان يصرف عنهم ذلك ويكشف ماقد أوجبته أحكام النجوم من المناحس والبلاء وكانوا لايشكون انهم اذا دعوا الله بالنية والاخلاص ورقة القلب والبكاء والتضرع والتوبة والانابة ان يصرف عنهم مايخافون ويكشف عنهم ماهم مبتلون به ويتوب عليهم ويغفر لهم ويجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم وكانوا يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراءة الحانا من الموسيقى تسمى «المحزن» وهى التى ترقق القلوب اذا سمعت وتبكى العيون وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب واخلاص السرائر واصلاح الضمائر فهذا كان احد أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى واستعمالها فى الهياكل وعند القرابين والدعاء والصلوات

وكانوا أيضا قد استخرجوا لحنا آخر يقال له « المشجع » كانت تستعمله قادة الجيوش فى الحروب والهيجاء يكسب النفس شجاعة واقداما . واستخرجوا أيضا لحنا آخر كانوا يستعملونه فى المارستانات وقت الاسحار يخفف ألم الاسقام والامراض عن المريض ويكسر سورتها ويشفي من كثير من الامراض والاعلال واستخرجوا أيضا لحنا آخر يستعمل عند المصائب والاحزان والغموم فى المآتم يعزى النفوس ويخفف ألم المصائب ويسلى عن الاشتياق ويسكن الحزن واستخرجوا أيضا لحنا آخر يستعمل عند الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة مثل ما يستعمله الحمالون والبناؤن وملاح الزواريق وأصحاب المراكب يخفف عنهم كد الابدان وتعب النفوس

واستخرجوا أيضا ألحانا أخر تستعمل عند الفرح واللذة والسرور فى الاعراس والولائم وهى المعروفة المستعملة فى زماننا هذا. وقد تستعمل هذه الصناعة للحيوانات أيضا مثل ما يستعمله الجمالون من الحداء فى الاسفار وفى ظلم الليل لينشط الجمال فى السير ويخفف عليها ثقل الاحمال، ويستعملها رعاة الغنم والبقر والخيل عند ورودها الماء من الصفير ترغيبا لها فى شرب الماء . ويستعملون لها أيضا الحانا أخر عند هيجانها للنزو والسفاد والحانا أخر عند حلب البانها لتدر ويستعمل صياد الغزلان والدراج والقطا وغيرها من الطيور الحانا فى ظلم الليل يوقعها بها حتى تؤخذ باليد، وتستعمل النساء للاطفال الحانا تسكن البكاء وتجلب النوم، فقد تبين بما ذكرنا ان صناعة الموسيقى يستعملها كل أحد من الامم ويستلذها جميع الحيوانات التى لها حاسة السمع وان للنغمات تأثيرات فى النفوس الروحانية كما ان لسائر الصنائع تأثيرات فى الهيوليات الجسمانية ، فنقول الآن: ان الموسيقى هى الغناء والموسيقار هو المغنى والموسيقات هو آلة الغناء والغناء هو الحان مؤلفة واللحن هو نغمات متواترة والنغمات هى أصوات متزنة والصوت هو قرع يحدث فى الهواء من تصادم الاجسام بعضها ببعض كما

بينا فى رسالة « الحاس والمحسوس » ولكن نحتاج ان نذكر من ذلك فى هذه الرسالة مالا بد منه

﴿ فصل ﴾

في كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات

فاما كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات فاعلم يا أخي ان الاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية وغير الحيوانية أيضا نوعان طبيعية وآلية فالطبيعية هى كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الاجسام التى لاروح فيها من الجمادات، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والاوتار وما شاكلها. والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية فغير المنطقية هى أصوات سائر الحيوانات الغير الناطقة واما المنطقية فهى أصوات الناس، وهى نوعان دالة وغير دالة فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياح، وبالجملة كل صوت لاهجاء له. واما الدالة فهى الكلام والاقاويل التى لها هجاء وكل هذه الاصوات انما هى قرع يحدث فى الهواء من تصادم الاجرام، وذلك ان الهواء، لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام كلها فاذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج الى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى أن يسكن ويضمحل فمن كان حاضرا من الناس وسائر الحيوانات الذي له أذن بالقرب من ذلك المكان فيتموج ذلك الهواء بحركته يدخل في أذنيه الى صماخيه في مؤخر الدماغ ويتموج أيضا ذلك الهواء الذي هناك فتحس عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير

واعلم ان كل صوت له نغمة وصفية وهيئة روحانية خلاف صوت آخر، وان الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل صوت بهيأته وصفته ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض فيفسد هيأتها الى ان يبلغها الى أقصى مدى غاياتها عند القوة

السامعة لتؤديها الى القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم الدماغ وذلك تقدير العزيز الحكيم الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون. واذ قد فرغنا من ذكر ماهية الاصوات وكيفية حمل الهواء وكيفية ادراك القوة السامعة لها، فنذكر الآن كيفية حدوث أنواعها من تصادم الاجسام بعضا ببعض، فنقول: ان كل جسمين تصادما برفق ولين لا تسمع لهما صوتا لان الهواء ينسل من بينهما قليلا قليلا فلا يحدث صوتا وانما يحدث الصوت من تصادم الاجسام متى كان صدمها بشدة وسرعة لان الهواء عند ذلك يندفع مفاجأة ويتموج بحركته الى الجهات الست بسرعة فيحدث الصوت ويسمع كما بينا في فصل قبل هذا والاجسام العظيمة اذا تصادمت كان صوتها أعظم لانها تموج هواء أكثر. وكل جسمين من جوهر واحد مقدارهما واحد وشكلهما واحد نقرا نقرة واحدة معاً فان صوتيهما يكونان متساويين فان كان أحدهما أجوف كان صوته أعظم لانه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا والاجسام الملس أصواتها ملساء لان السطوح المشتركة التي بينها وبين الهواء ملساء والاجسام الخشنة تكون أصواتها خشنة لان السطوح المشتركة بينها وبين الهواء خشنة والاجسام الصلبة المجوفة كالاواني والطرجهارات والجرار اذا نقرت طنت زمانا طويلا لان الهواء في جوفها يتردد ويصدمها مرة بعد مرة وتارة بعد أخرى الى ان يسكن فما كان منها أوسع كان صوتها أعظم لانه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا. والبوقات الطوال كان صوتها أعظم لان الهواء المتموج فيها يصدمها في مرور مسافة بعيدة. والحيوانات الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم الواسعة المناخر والاشداق تكون جهيرة الاصوات لانها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة •

فقد تبين بما ذكرنا أن علة عظم الصوت انما هي بحسب عظم الأجسام المصوتة وشدة صدمها وكثرة تموج الهواء في الجهات عنها فنقول:

ان أعظم الأصوات صوت الرعد وقد بينا علة حدوثه في رسالة الآثار العلوية

ولكن نذكر هنا مالا بد منه. أما علة حدوثه فهو أن البخارين الصاعدين في الجو من البحار والبراري اذا ارتفعا في الهواء واختلطا واحتوى البخار الرطب اليابس الذي هو الدخان واحتوى الزمهرير على البخارين الرطب واليابس وحصرهما انضغط البخار اليابس في جوف البخار الرطب والتهب وطلب الخروج فدفع البخار الرطب وخرقه فيفرقع البخار الرطب من حرارة ذلك الدخان اليابس. كما تفرقع الأشياء الرطبة اذا احتوت عليها حرارة النار دفعة واحدة ويحدث من ذلك قرع في الهواء ويندفع الى جميع الجهات وينقدح من خروج ذلك الدخان اليابس في جوف السحاب ضوء يسمى البرق كما يحدث من دخان السراج المنطفيء اذا أدني من سراج مشتعل ثم ينطفي وربما يذوب من ذلك البخار الرطب شيء من جوف السحاب ويصير ريحاً ويدور في خلل السحاب وجوف الغيوم ويطلب الخروج ويسمع له دوي وتقرقر كما يسمع الانسان من جوفه اذا كان يعرض له ريح وانتفاخ وربما ينشق السحاب دفعة واحدة مفاجأة فتخرج تلك الريح ويكون منها صوت هائل يسمى صاعقة فهذه علة صوت الرعد وكيفية حدوثه فأما أصوات الرياح وعلة حدوثها فهي أن الرياح ليست شيئاً سوى تموج الهواء شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً وفوقاً وتحتاً فاذا صدم في حركته وجريانه الجبال والحيطان والاشجار والنبات وتخللها حدث من ذلك فنون الاصوات والدوي والطنين مختلفة الانواع كل ذلك بحسب كبر الاجسام المصدومة وصغرها وأشكالها وتجويفها ويطول شرحها.

وأما أصوات المياه في جريانها وتموجها وتصادمها مع الاجسام فان الهواء للطافة جوهره وسيلان عنصره يتخللها كلها ويكون حدوث تلك الاصوات وفنون أنواعها بحسب تلك الاسباب التي ذكرناها في أمر الرياح. وأما أصوات الحيوانات ذوات الرئة واختلاف أنواعها وفنون نغماتها فهي بحسب طول أعناقها وقصرها وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها الهواء

وقوة ارسال أنفاسها من أفواهها ومناخرها يطول شرحها وأما أصوات الحيوانات التي ليست لها رئة كالزنابير والجراد والصرصر وماشا كلها فانها تحرك الهواء بجناحين لها بسرعة وخفة فيحدث من ذلك أصوات مختلفة كما يحدث من تحريك أوتار العيدان وتكون فنونها واختلاف أنواعها بحسب لطافة أجنحتها وغلظها وطولها وقصرها وسرعة تحريكها لها. وأما الحيوانات الخرس كالسمك والسرطان والسلاحف وماشا كلها فهي خرس لأن ليس لها رئة ولا جناحان وان اختلاف تلك الاصوات يكون بحسب شدة يبسها وصلابتها وكمية مقاديرها من الكبر والصغر والطول والقصر والسعة والضيق وفنون أشكالها من التجويف والتقبيب والثقب وقوة الصدمة وما يعرض فيها من الاسباب كما سنبين ذلك في موضعه

وأما فنون أصوات الآلات المتخذة للتصويت كالطبول والبوقات والدبادب والدفوف والسرناي والمزامير والعيدان وماشا كلها فهي بحسب أشكالها وجواهرها التي هي متخذة منها وكبرها وصغرها وطولها وقصرها وسعة أجوافها وضيق ثقبها ورقة أوتارها وغلظها وبحسب فنون تحريك المحركين لها.

ونحتاج ان نذكر من هذا الفن طرفاً اذ كان أحد أغراضنا من هذه الرسالة تبيان ماهية الموسيقى الذي هو ألحان مؤتلفة ونغمات متزنة وهو المسمى الغناء ولما تبين بما ذكرنا أن الغناء انما هو ألحان مؤتلفة واللحن هو نغمات متزنة والنغمات المتزنة لاتحدث الا من حركات متواترة بينها سكنات متتالية أحتجنا ان نذكر أولا ما الحركة وما السكون فنقول : ان الحركة هي النقلة من مكان الى مكان في زمان ثان وضدها السكون وهو الوقوف في المكان الاول في الزمان الثاني والحركة نوعان سريعة وبطيئة والحركة السريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة بعيدة في زمان قصير والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة أقل منها في ذلك الزمان بعينه والحركتان لايعدان اثنتين الا ان يكون بينهما زمان سكون والسكون هو وقوف المتحرك في مكانه الاول زمانا ما كان يمكنه ان يكون متحركاً فيه حركة ما وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا ان نبينه فنقول الآن : ان الاصوات تنقسم

من جهة الكيفية ثمانية أنواع كل نوعين منها متقابلان من جنس المضاف فنها العظيم والصغير والسريع والبطيء والحاد والغليظ والجهير والخفيف، فأما العظيم والصغير من الاصوات فباضافة بعضها الى بعض والمثال في ذلك أصوات الطبول وذلك أن أصوات طبول المواكب اذا أضيفت الى أصوات طبول المخانيث كانت عظيمة واذا أضيفت الى أصوات الكوس كانت صغيرة وأصوات الكوس اذا أضيفت الى أصوات الرعد والصواعق كانت صغيرة والكوس هو طبل عظيم يضرب في ثغور خراسان عند النفير يسمع صوته من فراسخ فعلى هذا المثال يعتبر عظم الاصوات وصغرها باضافة بعضها الى بعض. وأما السريع والبطيء من الاصوات باضافة بعضها الى بعض فهي التي تكون أزمان سكونات ما بين نقراتها قصيرة بالاضافة الى غيرها والمثال في ذلك أصوات كوذينات القصارين ومطارق الحدادين فانها سريعة بالاضافة الى أصوات دق الرزازين والجصاصين وهي بطيئة بالاضافة اليها وأما بالاضافه الى أصوات مجاذيف الملاحين فهي سريعة وعلى هذا المثال تعتبر سرعة الاصوات وبطؤها باضافة بعضها الى بعض. وأما الحاد والغليظ من الاصوات باضافة بعضها الى بعض فهي كأصوات نقرات الزير وحدته بالاضافة الى نقرات المثنى والمثنى الى المثلث والمثلث الى البم فانها تكون حادة فأما بالعكس فان صوت البم بالاضافة الى المثلث والمثلث الى المثنى والمثنى الى الزير فغليظة ومن وجه آخر أيضاً فان صوت كل وتر مطلقاً غليظ بالاضافة الى مزمومه أي مزموم كان فعلى هذا القياس تعتبر حدة الاصوات وغلظها باضافة بعضها الى بعض. وأما الخفيف والجهير من الاصوات فقد تقدمت إبانتهما عند ذكر علتهما في الفصل الاول والاصوات تنقسم من جهة الكمية نوعين متصلة ومنفصلة فالمنفصلة هى التي بين أزمان حركة نقراتها زمان سكون محسوس مثل نقرات الاوتار وايقاعات القضبان. وأما المتصلة من الاصوات فهي مثل أصوات المزامير والنايات والدبادب والدواليب والنواعير وما شاكلها. والاصوات المتصلة تنقسم نوعين حادة وغليظة

فما كان من النايات والمزامير أوسع تجويفاً وثقباً كان صوته أغلظ وما كان أضيق تجويفاً وثقباً كان صوته أحد ومن جهة أخرى أيضاً ما كان من الثقب الى موضع النفخ أقرب كانت نغمته أحد وما كان أبعد كان أغلظ

﴿ فصل في امتزاج الاصوات وتنافرها ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان أصوات الأوتار المتساوية الغلظ والطول والحزق إذا نقرت نقرة واحده كانت متساوية ، وإن كانت متساوية في الطول مختلفة في الغلظ كانت أصوات الغليظ أغلظ وأصوات الدقيق أحد، وإن كانت متساوية في الطول والغلظ مختلفة في الحزق كانت أصوات المحزوقة حادة وأصوات المسترخية غليظة ، وإن كانت متساوية في الغلظ والطول والحزق مختلفة في النقر كان أشدها نقراً أعلاها صوتاً

واعلم بأن الأصوات الحادة والغليظة متضادان ولكن إذا كانت على نسبة تأليفية ائتلفت وامتزجت واتحدت وصارت لحناً موزوناً واستلذتها المسامع وفرحت بها الارواح وسرت بها النفوس وإن كانت على غير النسبة تنافرت وتباينت ولم تأتلف ولم تستلذها المسامع بل تنفر عنها وتشمئز منها النفوس وتكرهها الأرواح . والأصوات الحادة حارة تسخن مزاج أخلاط الكيموسات الغليظة وتلطفها . والأصوات الغليظة باردة ترطب مزاج أخلاط الكيموسات الحارة اليابسة . والأصوات المعتدلة بين الحادة والغليظة تحفظ مزاج أخلاط الكيموس المعتدل على حالته كيلا يخرج عن الاعتدال . والأصوات العظيمة الهائلة الغير المتناسبة إذا وردت على المسامع دفعة واحدة مفاجأة أفسدت المزاج وأخرجت عن الاعتدال وتحدث موت الفجأة ولها آلة صناعية كان اليونانيون يستعملونها عند الحروب ويفزعون بها نفوس الأعداء ويسد النافخون فيها آذانهم عند استعمالها وتحريكها. والأصوات المعتدلة المتزنة المتناسبة تعدل مزاج الأخلاط وتفرح الطباع وتستلذ بها الأرواح وتسر بها النفوس

﴿ فصل في تأثر الأمزجة بالأصوات ﴾

إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن أمزجة الأبدان كثيرة الفنون وطباع الحيوانات كثيرة الانواع ولكل مزاج وكل طبيعة نغمة تشاكلها ولحن يلائمها لايحصي عددها إلا الله عز وجل والدليل على حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا انك تجد إذا تأملت لكل أمة من الناس ألحاناً ونغمات يستلذونها ويفرحون بها لايستلذها غيرهم ولايفرح بها سواهم مثل غناء الديلم والاتراك والاعراب والارمن والزنج والفرس والروم وغيرهم من الامم المختلفة الألسن والطباع والأخلاق والعادات . وهكذا أيضاً انك تجد في الأمة الواحدة من هذه أقواماً يستلذون ألحاناً ونغمات وتفرح نفوسهم بها ولا يسر بها من سواهم. وهكذا أيضاً ربما تجد انساناً واحداً يستلذ وقتاً ما لحناً ويسره ووقتاً آخر لا يستلذه بل ربما يكرهه ويتألم منه وهكذا تجد حكمهم في مأكولاتهم ومشروباتهم وفي مشموماتهم وملبوساتهم وسائر الملاذ والزينة والمحاسن ، كل ذلك بحسب تغيرات أمزجة الأخلاط واختلاف الطبائع وتركيب الأبدان والأماكن والأزمان كما بينا طرفاً من ذلك في رسالة الاخلاق

﴿ فصل في أصول الألحان وقوانينها ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان لكل أمة من الناس ألحاناً من الغناء وأصواتاً ونغمات لايشبه بعضها بعضاً ولايحصي عددها كثرة إلا الله تعالى الذي خلقهم وصورهم وطبعهم على اختلاف أخلاقهم وألسنتهم وألوانهم، ولكن نريد أن نذكر أصول الغناء وقوانين الألحان التي منها يتركب سائرها وذلك ان الغناء مركب من الألحان واللحن مركب من النغمات والنغمات مركبة من النقرات والايقاعات وأصلها كلها حركات وسكون كما أن الأشعار مركبة من المصاريع والمصاريع مركبة من المفاعيل والمفاعيل مركبة من الأسباب والأوتاد والفواصل وأصلها كلها حروف متحركات وسواكن كما بينا ذلك في كتاب العروض وكذلك الأقاويل كلها مركبة من الكلمات والكلمات من الأسماء والأفعال والأدوات

وكلها مركبة من الحروف المتحركات والسواكن كما بينا في كتاب المنطق . ومن يريد أن ينظر في هذا العلم فيحتاج أن يرتاض أولا في علم النحو والعروض مما لابد منه ، وقد ذكرنا في رسالة المنطق مايحتاج اليه المتعلم والمبتدى، ونحتاج أن نذكر هاهنا أصل العروض وهو ميزان الشعر وقوانينه إذ كانت قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض فنقول :

ان العروض هو ميزان الشعر يعرف به المستوي والمنزحف وهي ثمانية مقاطع في الأشعار العربية وهى هذه : فعولن ، مفاعيل ، متفاعلن ، مستفعلن ، فاع لاتن ، فاعلن ، مفعولات ، مفاعلتن . وهذه الثمانية مركبة من ثلاثة أصول وهي : السبب ، والوتد ، والفاصلة . فالسبب حرفان : واحد متحرك ، وآخر ساكن أو متحرك مثل قولك هل لم وماشا كلها . والوتد ثلاثة أحرف : اثنان متحركان وواحد ساكن مثل قولك نعم وبلى وأجل وماشا كلها . والفاصلة أربعة أحرف : ثلاثة متحركة وواحد ساكن مثل قولك غلبت فعلت وماشا كلها . وأصل هذه الثلاثة حرف ساكن وحرف متحرك، فهذه قوانين العروض وأصوله

وأما قوانين الغناء والألحان فهي أيضاً ثلاثة أصول وهى السبب والوتد والفاصلة . فأما السبب فنقرة متحركة يتلوها سكون مثل قولك تن تن تن تن ويكرر دائماً . والوتد نقرتان متحركتان يتلوهما سكون مثل قولك تنن تنن تنن يكرر دائماً . والفاصلة ثلاث نقرات متحركة يتلوها سكون مثل قولك تننن تننن تننن . فهذه الثلاثة هي الأصل والقانون في جميع مايركب منها من النغمات وما يركب من النغمات في جميع اللغات من الألحان ومايتركب منها من الغناء في جميع اللغات ، فاذا ركبت من هذه الثلاثة الاصول اثنين اثنين كانت منها تسع نغمات ثنائية وهي هكذا نقرة ونقرتان مثل قولك تن تنن وتكرر دائماً ومنها نقرتان و نقرة مثل قولك تنن تن وتكرر دائماً ومنها نقرة وثلاث نقرات مثل قولك تن تننن ويكرر دائماً ومنها نقرتان ونقرتان مثل قولك تنن تنن ويكرر دائماً ومنها ثلاث نقرات ثلاث نقرات مثل قولك تننن تننن ومنها ثلاث نقرات

ونقرتان مثل قولك تنن تن ويكرر دائماً ومنها ثلاث نقرات ونقرة مثل قولك تننن تن ويكرر دائماً ومنها نقرة وسكون قدر نقرة وهي الاصل والعمود مثل قولك تن تن تن تن ويكرر دائماً فهذه جملة النغمات الثنائية

وأما الثلاثية فهي عشر تركيبات: نقرة ونقرتان وثلاث نقرات، ونقرتان ونقرة وثلاث نقرات، ونقرة وثلاث نقرات ونقرتان، وثلاث نقرات ونقرة ونقرتان، ونقرتان وثلاث نقرات ونقرة، وثلاث نقرات ونقرتان ونقرة، ونقرة وثلاث نقرات ونقرة، ونقرتان وثلاث نقرات ونقرتان، وثلاث نقرات ونقرة وثلاث نقرات، وثلاث نقرات ونقرتان وثلاث نقرات. فهذه جميع أنواع الايقاع المركبة من النقرات ثلاثة منها مفردة وتسعة ثنائية وعشرة ثلاثية فذلك اثنان وعشرون تركيباً

والذي تركب من هذه في غناء العربية ثمانية أنواع وهي: الثقيل الأول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه والهزج وخفيفه. وهذه الثمانية الاجناس هي الأصل ومنها يتفرع سائر أنواع الألحان واليها تنسب كما ان من الثمانية مقاطع يتفرع سائر ما في دوائر العروض فقد تبين بما ذكرنا ان كل صناعة من الرياضيات أربعة أصول منها يتركب سائرها وتلك الأربعة أصلها واحد كما بينا فى رسالة الارثماطيقى كيفية تركيب العدد من الواحد الذي قبل الاثنين وفي رسالة جومطريا بينا بأن النقطة في صناعة الهندسة مماثلة للواحد في صناعة العدد وفي رسالة الاسطرنوميا بينا ان الشمس وأحوالها من بين الكواكب كالواحد في العدد والنقطة في صناعة الهندسة . وفي رسالة النسب العددية بينا ان نسبة المساواة أصل وقانون في علم النسب كالواحد في صناعة العدد . وفي هذه الرسالة قد بينا ان الحركة كالواحد والسبب كالاثنين والوتد كالثلاثة والفاصلة كالأربعة وسائر نغمات الألحان والغناء مركبة منها كما ان سائر الأعداد من الآحاد والعشرات والمئين والألوف مركبة من الاربعة والثلاثة والاثنين والواحد . وفي رسالة المنطق قد بينا أيضاً ان الجوهر كالواحد والتسع

المقولات الأخر كتسعة الآحاد أربعة منها متقدمة على باقيها وهي الجوهر والكم والكيف والمضاف وسائرها مركبة منها . وفى رسالة الهيولى بينا ان الجسم مركب من الجوهر والطول والعرض والعمق وسائر الأجسام مركبة من الجسم المطلق . وفي رسالة المبادىء بينا ان الباري جل ثناؤه نسبته من الموجودات كنسبة الواحد من العدد والعقل كالاثنين والنفس كالثلاثة والهيولى كالاربعة وسائر الخلائق مركبة من الهيولى والصورة المخترعين من النفس الكلية والنفس الكلية منبعثة من العقل الكلي ، والعقل والعقل مبدع بأمر الباري جل ثناؤه ، أبدعه الله لا من شيء وصور فيه جميع الأشياء بالقوة والفعل . وغرضنا من هذه الرسائل كلها أن نبين لأهل كل صناعة وحدانية الباري جل ثناؤه من صناعتهم لتكون أقرب الى فهمهم وأبين لحجتهم وأوضح لبرهانهم وهكذا فعلنا في سائر الرسائل . و نبين أيضاً كيفية حدوث الموجودات بعضها من بعض باذن الله جل ثناؤه وحسن عنايته واتقان حكمته ودقة صنعته فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين وأرحم الراحمين وأكرم الاكرمين

ونرجع الآن الى ما كنا فيه فنقول : ان كل نقرتين من نقرات الاوتار وايقاعات القضبان فلا بد من أن يكون بينهما زمان سكون طويلا كان أو قصيراً وانه اذا تواترت نقرات تلك الاوتار وايقاعات تلك القضبان تواترت أيضاً سكونات بينهما ثم لا تخلو أزمان تلك السكونات من ان تكون مساوية لازمان تلك الحركات أو تكون أطول منها واذا كانت أقصر منها فالمتفق عليه بين أهل هذه الصناعة ان زمان الحركة لا يمكن ان يكون أطول من زمان السكون الذي هو من جنسه فان كانت أزمان السكونات مساوية لازمان الحركات في الطول ولا يمكن ان يقع في تلك الازمان حركة أخرى سميت تلك النغمات عند ذلك العمود الاول وهو الخفيف الذي لا يمكن ان يكون أخف منه لانه ان وقعت في تلك الازمان حركة أخرى صارت نغمتها متصلة بنغمة النقرة التي قبلها والتي بعدها وصار الجميع صوتا متصلا وان كانت أزمان السكونات طولها بمقدار ما يمكن ان يقع فيها حركة

أخرى سميت تلك النغمات العمود الثاني والخفيف الثاني وان كانت أزمان تلك السكونات أطول من هذه بمقدار مايمكن أن يقع فيها حركتان سميت تلك النغمات الثقيل الاول وان كانت تلك الازمان أطول من هذه بمقدار مايمكن أن يقع فيها ثلاث حركات سميت تلك النغمات الثقيل الثاني وهذا الذي ذكرناه ووصفناه على مايوجبه القياس والقانون فاما على مايعرفه أهل هذا الزمان من المغنين وأصحاب الملاهي من الخفيف والثقيل فهو غير هذا وسنذكره بعد هذا الفصل

واعلم يا أخي بانه اذا زادت أزمان السكونات التي بين النقرات والايقاعات على هذا المقدار من الطول خرج من الاصل والقانون والقياس أعني من ان تدركها وتميزها القوة الذائقة السمعية والعلة في ذلك أن الاصوات لا تمكث في الهواء زمانا طويلا الاريثما تأخذ المسامع حظها من الطنين ثم تضمحل تلك الاصوات من الهواء الحامل لها المؤدي الى المسامع كما بينا في فصل قبل هذا وهكذا أيضا طنين الاصوات لا يمكث في المسامع زمانا الا ريثما تأخذ القوة المتخيلة رسومها ثم تضمحل من المسامع تلك الطنينات واذا طالت أزمان السكونات بين النقرات والايقاعات وزادت على المقدار الذي تقدم ذكره اضمحلت النغمة الاولى وطنينها من المسامع قبل ان ترد النغمة الاخرى فلا تقدر القوة المفكرة أن تعرف مقدار الزمان الذي بينهما فتميزها وتعرف التناسب الذي بينهما لأن جودة الذوق في المسامع هو معرفة كمية الازمان التي بين النغمتين وما بين ازمان السكونات وبين أزمان الحركات من التناسب والمقدار وعلى هذا المثال يجرى حكم سائر المحسوسات والقوى الحاسة المدركة لها . وذلك ان القوة الباصرة أيضا لا تقدر ان تعرف مقدار ابعاد مابين المرئيات الا اذا كانت متقاربة في الاماكن واما اذا بعد مابينها من الاماكن كما بعد ما بين المسموعات بالازمان فلا تقدر القوة الباصرة أن تدركها وتميز البعد مابينها الا بآلات هندسية كالذراع والأشل والباب والقبضة والاصابع كما بينا في رسالة الجومطريا وهكذا اذا بعد مابين أزمان الحركات بطول أزمان السكونات فلا تقدر القوة الذائقة السامعة ان تدركها وتعرف بعد مابينها الا

بآلات رصدية كالطرجهارات والشياهين والاصطرلاب وما شا كلها من آلات الرصد فاما ان كانت قريبة أدركها السمع وميزها الذوق كما هو معروف في العروض فقد تبين بما ذكرناه من العلة فى أزمان السكونات التى بين النقرات وانه اذا زاد طولها على المقدار المذكور وخرج من الأصل والقانون وعلة أخرى أيضاً وهي ان النغمة الواحدة اذا وردت على القوة السامعة لايمكث فيها صوتها الى ان يضمحل الا بمقدار زمان ثلاث نقرات أخرى من أخواتها بين كل واحدة زمان سكون أحدهما. فتكون جملتها ثمانية أزمان فحسب، مثل هذا الشكل اه اه اه الألف علامة الساكن والهاء علامة المتحرك واذ قد فرغنا من ذكر مقادير أزمان الحركات والسكونات وما بينهما من البعد والتناسب فنريد ان نذكر أيضاً طرفا من أمر الآلات المصوتة وكيفية صناعتها واصلاحها وما التام الكامل منها

فصل فى كيفية صناعة الآلات واصلاحها

اعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الحكماء قد صنعوا آلات وأدوات كثيرة لنغمات الموسيقى والحان الغناء مفننة الاشكال كثيرة الانواع مثل الطبول والدفوف والنايات والصنوج والمزامير والسرنايات والصفارات والسلباب والشواشل والعيدان والطنابير والجنك والرباب والمعازف والاراغن والارمونيقي وما شاكلها من الآلات والادوات المصوتة. ولكن أتم آلة استخرجتها الحكماء وأحسن ماصنعوها الآلة المسماة بالعود ونحتاج ان نذكر من كيفية صنعها واصلاحها واستعمالها وكمية نسب مابين نغمات أوتارها وطولها وعرضها وغلظها ورقتها ونقراتها طرفاً شبه المدخل والمقدمات ليكون تنبيهاً لنفوس الطالبين للعلوم الفلسفية والناظرين في الآداب الرياضية ونبين لهم دقائق الحكمة وأسرار الصنائع التى هى كلها دلالة على الصانع الحكيم الذي هو الباري تبارك وجل ثناؤه وهو الذي خلق الصناع وألهمهم الصنائع الاول والحكم والعلوم والمعارف والله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين

ولكن نبدأ أولا بذكر ما قال أهل هذه الصناعة فانه قد قيل استعينوا في كل صناعة بأهلها فنقول : ان أهل هذه الصناعة قالوا ينبغي ان تتخذ الآلة التي تسمى العود خشباً طوله وعرضه وعمقه يكون على النسبة الشريفة وهي ان طوله مثل عرضه ومثل نصفه ويكون عمقه مثل نصف العرض وعنق العود مثل ربع الطول وتكون ألواحه رقاقاً متخذة من خشب خفيف ، ويكون الوجه رقيقاً من خشب صلب خفيف يطن اذا نقر ، ثم يتخذ أربعة أوتار بعضها أغلظ من بعض على النسبة الافضل وهو ان يكون غلظ البم مثل غلظ المثلث ومثل ثلثه وغلظ المثلث مثل غلظ المثنى ومثل ثلثه وغلظ المثنى مثل غلظ الزير ومثل ثلثه وهو ان يكون البم أربعة وستين طاقة ابريسم والمثلث ثمانياً واربعين طاقة والمثنى ستاً وثلاثين طاقة والزير سبعاً وعشرين طاقة ابريسم ثم تمد هذه الاوتار الاربعة على وجه العود مشدودة اسفلها في المشط ورؤسها في الملاوي فوق عنق العود فعند ذلك تكون اطوالها متساوية وهي في دقتها وغلظها مختلفة على هذه النسبة (سد مح لو كز) ثم يقسم طول الوتر الواحد بأربعة أقسام متساوية ويشد دستان الخنصر عند الثلاثة الارباع مما يلي عنق العود ثم يقسم طول الوتر من الرأس بتسعة أقسام متساوية ويشد دستان السبابة على التسع مما يلي عنق العود ثم يقسم طول الوتر عند دستان السبابة الى المشط بتسعة أقسام متساوية ويشد دستان البنصر على التسع منه فانه يقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان السبابة ، ثم يقسم طول الوتر عند دستان الخنصر مما يلي المشط بثمانية أقسام ويزاد عليها هذا الدستان أعني دستان الوسطى يشد بحيال نقطة من الوتر بينها وبين دستان الخنصر ثمن ما بين الخنصر الى المشط فيصير نسبة نغمة الوسطى هذه الى نغمة الخنصر مثلها فما بقي من الوتر فوق ويشد عند ذلك دستان الوسطى فانه يقع فيما بين دستان السبابة والبنصر فهذا هو إصلاح العود ونسب الاوتار ومواضع الدساتين

فأما كيفية اصلاح النغم ومعرفة مايكون بينها من النسب فهو ان يمد الزير ويحزق بحسب مايحتمل ان لاينقطع ثم يمد المثنى فوق الزير ويحزق ثم يزم بالخنصر وينقر مع مطلق الزير فاذا سمعت نغمتاهما متساويتين فقد استويا وإلا يزاد في حزق المثنى وإرخائه حتى يستويا ثم يمد المثلث ويحزق ويزم بالخنصر وينقر مع مطلق المثنى حتى تسمع نغمتاهما متساويتين والا يزاد في الحزق والارخاء حتى يستويا ويسمع نغمتاهما كأنهما نغمة واحدة ثم يمد المثلث ويحزق ويزم بالخنصر وينقر مع مطلق المثنى حتى يسمع نغمتاهما متساويتين كأنهما نغمة واحدة ثم يمد البم ويحزق ويزم بالخنصر وينقر مع مطلق المثلث فاذا سمعت نغمتاهما متساويتين كأنهما نغمة واحدة فقد استويا واذا استوت هذه الأوتار على هذا الوصف وجدت نغمة مطلق كل وتر بالاضافة الى نغمة مزمومة بالخنصر مثله ومثل ثلثه في الغلظ والثقل ويوجد وأيضاً نغمة كل وتر مزموم بالخنصر مثل نغمة الوتر الذي تحته مطلقا بالسواء، أيضا نغمة مطلق كل وتر مثل نغمة مزمومه بالسبابة ومثل ثلثه سواء ويوجد أيضاً نغمة مطلق كل وتر ضعف نغمة الوتر الذي تحته وهو الثالث منه مزموماً بالسبابة ويوجد أيضاً نغمة سبابة كل وتر منه مثل نغمة بنصره ومثل ثمنه سواء ويوجد أيضاً نغمة وسطى كل وتر مثل نغمة خنصره ومثل ثمنه سواء وبالجملة مامن وتر ولا دستان من هذه الأوتار والدساتين الا ولنغماتها نسبة بعضها الى بعض ولكن منها ماهي فاضلة شريفة ومنها دون ذلك. فن النسب الفاضلة الشريفة ان تكون النغمة مثل الأخرى سواء وتكون النغمة الغليظة مثل الحادة ومثل ثلثها ومثل نصفها او مثلها ومثل ربعها أو مثلها أومثل ثمنها. فاذا استوت هذه الاوتار على هذه النسب الفاضلة وحركت حركات متواترة متناسبة حدث عند ذلك منها نغمات متواترة متناسبة حادات خفيفات وثقيلات غليظات فاذا ألفت ضروبا من التأليفات كما تقدم ذكرها في فصل قبل هذا وصارت النغمات الغليظات الثقال للنغمات الحادات الخفاف كالاجساد وهي لها كالارواح واتحد بعضها ببعض وامتزجت وصارت الحانا وغناء كانت نقرات تلك الأوتار عند ذلك بمنزلة الأقلام

والنغمات الحادات منها بمنزلة الحروف والألحان بمنزلة الكلمات والغناء بمنزلة الأقاويل والهواء الحامل لها بمنزلة القراطيس والمعاني المتضمنة في تلك النغمات والألحان بمنزله الأرواح المستودعة في الاجساد فاذا وصلت المعاني المتضمنة في تلك النغمات والألحان الى المسامع أستلذت بها الطباع وفرحت فيها الأرواح وسرت بها النفوس لأن تلك الحركات والسكونات التي تكون بينها تصير عند ذلك مكيالا للازمان واذرعا لها ومحاكية لحركات الاشخاص الفلكية ، كما ان حركات الكواكب والافلاك المتصلات المتناسبات هي أيضاً مكيال للدهور وأذرع لها ، فاذا كيل بها الزمان كيلا متساوياً متناسباً معتدلا كانت نغماتها مماثلة لنغمات حركات الافلاك والكواكب ومناسبة لها فعند ذلك تذكرت النفوس الجزئية التي في عالم الكون والفساد سرور عالم الافلاك ولذات النفوس التي هناك وعلمت وتبين لها بأنها في أحسن الاحوال وأطيب اللذات وأدوم السرور لأن تلك النغمات هي أصفى وتلك الالحان أطيب لأن تلك الاجسام أحسن تركيباً وأجود هنداماً وأصفى جوهراً وحركاتها أحسن نظاما ومناسباتها أجود تأليفا فاذا علمت النفس الجزئية التي في عالم الكون والفساد أحوال عالم الأفلاك وتيقنت حقيقة ما وصفنا تشوقت عند ذلك الى الصعود الى هناك واللحوق بأبناء جنسها من النفوس الناجية في الازمان الماضية من الامم الخالية فان قال قائل أن الفلك طبيعة خامسة لا يجوز أن يكون لاجسامه نغمات وأصوات فليعلم هذا القائل ان الفلك وان كانت طبيعته خامسة فليس بمخالف لهذه الاجسام في كل الصفات وذلك أن منها ما هو مضيء مثل النار وهي الكواكب ومنها ما هو مشف كالبلور وهي الافلاك ومنها ما هو صقيل كوجه المرآة وهو جرم القمر ومنها ما هو يقبل النور والظلمة مثل الهواء وهو فلك القمر وفلك عطارد وبيان ذلك ان ظل الأرض يبلغ مخروطه الى فلك عطارد وهذه كلها أوصاف للاجسام الطبيعية والاجسام الفلكية تشاركها فيها، فقد تبين ان الفلك وان كانت طبيعته خامسة فليس بمخالف للاجسام الطبيعية في كل الصفات بل في بعضها دون بعض وذلك أنها ليست بحارة ولا

باردة ولا رطبة بل يابسة صلبة أشد صلابة من الياقوت وأصفى من الهواء وأشف من البللور وأصقل من وجه المرآة وانها يماس بعضها بعضا وتصطك وتحتك وتطن كما يطن الحديد والنحاس وتكون نغماتها متناسبات مؤتلفات وألحانها موزونات كما بينامثالها فى نغمات أوتار العيدان ومناسباتها

﴿ فصل ﴾

فى أن لحركات الافلاك نغمات كنغمات العيدان

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه انه لو لم يكن لحركات أشخاص الافلاك أصوات ولا نغمات لم يكن لأهلها فائدة من القوة السامعة الموجودة فيهم فان لم يكن لهم سمع فهم صم بكم عمي وهذه حال الجمادات الجامدات الناقصات الوجود وقد قام الدليل وصح البرهان بطريق المنطق الفلسفي ان أهل السموات وسكان الافلاك هم ملائكة الله وخالص عباده يسمعون ويبصرون ويعقلون ويعلمون ويقرؤن ويسبحون الليل والنهار لايفترون وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داود للزبور في المحراب ونغمات ألذ من نغمات أوتار العيدان الفصيحة فى الايوان العالى. فان قال قائل فانهم ينبغي ان يكون لهم أيضا شم وذوق ولمس فليعلم هذا القائل بان الشم والذوق واللمس انما جعل للحيوان الآكل للطعام والشارب للشراب ليميز بها النافع من الضار ويحرز جثته عن الحر والبرد المفرطين المهلكين لجثته فأما أهل السموات وسكان الافلاك فقد كفوا هذه الاشياء وهم غير محتاجين الى أكل الطعام والشراب بل غذاؤهم التسبيح وشرابهم التهليل وفاكهتهم الفكر والروية والعلم والشعور والمعرفة والاحساس واللذة والفرح والسرور والراحة. فقد تبين بما ذكرنا أن لحركات الافلاك والكواكب نغمات والحانا طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها وان تلك النغمات والالحان تذكر النفوس البسيطة التى هناك سرور عالم الارواح التى فوق الفلك التى جواهرها أشرف من جواهر عالم الافلاك وهو عالم النفوس ودار الحياة التى نعيمها كلها روح

وريحان فى درجات الجنان كما ذكر الله تعالى فى القرآن . والدليل على صحة ماقلنا والبرهان على حقيقة ماوصفنا ان نغمات حركات الموسيقار تذكر النفوس الجزئية التى في عالم الكون والفساد سرور عالم الافلاك كما تذكر نغمات حركات الافلاك والكواكب النفوس التى هى هناك سرور عالم الارواح وهي النتيجة التى أنتجت من المقدمات المقرر بها عند الحكماء وهي قولهم ان الموجودات المعلولات الثوانى تحاكى أحوالها أحوال الموجودات الاولى التى هى علل لها، فهذه مقدمة واحدة والاخرى قولهم ان الاشخاص الفلكية علل أوائل لهذه الاشخاص التى فى عالم الكون والفساد وان حركاتها علة لحركات هذه وحركات هـذه تحاكى حركاتها فوجب ان تكون نغمات هذه تحاكى نغماتها والمثال فى ذلك حركات الصبيان فى لعبهم فانهم يحاكون أفعال الآباء والامهات وهكذا التلامذة والمتعلمون يحاكون فى أفعالهم وصنائعهم أفعال الاستاذين والمعلمين وأحوالهم وان أكثر العقلاء يعلمون بان الاشخاص الفلكية وحركاتها المنتظمة متقدمة الوجود على الحيوانات التى تحت فلك القمر وحركاتهـا علة لحركات هـذه ، وعالم النفوس متقدم الوجود على عالم الأجسام كما بينا في رسالة الهيولى ورسالة المباديء العقلية

فلمـا وجد فى عالم الكون حركات منتظمة ، لها نغمات متناسـبة، دات على أن فى عالم الافلاك ، لتلك الحركات المنتظمـة المتصلة ، نغمات متناسبة مفرحة لنفوسها ومشوقة لها الى ما فوقها كما يوجد فى طباع الصبيان اشتياق الى أحوال الآباء والامهات وفي طباع التلامذة والمتعلمين اشـتياق الى أحوال الاستاذين وفى طباع العامة اشتياق الى أحوال الملوك وفى طباع العقلاء اشتياق الى أحوال الملائكة والتشبه بهم كما ذكر فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسية ويقال ان فيثاغورس الحكيم سمع بصفاء جوهر نفسـه وذكاء قلبه نغمات حركات الأفلاك والكواكب فاستخرج بجودة نظره أصول الموسيقى ونغمات الألحان وهو أول من تكلم في هذا العلم وأخبر عن هذا السر من الحكماء ثم بعده نيقوماخس وبطليموس واقليدس وغيرهم من الحكماء وهـذا

كان غرض الحكماء من استعمالهم الألحان الموسيقية ونغم الأوتار في الهيا كل وبيوت العبادات عند القرابين في سنن النواميس الالهية وخاصة الألحان المحزنة المرققة للقلوب القاسية المذكرة للنفوس الساهية والارواح اللاهية الغافلة عن سرور عالمها الروحاني ومحلها النوراني ودارها الحيوانية. وكانوا يلحنون مع نقرات تلك الاوتار كلمات وأبياتا موزونة قد ألفت في هذا المعنى ووصف فيها نعيم عالم الارواح ولذات أهله وسرورهم كما يقرأ غزاة المسلمين عند النفير آيات من القرآن أنزلت فى هذا المعنى لترقق القلوب وتشوق النفوس الى عالم الأرواح ونعيم الجنان مثل قوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به» وأخوات هذه الآيات من القرآن ، وكما ينشد غزاة المسلمين عند اللقاء أيضاً أو الحملة على الهيجاء ما قيل من أبيات الشعر فى وصف الحور العين ونعيم الجنان مما يشوق النفوس الى هناك أو يشجع على الاقدام ، بالعربية والفارسية ، نحو قول الشاعر :

أبت لى عفتى وأبى بلائي ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * ... واحمى بعد عن عرض صحيح

وقول الشاعر الفارسى

بيا تا دل وجان بخد اوند سباريم ... اندوه درم وغم دينارنه داريم
جان رازپي دين وديانت بفروشيم ... واين عمر فنار ابره غزو كذاريم

فأما الاشعار التى كان الحكماء الالهيون يلحنونها عند استعمالهم الموسيقى في الهيا كل وبيوت العبادات لترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الساهية من نومة الغفلة والارواح اللاهية في رقدة الجهالة ولتشويقها الى عالمها الروحاني

ومحلها النورانى ودارها الحيوانية ولاخراجها من عالم الكون والفساد ولتخليصها من غرق بحر الهيولى ونجاتها من أسر الطبيعة فهى ما هذه معانيها: « يا أيتها النفوس الغائصة في بحر الاجسام المدلهمة ويا أيتها الارواح الغريقة في ظلمات الاجرام ذوات الثلاثة الابعاد الساهية عن ذكر المعاد المنحرفة عن سبيل الرشاد اذكروا عهد الميثاق اذ قال لكم الحق الست بربكم قلتم بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا الجسمانيون من قبل وكنا ذرية من بعدهم جرمانيين في دار الغرور وضنك القبور، اذكروا عالمكم الروحانى ودار كم الحيوانية ومحلكم النورانى وتشوقوا الى آبائكم وامهاتكم واخوانكم الروحانيين الذين هم في أعلى عليين الذين هم من أوساخ الاجرام مبرؤن وعن ملابسة الاجسام الطبيعية منزهون بادروا وارحلوا من دار الفناء الى دار البقاء قبل أن يبادر بكم الى هناك مكرهين مجبورين غير مستعدين نادمين خاسرين »

ففي مثل هذه الاوصاف وماشاكل هذه المعاني كانت الحكماء تلحن مع نغمات الموسيقى في الهياكل وبيوت العبادات فقد تبين اذا بما ذكرنا طرف من غرض الحكماء في استعمالهم الموسيقى واستخراجاتهم أصول الحانه وتركيب نغماته واما علة تحريم الموسيقى في بعض شرائع الانبياء عليهم السلام فهو من أجل استعمال الناس لها على غير السبيل التى استعملها الحكماء بل على سبيل اللهو واللعب والترغيب في شهوات لذات الدنيا والغرور بأمانيها والابيات التى تنشد مشاكلة لها مثل قول القائل

خذوا بنصيب من نعيم ولذة * فكل وان طال المدى يتصرم

وقول القائل

ماجاءنا أحد يخبر أنه * في جنه مذمات أوفي نار

واعلم بان مثل هذه الابيات اذا سمعها أكثر الناس ظنوا وتوهموا انه ليست لذة ولا نعيم ولا فرح ولا سرور غير هذه المحسوسات التى يشاهدونها وان الذي أخبرت به الانبياء عليهم السلام من نعيم الجنات ولذات أهلها باطل والذي

أخبرت به الحكماء من سرور عالم الارواح وفضله وشرفه كذب وزور ليست له حقيقة ، فيقعون في شكوك وحيرة . واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه انك ان لم تؤمن للانبياء عليهم السلام بما أخبروك عنه من نعيم الجنان ولذات أهلها ولم تصدق الحكماء بما عرفوك من سرور عالم الارواح ورضيت بما تخيل لك الاوهام الكاذبة والظنون الفاسدة بقيت متحيراً شاكا ضالاً مضلا .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان غرض الانبياء عليهم السلام في وضعهم النواميس والشرائع وغرض الحكماء فى وضع السياسات ليس هو اصلاح امور الدنيا فحسب . بل غرضهم جميعا فى ذلك اصلاح الدين والدنيا جميعا فاما غرضهم الاقصى فهو نجاة النفوس من محن الدنيا وشقاوة أهلها وايصالها الى سعادة الآخرة ونعيم أهلها . ونرجع الآن الى ما كنا فيه فنقول: انه اذا وصلت معانى النغمات والالحان الى أفكار النفوس بطريق السمع وتصورت فيها رسوم تلك المعانى التى كانت مستودعة في تلك الالحان والنغمات استغنى عن وجودها في الهواء كما يستغنى عن المكتوب في الالواح اذا فهم وحفظ ما كان فيها مكتوباً من المعاني وهكذا يكون حكم النفوس الجزئية اذا ماهي تمت وكملت وبلغت الى أقصى مدى غاياتها مع هذه الاجسام فعند ذلك هدمت أجسامها اما بموت طبيعي أو عرضى أو بقربان في سبيل الله تعالى واستخرجت تلك النفوس من الاجسام كما يستخرج الدر من الصدف والجنين من الرحم والحب من الاكمام والثمرة من القشرة واستؤنف بها أمر آخر كما يستأنف بالدر أمر آخر اذا رمي بالصدف وحصل الدر وهكذا حكم الثمار والحب اذا أدركت ونضجت فليس الا الصرام والحصاد والرمى بقشورها وتحصيل لبها ويستأنف بها حكم آخر وهذا حكم النفوس بعد مفارقة الاجسام يراد بها أمر آخر كما ذكر الله تعالى «أفرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون» هكذا أيضا حكم نفوس الحيوانات بعد الذبح يستأنف بها أمر آخر فلا تقدر يا أخي بان غرض واضعي

النواميس في تحليل ذبح البهائم في الهياكل عند القرابين انما هو لأكل لحومها حسب. بل غرضهم تخليص نفوسها من دركات جهنم عالم الكون والفساد ونقلها من حال النقص الى حال التمام والكمال في الصورة الانسانية التي هي أتم وأكمل صورة تحت فلك القمر وهذه الصورة هي آخر باب في جهنم عالم الكون والفساد كما بينا في رسالة حكمة الموت فانظر الآن يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه وتفكر واعلم بأن جسمك صدف ونفسك درة ثمينة لا تغفل عنها فان لها قيمة عظيمة عند بارئها وخالقها وقد بلغت آخر باب في جهنم فان بادرت وتزودت وسعيت وخرجت من هذا الباب الذي ظاهره من قبله العذاب ودخلت من الباب الذي باطنه فيه الرحمة ساجداً في صورة الملائكة فقد أفلحت وفزت ونجوت

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان صورة الملائكة هي التي توفى نفسك عند مفارقة الجسد كما ذكر الله تعالى بقوله «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون» واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن ملك الموت هو قابلة الارواح وداية النفوس كما ان الداية للأجسام هي قابلة الاطفال

واعلم يا أخي بأن لكل نفس من المؤمنين أبوين في عالم الارواح كما ان لأجسادهم أبوين في عالم الأجساد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أنا وأنت يا علي أبوا هذه الامة قال الله تعالى «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية. فنرجع الى ما كنا فيه فنقول ان الحكماء الموسيقاريين انما اقتصروا من أوتار العود على أربعة لا أقل ولا أكثر لتكون مصنوعاتهم مماثلة للأمور الطبيعية التي دون فلك القمر اقتداء بحكمة الباري جل ثناؤه كما بينا في رسالة الارثماطيقي، فوتر الزير مماثل لركن النار ونغمته مناسبة لحرارتها وحدتها والمثنى مماثل لركن الهواء ونغمته مناسبة لرطوبة الهواء ولينه والمثلث مماثل لركن الماء ونغمته مناسبة لرطوبة الماء وبرودته، والبم مماثل لركن الارض ونغمته مماثلة لثقل الارض وغلظها . وهذه الاوصاف لها بحسب مناسبة

بعضها الى بعض وبحسب تأثيرات نغماتها في أمزجة طباع المستمعين لها وذلك ان نغمة الزير تقوي خلط الصفراء وتزيد في قوتها وتأثيرها وتضاد خلط البلغم وتلطفه ، ونغمة المثنى تقوي خلط الدم وتزيد في قوته وتأثيره وتضاد خلط السوداء وترققه وتلينه ونغمة المثلث تقوى خلط البلغم وتزيد في قوته وتأثيره وتضاد خلط الصفراء وتكسر حدتها، ونغمة البم تقوي خلط السوداء وتزيد في قوتها وتأثيرها وتضاد خلط الدم وتسكن فورانه. فاذا ألفت هذه النغمات في في الألحان المشاكلة لها واستعملت تلك الألحان في أوقات الليل والنهار المضادة طبيعتها طبيعة الأمراض الغالبة والعلل العارضة سكنتها وكسرت سورتها وخففت على المرضى آلامها لأن الأشياء المتشاكلة في الطباع اذا كثرت واجتمعت قويت أفعالها وظهرت تأثيراتها وغلبت أضدادها كما يعرف الناس مثل ذلك في الحروب والخصومات .

فقد تبين بما ذكرنا طرف من حكمة الحكماء الموسيقيين المستعملين لها في المارستانات في الأوقات المضادة لطبيعة الأمراض والأعراض والاعلال. وهم اقتصروا على أربعة أوتار لا أكثر ولا أقل فأما العلة التى من أجلها جعلوا غلظ كل وتر مثل غلظ الذي تحته ومثل ثلثه فذلك منهم أيضاً اقتداء بحكمة الباري جل ثناؤه واتباع لآثار صنعه في المصنوعات الطبيعية وذلك ان الحكماء الطبيعيين ذكروا ان أقطار أكر الأركان الأربعة التى هى النار والهواء والماء والأرض كل واحد منها مثل الذي تحته ومثل ثلثه في الكيفية أعنى في اللطافة والغلظ فقالوا ان قطر كرة الأثير أعنى كرة النار التى دون فلك القمر مثل قطر كرة الزمهرير ومثل ثلثها وقطر كرة الزمهرير مثل قطر كرة النسيم ومثل ثلثها وقطر كرة النسيم مثل قطر كرة الماء ومثل ثلثها وقطر كرة الماء مثل قطر كرة الأرض ومثل ثلثها ومعنى هذه النسبة ان جوهر النار في اللطافة مثل جوهر الهواء ومثل ثلثه وجوهر الهواء في اللطافة مثل جوهر الماء ومثل ثلثه وجوهر الماء في اللطافة مثل جوهر الأرض ومثل ثلثها. وأما علة شدة الزير الذي هو مماثل لركن النار ونغمته مماثلة

لحرارة النار وحدتها تحت الأوتار كلها، وشدهم البم المماثل لركن الأرض فوقها كلها والمثنى مما يلي الزير والمثلث مما يلي البم فهي أيضاً لعلتين اثنتين احداهما ان نغمة الزير حادة خفيفة تتحرك علوا ونغمة البم غليظة ثقيلة تتحرك الى أسفل فيكون ذلك أمكن لمزاجهما واتحادهما. وكذلك حال المثنى والمثلث. والعلة الأخرى ان نسبة غلظ الزير الى غلظ المثنى والمثنى الى المثلث والمثلث الى البم كنسبة قطر الارض الى قطر كرة النسيم وكرة النسيم الى كرة الزمهرير والزمهرير الى الأثير فهذا كان سبب شدهم لها على هذا الترتيب. وأما استعمالهم نسبة الثمن في نغمة الأوتار دون الخمس والسدس والسبع وتفضيلهم إياها فمن أجل انها مشتقة من الثمانية والثمانية هي أول عدد مكعب وأيضاً فان الستة لما كانت أول عدد تام وكانت الاشكال ذوات السطوح الستة أفضلها والمقدم عليها هو المكعب لما فيه من التساوي كما بينا في رسالة الجومطريا وذلك ان طول هذا الشكل وعرضه وعمقه كلها متساوية وله ستة سطوح مربعات كلها متساويات وله ثماني زوايا مجسمة كلها متساوية وله اثنا عشر ضلعاً متوازية متساوية وله أربع وعشرون زاوية قائمة متساوية وهي من ضرب ثلاثة في ثمانية وقد قلنا أن كل مصنوع كان التساوي فيه أكثر فهو أفضل وليس بعد الشكل الكرى شكل أكثر تساوياً من الشكل المكعب فمن أجل هذا قيل في كتاب اقليدس في المقالة الأخيرة أن شكل الارض بالمكعب أشبه وشكل الفلك بذى اثنى عشرة قاعدة مخمسات أشبه. وقد بينا في رسالة الاسطرنوميا فضيلة الشكل الكرى والعدد الاثنى عشر، ومن فضيلة الثمانية ماذكرته الحكماء الرياضيون بأن بين أقطار أكر الافلاك وبين قطر الارض والهواء نسبة موسيقية وبيان ذلك أنه اذاكان نصف قطر الارض ثمانية وكان نصف قطر كرة الهواء تسعة فان قطر كرة فلك القمر اثنا عشر وقطر فلك عطارد ثلاثة عشر وقطر فلك الزهرة ستة عشر وقطر فلك الشمس ثمانية عشر وقطر فلك المريخ احدى وعشرون ونصف وقطر فلك المشتري أربعة وعشرون وقطر فلك زحل سبعة وعشرون وأربعة أسباع وقطر فلك الكواكب الثابتة اثنان وثلاثون.

فنسبة قطر فلك القمر من قطر الارض مثله وثلث ومن قطر الهواء المثل والربع ونسبة قطر الزهرة من قطر الارض نسبة الضعف ومن قطر القمر المثل والثلث ونسبة قطر الشمس من قطر الهواء الضعف ومن قطر الارض الضعفان والربع ومن قطر القمر المثل والنصف ونسبة قطر المشتري من قطر القمر الضعف ومن قطر الارض الثلاثة الاضعاف ومن الزهرة المثل والنصف ونسبة قطر فلك الكواكب الثابتة من قطر المشترى المثل والربع ومن الزهرة الضعف ومن الشمس المثل والثلاثة الارباع ومن القمر الضعفان والثلاثة الارباع ومن الارض أربعة أضعاف وأما عطارد والمريخ وزحل فغير هذه النسبة . فمن أجل هذا قيل انها نحوس وذكر هؤلاء الحكماء أيضاً أن بين عظم أجرام هذه الكواكب بعضها لبعض نسباً شتى إما عددية واما هندسية وإما موسيقية وهكذا بينها وبين جرم الارض هذه النسب أيضاً موجودة، ولكن منها شريفة فاضلة ومنها دون ذلك ، يطول شرحها

فقد تبين بما ذكرنا ان جملة جسم العالم بجميع أفلاكه وأشخاص كواكبه وأركانها الاربعة وتركيب بعضها جوف بعض مركبة ومؤلفة ومصنوعة وموضوعة بعضها من بعض على هذه النسب المذكورة المقدم ذكرها وان جملة جسم العالم مجري مجرى جسم حيوان واحد وانسان واحد ومدينة واحدة وأن مدبرها ومصورها ومركبها ومؤلفها ومبدعها ومخترعها واحد لاشريك له وهذا كان أحد أغراضنا في هذه الرسالة. ومن فضيلة الثمانية أيضاً أنك اذا تأملت ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه وتصفحت الموجودات وعنصر الكائنات الفاسدات وجدت موجودات كثيرة مثمنات كطبائع الاركان الحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب والحار اليابس ثمانية وهي أصل الموجودات الطبيعية وعنصر الكائنات الفاسدات، وأيضاً من فضيلة الثمانية أنك تجد مناظرات الكواكب الى ثمانية مواضع في الفلك مخصوصة دون غيرها وهي المركز والمقابلة والتثليثان والتربيعان والتسديسان وهذه الثمانية هي أيضاً أحد أسباب الكائنات الفاسدات التي دون فلك القمر. واذا تأملت أيضاً واعتبرت وجدت الثمانية والعشرين حرفاً

التي في اللغة العربية المماثلة لثمان وعشرين منزلة من منازل القمر هجاؤها ثمانية أحرف وهي (ا ل ف ى م ن د و) ومفاعيل أشعار العرب أيضاً ثمانية أجزاء وهي أجزاء العروض وأجناس ألحان غنائهم أيضاً ثمانية كما سنبين في فصل آخر وقد قيل ان للجنان ثماني مراتب وحملة العرش ثمانية والنيران سبعة أبواب وقد بينا في رسالة البعث والقيامة حقيقتها . وعلى هذا القياس يا اخي اذا تأملت الموجودات وتصفحت أحوال الكائنات وجدت أشياء كثيرة ثنائيات وثلاثيات ورباعيات وخماسيات وسداسيات وسباعيات وثمانيات ومتسعات ومعشرات وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ . وانما أردنا بذكر المثمنات ان ننبهك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، ولتعلم ان المسبعة الذين قد شغفوا بذكر المسبعات وتفضيلها على غيرها انما كان نظرهم جزئياً وكلامهم غير كلي وكذلك حكم الثنوية فى المثنويات والنصارى في تثليثهم والطبيعيين فى مربعاتهم والخرمية في مخمساتهم والهند فى مسدساتهم والكيالية في متسعاتهم وليس هذا مذهب اخواننا الكرام أيدهم الله وإيانا بروح منه حيث كانوا فى البلاد بل نظرهم كلي وبحثهم عمومي وعلمهم جامع ومعرفتهم شاملة .

ولنعد الآن الى ما كنا فيه فنقول: قد تبين اذاً بما ذكرنا طرف من صفة العود وكمية أوتاره وتناسب ما بين غلاظها ودقاقها وكمية دساتينها وكيفية شدها وما بينها من التناسب وكمية نغمات نقرات أوتاره مطلقاً ومزموماً وما بينها من التناسب فان أحكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن المؤلفات ما كان تأليف أجزائه وهيئة تركيبه على النسبة الافضل ومن أجل هذا صارت الالحان تستلذها أكثر المسامع وتستحسن صفتها واستعملها اكثر العقول ويغنى بها فى مجالس الملوك والرؤساء

﴿ فصل ﴾

في ان إحكام الكلام صنعة من الصنائع

ومن المصنوعات المحكمة المتقنة أيضاً صنعة الكلام والاقاويل وذلك ان أحكم الكلام ما كان أبين وأبلغ وأتقن البلاغات ما كان أفصح وأحسن الفصاحة ما كان موزونا مقفى والذ الموزونات من الاشعار ما كان غير مزحف والذي غير مزحف من الاشعار هو الذي حروفه الساكنة وأزمانها مناسبة لحروف متحركاتها وأزمانها والمثال فى ذلك الطويل والمديد والبسيط، فان كل واحد منها مركب من ثمانية مقاطع وهى هذه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن وهذه الثمانية مركبة من اثنى عشر سببا وثمانية أوتاد جملتها ثمانية وأربعون حرفاً عشرون منها سواكن وثمانية وعشرون حرفاً متحركات والمصراع منه أربعة وعشرون حرفاً عشرة سواكن وأربعة عشر متحركات ،ونصف المصراع الذي هو ربع البيت اثنا عشر حرفاً خمسة منها سواكن وسبعة متحركات ونسبة سواكن حروف ربعه الى متحركاته كنسبة سواكن حروف نصفه الى متحركاته وكنسبة سواكن حروفه كلها الى متحركاته كلها وهكذا تجد حكم الوافر والكامل فان كل واحد منها مركب من ستة مقاطع وهى هذه مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن ست مرات ونسبة سواكن حروف ثلث البيت الى حروف متحركاته كنسبة حروف سواكن نصفه الى متحركاته وكنسبة سواكن كله الى متحركات كله وعلى هذا المثال والحكم يوجد كل بيت من الأشعار اذا سلم من الزحاف منصفاً كان أو مربعاً أو مسدساً وكذلك حكم الأزمان التى بينا ، وهذه صورتها فعولن مفاعيلن « ه ه ا ه ا ه ه ا ه ا ه ا » الهاآت علامة المتحركات والالفات علامة السواكن

فقد تبين بهذا المثال أيضاً ان أحكم المصنوعات وأتقن المركبات ما كان تأليف أجزائه وأساس بنيته على النسبة الأفضل ومن أمثال ذلك أيضاً صناعة الكتابة

التى هي أشرف الصنائع وبها يفتخر الوزراء والكتاب وأهل الأدب في مجالس الملوك مع كثرة أنواعها وفنون فروعها وذلك ان لكل أمة من الامم كتابة غير ما للأخرى ، كالعربية والفارسية والسريانية والقبطية والعبرانية واليونانية والهندية وماشا كلها، لا يحصى عددها إلا الله عز وجل الذي خلقهم مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأخلاقهم وطبائعهم وصناعاتهم وعلومهم ومعارفهم كل ذلك لسعة علمه ونفاذ مشيئته واتقان حكمته سبحانه وتعالى .

ونريد أن نذكر في هذا الفصل أصل الحروف وكيفية ترتيبها وكمية مقاديرها ونسب تأليفها الفاضلة بينها فنقول :

ان أصل حروف الكتابات كلها في أي لغة وضعت ولأي أمة كانت وبأي أقلام كتبت وخطت أو بأي نقش صورت وإن كثرت فان أصلها كلها هو الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيط الدائرة ، فأما سائر الحروف فمركبة منهما ومؤلفة كما بينا في رسالة الجومطريا شبه المدخل الى صناعة الهندسة ونبين مثالا لما ذكرنا من الحروف التى فى الكتابة العربية ليكون دليلا على صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا من أن أصل الحروف كلها هو الخط المستقيم والخط المقوس اللذان أحدهما قطر الدائرة والآخر محيطها وهي هذه : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

فانظر الآن واعتبر وتأمل يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه فانك تجد هذه الحروف بعضها خطاً مستقيماً مثل هذا : ا ب ت ث ، وبعضها مقوساً مثل هذا : د ذ ر ز، وبعضها مركباً منهما مثل سائر الحروف وعلى هذا المثال والقياس توجد حروف كتابات سائر الامم مثل الهندية فانها هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ وكذلك السريانية والعبرانية واليونانية والرومية فان لكل منها اصطلاحا في أشكال الحروف وصورها لا يخرج عما قلنا واذ قد تبين بما ذكرنا ان أصل الحروف والكتابات كلها هو الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيطها فنريد ان نبين أيضا ان أجود الخطوط وأصح الكتابات وأحسن

المؤلفات ما كان مقادير حروفها بعضها من بعض على النسبة الافضل فلنذكر أولا ماقاله أهل هذه الصناعة أعني صناعة الكتابة ليكون أقوى وأصح للحجة وأوضح للبيان وارشد الى القياس والقانون ، قال المحرر الحاذق المهندس : ينبغي لمن يريد أن يكون خطه جيداً وكتابته صحيحة ان يجعل لها أصلا يبني عليه حروفه وقانونا يقيس عليه خطوطه والمثال في ذلك في كتابة العربية هو ان يخط الالف أولا بأي قدر شاء ويجعل غلظه مناسباً لطوله وهو الثمن وأسفله أدق من أعلاه، ثم يجعل الالف قطر الدائرة ثم يبني سائر الحروف مناسباً لطول الالف والمحيط الدائرة التي الالف مساو لقطرها وهو ان يجعل الباء والتاء والثاء كل واحد منها طوله مساو لطول الالف وتكون رؤوسها الى فوق الثمن مثل هذا ا ب ت ث ثم يجعل الجيم والحاء والخاء كل واحد منها مدته من فوق نصف الالف وتقويسه الى أسفل نصف محيط الدائرة التي الالف مساو لقطرها مثل هذا ج ح خ ثم يجعل الدال والذال كل واحد منهما مثل طول الالف اذا قوس مثل هذا د ذ ثم يجعل الراء والزاي كل واحد منهما كمثل ربع محيط الدائرة التي الالف قطرها ثم يجعل السين والشين كل واحد منهما رؤسهما الى فوق ثمن الالف ومدتها الى أسفل نصف محيط الدائرة مثل هذا س ش ثم يجعل الصاد والضاد مدة طول كل واحد منهما الى قدام مثل طول الالف وفتحتها مثل ثمن الالف ومدتها الى أسفل مثل نصف الدائرة المقدم ذكرها مثل هذا ص ض ويجعل الطاء والظاء كل واحد منهما طوله مثل طول الالف وفتحتها مثل ثمن الالف ورؤسها الى فوق بطول الالف مثل هذا ط ظ ثم يجعل العين والغين كل واحد منهما تقويسه من فوق ربع محيط تلك الدائرة وتقويسه من أسفل نصف محيطها مثل هذا ع غ ثم يجعل مدة الفاء الى قدام مثل طول الالف وفتحته ثمن الالف وحلقته وحلقة القاف والواو والميم والهاء كلها متساوية مثل ثلث الالف اذا دور مثل هذا ف ق و م ه ويجعل مدة القاف الى أسفل مثل نصف محيط تلك الدائرة مثل هذا ق ثم يجعل مدة الكاف الى قدام مثل طول الالف وفتحته مثل ثمن الالف وكسرته الى فوق ربع الالف

مثل هذا ك ثم يجعل طول اللام مثل الالف ومدته الى قدام نصف الالف مثل هذا ل ثم يجعل مدة الميم والواو كل واحد منهما الى أسفل مثل تقويس الراء والزاي مثل هذا م و ثم يجعل تقويس النون مثل نصف محيط تلك الدائرة التى الالف مساو لقطرها مثل هذا ن ثم يجعل الياء مثل الدال ومدته الى خلف مثل طول الالف أو تقويسه الى أسفل مثل نصف محيط الدائرة مثل هذا ى وهذا الذي ذكرناه من نسب هذه الحروف وكمية مقاديرها طولا وعرضا بعضها عند بعض فهو شيء توجبه قوانين الهندسة والنسب الفاضلة واما مايتعارفه الناس ويستحسنه الكتاب فعلى غير ماذكرنا من المقادير والنسب وذلك بحسب موضوعاتهم ومرضياتهم واختياراتهم دون غيرها وبحسب طول الدربة وجريان العادة فيها . واذ قد تبين بما ذكرنا ماهية النسب الفاضلة ومقادير الحروف وكمية أطوالها فنريد ان نذكر هاهنا أيضاً طرفاً من كيفية صورها وتخطيط أشكالها وكيفية تركيبها بعضها مع بعض على مايوجبه القياس والقانون بطريق الهندسة

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان صور حروف الكتابات كثيرة الفنون مختلفة الانواع كما تقدم ذكرها وهى بحسب موضوعات الحكماء من الكتاب واختياراتهم لها وتواطئهم عليها يطول ذكر علة ذلك وشرحه ولكن نذكر قولا مجملا مختصراً فى ثلاث كلمات بحسب ماتوجبه قوانين الهندسة والقياسات الفلسفية كما أوصى المحرر الحاذق المهندس فقال: ينبغي ان تكون صور الحروف كلها لاي أمة كانت في أي لغة كانت وبأي أقلام خطت الى التقويس والانحناء ماهو الالف التى فى كتابة العربية وان يكون غلظ الحروف الى الانخراط ماهو وان يكون عند التركيب الزوايا كلها حادة والى التدوير ماهو ، فهذا ماقاله أهل الصناعة فى تقدير هذه الحروف ومناسباتها مفردة مفردة فأما عند التركيب والتأليف فربما تختلف وتتغير لعلل يطول شرحها ولكن على المحرر يجب عند تعليمه للخط التوقيف عليها

فقد تبين اذا بما ذكرنا أن أحكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن المؤلفات ما كان تركيب بنيته وتأليف أجزائه على النسبة الافضل والنسب الفاضلة هي المثل والمثل والنصف والمثل والثلث والمثل والربع والمثل والثمن كما قد بينا قبل ومن أمثال ذلك أيضاً صورة الانسان وبنية هيكله وذلك ان البارئ جل جلاله جعل طول قامته مناسباً لعرض جثته وعرض جثته مناسباً لعنق تجويفه وطول ذراعيه مناسباً لطول ساقيه وطول عضديه مناسباً لطول فخذيه وطول رقبته مناسباً لطول عمود ظهره وكبر رأسه مناسباً لكبر جثته واستدارة وجهه مناسبة لسعة صدره وشكل عينيه مناسباً لشكل فمه وطول أنفه مناسباً لعرض جبينه وقدر أذنيه مناسباً لمقدار خديه وطول أصابع يديه مناسباً لاصابع رجليه وطول امعائه مناسباً لطول أوردته وتجويف معدته مناسباً لكبر كبده ومقدار قلبه مناسباً لكبر رئته وشكل طحاله مناسباً لشكل كبده وسعة حلقومه مناسبة لكبر رئته وطول أعضائه وغلظها مناسباً لكبر عظامه وطول اضلاعه وتقويسها مناسباً لصندوق صدره وطول عروقه وسعتها مناسباً لبعد مسافة أقطار جسده وعلى هذا المثال اذا تأملت واعتبرت كل عضو من أعضاء بدن الانسان وجدته مناسباً لجملة جثته نسبة ما ومناسباً لعضو عضو من أعضاء الجسد نسبة أخرى لايعلم كنه معرفتها الا الله جل ثناؤه الذي خلقها وصورها كما شاء كيف يشاء كما ذكر بقوله جل ثناؤه « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وقال « خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك »

﴿ فصل في تناسب الاعضاء على الاصول الموسيقية ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان النطفة اذا سلمت في الرحم من الآفات العارضة هناك ومن فساد الاخلاط وتغير المزاج ومناحس أشكال الفلك عند مسقط النطفة وعند المبادىء شهراً بشهر وتمت بنية البدن وكملت صورة الجسد، كما بينا في رسالة لنا، خرج الطفل من الرحم صحيح البنية تام الصورة فكان طول قامته ثمانية أشبار بشبره سواء فمن رأس ركبتيه الى أسفل قدميه

شبران ومن رأس ركبته الى حقويه شبران ومن حقويه الى رأس فؤاده شبران ومن رأس فؤاده الى مفرق رأسه شبران واذا فتح يديه ومدهما يمنة ويسرة كما يفتح الطائر جناحيه وجد مابين رأس أصابع يده اليمنى الى رأس أصابع يده اليسرى ثمانية أشبار النصف من ذلك عند ترقوته والربع عند مرفقيه، واذا مد يديه الى فوق رأسه ووضع رأس البركار على سرته وفتح الى رؤوس أصابع يديه ثم أدير الى رؤوس أصابع رجليه كان البعد بينهما مساوياً عشرة أشبار بزيادة ربع طول قامته ويوجد طول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبراً وثمناً ويوجد البعد مابين أذنه شبراً وربعاً ويوجد طول أنفه ربع شبره ويوجد طول شق عينيه كل واحد ربع ثمن شبره وطول جبينه ثلث طول وجهه ويوجد شق فمه وشفتيه كل واحد مساوياً لطول أنفه، وطول قدميه كل واحد شبر، وربع شبر وطول كفيه من رأس الكرسوع الى رأس الأصبع الوسطى شبراً ويوجد طول ابهامه وطول خنصره متساويين ورأس البنصر زائداً على رأس الخنصر ثمن شبره وكذلك زيادة الوسطى على البنصر وكذلك السبابة ويوجد عرض صدره شبراً ونصفاً وبعد مابين ثدييه شبراً وما بين سرته الى عانته شبراً ومن رأس فؤاده الى رأس ترقوته شبراً ويوجد البعد مابين منكبيه شبرين، وعلى هذا المثال والقياس يوجد اذا اعتبر طول أمعائه ومصارين جوفه وعروق جسده والعصبات الممسكات لعظامه وأوتار مفاصله متناسبات بعضها الى بعض طولا وعرضاً وعمقاً مثل ماذكرنا من مناسبات مقادير أعضائه الظاهرة وعلى هذا القياس والمثال يوجد بنية أبدان سائر الحيوانات مناسبة أعضاء صورة كل نوع منها لجملة بدنه أو بعضها الى بعض مناسبة إما بالكيفية وإما بالكمية وإما بهما جميعاً لاتخل شيئا اذا سلمت من الآفات العارضة عند الابتداء وعند النشوء من فساد الاخلاط وتغيير المزاج ومناحس أشكال الفلك. وعلى هذا المثال والقياس يعمل الصناع الحذاق مصنوعاتهم من الاشكال والتماثيل والصور مناسبات بعضها لبعض فى التركيب والتأليف والهندام، كل ذلك اقتداء بصنعة الباري تعالت قدرته وتشبه بحكمته كما قيل في حد الفلسفة انها هي التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية

﴿ فصل فى حقيقة نغمات الافلاك ﴾

اعلم ياأخى أيدك الله وإيانا بروح منه ان فى اعتبار هذه المقالات التى تقدم ذكرها في هذه الفصول الدالة على ان أحكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن التأليفات هو ما كان تركيب بنيته على النسبة الافضل وتأليف أجزائه على مثل ذلك دليل وقياس لكل عاقل متفكر معتبر على ان تركيب الافلاك وكواكبها ومقادير اجرامها ومقادير الاركان ومولداتها موضوعة بعضها على بعض على النسبة الافضل، وهكذا ابعاد هذه الافلاك وكواكبها وحركاتها متناسبات على النسبة الافضل وان لتلك الحركات المتناسبة نغمات متناسبات مطربات متوازيات لذيذات كما ينافي حركات أوتار العيدان ونغماتها، فاذا تفكر ذو اللب واعتبر تبين له عند ذلك وعلم بأن لها صانعاً حكيما صنعها ومركباً حاذقاً ركبها ومؤلفاً لطيفاً ألفها وتيقن بذلك فتزول الشبهة المموهه التى دخلت على قلوب كثير من المرتابين وترتفع الشكوك ويتضح الحق ويعلم أيضاً ويتبين له ان في حركات تلك الاشخاص ونغمات تلك الحركات لذة وسروراً لأهلها مثل ما في نغمات أوتار العيدان لذة وسروراً لأهلها في هذا العالم، فعند ذلك تشوقت نفسه الى الصعود الى هناك والاستماع لها والنظر اليها كما صعدت نفس هرمس المثلث بالحكمة لما صفت ورأت ذلك وهو ادريس النبى عليه السلام واليه أشار بقوله تعالى «ورفعناه مكاناً علياً» وكما سمعته نفس فيثاغورس الحكيم لما صفت من درن الشهوات الجسمانية ولطفت بالافكار الدائمة وبالرياضات العددية والهندسية والموسيقية . فاجتهد ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه فى تصفية نفسك وتخليصها من بحر الهيولى وأسر الطبيعة وعبودية الشهوات الجسمانية وافعل كما فعلت الحكماء ووصفت في كتبها فان جوهر نفسك من جوهر نفوسهم واعمل كما وصفنا في كتاب الانبياء عليهم السلام، وصف نفسك من الاخلاق الرديئة والآراء الفاسدة والجهالات المتراكمة والافعال السيئة فان هذه الخصال هي المانعة لها عن الصعود الى هناك بعد الموت كما ذكر الله تعالى بقوله «لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان جوهر نفسك من الافلاك نزل يوم مسقط النطفة كما بينا في رسالة لنا والى السماء يكون مصيرها بعد الموت الذي هو مفارقة الجسد كما ان من التراب يكون جسدك والى التراب يكون جسدك بعد الموت

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن هذه الحياة الدنيا للنفوس المتجسدة الى وقت المفارقة التي هي الموت مماثلة لمدة كون الجنين في الرحم من يوم مسقط النطفة الى يوم الولادة

واعلم يا أخي ان الموت ليس شيئاً سوى مفارقة النفس الجسد كما ان الولادة ليست شيئاً سوى مفارقة الجنين الرحم . وقال المسيح عليه السلام من لم يولد ولادتين لم يصعد الى ملكوت السماء . وقال جل ثناؤه في صفة أهل الجنة « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى » وهو مفارقة النفس الجسد مرة واحدة على الشريطة التي تقدم ذكرها وهم السعداء الذين أشار اليهم بقوله (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فأما الأشقياء فهم الذين يتمنون العود الى الدنيا والتعلق بالأجساد مرة أخرى ويذوقون الموت مرة أخرى كما ذكر الله تعالى حكاية عنهم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) أعاذك الله أيها الاخ من حال هذه الطائفة وإيانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه لطيف بالعباد. فلنرجع الى ما كنا فيه وقد وعدنا به من ذكر قوانين الألحان العربية فنقول :

ان للغة العربية وألحانها ثمانية قوانين هي كالأجناس لها ومنها يتفرع سائرها واليها ينسب باقيها كما ان لأشعارها ثمانية مقاطع منها يتركب سائر دوائر العروض وأنواعها واليها ينسب وعليها يقاس باقيها كما هو مذكور في كتب العروض بشرحها

وأما الثمانية التي هي قوانين غناء العربية فأولها الثقيل الأول ثم خفيف الثقيل ثم الثقيل الثاني ثم خفيفه ثم الرمل ثم خفيف الرمل ثم خفيف الخفيف ثم الهزج . فهذه

الثمانية هي كالأجناس وسائرها كالأنواع المتفرعة منها المنسوبة اليها فأما الثقيل الأول فهو تسع نقرات ثلاث منها متواليات وواحدة مفردة ثقيلة ساكنة ثم خمس نقرات واحدة مطوية في أولها مثل قولك مفعولن مف مفاعيلن مف تن تن تن تن تن تن تن تن ثم يعود الايقاع ويكرر دائماً الى أن يسكت الموسيقار . وأما الثقيل الثاني فهو احد عشر نقرة ثلاث نقرات متواليات ثم واحدة ساكنة ثم واحدة ثقيلة ثم ست نقرات في أولها واحدة مطوية مثل قولك مفعولن مفعو مفاعيلن مفعو تن تن تن تن تن تن تن تن تن تن ثم يعود الايقاع ثانياً دائماً . وأما خفيف الثقيل الأول فهو سبع نقرات نقرتان منها متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة ثم نقرة مفردة ثقيلة ثم أربع نقرات واحدة مطوية في أولها مثل قولك مفاعل مفاعيلن تنن تن تنن تن ثم يعود الايقاع ويكرر إلى أن يسكت المغني ، وأهل زماننا يسمون هذا اللحن الماخوري وهو مثال صياح الفاختات ككو كو ككو كو . وأما خفيف الثقيل الثاني فهو ثلاث نقرات متواليات لايكون بينها زمان نقرة ولكن بين كل ثلاث نقرات وثلاث نقرات زمان نقرة مثل قولك فعلن فعلن تكرر دائماً تنن تنن الى أن يسكت المغني . وأما الرمل فهو عكس الماخوري وذلك انه سبع نقرات مثله ولكن أوله نقرة مفردة ثقيلة ثم نقرتان متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة ثم أربع نقرات كل اثنتين منها متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة مثل قولك فاعلن مفاعلن مثل صياح القباج تن تنن تنن كي ككي ككي ككي . وأما خفيف الرمل فهو ثلاث نقرات متواليات متحركات مثل قولك متفاعلتن تنن تنن . وأما خفيف الخفيف فهو نقرتان متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة ولكن بين كل نقرتين ونقرتين زمان نقرة مثل قولك مفاعلن مفاعلن تنن تنن تنن تنن . وأما الهزج فهو نقرة مسكنة ونقرة أخرى أخف منها بينهما زمان نقرة و بين كل اثنتين زمان نقرتين مثل قولك فاعل فاعل .

فهذه الثمانية الأجناس التي قلنا انها أصل وقوانين لغناء العرب

وألحانها . وأما غير العربية كالفارسية والرومية واليونانية فلألحانها وغنائها قوانين أخر غير هذه ولكنها كلها مع كثرة أجناسها وفنون أنواعها ليست تخرج من الاصل والقانون الذي ذكرناه قبل هذا الفصل وإذا تأملت يا أخي أيدك الله وإيانا وجدت صحة ماقلنا وعرفت حقيقة ماوصفنا

﴿ فصل في ذكر المربعات ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الله تعالى جعل بواجب حكمته الأشياء الطبيعية التي تحت الكون والفساد وأسبابها وعللها الموجبة لكونها أكثرها مربعات بعضها متضادات وبعضها متشاكلات لما فيها من إحكام الصنعة واتقان الحكمة لايعلم أحد من خلقه كنه معرفتها إلا هو الذي أبدعها واخترعها وأوجدها وركبها والفها كما شاء كيف شاء . ونريد ان نذكر طرفاً من تلك الاشياء المربعات المتضادات والمتشاكلات ليكون تنبيها لنفوس الغافلين عن النظر فيها وحثالهم على التفكر بها والاعتبار لها وتسهيلا لنفوس الباحثين عن معرفة عللها والطالبين ماالحكمة فيها ، فن الامور المربعات الظاهرات البينات الازمان الاربعة التي هي فصول السنة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء والذي يشاكل الربيع من البروج من أول الحمل الى آخر الجوزاء والذي يشاكلها من أرباع الفلك الربع الشرقي الصاعد الى وتد السماء والذي يشاكلها من الشهر الرابع الاول سبعة أيام من أول الشهر والذي يشاكلها من اتصالات الكواكب التربيع الايسر ومن الاركان الاربعة ركن الهواء ومن الطبائع الحرارة والرطوبة ومن الجهات الجنوب ومن الرياح التيمي ومن أرباع اليوم الست ساعات الاولى ومن اخلاط المزاج الدم ومن أرباع العمر أيام الصبا ومن القوى الطبيعية القوة الهاضمة ومن القوى الحيوانية القوة المتخيلة ومن الافعال الظاهرة الفرح والسرور والطرب ومن الاخلاق الجود والكرم والعدل ومن المحسوسات المشاكلات لهذه أيضاً

وتر المثنى ونغماته ومن الالحان الترنم ومن الكلام والاشعار المديح ومن الطعوم الحلاوات ومن الالوان مااعتدلت اصباغه كالمنثور ومن الروائح الغالية البنفسج والمرزنجوش وما شاكلها من الروائح الحارة اللينة وبالجملة كل طعم ورائحة ولون معتدل . والذي شاكل زمان الصيف من أرباع الفلك الربع الهابط من وتد السماء الى وتد المغرب ومن البروج من أول السرطان الى آخر السنبلة ومن أرباع الشهر الربع الثانى سبعة أيام ومن الاتصالات ماجاوز التربيع الايسر الى المقابلة ومن الاركان ركن النار ومن الطبائع الحرارة واليبس ومن الجهات الشرق ومن الرياح الصبا ومن أرباع اليوم ست ساعات الى آخر النهار ومن الاخلاط المرة الصفراء ومن أرباع العمر أيام الشباب ومن القوى الطبيعية القوة الجاذبة ومن القوى الحيوانية القوة المفكرة ومن الاخلاق الباطنة الشجاعة والسخاء ومن الافعال الظاهرة سرعة الحركة والقوة والجلد ومن المحسوسات المقوية لها مثل نغمات وتر الزير ، ومن الالحان الماخورى وما شاكله ومن الكلام الاشعار وما شاكلها من مديح الفرسان والشجعان ، ومن الطعوم الحريفات ومن الالوان الصفرة والحمرة ومن الروائح المسك والياسمين وماشاكلهما . وبالجملة كل طعم ولون ورائحة حارة يابسة . والذي شاكل زمان الخريف من أرباع الفلك الربع الهابط من وتد المغرب الى وتد الارض ومن البروج من أول الميزان الى آخر القوس ومن أرباع الشهر الربع الثالث السبعة الايام بعد النصف ومن الاتصالات بعد المقابلة الى التربيع الايمن ومن الاركان ركن الارض ومن الطبائع البرودة واليبوسة ومن الجهات المغرب ومن الرياح الدبور ومن أرباع اليوم ست ساعات من أول الليل ومن الاخلاط المرة السوداء ومن أرباع العمر أيام الكهولة ومن القوى الطبيعية القوة الماسكة ومن القوى الحيوانية القوة الحافظة ومن الاخلاق العفة ومن الافعال الظاهرة التأني والتثبت ومن المحسوسات المشاكلة لها نغمات المثلث ومن الالحان الثقيل وماشاكله ومن الكلام المديح وما كان في وصف العقل والرزانة والركانة والحصافة ومن الطعوم الحموضات ومن الالوان السواد والغبرة وماشاكلهما ومن

الروائح رائحة الورد والعود وماشا كلهما من الروائح الباردة اليابسة. والذي شا كل زمان الشتاء من أرباع الفلك الربع الصاعد من وتد الارض الى أفق المشرق ومن البروج من أول الجدى الى آخر الحوت ومن أرباع الشهر الربع الاخير سبعة أيام ومن الاتصالات التربيع الايمن ومن الأركان ركن الماء ومن الطبائع البرودة والرطوبة ومن الجهات الشمال ومن الرياح الجربياء ومن أرباع اليوم النصف الأخير من الليل ومن أخلاط المزاج البلغم ومن القوى الطبيعية القوة الدافعة ومن القوى الحيوانية القوة المذكرة ومن الأخلاق الحلم والتجاوز ومن الافعال الظاهرة السهولة في المعاملة وحسن المعاشرة ومن المحسوسات المشاكلة له أيضاً نغمات وتر البم ومن الألحان الهزج والرمل ومن الكلام والاشعار ما كان مديحاً فى الجود والكرم والعدل وحسن الخلق ومن الطعوم الدسومات والعذوبات ومن الالوان الخضرة ومن الروائح النرجس والنيلوفر وماشا كلهما وبالجملة كل لون أو طعم أو رائحه باردة رطبة .

وعلى هذا المثال والقياس إذا تصفحت يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أحوال الموجودات الطبيعيات واعتبرت أنواع الكائنات المحسوسات وجدت كلها داخلة فى هذه الاقسام الاربعة مشا كلات بعضها لبعض أو مضادات بعضها لبعض كما ذكر الله بقوله جل ثناؤه (ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين) وقوله عز وجل (خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) .

واعلم يا أخي بأن هذه الاشياء المتشاكلة إذا جمع بينها على النسبة التأليفية ائتلفت وتضاعفت قواها وظهرت أفعالها وغلبت أضدادها وقهرت ما يخالفها وبمعرفتها استخرجت الحكماء الادوية المبرئة من الامراض الشافية للاسقام مثل الترياقات والمراهم والشرابات المعروفة بين الاطباء الموصوفة في كتبهم وعلى مثل ذلك عمل أصحاب الطلسمات بعد معرفتهم بطبائع الاشياء وخواصها ومشاكلتها وكيفية تركيبها ونسب تأليفها والمثال فى ذلك الشكل المتسع في تسهيل الولادة إذا كتب فيه الاعداد التسعة في الشهر التاسع من الحمل في الساعة التاسعة من

الطالع ويكون رب الطالع في التاسع أو رب التاسع في الطالع أو يكون القمر في التاسع أو متصلا بكوكب منه في التاسع وماشا كل ذلك من المتسعات

﴿ فصل في الانتقال من طبقات الألحان ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الله جل جلاله جعل بواجب حكمته لكل جنس من الموجودات حاسة مختصة بادراكها وقوة من قوى النفس تنالها بها وتعرفها بطريقها لاتنال بطريقة أخرى وجعل أيضاً في جبلة كل حاسة دراكة أو قوة علامة أن تستلذ من إدراك محسوساتها وتتشوق اليها اذا فقدتها وملت منها إذادامت عليها وتستروح الى غيرها من أبناء جنسها مثل ماهو معروف بين الناس في مأكولاتهم ومشروباتهم وملبوساتهم ومشموماتهم ومبصراتهم ومسموعاتهم ، فالموسيقار الحاذق الفاره هو الذي إذا علم بأن المستمعين قدملوا من لحن غنى لهم لحناً آخر إما مضاداً له أو مشاكلا له

واعلم يا أخي ان الخروج من لحن الى لحن والانتقال منه ليس له طريق إلا على أحد الوجهين إما أن يقطع ويسكت ويصلح الدساتين والاوتار بالحزق والارخاء ويبتدىء ويستأنف لحناً آخر أو يترك الامر بحاله ويخرج من ذلك اللحن إلى لحن آخر قريب منه مشاكل له، وهو أن ينتقل من الثقيل الى خفيفه أو من الخفيف إلى ثقيله أو إلى ماقارب منه . والمثال في ذلك انه إذا أراد أن ينتقل من خفيف الرمل الى الماخوري أن يقف عند النقرتين الاخيرتين من ثقيل الرمل ثم يتلوهما بنقرة ثم يقف وقفة خفيفة ثم يبتدىء بالماخورى ومن حذق الموسيقار أيضا أن يكسو الاشعار المفرحة الالحان المشاكلة لها مثل الارمال والاهزاج وما كان منها من المديح في معاني المجد والجود والكرم أن يكسوها من الالحان المشاكلة لها مثل الثقيل الاول والثاني وما كان في المديح من معاني الشجاعة والاقدام والنشاط والحركة أن يكسوها من الالحان مثل الماخوري والخفيف ومايشا كلها

ومن حذق الموسيقار أيضاً أن يستعمل الالحان المشاكلة للازمان في الاحوال المشاكلة بعضها لبعض، وهوأن يبتدىء في مجالس الدعوات والولائم

والشرب بالألحان التى تقوم الاخلاق والجود والكرم والسخاء مثل ثقيل الاول وما شاكلها ثم يتبعها بالالحان المفرحة المطربة مثل الهزج والرمل وعند الرقص والدستبند الماخوري وما شاكله وفي آخر المجلس ان خاف من السكارى الشغب والعربدة والخصومة أن يستعمل الالحان الملينة المنومة الحزينة

﴿ فصل ﴾

في نوادر الفلاسفة فى الموسيقي

يقال انه اجتمعت جماعة من الحكماء والفلاسفة فى دعوة ملك من الملوك فأمر أن يكتب كل ما يتكلمون به من الحكمة فلما غنى الموسيقار لحناً مطرباً قال أحد الحكماء ان للغناء فضيلة يتعذر على المنطق اظهارها ولم يقدر على إخراجها بالعبارة فأخرجها النفس لحناً موزوناً فلما سمعتها الطبيعة استلذتها وفرحت وسرت بها فاسمعوا من النفس حديثها ومناجاتها ودعوا الطبيعة والتأمل لزينتها لا تغرنكم . وقال آخر احذروا عند استماع الموسيقى أن تثور بكم شهوات النفس البهيمية نحو زينة الطبيعة فتميل بكم عن سنن الهدى وتصدكم عن مناجاة النفس العليا . وقال آخر للموسيقار حرك النفس نحو قواها الشريفة من الحلم والجود والشجاعة والعدل والكرم والرأفة ودع الطبيعة لا تحرك شهواتها البهيمية وقال آخر الموسيقار إذا كان حاذقاً بصنعته حرك النفوس نحو الفضائل ونفى عنها الرذائل . وقال آخر أنه سمع فيلسوف نغمة القينات فقال لتلميذه امض بنا نحو هذا الموسيقار لعله يفيدنا صورة شريفة فلما قرب منه سمع لحناً غير موزون ونغمة غير طيبة فقال لتلميذه زعم أهل الكهانة أن صوت البوم يدل على موت انسان فان كان ما قالوا صدقاً فصوت هذا الموسيقار يدل على موت البوم، وقال آخر الموسيقار وإن كان ليس بحيوان فهو ناطق فصيح يخبر عن أسرار النفوس وضمائر القلوب ولكن كل كلامه أعجمي يحتاج إلى الترجمان لأن ألفاظه بسيطة ليس لها حروف معجمة وقد انشدت أبيات بالفارسية تدل على تصديق قول هذا الفيلسوف وهي هذه

وقت شب كيرنانك نالهٔ زير خوشتر ايد بكوشم ازتكبير
زاري زير واين مدار شكفت كرزوشت اندراورد نخجير
تن اوتبرنه زمان بزمان بدل اندرهمي كذازد شير
كان كريان وكه تبالدزار بامداد ان وروزتا شبكير
ان زبان اورى زباتش نه خبر عاشقان كند تفسير
كان ديوانه راكند هشيار كه بهشيار برنهد زنجير

وقال آخر أصوات الموسيقار ونغماته وان كانت بسيطة ليس لها حروف معجم فان النفوس اليها أشد ميلا ولها أسرع قبولا لمشاكلة ما بينهما وذلك أن النفوس أيضا جواهر بسيطة روحانية غير مركبة ونغمات الموسيقار كذلك والاشياء الى أشكالها أميل وقال آخر ان الموسيقار هو الترجمان عن الموسيقى والمعبر عنه فان كان جيد العبارة عن المعاني أفهم أسرار النفوس وأخبر عن ضمائر القلوب والا فالتقصير منه يكون . وقال آخر لا يفهم معانى الموسيقار ولطيف عبارته عن أسرار الغيوب الا النفوس الشريفة الصافية من الشوائب الطبيعية والبريئة من الشهوات البهيمية . وقال آخر ان الباري جل ثناؤه لما ربط النفوس الجزئية بالاجساد الحيوانية ركب في جبلتها الشهوات الجسمية ومكنها من تناول اللذات الجرمانية في أيام الصبا ثم سلبها عنها في أيام الشيخوخة وزهدها فيها كيما يدلها على الملاذ والسرور والنعيم الذى في عالمها الروحانى ورغبها فيها فاذا سمعتم نغمات الموسيقار فتأملوا اشاراته نحو عالم النفوس . وقال آخر ان النفوس الناطقة إذا صفت عن الشهوات الجسمانية وزهدت في الملاذ الطبيعية وانجلت عنها الاصدية الهيولانية ترنمت بالالحان الحزينة وتذكرت عالمها الروحاني الشريف العالي وتشوقت نحوه فاذا سمعت الطبيعة ذلك اللحن تعرضت للنفس بزينة أشكالها ورونق أصباغها كيما تردها اليها فاحذروا من مكر الطبيعة ان لا تقعوا في شبكتها . وقال آخر ان السمع والبصر هما من أفضل الحواس الخمس وأشرفها التى وهب الباري جل ثناؤه للحيوان ولكن أرى البصر أفضل لانه كالنهار والسمع كالليل . وقال آخر لا بل السمع أفضل

من البصر لان البصر يذهب في طلب محسوساته ويخدمها حتى يدركها مثل العبيد والسمع يحمل اليه محسوساته حتى تخدمه مثل الملوك. وقال آخر: ان البصر لا يدرك المحسوسات الا على خطوط مستقيمة والسمع يدركها من محيط الدائرة. وقال آخر محسوسات البصر أكثرها جسمانية ومحسوسات السمع كلها روحانية. وقال آخر النفس بطريق السمع تنال خبر من هو غائب عنها بالمكان والزمان وبطريق البصر لا ينال إلا ما كان حاضراً في الوقت. وقال آخر: السمع أدق تمييزاً من البصر اذ كان يعرف بجودة الذوق الكلام الموزون والنغمات المتناسبة والفرق بين الصحيح والمنزحف والخروج من الايقاع واستواء اللحن، والبصر يخطيء في أكثر مدركاته فانه ربما يرى الكبير صغيراً والصغير كبيراً والقريب بعيداً والبعيد قريباً والمتحرك ساكناً والساكن متحركا والمستوي معوجاً والمعوج مستويا

وقال آخر ان جوهر النفس لما كان مجانساً ومشاكلا للاعداد التأليفية وكانت نغمات ألحان الموسيقار موزونة وأزمان حركات نقراتها وسكونات ما بينها متناسبة استلذت بها الطباع وفرحت بها الارواح وسرت بها النفوس لما بينها من المشاكلة والتناسب والمجانسة وهكذا حكمها في استحسان الوجوه وزينة الطبيعيات لأن محاسن الموجودات الطبيعية هي من أجل تناسب صنعتها وحسن تأليف أجزائها

وقال آخر انما تشخص أبصار الناظرين الى الوجوه الحسان لانها أثر من عالم النفس ولان عامة المرئيات في هذا العالم غير حسان لما يعرض لها من الآفات المشينة المشوهة اما في أصل التركيب أو بعده، وبيان ذلك أن الصغار من المواليد يكونون ألطف بنية وأظرف شكلا وصورة لقرب عهدها من فراغ الصانع منها، وهكذا حكم ما يرى من حسن الثياب ورونقها في مبدء كونها قبل الآفات العارضة لها من الهوام والبلى والفساد.

وقال آخر: انما تشخص أبصار النفوس الجزئية نحو المحاسن اشتياقا اليها لما بينها من المجانسة لان محاسن هذا العالم من آثار النفس الكلية الفلكية

وقال آخر: ان وزن نقرات وتر الموسيقار وتناسب ما بينها ولذيذ نغماتها تنبيء النفوس الجزئية بان لحركات الافلاك والكواكب نغمات متناسبة ، مؤتلفة لذيذة

وقال آخر: اذا تصورت رسوم المحسوسات الحسان في الانفس الجزئية صارت هذه مشاكلة ومناسبة للنفس الكلية ومشتاقة نحوها ومتمنية للحوق بها فاذا فارقت الهيكل الجسداني ارتقت الى ملكوت السماء ولحقت بالملأ الاعلى وعند ذلك أيقنت بالبقاء وأمنت من الفناء ووجدت لذة العيش صفواً . فقال قائل منهم: وما الملأ الاعلى ؟ فقال : أهل السموات وسكان الافلاك ، فقال : أنى لهم السمع والبصر ؟ فقال : ان لم يكن في عالم الافلاك وسعة السموات من يرى تلك الحركات المنتظمة وينظر الى تلك الاشخاص الفاضلة ويسمع تلك النغمات اللذيذة الموزونة فقد فعلت الحكمة اذاً شيئاً باطلا ، ومن المقدمات المتفق عليها بين الحكماء أن الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا لافائدة فيه

وقال آخر: ان لم يكن في فضاء الافلاك وسعة السموات خلائق وسكان فهي اذاً قفر خاوية وكيف يجوز في حكمة الباري جل ثناؤه ان يترك فضاء تلك الافلاك مع شرف جواهرها فارغا خاويا قفراً بلا خلائق هناك وهو لم يترك قعور البحار المالحة المرة المظلمة فارغا حتى خلق في قعرها أجناس الحيوانات من أنواع الاسماك والحيتان وغيرها ولم يترك جو هذا الهواء الرقيق حتى خلق له أجناس الطيور تسبح فيه كما تسبح الأسماك والحيتان في المياه ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية حتى خلق فيها أجناس السباع والوحوش ، ولم يترك ظلمات التراب وأجناس النبات والحب والثمر حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات

وقال آخر : ان أجناس هذه الحيوانات التي في هذا العالم انما هي أشباح ومثالات لتلك الصور والخلائق التي في عالم الافلاك وسعة السموات كما أن النقوش والصور التي على وجوه الحيطان والسقوف أشباح ومثالات لصور هذه الحيوانات اللحمية ، وان نسبة الخلائق اللحمية الى تلك الخلائق التي جواهرها صافية كنسبة هذه الصور المنقشة المزخرفة الى هذه الحيوانات اللحمية الدموية .

وقال آخر ان كانت هناك خلائق وليس لهم سمع ولا بصر ولا عقل ولا فهم ولا نطق ولا تمييز فهم اذاً صم بكم عمي . وقال آخر : فان كان لهم سمع وبصر وليس هناك أصوات تسمع ولا نغمات تلذ سمعهم وبصرهم إذاً باطل لا فائدة فيه فان لم يكن لهم سمع وبصر وهم يسمعون ويبصرون فهم إذاً أشرف وأفضل مما هاهنا لان تلك الجواهر هي أصفى وأنور وأشف وأتم واكمل . وقال آخر: انما استخرجت هذه الالحان الموسيقية التي هاهنا مماثلة لما هناك كما عملت الآلات الرصدية مثل الاسطرلاب والرباب والبنكان وذوات الحلق مماثلة لما هناك

وقال آخر : ان لم تكن تلك المحسوسات التي هناك أشرف وأفضل مما هاهنا ولم يكن للنفوس اليها وصول فترغيب الفلاسفة في الرجوع الى عالم الارواح وترغيب الانبياء عليهم السلام وتشويقهم الى نعيم الجنان اذاً باطل وزور وبهتان ومعاذ الله من ذلك، فان توهم متوهم أو ظن ظان أو قال مجادل ان الجنان هي من وراء هذه الافلاك وخارجة من فسحة السموات قيل له و كيف تطمع فى الوصول اليها اذ لم تصعد أولا الى ملكوت السموات وتجاوز سعة الافلاك ، ويقال انه إذا هبت نسيم الجنان بالاسحار تحركت أشجارها واهتزت أغصانها وتخشخشت أوراقها وتناثرت ثمارها وتلألأت أزهارها وفاحت روائحها ، فلو عاين أهل الدنيا منها نظرة واحدة لما تلذذوا بالحياة فى الدنيا بعد ذلك أبداً فلمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون والفلاسفة تسمى الجنة « عالم الارواح »

﴿ فصل فى تلون تأثيرات الانغام ﴾

اعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان تأثيرات نغمات الموسيقار في نفوس المستمعين مختلفة الانواع ولذة النفوس منها وسرورها بها متفننة متباينة ، كل ذلك بحسب مراتبها في المعارف وبحسب معشوقاتها المألوفة من المحاسن فكل نفس اذا سمعت من الاوصاف مايشاكل معشوقاتها ، ومن النغمات مايلائم محبوبها ، فرحت وسرت والتذت بحسب ما تصورت من رسوم معشوقها واعتقدت في

محبوبها حتى ربما وقع النكير من الآخرين اذا لم يعرفوا مذهبه ولا ما قصد نحوه . والمثال في ذلك ما يحكى أن رجلا من أهل الوجد من المتصوفة سمع قارئاً يقرأ « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » فاستعادها من القاريء مرارا وجعل يقول : كم أقول لها ارجعي فليس ترجع ، وتواجد وزعق وصعق صعقة فخرجت روحه ، وسمع آخر رجلا يقرأ : فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاء من وجد في رحله فهو جزاؤه ، فاستعادها وزعق وصعق فخرجت روحه . فقال أهل الوجد انما حمل معنى قوله جزاؤه من وجد في رحله ان المحبوب هو جزاء الحبيب لانه هو الموجود في رحله ، يعنون أن صورة المحبوب مصورة في نفس الحبيب ورسوم شكله منقوشة في قلبه ، فذلك جزاؤه . ألا ترى يا أخي كيف حمل معنى القول على مذهبه ومقصده مع شهرة معنى الآية في الظاهر ، وآخر سمع قول القائل وهو يغنى :

قال الرسول غداً تزو ر فقلت تدري ما تقول

فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرره ويجعل مكان التاء نوناً ويقول غداً نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور ، فلما أفاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة

ويروى في الخبر أن ألذ نغمة يجدها أهل الجنة وأطيب نغمة يسمعونها مناجاة الباري جل ثناؤه وذلك قوله تعالى « تحيتهم يوم يلقونه سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » ويقال أن موسى عليه السلام لما سمع مناجاة ربه داخله من الفرح والسرور واللذة ما لم يتمالك نفسه حتى طرب وترنم وصغر عنده بعد ذلك كل النغمات والالحان والاصوات وفقك الله أيها الأخ لفهم معاني هذه الاشارات اللطيفة والأسرار الخفية وبلغك بلاغها وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا وأين كانوا من البلاد انه رؤوف بالعباد

تمت الرسالة الخامسة في الموسيقى والحمد لله حمداً شاكرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

الرسالة السادسة

من القسم الرياضي

في النسبة العددية والهندسية في تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون . اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من الرسالة التي تقدم ذكرها ونريد أن نذكر في هذه الرسالة نسبة العدد بعضها الى بعض فنقول :

اعلم بأن النسبة هي قدر أحد المقدارين عند الآخر وكل عددين اذا أضيف أحدهما الى الآخر فلايخلو من أن يكونا متساويين أو مختلفين ، فان كانا متساويين فيقال لاضافة أحدهما الى الآخر نسبة التساوي وإن كانا مختلفين فلابد من أن يكون أحدهما أكثر والآخر أقل ، فان أضيف الاقل الى الاكثر يقال له الاختلاف الاصغر ويعبر عنه بأحد تسعة الالفاظ التي ذكرنا قبل ، وهي النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر وماتركب من هذه الالفاظ ويضاف اليها مثل مايقال نصف السدس وثلث الخمس وماشا كل ذلك. وهذه النسبة معروفة بين الحساب مثل نسبة الستة الى الستين وغيره من الاعداد وأما إن أضيف العدد الاكثر الى الاقل فيقال له الاختلاف الاعظم والنظر والكلام في مثل هذه النسبة للمتفلسفين لا لحساب الدواوين

وهذه النسبة معروفة تتنوع بخمسة أنواع ويعبر عنها بخمسة ألفاظ أولها نسبة الضعف ، والثاني نسبة المثل الزائد جزءاً ، والثالث نسبة المثل والزائد جزء ، والرابع نسبة الضعف والزائد جزء ، والخامس نسبة الضعف والزائدجزء .

ولا يمكن أن يضاف عدد أكثر الى عدد أقل فيكون خارجاً من هذه النسب الخمس .

أما نسبة الضعف فهو مثل اضافة سائر الاعداد المبتدأة من الاثنين على النظم الطبيعي بالاضافة الى الواحد بالغاً مابلغ فان الاثنين ضعف الواحد والثلاثة ثلاثة أضعافه والاربعة أربعة أضعافه وكذلك الخمسة خمسة أضعافه وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاًمابلغ، وإذاأضيف الى الواحديقال له نسبة ذي الاضعاف وهذه صورتها ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وأما نسبة المثل والزائد جزء فهو مثل نسبة سائر الاعدادالمبتدأةمن الاثنين المنتظمة على النظم الطبيعي كل واحدة الى نظيرتها كالثلاثة الىالاثنين والاربعة الى الثلاثة والخمسة الى الاربعة والستة الى الخمسة وعلى هذا القياس سائرالاعداد بالغاً مابلغ اذا أضيف الى الذي قبله بواحد فانه لايخرج منهذهالنسبة التي هي مثل وجزء منه وهذه صورتها

٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

وأما نسبة المثل والزائد أجزاء فهو مثل نسبة سائر الاعداد المبتدأة من الثلاثة المنتظمة على النظم الطبيعي إذا أضيف اليها سائر الاعداد المبتدأة من الخمسة المنتظمة على نظم الافراد دون الازواج كالخمسة الى الثلاثة والسبعة الى الاربعة والتسعة الى الخمسة والاحد عشر الى الستة والثلاثةعشر الى السبعة وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاً مابلغوهذه صورتها

٥	٧	٩	١١	١٣	١٥
٣	٤	٥	٦	٧	٨

وأما نسبة الضعف والزائد جزء فهو مثل سائر الاعداد المبتدأة من الاثنين المنتظمة على النظم الطبيعي إذا أضيف اليها سائرالاعداد المبتدأة من الخمسة على نظم الافراد دون الازواج كالخمسة الى الاثنين والسبعة الى الثلاثة والتسعة الى الاربعة والاحد عشر الى الخمسة وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاً مابلغ وهذه صورتها

٥	٧	٩	١١
٢	٣	٤	٥

وأما نسبة الضعف والزائد أجزاء فهو مثل نسبة سائر الاعداد المبتدأة من الثلاثة على النظم الطبيعي اذا أضيف اليها سائرالاعدادالمبتدأة منالثمانية بزيادة

الثلاثة كالثمانية الى الثلاثة والاحد عشر الى الاربعة والاربعة عشر الى الخمسة والسبعة عشر الى الستة وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاً مابلغ يتخطى ثلاثة ثلاثةعلى هذا المثال وهذه صورتها ٨/٣ ١١/٤ ١٤/٥ ١٧/٦

فقد تبين ان كل عددين مختلفين إذا أضيف الاكثر الى الاقل فلايخلو من هذه الخمس النسب التى ذكرناها وهي نسبة الضعف والمثل وجزء والمثل وأجزاء والضعف وجزء والضعف وأجزاء. وأما إذا أضيف الاقل الى الاكثرعلى هذا الترتيب الذي بيناه فيزاد في هذه الخمسة الالفاظ لفظة أخرى هى لفظة تحت فيقال اذا أضيف الواحد الى سائر الاعداد فهي تحت ذي الاضعاف والاثنان اذا أضيفت للثلاثة فيقال تحت المثل والزائد جزءاً، وكذلك إذا أضيف الثلاثة الى الاربعة والاربعة إلى الخمسة وعلى هذا القياس بالعكس مما ذكرناه في الباب الأول من نسبة الاكثر إلى الأقل كل واحد بالنسبة إلى نظيره كالثلاثة إذا أضيف إلى الخمسة والأربعة إلى السبعة والخمسة إلى تسعة فيقال تحت المثل والزائد أجزاء وأما الاثنان إلى الخمسة والثلاثة الى السبعة والاربعة الى التسعة فيقال تحت الضعف والزائد جزءاً وأما الثلاثة الى الثمانية والاربعة الى الاحد عشر والخمسة الى الاربعة عشر والستة الى سبعة عشر فيقال تحت الضعف والزائد أجزاء. فقد تبين أن نسبة الأقل الى الأكثر لا تخلو من هذه الخمسة المعانى التى تحت ذي الاضعاف وتحت المثل والزائد جزءاً وتحت المثل والزائد أجزاء وتحت ذي الاضعاف والزائد جزءاً وتحت ذي الاضعاف والزائد أجزاء

فصل في النسب

اعلم أن النسبة على ثلاثة أنواع اما بالكمية وإما بالكيفية واما بهما جميعاً ، فالتى بالكمية يقال لها نسبة عددية ، والتى بالكيفية يقال لها نسبة هندسية والتى بهما جميعاً يقال لها نسبة تأليفية وموسيقية .واما النسبة العددية فهي تفاوت ما بين عددين مختلفين بالتساوى مثال ذلك واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة ، فان تفاوت ما بين كل عددين من هذه الاعداد واحد واحد وكذلك

اثنان اربعة ستة ثمانية عشرة اثنا عشر أربعة عشر ستة عشر ثمانية عشر ومازاد فان التفاوت بين كل عددين من هذه الاعداد اثنان اثنان وكذلك واحد ثلاثة خمسة سبعة تسعة أحدعشر وما زاد على ذلك فان التفاوت بين كل عددين منها اثنان اثنان وعلى هذا القياس تبنى سائر النسب العددية وانما يعتبر مساواة تفاوت ما بينهما ومن خاصية هذه النسبة أن كل عددين أي عددين كانا اذا أخذ نصف كل واحد منهما وجمع يكون منهما عدد آخر متوسط بين العددين مثال ذلك ثلاثة وأربعة تفاوت ما بينهما واحد فان أخذ نصف الثلاثة وهو واحد ونصف ونصف الأربعة وهو اثنان وجمع بينهما يكون ثلاثة ونصفاً وثلاثة ونصف أكثر من ثلاثة بنصف وينقص عن الاربعة بنصف وعلى هذا القياس يعتبر سائر النسب العددية

وأما النسبة الهندسية فهي قدر أحد العددين المختلفين عند العدد الآخر مثال ذلك أربعة ستة تسعة فانما هي في نسبة هندسية وذلك ان نسبة الاربعة الى الستة كنسبة الستة الى التسعة وذلك ان الاربعة ثلثا الستة والستة ثلثا التسعة وكذلك بالعكس فان نسبة التسعة الى الستة كنسبة الستة الى الاربعة وذلك ان التسعة مثل الستة ومثل نصفها والستة مثل الاربعة ومثل نصفها وهكذا ثمانية واثناعشر وثمانية عشر وسبعة وعشرون فانها كلها في نسبة هندسية وذلك ان الثمانية ثلثا الاثنى عشر والاثنى عشر ثلثا الثمانية عشر والثمانية عشر ثلثا السبعة والعشرين وكذلك بالعكس سبعة وعشرون مثل ثمانية عشر ومثل نصفها وثمانية عشر مثل اثنى عشر ومثل نصفها والاثناعشر مثل الثمانية ومثل نصفها وعلى هذا المثال يعتبر سائر النسب الهندسية

وهي تنقسم نوعين متصلة ومنفصلة ، فالمتصلة مثل هذه التي تقدمنا ذكرها ومن خاصية هذه النسبة اذا كانت ثلاثة أعداد فان ضرب الاول فى الثالث مثل ضرب الثاني في نفسه مثال ذلك ان ضرب الاربعة في التسعة مثل ضرب الستة في نفسها وإن كانت أربعة أعداد فان ضرب الاول في الرابع مثل ضرب الثاني

في الثالث مثال ذلك ثمانية واثنا عشر وثمانية عشر وسبعة وعشرون . وأما المنفصلة فهي مثل أربعة وستة وثمانية واثنى عشر فان نسبة الاربعة الى الستة كنسبة الثمانية الى الاثنى عشر لان الثمانية ثلثا الاثنى عشر وليست الستة ثلثي الثمانية لكن الاربعة ثلثا الستة فهذه النسبة وأمثالها يقال لها منفصلة ومن خاصية هذه النسبة ان ضرب الاول في الرابع مثل ضرب الثاني في الثالث . ومن خاصية النسبة المتصلة ان الحد الاوسط مشترك في النسبة وأما المنفصلة فالحد الوسط غير مشترك في النسبة. وأما النسبة التأليفية فهي المركبة من الهندسية والعددية مثال ذلك واحد واثنان وثلاثة وأربعة وخمسة وستة فالستة تسمى الحد الاعظم والثلاثة الحد الاصغر والاربعة الحد الاوسط وواحد واثنان هما التفاضل بين الحدود وذلك ان فضل مابين الستة والاربعة اثنان وفضل مابين الاربعة والثلاثة واحد فنسبة الاثنين الذي هو التفاضل بين الستة والاربعة والثلاثة الى الواحد الذي هو التفاضل بين الاربعة والثلاثة كنسبة الحد الاعظم الذى هو الستة الى الحد الاصغر الذي هو الثلاثة . وكذلك بالعكس نسبة الثلاثة الذي هو الحد الاصغر الى الستة الذي هو الحد الاعظم كنسبة الواحد الى الاثنين الذي هو تفاوت مابين الاربعة والستة ، ومن وجه آخر نسبة الواحد الى الاثنين كنسبة الاثنين الى الاربعة وكنسبة الثلاثة الى الستة ، وعكس ذلك نسبة الستة الى الثلاثة كنسبة الاربعة الى الاثنين ونسبة الاثنين الى الواحد ، ومن وجه آخر نسبة الستة الى الاربعة كنسبة الثلاثة الى الاثنين وعكس ذلك نسبة الاثنين الى الثلاثة كنسبة الاربعة الى الستة فان هذه النسبة مؤلفة من العددية والهندسية ومركبة منها . ومن هذه النسبة استخراج تأليف النغم والالحان كما بينا في رسالة الموسيقى

﴿ فصل في استخراج النسب المتصلة ﴾

كل عدد اى عدد كان اضيف الى عدد آخر أكثر منه فله اليه نسبة ما ، وقد يوجد عدد آخر أقل منه في تلك النسبة ، مثال ذلك عشرة اذا نسبت

الى مئة فانها في نسبة العشر ، ودونها الواحد في تلك النسبة لان الواحد عشر العشرة كما ان العشرة عشر المئة وكذلك نسبة العشرة الى التسعين كنسبة الواحد والتسع الى العشرة وكذلك نسبة العشرة الى الثمانين كنسبة الواحد والربع الى العشرة وكذلك نسبة العشرة الى السبعين كنسبة الواحد وثلاثة اسباع الى العشرة وكذلك نسبة العشرة الى الستين كنسبة الواحد والثلثين الى العشرة وكذلك نسبة العشرة من الخمسين كنسبة الاثنين من العشرة ونسبة العشرة من الاربعين كنسبة الاثنين ونصف الى العشرة ونسبة العشرة من الثلاثين كنسبة الثلاثة والثلث من العشرة ونسبة العشرة من العشرين كنسبة الخمسة من العشرة وعلى هذا القياس تعتبر سائر النسب المتصلة

والقياس في استخراج هذه النسبة ان يضرب ذلك العدد في نفسه ويقسم العدد الحاصل منه على العدد الاكثر فما خرج فهو العدد الاقل في تلك النسبة وان قسم المبلغ على العدد الاقل خرج العدد الاكثر في تلك النسبة ، مثال ذلك اذا قيل لك اوجدني عدداً يكون نسبته الى العشرة كنسبة العشرة الى الاحد عشر فبابه ان تضرب العشرة في نفسها ويقسم المبلغ على احد عشر فيخرج تسعة وجزء من احد عشر فيكون نسبة التسعة وجزء من احد عشر الى العشرة كنسبة العشرة الى الاحد عشر ، وان قسمت ذلك على تسعة خرج احد عشر وتسع فنسبة العشرة الى التسعة كنسبة الاحد عشر والتسع الى العشرة . ومن خاصية هذه النسبة انه متى كان اثنان منها معلومين والثالث مجهولا يمكن ان يعلم ذلك المجهول من المعلومين فبابه ان يضرب احد المعلومين في نفسه ويقسم المبلغ على الآخر فما خرج فهو ذلك المجهول المطلوب ، مثال ذلك اذا قيل لك اوجدني عدداً يكون نسبته الى الاثنين كنسبة الاربعة الى الستة أو قال نسبة الاربعة اليه كنسبة الستة الى الاربعة فالقياس فيهما واحد وهو ان تضرب الاربعة في نفسها فيكون ستة عشر فتقسمها على الستة فيكون اثنين وثلثين فتقول نسبة الاثنين وثلثين الى الاربعة كنسبة الاربعة الى الستة وعكس ذلك نسبة الاربعة الى الاثنين

والثلثين كنسبة الستة الى الاربعة فان ذكر الستة فافعل بها مثل ما فعلت بالاربعة فان الباب فيهما واحد وذلك ان الستة اذا ضربت في نفسها وقسم المبلغ على أربعة كانت تسعة فتقول نسبة التسعة الى الستة كنسبة الستة الى الاربعة وعكس ذلك نسبة الستة الى التسعة كنسبة الاربعة الى الستة وعلى هذا المثال فقس نظائر ذلك. ومن هذه النسبة يستخرج المجهولات الهندسية بالمعلومات وكذلك المجهولات التي في المعاملات ان كان ثمنا أو مثمناً مثاله اذا قيل عشرة نسبة الى أربعة بكم فاضرب الاربعة في ستة واقسم المبلغ على العشرة فما خرج فهو المطلوب

واعلم بانه تارة يكون المجهول هو الثمن وتارة هو المثمن فاجتهد في القياس ان لا يضرب الثمن في الثمن والمثمن في المثمن ولكن الثمن في المثمن والمثمن في الثمن

فصل في التناسب

اعلم ان التناسب هو اتفاق أقدار الاعداد بعضها من بعض والعددان لا يتناسبان أقل النسبة من ثلاثة أعداد وأقل الاعداد المتناسبة بثلاثة أعداد المتناسبة اذا كانت ثلاثة فان قدر اولها من ثانيها كقدر ثانيها من ثالثها وكذلك بالعكس كل ثلاثة أعداد متناسبة فان مضروب أولها في ثالثها كمضروب ثانيها في نفسه وهذا مثال ذلك ٩٦٤ كل ثلاثة أعداد متناسبة اذا كانت حاشيتاها معلومتين والواسطة مجهولة أعني بالحاشيتين الاول والثالث فاذا ضربت احدى الحاشيتين في الاخرى واخذ جذر المجتمع كان ذلك هو الواسطة المجهولة فان كانت احدى الحاشيتين معلومة والواسطة معلومة ضربت الواسطة في مثلها وقسم المبلغ على الحاشية المعلومة فما خرج من القسمة فهو الحاشية المجهولة الاعداد المتناسبة اذا كانت أربعة فان نسبتها على نوعين احدهما نسبة التوالي والآخر غير التوالي فاما الاعداد المتناسبة المتوالية على نسبتها اذا كانت أربعة فان قدر اولها من ثانيها كقدر ثانيها من ثالثها وثانيها من ثالثها كثالثها من رابعها مثال ذلك «ب د ح يو» اذا كانت أعداداً

متناسبة غير متوالية كان قدر اولها من ثانيها كقدر ثالثها من رابعها ولم يكن قدر ثانيهامن ثالثها كقدر ثالثها من رابعهامثل هذه الصورة ح و ج يو كل أربعة أعداد متناسبة متوالية كانت أوغير متوالية فان مضروب أولها في رابعها مثل مضروب ثانيها في ثالثها. واذا ضربت احدى الواسطتين في الاخرى وقسم المبلغ على الحاشية المعلومة فما خرج فهو الحاشية المجهولة فان كانت احدى الواسطتين مجهولة وسائرها معلومة ضربت احدى الحاشيتين في الأخرى وقسمت المبلغ على الواسطة المعلومة فما خرج فهو الواسطة المجهولة الاعداد المتناسبة المتوالية على نسبتها اذا كانت أربعة وكان عددان منها معلومين والباقيان مجهولين أمكن اخراج المجهولين بالمعلومين ، فان كان الاول والثانى معلومين ضربت الثانى فى مثله وقسمت المبلغ على الاول فما خرج فهو الثالث فان كان الاول والثالث معلومين ضربت الاول في الثالث وأخذت جذر المبلغ فما كان فهو الثانى ثم ضربت الثالث في نفسه وقسمت المبلغ على الثاني فما خرج فهو الرابع وكذلك العمل في سائر الاعداد . فأما اذا كانت أربعة أعداد متناسبة غير متوالية وكان المعلوم منها عددين لم يمكن استخراج المجهولين بالمعلومين غير أنه اذا كان الاول والثاني معلومين وكان الثانى أكثر من الاول قسم الثانى على الاول فما خرج من اضعاف الاول ونسبته فان في الرابع مثل ذلك من اضعاف الثالث واذا كان الاول أكثر من الثانى قسم الاول على الثانى فما خرج من القسمة ففي الثالث مثل ذلك من اضعاف الرابع

وأما قلب النسبة فان تجعل نسبة الاول الى الثالث كنسبة الثاني الى الرابع على الاستواء والعكس وأما ترتيب النسبة فان تجعل نسبة الاول الى الاول والثانى معاً كنسبة الثالث الى الثالث والرابع معاً وكذلك هو فى العكس والتبديل وأما تفضيل النسبة فهو نسبة زيادة الاول على الثانى الى الثانى كذلك يكون نسبة زيادة الثالث على الرابع الى الرابع وأما تنقيص النسبة فان تجعل نسبة مابقى من

الثاني بعد ما نقص منه الاول الى الاول كنسبة الرابع بعد ما نقص منه الثالث الى الثالث وكذلك في العكس وتبديل النسبة

﴿ فصـل ﴾

في فضيلة علم النسب العددية والهندسية والموسيقية

اعلم أيها الاخ البار الرحيم، أيدك الله وايانا بروح منه، أنه قد اتفقت الانبياء صلوات الله عليهم والفلاسفة بان الله عز وجل الذي لا شريك له ولا شبه له واحد بالحقيقة من جميع الوجوه وان كل ما سواه من جميع الموجودات مثنوية مؤلفة ومركبة وذلك ان الله لما أراد ايجاد العالم الجسماني اخترع أولا الاصلين وهما الهيولى والصورة ثم خلق منهما الجسم المطلق وجعل بعض الاجسام يعني الاركان على الطبائع الاربع التي هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والاركان هي النار والهواء والماء والأرض ثم خلق من هذه الاركان جميع ما على وجه الارض من الحيوان والنبات والمعادن

واعلم أن هذه الاركان متفاوتات القوى متضادات الطبائع مختلفات الصور متباينات الاماكن متعاديات متنافرات لا تجتمع الا بتأليف المؤلف لها والتأليف متى لا يكون على النسبة لم يمتزج ولم يتحد، ومن أمثال ذلك أصوات النغم الموسيقية وذلك أن نغمة الزير رقيق خفيف ونغمة البم غليظ ثقيل والرقيق ضد الغليظ والخفيف ضد الثقيل وهما متباينان متنافران لا يجتمعان ولا يلتقيان الا بمركب ومؤلف يؤلفهما ومتى لا يكون التأليف على النسبة لا يمتزجان ولا يتحدان ولا يستلذهما السمع فمتى ألفا على النسبة ائتلفا وصارا كنغمة واحدة لا يميز السمع بينهما وتستلذهما الطبيعة وتسر بهما النفوس، وهكذا أيضاً الكلام الموزون اذا كان على النسبة يكون في السمع ألذ من النثر الذي ليس بموزون لما في الموزون من النسب

ومن أمثال ذلك عروض الطويل فانه ثمانيـة وأربعون حرفاً ثمانية

وعشرون حرفاً متحركة وعشرون حرفاً ساكنة فنسبة سواكنه الى متحركاته كنسبة خمسة أسباع وهكذا نسبة نصف البيت وهو أربعة عشر حرفاً متحركة وعشرة أحرف ساكنة ، وهكذا نسبة الربع سبعة أحرف متحركة وخمسة أحرف سواكن،وأيضاً فهو مؤلف من اثنى عشر سبباً والاسباب اثنا عشر حرفا متحركة واثنا عشر ساكنة ، وثمانية أوتاد ثمانية أحرف منها سواكن وستة عشر حرفا متحركة

ومن أمثال ذلك أيضاً حروف الكتابة فانها مختلفة الاشكال متباينة الصور واذا جعل تقديرها ووضع بعضها من بعض على النسبة كان الخط جيداً وان كان على غير النسبة كان الخط رديئاً. وقد بينا نسبة الحروف بعضها من بعض كيف ينبغي أن تكون فى رسالة أخرى

ومن أمثال ذلك أيضاً أصباغ المصورين فانها مختلفة الالوان متضادة الشعاع كالسواد والبياض والحمرة والخضرة والصفرة وما شاكلها من سائر الالوان ، فمتى وضعت هذه الاصباغ بعضها من بعض على النسبة كانت تلك التصاوير براقة حسنة تلمع ومتى كان وضعها على غير النسبة كانت مظلمة كدرة غير حسنه وقد بينا في رسالة أخرى كيف ينبغي أن يكون وضع تلك الاصباغ على النسبة بعضها من بعض حتى تكون حسنة

ومن أمثال ذلك أيضاً أعضاء الصور ومفاصلها فانها مختلفة الاشكال متباينة المقادير ، فمتى كانت مقادير بعضها من بعض على النسبة ووضع بعضها من بعض على النسبة كانت الصورة صحيحة محققة مقبولة ومتى كانت على غير ماوصفنا كانت سمجة مضطربة غير مقبولة في النفس وقد بينا من ذلك طرفاً كيف ينبغي تقدير الصوّر ووضع أعضائها بعضها من بعض في الرسالة المتقدم ذكرها

ومن أمثال ذلك أيضاً عقاقير الطب وأدويتها فانها متضادات الطباع مختلفات الطعوم والروائح والالوان فاذا ركبت على النسبة صارت أدوية ذات منافع كثيرة مثل الترياقات والمراهم وماشا كل ذلك، ومتى ركبت على غير نسبة في

أوزانها ومقاديرها صارت سموماً ضارة قاتلة. ومن أمثال ذلك أيضاً حوائج الطبيخ فانها مختلفة الطعم واللون والروائح والمقادير فمتى جعلت مقاديرها في القدر عند الطبخ لها على النسبة كان الطبيخ طيب الرائحة لذيذ الطعم جيد الصنعة ومتى كان على غير النسبة كان بخلاف ذلك. ومن أجل هذا ذكر في كتاب الطب وفي كتب الصنعة ان تلك العقاقير متى ركبت على النسبة ودبرت على تلك النسبة صحت ومتى كانت على غير ذلك فسدت ولم تصح، وعلى هذا القياس تركيب جواهر المعادن كلها من الزئبق والكبريت وذلك ان الزئبق والكبريت متى امتزجا وكان مقدارهما على النسبة وطبختهما حرارة المعدن على ترتيب واعتدال انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز، ومتى لم تكن أجزاؤهما على تلك النسبة وقصرت حرارة المعدن عن طبخهما صارت فضة بيضاء ، ومتى كانت أجزاء الكبريت زائدة الحرارة نشفت رطوبة الزئبق وغلب اليبس عليها وصارت نحاساً أحمر ومتى كان الزئبق والكبريت غليظين غير صافيين صار منهما الحديد ومتى كان الزئبق أكثر والكبريت أقل والحرارة ناقصة غلب البرد عليها وصارت أسرباً وعلى هذا القياس تختلف جواهر المعادن بحسب مقادير الزئبق والكبريت وامتزاجهما على النسبة والخروج الى الزيادة والنقصان واعتدال طبخ الحرارة لها والخروج منها بالافراط والتقصير

وعلى هذا القياس تختلف أشكال الحيوان والنبات وهيآتها وألوانها وطعومها وروائحها على حسب تركيب أجزاء الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ونسبة مقادير أجزائها وقوى بعضها من بعض . ومن أمثال ذلك ان المولودين من البشر متى كانت كمية الاخلاط التى ركبت منها أجسامهم أعنى الدم والبلغم والمرتين في أصل تركيبهم على النسبة الافضل ولم يعرض لها عارض كانت أجسادهم صحيحة المزاج وبنية أبدانهم قوية وألوانهم صافية وهكذا متى كان تقدير أعضائهم ووضع بعضها من بعض على النسبة الافضل كانت صورهم حسنة وهيآتهم مقبولة وأخلاقهم محمودة ومتى كانت على خلاف ذلك كانت أجسادهم

مضطربة وصورهم وحشة وأخلاقهم غير محمودة والمثال في ذلك المولودون الذين غلبت على أمزجة ابدانهم الحرارة فان أجسادهم تكون نحيفة وألوانهم سمراً ويكونون سريعي الحركة والغضب زائدين في الشجاعة الى التهور ومن السخاء الى التبذير وأما الذين الغالب على أبدانهم البرودة فانهم يكونون بطيئي الحركة عبلى الاجساد بيض الالوان قابلي الغضب زائدين في الجبن والبخل وقد تبين هذا في كتب الطب وكتب الفراسة بشرح طويل وانما أردنا نحن أن نذكر من كل جنس من الموجودات مثالا ليكون دالا على شرف علم النسب الذي يعرف بالموسيقى وان هذا العلم محتاج اليه في الصنائع كلها وانما خص هذا العلم باسم الموسيقى الذي هو تأليف الالحان والنغم لان المثال فيه أبين وذلك ان القدماء من الحكماء انما استخرجوا أصول الالحان والنغم من المعرفة بالنسبة العددية والهندسية لما جمعوا بينهما خرجت النسبة الموسيقية كما بينا في الفصل الذي في استخراج النسب

وذكر أصحاب النجوم والمتفلسفون بان للسعود من الكواكب لافلاكها ولاعظام أجرامها ولسرعة حركاتها الى الاركان الاربعة نسبة موسيقية وان لتلك الحركات نغمات لذيذة وان النحوس من الكواكب ليست لها تلك النسبة وكذلك لبيوت الفلك التي يناظر بعضها بعضاً نسبة شريفة وان البيوت التي لا تتناظر ليست لها تلك النسبة وان لبيوت النحوس وأفلاكها بعضها الى بعض نسبة وان لبيوت السعود وأفلاكها بعضها الى بعض نسبة شريفة ليست بينها وبين النحوس تلك النسبة ولا بين النحوس بعضها من بعض . ومن أجل شرف علم النسبة ولطيف معانيها أفرد في كتاب اقليدس مقالتان في علم النسب بمثالات وبراهين وبالجملة ان كل مصنوع من أشياء متضادة الطبائع متعادية القوى مختلفة الاشكال فان أحكمها وأتقنها ما كان تركيب أجزائه وتأليف أعضائه على النسبة الأفضل .

ومن عجائب خاصية النسبة مايظهر في الابعاد والاثقال من المنافع . من ذلك مايظهر في القرسطون أعني القبان وذلك ان أحد رأسي عمود القرسطون طويل بعيد من المعلاق والآخر قصير قريب منه فاذا علق على رأسه الطويل ثقل قليل وعلى رأسه القصير ثقل كثير تساويا وتوازنا متى كانت نسبة الثقل القليل الى الثقل الكثير كنسبة بعد رأس القصير الى بعد راس الطويل من المعلاق. ومن أمثال ذلك مايظهر في ظل الاشخاص من التناسب بينها وذلك ان كل شخص مستوي القد منتصب القوام فان له ظلاما وان نسبة طول ظل ذلك الشخص الى طول قامته في جميع الاوقات كنسبة جيب الارتفاع في ذلك الوقت الى جيب تمام الارتفاع سواءوهذا لايعرفه الا المهندسون أومن يحل الزيج وهكذا توجد هذه النسبة في جر الثقيل بالخفيف وفي تحريك المحرك زمانا طويلا بلا ثقل ثقيل ومن ذلك مايظهر أيضاً في الاجسام الطافية فوق الماء مابين أثقالها ومقعر أجرامها في الماء من التناسب وذلك ان كل جسم يطفو فوق الماء فان مكانه المقعر يسع من الماء بمقدار وزنه سواء فان كان ذلك الجسم لايسع مقعره بوزنه من الماءفان ذلك الجسم يرسب في الماء ولا يطفو وان كان ذلك المقعر يسع بوزنه من الماء سواء فان ذلك الجسم لايرسب في الماء ولايبقى منه شيء ناتىء عن الماء بل يبقى سطحه منطفحاً مع سطح الماء سواء وكل جسمين طافيين فوق الماء فان نسبة سعة مقعر احدهما الى الآخر كنسبة ثقل احدهما الى الآخرسواء . وهذه الاشياء التي ذكرناها يعرفها من كان يتعاطى صناعةالحركات أو كان عالما بمراكز الاثقال والافلاك والاجراموالابعاد

ومن الفوائد مايظهر من المجهولات علمها بمعرفة النسب من ذلك مايتبين من التناسب بين الاشياء المثمنة وبين أثمانها المفروضة لها وذلك ان كل شيء يقدر بقدر مامن الوزن والكيل والذرع والعدد ثم يفرض له ثمن فان بين ذلك الشيء المقدر وبين ثمنه المفروض له نسبتين احداهما مستوية والاخرى معكوسة

مثال ذلك اذا قيل عشرة بستة فالعشرة هي الشيء المقدر والستة هي الثمن المفروض وبينهما نسبتان احداهما مستوية والاخرى معكوسة وذلك ان الستة نصف العشرة وعشرها وعكس ذلك العشرة فانها مثل الستة وثلثيها وكل سائل اذا سأل عن ثمن شيء مافلا بد له ان يلفظ باربعة مقادير ثلاثة منها معلومة وواحدة مجهولة وبين كل قدرين منها نسبتان مستوية ومعكوسة مثال ذلك اذا قيل عشرة بستة باربعة كم فقوله عشرة هي قدر معلوم وكذا ستة واربعة وأما قوله كم فقدر مجهول فنقول ان بين الستة والعشرة نسبتين كما بينا وكذلك بين الاربعة وبين الكم الذي هو القدر المجهول نسبتان وكذلك بين العشرة وبين المجهول نسبتان، وكذلك بين الستة وبينه نسبتان بيان ذلك ان القدر المجهول هو الستة وثلثان فنقول ان الكم ثلثا العشرة كما ان الاربعة ثلثا الستة وان العشرة مثل الكم ومثل نصفه كما ان الستة مثل الاربعة ومثل نصفها وأيضا الكم مثل الاربعة ومثل ثلثيها كما ان العشرة مثل الستة ومثل ثلثيها وعكس ذلك ان الاربعة نصف الكم وعشره كما ان الستة نصف العشرة وعشرها

فاذا قيس على هذا المثال وجد بين كل مثمن وبين ثمنه نسبتان مستوية ومعكوسة وعرف المجهول بالمعلوم وان ضرب احد المعلومين في الآخر وقسم المبلغ على الثالث فما خرج فهو المجهول المطلوب ، مثال ذلك اذا قيل عشرة بستة كم باربعة فاضرب الاربعة في عشرة واقسمها على ستة فما خرج فهو المجهول المطلوب وهو ستة وثلثان

وعلى هذا المثال فقدبان ان علم نسبة العدد علم شريف جليل وان الحكماء جميع ماوضعوه من تأليف حكمتهم فعلى هذا الاصل أسسوه وأحكموه وقضوا لهذا العلم بالفضل على سائر العلوم اذ كانت كلها محتاجة الى ان تكون مبنية عليه ولولا ذلك لم يصح عمل ولا صناعة ولا ثبت شيء من الموجودات على الحال الافضل فاعلم ذلك أيها الأخ وتفكر فيه غاية التفكر فانه علم يهدى الى سواء الصراط نفعك الله وأرشدنا واياك وجميع اخواننا بمنه ورحمته

الرسالة السابعة

من القسم الرياضى

فى الصنائع العلمية والغرض منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون .

اعلم أيها الاخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، انا قد فرغنا من ذكر النسب العددية وأخبرنا بماهياتها وكمية أجناسها وأنواع تلك الاجناس ووصفنا كيفية اظهارها من القوة الى الفعل وبينا ان الموضوع فيها كلها أجسام طبيعية وان مصنوعاتها كلها جواهر جسمانية وان أغراضها كلها عمارة الارض لتتميم أمر معيشة الحياة الدنيا فنريد أن نذكر في هذه الرسالة الصنائع العلمية التى هي الموضوع فيهاجواهر روحانيةالتيهي أنفس المتعلمين ونبين ان تأثيراتهافي المتعلمين كلها روحانية كما ذكرنا في رسالة المنطق ونبين أيضاً ماهية العلوم ونذكر كمية اجناسها وأنواع تلك الاجناس ونصف أيضاً كيفية اخراج مافي قوة النفس من العلوم الى الفعل الذي هو الغرض الاقصى فيالتعاليم وهواصلاح جواهر النفوس وتهذيب أخلاقها وتتميمها وتكميلها للبقاء فى دار الآخرة التى هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون والذين يريدون الخلود في الدنيا هم الغافلون عن أمر الآخرة

﴿ فصل فى مثنوية الانسان ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الانسان لما كان هوجملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وهما جوهران متباينان فى الصفات متضادان

فى الاحوال ومشتركان في الافعال العارضة والصفات الزائلة صار الانسان من أجل جسده الجسماني مريداً للبقاء فى الدنيا متمنياً للخلود فيها ومن أجل نفسه الروحانية صار طالباً للدار الآخرة متمنياً للبلوغ اليها وهكذا أكثر أمور الانسان وتصرف أحواله مثنوية متضادة كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة والتذكر والغفلة والعقل والحماقة والمرض والصحة والفجور والعفة والبخل والسخاء والجبن والشجاعة والألم واللذة ، وهو متردد بين الصداقة والعداوة والفقر والغنى والشبيبة والهرم والخوف والرجاء والصدق والكذب والحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر والقبح والحسن وماشا كلها من الأخلاق والأفعال والأقاويل المتضادة المتباينة التى تظهر من الانسان الذي هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال التى عددنا لاتنسب الى الجسد بمجرده ولاالى النفس بمجردها ولكن الى الانسان الذي هو جملتهما والمجموع منهما الذي هو حي ناطق مائت لحياته ونطقه من قبل نفسه وموته من قبل جسده وهكذا نومه من قبل جسده ويقظته من قبل نفسه وعلى هذا القياس سائر أموره وأحواله المتباينات المتضادات بعضها من قبل النفس وبعضها من قبل الجسد مثال ذلك عقله وعلمه وحلمه وتفكره وسخاؤه وشجاعته وعفته وعدله وحكمته وصدقه وصوابه وخيره وماشا كلها من الخصال المحمودة فكلها من قبل نفسه وصفاء جوهرها وأضدادها من قبل أخلاط جسده ومزاج أخلاطه

﴿ فصل في الصفات المختصة بالجسد والنفس ﴾

واعلم يا أخي بأن الصفات المختصة بالجسد بمجرده هي ان الجسد جوهر جسماني طبيعي ذو طعم ولون ورائحة وثقل وخفة وسكون ولين وخشونة وصلابة ورخاوة وهو متكون من الاخلاط الاربعة التي هي الدم والبلغم والمرتان المتولدة من الغذاء الكائن من الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ذوات الطبائع

الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهو منفسد أعني الجسد ومتغير ومستحيل وراجع الى هذه الاركان الاربعة بعد الموت الذي هو مفارقة النفس الجسد وتركها استعماله

وأما الصفات المختصة بالنفس بمجردها فهي أنها جوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة للتعاليم فعالة في الاجسام ومستعملة لها ومتممة للاجسام الحيوانية والنباتية الى وقت معلوم ثم انها تاركة لهذه الاجسام ومفارقة لها وراجعة الى عنصرها ومعدنها ومبدأها كما كانت إما بربح وغبطة أو ندامة وحزن وخسران كما ذكر الله عز وجل بقوله « كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » وقال عز وجل « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » وقال تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون » فكفى بهذا يا أخي زجراً ووعيداً وتهديداً وتوبيخاً ومذكراً ونذيراً إن كنت منتبهاً من نوم الغفلة ومستيقظاً من رقدة الجهالة

وأعيذك أيها الأخ البار الرحيم أن تكون من الذين ذمهم رب العالمين بقوله « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » أفترى ذمهم من أجل انهم لم يكونوا يعقلون أمر معيشة الدنيا ؟ انما ذمهم لانهم لم يكونوا يتفكرون في أمر الآخرة والمعاد ولا يفقهون ما يقال لهم من معاني أمر الآخرة وطريق المعاد فقال (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وقال عز وجل (الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)

﴿ فصل في مثنوية قنية الانسان ومثنوية الاعمال ﴾

ولما تبين ان أكثر أمور الانسان وتصرف أحواله مثنوية متضادة من أجل انه جملة مجموعة من جوهرين متباينين جسد جسماني ونفس روحانية كما بيناقبل صارت قنيته أيضاً نوعين جسمانية كالمال ومتاع الدنيا وروحانية كالعلم والدين

وذلك ان العلم قنية للنفس كما ان المال قنية للجسد وكما ان الانسان يتمكن بالمال من تناول اللذات من الاكل والشرب في الحياة الدنيا فهكذا بالعلم ينال الانسان طريق الآخرة وبالدين يصل اليها وبالعلم تضيء النفس وتشرق وتصح كما ان بالاكل والشرب ينمى الجسد ويزيد ويربو ويسمن، فلما كان هكذا صارت المجالس أيضاً اثنين مجلس للأكل والشرب واللهو واللعب واللذات الجسمانية من لحوم الحيوان ونبات الارض لصلاح هذا الجسد المستحيل الفاسد الفانى، ومجلس للعلم والحكمة وسماع روحانى من لذة النفوس التى لاتبيد جواهرها ولا ينقطع سرورها في الدار الآخرة كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله «فيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون» فلما كانت المجالس اثنين صار أيضاً السائلون اثنين واحد يسأل حاجة من عرض الدنيا لصلاح هذا الجسد ولجر المنفعة اليه أو لدفع المضرة عنه وواحد يسأل مسألة من العلم لصلاح أمر النفس وخلاصها من ظلمات الجهالة أو للتفقه في الدين طلباً لطريق الآخرة واجتهاداً في الوصول اليها وفراراً من نار جهنم ونجاة من عالم الكون والفساد وفوزاً بالوصول والصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات والسيحان في درجات الجنان والتنفس من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن

﴿ فصل فى العلم والمعلوم والتعلم والتعليم وأوجه السؤال ﴾

وينبغي لطالبى العلم والباحثين عن حقائق الاشياء ان يعرفوا أولا ما العلم وما المعلوم وعلى كم وجه يكون السؤال وماجواب كل سؤال حتى يدروا ما الذي يسألون وما الذي يجيبون اذا سئلوا ، لان الذي يسأل ولا يدرى أى شيء سأل فاذا أجيب لايدرى باى شيء أجيب

واعلم يا أخي بان العلم انما هو صورة المعلوم في نفس العالم وضده الجهل وهو عدم تلك الصورة من النفس. واعلم بان أنفس العلماء علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة وان التعلم والتعليم ليسا شيئاً سوى اخراج مافي القوة يعنى الامكان الى الفعل يعنى الوجود، فاذا نسب ذلك الى العالم سمى تعليما وان نسب الى المتعلم سمى تعلماً

واعلم بان السؤالات الفلسفية تسعة أنواع مثل تسعة آحاد : أولها هل هو والثاني ماهو والثالث كم هو والرابع كيف هو والخامس أي شيء هو والسادس أين هو والسابع متى هو والثامن لم هو والتاسع من هو. تفسيرها: هل هو سؤال يبحث عن وجدان شيء أو عن عدمه والجواب نعم أولا وقد بينا معنى الوجود والعدم في رسالة العقل والمعقول، وما هو سؤال يبحث عن حقيقة الشيء وحقيقة الشيء تعرف بالحد أو بالرسم وذلك ان الاشياء كلها نوعان مركب وبسيط فالمركب مثل الجسم والبسيط مثل الهيولى والصورة وقد بينا معناهما في رسالة الهيولى والاشياء المركبة تعرف حقيقتها اذا عرفت الاشياء التي هي مركبة منها مثال ذلك اذا قيل ماحقيقة الطين فيقال تراب وماء مختلطان وهكذا اذا قيل ماحقيقة السكنجبين فيقال خل وعسل ممزوجان وعلى هذا القياس كل مركب اذا سئل عنه فيحتاج ان يذكر الاشياء التي هو مركب منها وموصوف بها والحكماء يسمون مثل هذا الوصف الحد ومن أجل هذا قالوا في حد الجسم انه الشيء الطويل العريض العميق فقولهم الشيء اشارة الى الهيولى وقولهم الطويل والعريض والعميق اشارة الى الصورة لان حقيقة الجسم ليست بشيء غير هذه التي ذكرت في حده وهكذا قولهم في حد الانسان انه حي ناطق مائت فقولهم حي ناطق يعنون به النفس ومائت يعنون به الجسد لان الانسان هو جملة مجموعة منهما أعني جسداً جسمانياً ونفساً روحانية وعلى هذا القياس تعرف حقائق الاشياء المركبة من شيء

واما الاشياء التي ليست مركبة من شيء بل مخترعة مبدعة كما شاء باريها وخالقها تعالى فحقيقتها تعرف من الصفات المختصة بها مثال ذلك اذا قيل ماحقيقة الهيولى فيقال جوهر بسيط قابل للصورة لا كيفية فيه البتة . واذا قيل ما الصورة فيقال هي التي يكون الشيء بها ماهو، فمثل هذا الوصف تسميه الحكماء الرسم والفرق بين الحد والرسم ان الحد مأخوذ من الاشياء التي المحدود مركب منها كما بينا والرسم مأخوذ من الصفات المختصة بالمرسوم، وفرق آخر أن الحد

يخبرك عن جوهر الشيء المحدود ويميزه عما سواه والرسم يميز لك المرسوم عما سواه حسب فينبغي لك أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه اذا سئلت عن حقيقة شيء من الاشياء ان لا تستعجل بالجواب بل تنظر هل ذلك الشيء المسؤول عنه مركب ام بسيط حتى تجيب بحسب ذلك . وأما كم هو فسؤال يبحث عن مقدار الشيء ، والاشياء ذوات المقادير نوعان متصل ومنفصل فالمتصل خمسة انواع : الخط والسطح والجسم والمكان والزمان ، والمنفصل نوعان العدد والحركة . وهذه الاشياء كلها يقال فيها كم هو وقد بينا ماهية العدد في رسالة الارثماطيقي وماهية الحركة والزمان والمكان والجسم فى رسالة الهيولى وماهية الخط والسطح فى رسالة الهندسة . واما كيف هو فسؤال يبحث عن صفة الشيء والصفات كثيرة الانواع وقد بيناها فى رسالة شرح المقولات العشر التى كل واحدة منها جنس الاجناس . وأما أي شيء هو فسؤال يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل مثال ذلك اذا قيل طلع الكوكب فيقال أي كوكب هو لأن الكواكب كثيرة . وأما اذا قيل طلعت الشمس فلا يقال أي شمس هي اذ ليس من جنسها كثرة وكذلك القمر . واما أين هو فسؤال يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته والفرق بينهما أن المكان صفة لبعض الاجسام لا لكلها ، مثال ذلك اذا قيل : أين زيد ؟ فيقال فى البيت أو فى المسجد أو في السوق أو فى موضع آخر . وأما المحل فهو صفة للعرض ، والعرض نوعان جسماني وروحاني فالاعراض الجسمانية حالة في الاجسام مثال ذلك اذا قيل أين السواد فيقال حال فى الجسم الاسود وهكذا الالوان كلها والطعوم والروائح حالة في الاجسام ذات الطعم واللون والرائحة وهكذا حكم جميع الاعراض الجسمانية

وأما الأعراض الروحانية فحالة في الجواهر الروحانية مثال ذلك اذا قيل : أين العلم؟ فيقال: حال فى نفس العالم ، وكذلك السخاء والشجاعة والعدل وما شاكلها من الصفات حالة في النفس وهكذا حكم أضدادها . وقد ظن كثير من أهل العلم ممن ليست له خبرة بأمر النفس ولا معرفة بجوهرها ان هذه

الاعراض حالة في الجسم كل واحد فى محل مختص مثال ذلك ما قالوا أن العلم في القلب والشهوة فى الكبد والعقل في الدماغ والشجاعة في المرارة والجبن فى الطحال وعلى هذا القياس سائر الاعراض وقد بينا نحن ان هذه الاعضاء آلات وأدوات للنفس تظهر بها ومنها فى الجسد هذه الافعال والأخلاق في رسالة تركيب الجسد

وأما الرتبة فهي من صفات الجواهر الروحانية، مثال ذلك اذا قيل أين النفس ، فيقال هي دون العقل وفوق الطبيعة وهكذا اذا قيل أين الخمسة من العدد فيقال بعد الاربعة وقبل الستة وعلى هذا القياس حكم الجواهر الروحانية التي لا توصف بالمكان ولا بالمحل ولكن بالرتبة كما بينا فى رسالة المبادي العقلية

وأما متى هو فسؤال يبحث عن زمان كون الشيء والازمان ثلاثة ماض مثل أمس ومستقبل مثل غد وحاضر مثل اليوم وهكذا حكم السنين والشهور والساعات وقد بينا ماهية الزمان واختلاف أقاويل العلماء في ماهيته فى رسالة الهيولى . واما لم هو فسؤال يبحث عن علة الشيء المعلول

واعلم يا أخي بأن لكل معلول صناعي أربع علل احداها علة هيولانية والثانية علة صورية والثالثة علة فاعلية والرابعة علة تمامية مثال ذلك الكرسي والباب والسرير فان العلة الهيولانية فيها الخشب والعلة الصورية الشكل والتربيع والعلة الفاعلية النجار والعلة التمامية للكرسي القعود عليه وللسرير النوم عليه وللباب ليغلق على الدار . وعلى هذا القياس كل معلول لا بد له من هذه الاربع العلل فاذا سئلت عن علة شيء فاعرف أولا عن أيها تسأل حتى يكون الجواب بحسب ذلك

وأما من هو فسؤال يبحث عن التعريف للشيء ويقول علماء النحو ان هذا السؤال لا يتوجه الا الى كل ذي عقل ويقول قوم آخرون الى كل ذي علم وتمييز

والجواب فيه أن يعرف السؤال بأحد ثلاثة أشياء اما ان ينسب الى بلده أو الى أصله أو الى صناعته مثال ذلك اذا قيل من زيد فيقال البصري ينسب الى بلده والهاشمي الى أصله والنجار الى صناعته

فهذه جملة مختصرة فى كمية السؤالات وأجوبتها ومباحث العلوم والنظر فى حقائق الاشياء شبه المدخل والمقدمات ليقرب من فهم المتعلمين النظر فى المنطق الفلسفي وليوقفوا عليها قبل النظر فى ايساغوجي الذي هو المدخل الى المنطق الفلسفى

﴿ فصل فى أجناس العلوم ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر ماهية العلوم وأنواع السؤالات وما يقتضى كل واحد من الاجوبة فنريد أن نذكر أجناس العلوم وأنواع تلك الاجناس ليكون دليلا لطالبى العلم الى أغراضهم وليهتدوا الى مطلوباتهم لان رغبة النفوس فى العلوم المختلفة وفنون الآداب كشهوات الاجسام للأطعمة المختلفة الطعم واللون والرائحة

فاعلم يا أخي بأن العلوم التى يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس فنها الرياضية ، ومنها الشرعية الوضعية ، ومنها الفلسفية الحقيقية . فالرياضية هي علم الآداب التى وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أنواع أولها علم الكتابة والقراءة ومنها علم اللغة والنحو ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ومنها علم الزجر والفال وما يشاكله ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما شاكلها ومنها علم الحرف والصنائع ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل ومنها علم السير والاخبار

فأما انواع العلوم الشرعية التى وضعت لطب النفوس وطلب الآخرة فهي ستة انواع: اولها علم التنزيل ، وثانيها علم التأويل ، والثالث علم الروايات والاخبار ، والرابع علم الفقه والسنن والاحكام ، والخامس علم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف ، والسادس علم تأويل المنامات . فعلماء التنزيل هم القراء

والحفظة ، وعلماء التأويل هم الائمه وخلفاء الانبياء ، وعلماء الروايات هم أصحاب الحديث ، وعلماء الاحكام والسنن هم الفقهاء ، وعلماء التذكار والمواعظ هم العباد والزهاد والرهبان ومن شا كلهم ، وعلماء تأويل المنامات هم المعبرون

واما العلوم الفلسفية فهي اربعة انواع منها الرياضيات ومنها المنطقيات ومنها الطبيعيات ومنها الالهيات . فالرياضيات أربعة أنواع أولها الارثماطيقي وهو معرفة ماهية العدد وكمية انواعه وخواص تلك الانواع وكيفية نشوئها من الواحد الذي قبل الاثنين وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض والثانى الجومطريا وهو الهندسة وهي معرفة ماهية المقادير ذوات الابعاد وكمية انواعها وخواص تلك الانواع وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض وكيفية مبدئها من النقطة التى هي رأس الخط وهي فى صناعة الهندسة كالواحد فى صناعة العدد ، والثالث الاسطرنوميا وهي النجوم وهي معرفة كمية الافلاك والكواكب والبروج وكمية ابعادها ومقادير أجرامها وكيفية تركيبها وسرعة حركاتها وكيفية دورانها وماهية طبائعها وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها ، والرابع الموسيقى الذي هو علم التأليف وهو معرفة ماهية النسب وكيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر المتباينة الصور المتضادة القوى المتنافرة الطبائع كيف تجمع ويؤلف بينها كيما لا تتنافر وتأتلف وتتحد وتصير شيئاً واحداً وتفعل فعلا واحداً أو عدة أفعال وقد عملنا فى كل صناعة من هذه الصناعات رسالة شبه المدخل والمقدمات

والعلوم المنطقيات خمسة أنواع أولها انولوطيقيا وهي معرفة صناعة الشعر والثانى ديطوريقيا وهي معرفة صناعة الخطب والثالث طوسيقا وهي معرفة صناعة الجدل والرابع بولوطيقا وهي معرفة صناعة البرهان والخامس سوفسطيقا وهي معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل وقد تكلم الحكماء الاولون والمتأخرون في هذه الصنائع والعلوم وصنفوا فيها كتباً كثيرة وهي موجودة

في أيدي الناس وقد عمل ارسطاطاليس ثلاثة كتب أخر وجعلها مقدمات لكتاب البرهان أولها قاطيغورياس والثاني باريمنياس والثالث انولوطيقيا الاولى وانما جعل عنايته أكثرها بكتاب البرهان لأن البرهان ميزان الحكماء يعرفون به الصدق من الكذب في الاقوال والصواب من الخطأ في الآراء والحق من الباطل في الاعتقادات والخير من الشر في الافعال كما يعرف جمهور الناس بالموازين والمكاييل والاذرع تقدير الاشياء الموزونة والمكيلة والمذروعة اذا اختلفوا في حزرها وتخمينها فهكذا العلماء العارفون بصناعة البرهان يعرفون بها حقائق الاشياء اذا اختلف فيها حزر العقول وتخمين الرأي كما يعرف الشعراء العروضيون استواء القوافي وازحافها اذا اختلف فيه بصناعة العروض الذي هو ميزان الشعر وقد عمل فرفوريوس الصوري كتاباً وسماه ايساغوجي وهو المدخل الى صناعة المنطق الفلسفي ولكن من أجل انهم طولوا الخطب فيها ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن عارفاً بها وبمعانيها اتفق على الناظرين فى هذه الكتب فهم معانيها وعسر على المتعلمين أخذها وقد عملنا فى كل واحدة من هذه الصنائع رسالة ذكرنا فيها نكت مايحتاج اليه وتركنا التطويل

لكن نريد أن نذكر غرض مافى كل رسالة منها هاهنا ليكون من ينظر فيها قد عرف غرض كل صناعة من هذه قبل النظر فيها فنقول : أما غرض مافى ايساغوجي فهو معرفة معاني الستة الالفاظ التى تستعملها الفلاسفة في أقاويلها وهو قولهم الشخص والنوع والجنس والفصل والخاصة والعرض وماهية كل واحد منها وكيفية اشتراكاتها وماهية رسومها التى تميز بعضها من بعض وكيفية دلالاتها على المعاني التى فى أفكار النفوس. وأما غرض قاطيغورياس فهو معرفة معانى العشرة ألفاظ التى كل واحدة يقال لها جنس الاجناس وان واحداً منها جوهر وتسعة أعراض، وماهية كل واحد منها وكمية أنواعها ورسم كل واحد منها المميز لها بعضها من بعض وكيفية دلالتها على جميع المعانى التى في أفكار النفوس . وأما

غرض مافي بارمينياس فهو معرفة تلك العشرة الالفاظ التي هي في قاطيغورياس وماتدل عليه من المعاني عند التركيب حتى تصير كلمات وقضايا ويكون منها الصدق والكذب وأما غرض مافي انولوطيقا الاولى فهو معرفة كيفية تركيب تلك الالفاظ مرة أخرى حتى يكون منها مقدمات وكمية أنواعها وكيف تستعمل حتى يكون منها شيء محسوس واقتران القضايا ونتائجها . واما غرض مافي انولوطيقا الثانية فهو معرفة كيفية استعمال القياس الحق والبرهان الصحيح الذي لاخطأ فيه ولا زلل

واما العلوم الطبيعية فهي سبعة أنواع : أولها علم المبادىء الجسمانية وهي معرفة خمسة أشياء الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض ، والثاني علم السماء والعالم وهو معرفة جواهر الافلاك والكواكب وكميتها وكيفية تركيبها وعلة دورانها وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الاركان الاربعة التي هي دون فلك القمر أم لا وما علة حركات الكواكب واختلافها في السرعة والابطاء وما علة حركة الافلاك وما علة سكون الارض في وسط الفلك في المركز وهل خارج العالم جسم آخر أم لا وهل في العالم موضع فارغ لاشيء فيه وما شاكل ذلك من المباحث

والثالث علم الكون والفساد وهو معرفة ماهية جواهر الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وكيف يستحيل بعضها الى بعض بتأثيرات الاشخاص العالية ويكون منها الحوادث والكائنات من المعادن والنبات والحيوان وكيف تستحيل اليها راجعة عند الفساد

والرابع علم حوادث الجو وهو معرفة كيفية تغييرات الهواء بتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعاتها على هذه الاركان وانفعالاتها منها وخاصة الهواء فانه كثير التلون والتغير من النور والظلمة والحر والبرد وتصاريف الرياح والضباب والغيوم والامطار والثلوج والبرد والبروق والرعود والشهب والصواعق

وكواكب الاذناب وقوس قزح والزوابع والهالات وماشا كلها مما يحدث فوق رؤسنا من التغييرات والحوادث

والخامس علم المعادن ، وهو معرفة الجواهر المعدنية التى تنعقد من البخارات المحتقنة في باطن الارض والعصارات المنعقدة في الاهوية وكهوف الجبال وقعور البحار من العقاقير والجواهر من الكباريت والزوابيق والشبوب والاملاح والنوشاذر والذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والاسرب والكحل والزرنيخ والبلور والياقوت والبازهرات وماشا كلها ومعرفة خواصها ومنافعها ومضارها

والسادس علم النبات وهو معرفة كل نبت يغرس أو يبذر او ينبت على وجه الارض أو في رؤس الجبال أو قعر المياه أو شطوط الانهار من الاشجار والزروع والبقول والحشائش والعشب والكلاء ومعرفة كمية أنواعها وخواص تلك الانواع ومواضع منابتها من البقاع وكيفية امتداد عروقها فى الارض وارتفاع فروعها وأصولها فى الهواء وانبساطها على وجه الارض وتفرق فروعها في الجهات وأشكال أغصانها من الطول والقصر والدقة والغلظ والاستقامة والاعوجاج وكيفية أشكال أوراقها من السعة والضيق واللين والخشونة وألوان أزهارها وأصباغ أنوارها وكيفية صور ثمارها وحبوبها وبذورها وصموغها وطعومها وروائحها وخواصها ومنافعها ومضارها واحداً واحداً

والسابع علم الحيوان وهو معرفة كل جسم يغتذي وينمى ويحس ويتحرك مما يمشي على وجه الارض أو يطير في الهواء أو يسبح فى الماء أو يدب فى التراب أو يتحرك فى جوف جسم آخر كالديدان فى جوف الحيوان وفى لب النبات والثمر والحبوب وماشا كلها ومعرفة كمية أجناسها وأنواع الاجناس وخواص تلك الانواع ومعرفة كيفية تكونها فى الارحام أو فى البيض أو فى العفونات ومعرفة كيفية تأليف أعضائها وتركيب أجسادها واختلاف صورها وائتلاف أزواجها

وفنون أصواتها ومنافرة طباعها وتباين أخلاقها وتشاكل أفعالها ومعرفة أوقات هيجانها وسفادها واتخاذ أعشاشها ورفقها بتربية أولادها وتحننها على صغار نتاجها ومعرفتها بمنافعها ومضارها وأوطانها وأربابها وأعدائها ومعارفها وما شاكل ذلك

فالنظر في هذه كلها والبحث عنها ينسب الى العلوم الطبيعيات وكذلك علم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور والحرث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في الطبيعيات

﴿ فصل فى العلوم الالهية ﴾

والعلوم الالهية خمسة أنواع : أولها معرفة الباري جل جلاله وعم نواله وصفة وحدانيته وكيف هو علة الموجودات وخالق المخلوقات وفائض الجود ومعطي الوجود ومعدن الفضائل والخيرات وحافظ النظام ومبقي الدوام ومدبر الكل وعالم الغيب والشهادة لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وأول كل شيء ابتداء وآخر كل شيء انتهاء وظاهر كل شيء قدرة وباطن كل شيء علماً وهو السميع العليم اللطيف الخبير الرؤوف بالعباد عز شأنه وجلت قدرته وتعالى جده وجل ثناؤه ولا إله غيره تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

والثاني علم الروحانيات وهو معرفة الجواهر البسيطة العقلية العلامة الفعالة التي هي ملائكة الله وخالص عباده وهي الصور المجردة من الهيولى المستعملة للأجسام المدبرة بها لها ومنها أفعالها ومعرفة كيفية ارتباط بعضها ببعض وفيض بعضها على بعض وهي أفلاك روحانية محيطات بالافلاك الجسمانية

والثالث علم النفسانيات وهى معرفة النفوس والارواح السارية فى الاجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض ومعرفة كيفية ادارتها للافلاك وتحريكها للكواكب وتربيتها للحيوان والنبات وحلولها فى جثث الحيوانات وكيفية انبعاثها بعد الممات

الرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع : اولها السياسة النبوية ، والثاني

السياسة الملوكية ، والثالث السياسة العامية ، والرابع السياسة الخاصية ، والخامس السياسة الذاتية

فأما السياسة النبوية فهي معرفة كيفية وضع النواميس المرضية والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الردية والافعال الجائرة ومعرفة كيفية نقلها من تلك الاديان والعادات ومحو تلك الآراء عن ضمائرها بذكر عيوبها ونشر تزييفها ومداواتها من سقام تلك الآراء وتلك العادات بالحمية لها من العود اليها وشفائها بالرأي المرضى والعادات الجميلة والاعمال الزكية والاخلاق المحمودة بالمدح لها والترغيب في جزيل الثواب يوم المآب وكيفية سياسة النفوس الشريرة بصدودها عن قصد سبيل الرشاد وسلوكها في وعور طرق الغي والتمادي بالقمع لها والزجر والوعيد والتوبيخ والتهديد لترجع الى سبل النجاة وترغب في جزيل الثواب ومعرفة كيفية تنبيه الانفس اللاهية والارواح الساهية من طول الرقاد ونسيانها ذكر المعاد والاذكار لها عهد يوم الميثاق لئلا يقولوا ماجاءنا من رسول ولا كتاب . وهذه السياسة تختص بها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم

وأما السياسة الملوكية فهي معرفة حفظ الشريعة على الامة واحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقامة الحدود وانفاذ الاحكام التى رسمها صاحب الشريعة ورد المظالم وقمع الاعداء وكف الاشرار ونصرة الاخيار وهذه السياسة يختص بها خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم والائمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون

وأما السياسة العامية التي هي الرياسة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان والمدن ورياسة الدهاقين على أهل القرى ورياسة قادة الجيوش على العساكر وماشاكلها فهي معرفة طبقات المرؤسين وحالاتهم وأنسابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم وترتيب مراتبهم ومراعاة أمورهم وتفقد أسبابهم وتأليف شملهم

والتناصف بينهم وجمع شتاتهم واستخدامهم في مايصلحون له من الامور واستعمالهم في مايشا كلهم من صنائعهم وأعمالهم اللائقة بواحد واحد منهم

وأما السياسة الخاصية فهي معرفة كل انسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ومراعاة أمر خدمه وغلمانه وأولاده ومماليكه وأقربائه وعشرته مع جيرانه وصحبته مع اخوانه وقضاء حقوقهم وتفقد أسبابهم والنظر في مصالحهم من أمور دنياهم وآخرتهم

وأما السياسة الذاتية فهي معرفة كل انسان نفسه وأخلاقه وتفقد أفعاله وأقاويله في حال شهواته وغضبه ورضاه والنظر في جميع أموره

والخامس علم المعاد وهو معرفة ماهية النشأة الأخرى وكيفية انبعاث الارواح من ظلمة الأجساد وانتباه النفوس من طول الرقاد وحشرها يوم المعاد وقيامها على الصراط المستقيم وحشرها لحساب يوم الدين ومعرفة كيفية جزاء المحسنين وعقاب المسيئين

وقد عملنا في كل فصل من هذه العلوم التي تقدم ذكرها رسالة وذكرنا فيها طرفاً من تلك المعاني وأتممناها بالجامعة ليكون تنبيهاً للغافلين وارشاداً للمريدين وترغيباً للطالبين ومسلكاً للمتعلمين . فكن به يا أخي سعيداً واعرض هذه الرسالة على اخوانك وأصدقائك ورغبهم في العلم وزهدهم في الدنيا ودلهم على طريق الآخرة فانك بذلك تنال الزلفى من الله تعالى وتستوجب رضوانه وتفوز بسعادة الآخرة وتبلغ به المرتبة العليا كما دل عليه قول النبي عليه السلام الدال على الخير كفاعله.

واعلم يا أخي بأن هذه الطريقة هي التي سلكها الانبياء صلوات الله عليهم واتبعهم عليها الاخيار الفضلاء من العلماء والحكماء فاجتهد لعلك تحشر في زمرتهم كما وعد الله تعالى فقال « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » وفقك الله وإيانا أيها الأخ للسداد وهدانا وإياك سبيل الرشاد

الرسالة الثامنة

من القسم الرياضي

في الصنائع العملية والغرض منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون .

وإذ قد فرغنا من ذكر الجواهر الجسمانية ووصفنا هيولاتها وصورها وتركيبها وما يعرض للمركب من الأعراض وبينا أيضاً كيفية إدراكها بطريق الحواس بتوسط أعراضها في رسائلنا «الطبيعيات» نريد أن نذكر في العقليات الجواهر الروحانية لأنه لما كانت الموجودات كلها معقولة أو محسوسة جواهر أو أعراضاً أو مجموعاً منهما صوراً أو هيولى أو مركباً منهما جسمانياً أو روحانياً أو مقروناً بينهما وكانت الجواهر الجسمانية منفعلة كلها مدركة بطريق الحواس والجواهر الروحانية فاعلة ولاتدرك بطريق الحواس ولاتعرف إلا بالعقل وعما يصدر عنها من الافعال العقلية والصنائع العملية بعدالعملية في الجواهر الجسمانية احتجنا أن نذكر الصنائع العملية في الهيوليات وماهياتها وكمياتها وكيفياتها وكيفية اظهار صناعتها في الهيوليات الموضوعة لها ليكون أوضح في الدليل على اثبات الذوات الروحانية الفاعلة وأبين لمعرفة جواهرها وفنون حركاتها وعجائب قوتها وغرائب علومها و بدائع صنائعها واختلاف أفعالها

فاعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الصنائع البشرية نوعان علمية وعملية وتقدم القول في العلمية فيما تقدم فنقول : أولا ما العلوم ؟ العلوم هي صور المعلومات في نفس العالم

واعلم يا أخي بأن العلم لايكون إلا بعد التعليم والتعلم ، والتعليم هو تنبيه النفس العلامة بالفعل للنفس العلامة بالقوة ، والتعلم هو تصور النفس لصورة المعلوم .

واعلم يا أخي بأن النفس انما تنال صور المعلومات من طرقات ثلاث إحداها طريق الحواس والاخرى طريق البرهان والاخيرة طريق الفكر والروية . وقد عملنا في كل واحدة منها رسالة فنريد أن نذكر الآن الصنائع العملية فنقول :

ان الصنعة العملية هي إخراج الصانع العالم الصورة التى في فكره ووضعها في الهيولى والمصنوع هو جملة مصنوعة من الهيولى والصورة جميعاً وابتداء ذلك من تأثير النفس الكلية فيها بقوة تأييد العقل الكلي بأمر الله جل ثناؤه

واعلم بأن المصنوعات أربعة أجناس : بشرية وطبيعية ونفسانية وإلهية . فالبشرية مثل مايعمل الصناع من الاشكال والنقوش والأصباغ في الأجسام الطبيعية في اسواق المدن وغيرها من المواضع . والمصنوعات الطبيعية هي صور هياكل الحيوانات وفنون أشكال النبات وألوان جواهر المعادن . والمصنوعات النفسانية مثل نظام مراكز الأركان الأربعة التى هي تحت فلك القمر وهي النار والهواء والماء والأرض ومثل تركيب الافلاك ونظام صورة العالم بالجملة . والمصنوعات الالهية هي الصور المجردة من الهيوليات المخترعات من مبدع المبدعات تعالى وجوداً من العدم ليس من ليس وشيء لامن شيء دفعة واحدة بلا زمان ولامكان ولاهيولى ولاصورة ولاحركة لأنها كلها مبدعات البارى ومخترعاته ومصنوعاته فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين

واعلم يا أخي بأن كل صانع من البشر محتاج في تتميم صنعته الى ستة أشياء مختلفة وهو السابع ، والى سبع حركات والى سبع جهات . فأما الأشياء المختلفة فهي الهيولى والمكان والزمان والأداة والآلة والحركة والسابع النفس . وكل صانع طبيعي فمحتاج الى أربعة منها وهي الهيولى والمكان والزمان والحركة وكل صانع نفساني فمحتاج الى اثنين منها وهي الهيولى والحركة حسب وكل صانع عقلي فمحتاج

الى صورة واحدة فقط وهو العقل الأول أثر من مبدع البدائع الحق لامن شيء الى شيء . وأما الباري جل ثناؤه فغير محتاج الى شيء منها لانها كلها مخترعاته ومبتدعاته أعني الهيولى والصورة والمكان والزمان والحركة والآلة والأدوات كلها

فصل في الصورة والهيولى والاداة

واعلم يا أخي ان الجسم الواحد يسمى تارة هيولى وتارة موضوعاً وتارة صورة وتارة مصنوعاً وتارة آلة وتارة أداة وانما يسمى الجسم هيولى للصورة التي يقبلها وهي الاشكال والنقوش والأصباغ وماشا كلها ويسمى موضوعاً للصانع الذي يعمل منه وفيه صنعته من الأشكال والنقوش واذا قبل ذلك سمي مصنوعاً واذا استعمله الصانع في صنعته أو في صنعة أخرى يسمى أداة . مثال ذلك قطعة حديد فانه يقال لها هيولى لكل صورة تقبلها ويقال لها أيضاً انها موضوع للحداد الذي يعمل فيها صنعته واذا صنع الحداد منه سكيناً أوفأساً أو منشاراً أو مبرداً أو غير ذلك سمي مصنوعاً واذا استعمل السكين القصاب أو غيره تسمى أداة وهكذا الفأس وغيرها

واعلم يا أخي ان موضوعات الصناع البشريين في صناعتهم نوعان فقط بسيط ومركب فالبسيط اربعة انواع وهي النار والهواء والماء والارض والمركب ثلاثة أنواع وهي الاجسام المعدنية والاجسام النباتية والاجسام الحيوانية وهي كلها مصنوعات الطبيعة كما ان موضوعات الطبيعة كلها مصنوعات نفسانية وان الموضوعات النفسانية كلها مصنوعات الهية

واعلم ان كل صانع من البشر لا بد له من اداة أو أدوات أو آلة أو آلات يستعملها في صنعته والفرق بين الآلة والاداة ان الالة هي اليد والاصابع والرجل والرأس والعين وبالجملة أعضاء الجسد وان الاداة ما كانت خارجة من ذات الصانع كفأس النجار ومطرقة الحداد وابرة الخياط وقلم الكاتب وشفرة الاسكاف

وموسى المزين وما شاكل هذه من الادوات التي يستعملها الصناع في صنائعهم ولا تتم صناعتهم الا بها

واعلم بان كل صانع له فى صنعته أدوات مختلفة الاشكال والهيآت وهذا أحد اسبابه فى اختلاف افعاله وهو يظهر بكل واحد منها فى صنعته ضروبا من الحركات وفنونا من الافعال، مثال ذلك النجار فانه بالفأس ينحت وحركته من فوق الى اسفل وبالمنشار ينشر وحركته من قدام الى خلف وبالمثقب يثقب وحركته قوسية يمنة ويسرة وحركة مثقبه دورية ، وعلى هذا القياس يوجد في كل صنعة لصانعها سبع حركات واحدة دورية وست مستقيمة وذلك بواجب الحكمة الالهية لانه لما كانت حركات الاجرام العلوية الفلكية سبعة انواع واحدة دورية بالقصد الاول وست عرضية كما بينا في رسالة «السماء والعالم» صارت حركات الاشخاص التى تحت فلك القمر أيضاً مماثلة لها لان تلك علل وهذه معلولات ومن شأن المعلولات ان يوجد فيها عللها وتأثيراتها ومن أجل هذا قالت الحكماء ان الثواني من الامور تحكى أوائلها كما يحكي الصبيان في لعبهم صناعة الآباء والامهات والاستاذين

وأعلم يا أخى بانه لابد لكل صانع من البشر من تحريك عضو من اعضائه فى صناعته أو عدة أعضاء كاليد والرجل والظهر والكتف والركبة وبالجملة مامن عضو فى الجسد الا وللنفس بذلك العضو فعل أو عدة أفعال خلاف مايكون بعضو آخر فان أعضاء الجسد هى آلات للنفس وأدوات لها وقد بينا طرفا من ذلك في رسالة تركيب الجسد وفي رسالة الحاس والمحسوس وفي رسالة العقل والمعقول وفي رسالة الانسان عالم صغير

فصل في أن موضوع الصناع نوعان

واعلم يا أخي بانه لا بد في كل صنعة من موضوع يعمل الصانع منه وفيه صنعته فالموضوع فى صناعة البشريين نوعان روحانى وجسماني فالروحاني هو الموضوع

فى الصناعة العلمية كما بينا فى رسالة المنطق، والجسمانى هو الموضوع فى الصناعة العملية ، وهو نوعان بسيطة ومركبة فالبسيطة هى النار والهواء والماء والارض والمركبة ثلاثة انواع وهي الاجسام المعدنية والاجسام النباتية والاجسام الحيوانية

فمن الصنائع ماهى الموضوع فيها الماء حسب كصناعة الملاحين والسقائين والروائين والشرابين والسباحين ومن شاكلهم ، ومنها ماهي الموضوع فيها التراب حسب كصناعة حفار الابار والانهار والقنى والقبور والمعادن وكل من ينقل التراب ويقلع الحجارة ، ومنها ماهي الموضوع فيها النار حسب كصناعة النفاطين والوقادين والمشعلين ، ومنها ماهي الموضوع فيها الهواء حسب كصناعة الزمارين والبواقين والنفاخين اجمع ، ومنها ماهي الموضوع فيها الماء والتراب حسب كصناعة الفخارين والغضارين والقدوريين وضرابي اللبن وكل من يبل التراب ، ومنها ماهي الموضوع فيها أحد الاجسام المعدنية كصناعة الحدادين والصفارين والرصاصين والزجاجين والصواغين ومن شاكلهم ، ومنها ماهي الموضوع فيها أصول النبات من الاشجار والقضبان والاوراق كصناعة النجارين والخواصين والبوارين والحصريين والاقفاصيين ومن شاكلهم ،ومنها ماهى الموضوع فيها لحاء النبات حسب كصناعة الكتانين ومن يعمل القنب والكاغد ومن شاكلهم، ومنها ماهي الموضوع فيها ورق الاشجار والحشائش وزهر النبات ونورها وعروقها وقشورها ، ومنها ماهي الموضوغ فيها ثمر الاشجار وحب النبات كصناعة الدقاقين والرزازين والنوائيين والعصارين والبزارين والشيرجيين وكل من يخرج الادهان من ثمر الشجر وحب النبات .

ومنها ماهي الموضوع فيها الحيوان كصناعة الصيادين ورعاة الغنم والبقر وساسة الدواب والبياطرة واصحاب الطيور ومن شاكلهم، ومنها ماهي الموضوع فيها أحد الاجسام الحيوانيـة من اللحم والعظم والجلد والشعر والصوف والقز كصناعة القصابين والشوائين والطباخين والدباغين والاساكفة والخرازين

والسيوريين والدنانين والحذائين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها مقادير الاجسام كصناعة الوزانين والكيالين والذراعين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها قيمة الاشياء كصناعة الصيارفة والدلالين والمقومين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها اجساد الناس كصناعة الطب والمزينين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها نفوس الناس كصناعة المعلمين اجمع وهي نوعان عملية وعلمية فالعلمية مثل ماذكرنا في رسالة اجناس العلوم وانواعها مما قد شرحناه في احدى وخمسين رسالة من رسائلنا والعملية مثل ما ذكرنا في ما تقدم .

فصل في الحاجة الى الآلات والادوات

واعلم يا أخي أن من الصناع ما يحتاج في صنعته الى استعمال عضو من جسده أو عضوين واداة من خارج أو أدوات كثيرة كالحراث والبناء والدباغ والحائك وأمثالهم فان كل واحد منهم يحتاج الى ادوات من خارج وتحريك يديه ورجليه في صناعته ومن الصنائع ما لا يحتاج فيها الى أدوات من خارج بل يكفيه عضو من جسده كالخطيب والشاعر والقاضي والقاريء ومن شا كلهم فان كل واحد منهم يكفيه لسانه حسب وكذلك الناطور والديدبان واصحاب المراتب يكفيهم في صناعتهم العينان حسب ومنهم من يستعمل في صنعته عضوين كالحاكي والنائحة باليد واللسان ومنهم من يحتاج الى استعمال جسده كله كالرقاص والسابح ، ومن الصناع من يحتاج في صنعته الى المشي كالساعي والماسح، ومنهم من يحتاج الى القعود دائماً كالرفاء والنداف ومن الصناع من لا يحتاج في صناعته الا الى اداة واحدة كالبواق والزمار والدفاف ومنهم من يحتاج الى اداتين كالخياط والكاتب فان الخياط يكفيه في صنعته الابرة والمقص والكاتب يكفيه القلم والدواة واما استعمال الكاتب السكين فليس من صناعة الكتابة ولكن من صناعة النجارة ومن الصناع من يحتاج الى القيام دائماً في صناعته كالحلاج ودقاق الارز والذي يدير الدولاب برجليه

فصل فى ان النار من الادوات المفيدة فى الصناعة

واعلم يا أخي بأن أكثر الصنائع لا بد من استعمال النار فيها ، وكل صانع استعمل النار في صناعته فلأحد أسباب ثلاثة اما في موضوعه كالحدادين والصفارين والزجاجين ومن يطبخ الجص والنورة وأمثالهم وغرضهم هو تليين الهيولى لقبول الصورة والأشكال وذلك انه لما كانت موضوعاتهم أحجاراً صلبة لا تقبل الصورة والاشكال الا بعد تليين بالنار فاذا لانت أمكن الصانع أن يصنع الصنعة التى في فكره فتصير الهيولى بعد قبولها تلك الصورة مصنوعة ، ومن الصناع من يستعمل النار كالجرارين والقدوريين والغضارين ومن يطبخ الآجر وغرضهم في ذلك تقييد الصورة في الهيولى وثباتها فيها لئلا تنسل منها الصورة بالعجلة لان من شأن الهيولى دفع الصورة عن ذاتها ورجوعها الى حالها الاول جوهراً بسيطاً لا تركيب فيه ولا كمية ولا كيفية .ومن الصناع من يستعمل النار في موضوعه ومصنوعه كالطباخين والشوائين والخبازين وأمثالهم ، وغرضهم تتميمها وتنضيجها ليتم الانتفاع بها

فصل فى مراتب الصناعات

واعلم يا أخى بأن من هذه الصنائع ما هي بالقصد الاول دعت الضرورة اليها ومنها ما هي تابعة لها وخادمة ومنها ما هي متممة لها ومكملة ومن الصنائع ما هي جمال وزينة، فأما التى بالقصد الاول فثلاثة وهي الحراثة والحياكة والبناء وأما سائرها فتابعة وخادمة ومتممة وذلك أن الانسان لما خلق رقيق الجلد عرياناً من الشعر والصوف والوبر والصدف والريش وما هو موجود لسائر الحيوان دعته الضرورة الى اتخاذ اللباس بصناعة الحياكة ولما كانت الحياكة لا تتم الا بصناعة الغزل وصناعة الغزل لا تتم الا بصناعة الحلج فصارت هذه الثلاثة تابعة لها وخادمة وأيضا لما كان اللباس لا يتم الا بالحياكة حسب صارت صناعة

الخياطة والقصارة والرفو والطرز متممة لها ومكملة، وأيضاً لما خلق الانسان محتاجاً الى القوت والغذاء والقوت والغذاء لا يكونان الا من حب النبات وثمر الشجر دعت الضرورة الى صناعة الحراثة والغرس ولما كانت صناعة الحراثة والغرس محتاجة الى اثارة الارض وحفر الانهار ولا يتم هذا الا بالمساحي والفدن وما شاكلها والمساحي والفدن لا تكون الا بصناعة النجارة والحدادة دعت الضرورة الى اتخاذهما وصناعة الحديد محتاجة الى صناعة المعدن والى صنائع أخرى فصارت كلها تابعة وخادمة لصناعة الحراثة والغرس

ولما كان حب الزرع وثمر الشجر يحتاج الى الدق والطحن دعت الضرورة الى اتخاذ صناعة الطحن والعصر ولما كان الطحن لا يتم الغذاء به الا بعد الخبز دعت الضرورة الى صناعة الخبز والطبخ وكل واحد منهما محتاج الى صناعة أخرى متممة لها وخادمة. وأيضاً لما كان الانسان محتاجاً الى ما يكنه من الحر والبرد والتحرز من السباع وتحصين القوت دعته الضرورة الى صناعة البناء وصناعة البناء محتاجة ايضاً الى صناعة النجارة والحدادة وكل واحدة منهما محتاجة الى صناعة أخرى معينة أو متممة بعضها لبعض. واما صناعة الزينة والجمال فهي كصناعة الديباج والحرير وصناعة العطر وما شاكلها. والصنائع كلها الحذق فيها هو تحصيل الصور في الهيولى وتتميمها وتكميلها لينال الانتفاع بها في الحياة الدنيا حسب

واعلم يا أخي أن الناس كلهم صناع، وتجار أغنياء وفقراء، فالصناع هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم في مصنوعاتهم الصور والنقوش والاصباغ والاشكال وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لاصلاح معيشة الحياة الدنيا والتجار هم الذين يتبايعون بالأخذ والاعطاء وغرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون، والاغنياء هم الذين يملكون هذه الاجسام المصنوعة الطبيعية والصناعية وغرضهم في جمعها وحفظها مخافة الفقر. والفقراء هم المحتاجون اليها وطلبهم الغنى.

واعلم أن الغرض في كون الناس أ كثرهم فقراء وخوف الاغنياء من الفقر هو الحث لهم على الاجتهاد في اتخاذ الصنائع والثبوت فيها والتجارات والغرض فيهما جميعاً هو اصلاح الحاجات وايصالها الى المحتاجين والغرض في ذلك متاع لهم الى حين والغرض في تمتعهم الى حين هو أن تتم النفس بالمعارف الحقيقية والاخلاق الجميلة والآراء الصحيحة والاعمال الزكية ، والغرض في تتميم النفس التمكين لها من الصعود الى ملكوت السماء والغرض في صعودها الى ملكوت السماء هو النجاة من بحر الهيولى واسر الطبيعة والخروج من هاوية عالم الكون والفساد الى فسحة عالم الارواح والمكث هناك فرحاً مسروراً ملتذاً مخلداً أبداً

﴿ فصل في ان كل صناعة تحتاج الى الفكر والتعقل ﴾

واعلم يا أخي انا انما ذكرنا هذه الصنائع والمهن ونسبنا هذه الرسالة الى رسائل العقل والمعقول لأن هذه الصنائع يعملها الانسان بعقله وتمييزه ورويته وفكرته التى كلها قوى روحانية عقلية وايضا أن كل عاقل اذا فكر فى هذه الصنائع والافعال التى تظهر على أيدي البشر فيعلم أن مع هذا الجسد جوهراً آخر هو مظهر هذه الافعال المحكمة وهذه الصنائع المتقنة من هذا الجسد ، لان الجسد قد يوجد بعد الممات برمته تاما لم ينقص منه شيء وقد فقدت منه هذه كلها فيعلم أن معه جوهراً آخر فارقه فمن أجل ذلك فقدت هذه الفضائل كلها لانه هو الذي كان يحرك هذا الجسد وينقله من موضع الى موضع فى الجهات الست وكان يحرك أيضا بتوسطه أشياء خارجة من ذاته وكان أيضاً يحمل معه حملا على ظهره وكتفه فلما فارقه احتاج هذا الجسد الى اربعة نفر يحملونه على لوح مطروحا عليه لا يطيق قياماً ولا قعوداً ولا حركة ولا يحس بوجوده ولا ما يفعل به من غسل ودفن ، وقد زعم كثير من أهل العلم ممن ليست له خبرة بأمر النفس ولا معرفة بجوهرها ان هذه الصنائع المحكمة والافعال المتقنة التى تظهر على أيدي البشر الفاعل لها هو هذا الجسد المؤلف من اللحم والدم والشحم والعظام

والعصب بأعراض تحله مثل الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها ولم يعرفوا بأن هذه الاعراض ليس حلولها فى الجسم وانما هي اعراض نفسانية تحل جوهر النفس وذلك أن الانسان لما كان مجموعا من جسم ميت ونفس حية وجدت هذه الاعراض فى حال حياته وفقدت فى حال مماته وليست الحياة شيئا سوى استعمال النفس الجسد ولا الممات شيئا سوى تركها استعماله كما انه ليست اليقظة سوى استعمالها الحواس الخمس ولا النوم شيئاً سوى تركها استعمالها

﴿ فصل فى شرف الصنائع ﴾

اعلم يا أخي بأن الصنائع يتفاضل بعضها على بعض من عدة وجوه احداها من جهة الهيولى التى هي الموضوع فيها ومنها من جهة مصنوعاتها ومنها من جهة الحاجة الضرورية الداعية الى اتخاذها ومنها من جهة منفعة العموم ومنها من جهة الصناعة نفسها ، فاما التى شرفها من جهة الحاجة الضرورية اليها فهي ثلاثة أجناس وهي الحياكة والحراثة والبناء كما ذكرنا قبل ، وأما التى شرفها من جهة الهيولى الموضوع فيها فمثل صناعة الصاغة والعطارين وما شاكلها واما التى من جهة مصنوعاتها فمثل صناعة الذين يعملون آلات الرصد مثل الاسطرلاب وذوات الحلق والاكر الممثلة بصورة الافلاك وما شاكلها فان قطعة من الصفر قيمتها خمسة دراهم إذا عمل منها اسطرلاب يساوي مائة درهم فان تلك القيمة ليست للهيولى ولكن لتلك الصورة التى جعلت فيها ، وأما الذهب والفضة اللذان هما الهيولى الموضوع فى صناعة الصواغين أو الضرابين اذا ضرب منهما دراهم ودنانير أو صياغة ما فليس مبلغ تفاوت القيمة ما بين الموضوع والمصنوع مثل ما يبلغ في صناعة اسطرلاب وغيرها ، وأما التى شرفها من جهة النفع منها للعموم فهي مثل صناعة الحمامين والسمادين والكناسين وغيرهم وذلك أن الحمام المنفعة منه للصغير والكبير والشريف والوضيع والمدنى والغريب والقريب والبعيد كلهم بالسوية لايتفاضلون فى الانتفاع به

وأما أكثر الصنائع فأهلها متفاوتون في منافعها كاختلافهم في الملبوسات والمأكولات والمشروبات والمسكونات وأمثالها من الامتعة المصنوعة حال الغني فيها خلاف حال الفقير الا الحمام والمزين وأمثالهما ، وأما صناعة السمادين والزبالين فان الضرر في تركها عظيم عام على أهل المدينة وذلك أن العطارين الذين الموضوع في صناعاتهم مضاد للموضوع في صناعة السمادين لو أنهم أغلقوا دكاكينهم وأسواقهم شهراً واحداً لم يلحق من ذلك من الضرر لأهل المدينة مثل ما يلحق من الضرر من ترك السمادين صناعتهم أسبوعاً واحداً فان المدينة تمتلىء من السماد والسرقين والجيف والقاذورات وما يتنغص عيش أهلها من أجله

وأما التي شرفها من الصناعة نفسها فهي مثل صناعة المشعبذين والمصورين والموسيقيين وأمثالهم وذلك ان الشعبذة ليست شيئا سوى سرعة الحركة واخفاء الأسباب التي يعملها الصانع فيها حتى انه مع ضحك السفهاء منها يتعجب العقلاء أيضاً من حذق صانعها . وأما صناعة المصورين فليست شيئاً سوى محاكاتهم صور الموجودات المصنوعات الطبيعية أو البشرية أو النفسانية حتى انه يبلغ من حذقهم فيها أن تصرف أبصار الناظرين اليها عن النظر الى الموجودات أنفسها بالتعجب من حسنها ورونق منظرها ويبلغ أيضاً التفاوت بين صناعها تفاوتاً بعيداً فانه يحكى ان رجلا في بعض المواضع عمل صوراً وتماثيل مصورة بأصباغ صافية وألوان حسنة براقة وكان الناظرون اليها يتعجبون من حسنها ورونقها ولكن كان في الصنعة نقص حتى مر بها صانع قاره حاذق فتأملها فاستزرى بها وأخذ فحمة من الطريق ومثل بجانب تلك التصاوير صورة رجل زنجي كأنه يشير بيديه الى الناظرين فانصرفت أبصار الناظرين بعد ذلك عن النظر الى تلك التصاوير والأصباغ بالنظر اليه والتعجب من عجيب صنعته وحسن اشارته وهيئة حركته .

وأما شرف صناعة الموسيقى فن وجهين اثنين : أحدهما من جهة الصناعة

نفسها والآخر من جهة تأثيراتها في النفوس ، وأيضاً من جهة تفاوت ما بين صناعها ، وذلك ان الواحد منهم يضرب لحناً فيطرب بعض المستمعين وآخر يضرب لحناً فيطرب كل المستمعين . وقد يحكى ان جماعة من أهل هذه الصناعة كانوا مجتمعين فى دعوة رجل كبير رئيس إذ دخل عليهم انسان رث الحال عليه ثياب النساك فرفعه صاحب المجلس عليهم كلهم فتبين الانكار فى وجوههم فأراد أن يبين فضله فسأله أن يسمعهم شيئاً من صنعته فأخرج خشبات وركبها تركيباً ومد عليها أوتاراً كانت معه وحركها تحريكا فأضحك كل من كان فى المجلس من اللذة والفرح ثم قلب وحرك تحريكا آخر فأبكى كل من كان فى المجلس من الحزن ورقة القلب ثم قلب وحرك تحريكا فنوم كل من كان فى المجلس وقام وخرج فلم يعرف له خبر

واعلم يا أخي بأن الحذق فى كل صنعة هو التشبه بالصانع الحكيم الذي هو الباري جل ثناؤه ويقال ان الله تعالى يحب الصانع الفاره الحاذق ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان الله تعالى يحب الصانع المتقن فى صنعته. ومن أجل هذا قيل فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسان وانما أردنا بالتشبه التشبه في العلوم والصنائع وإفاضة الخير وذلك ان الباري جل ثناؤه أعلم العلماء وأحكم الحكماء وأصنع الصناع وأفضل الأخيار فكل من زاد في هذه الاشياء درجة ازداد من الله قربه كما ذكر الله سبحانه في وصف الملائكة الذين هم خالص عباده فقال « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته »

واعلم يا أخي ان الوسيلة لاتكون إلا بعمل أو علم أو عبادة لان العباد لا يملكون شيئاً سوى سعيهم كما ذكر الله عز وجل فقال « وأن ليس للانسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى »

فصل في قابلية الانسان الصنعة

واعلم ان قبول الصبيان تعلم الصنائع يختلف بحسب طباعهم المختلفة واختلاف

طباعهم بحسب مواليدهم وقد شرحنا ذلك في رسالة تأثيرات النجوم في المواليد ولكن نريد أن نذكر هاهنا من ذلك طرفاً، فاعلم ان من الناس من هو مطبوع على تعلم صناعة واحدة أوعدة صنائع بسهولة في قبولها حتى ان كثيراً من الناس من يتعلم صناعة بجودة قريحته اذا رأى أهل تلك الصناعة في أعمالهم بأدنى تأمل كأنه قد وقف عليها ومنهم من يحتاج الى توقيف شديد وحث دائم وترغيب وربما لا يفلح فيها اذا لم يكن فيها موافقاً للطبيعة وماأوجبه له مولده ومن الناس من لايتعلم الصناعة البتة ويكون فارغاً خلواً منها جميعاً والسبب في ذلك ان الصناعة لاتأتي للمولود الا بدلالة كوكب متول لبرج العاشر من طالعه وذلك انه اذا استولى عليه من أحد الكواكب الثلاثة واحد فلابد من صنعة يتعلمها وهي المريخ والزهرة وعطارد ، وذلك ان كل صنعة فلابد لها من حركة ونشاط وحذق . فالحركة للمريخ والنشاط للزهرة والحذق لعطارد

وأربعة منها اذا انفرد أحدها بالدلالة فلا يعطي الصنعة ولكن يدل على مايشا كله من الاعمال وهي الشمس وزحل والمشتري والقمر وذلك ان من استولى في مولده على الدرجة العاشرة الشمس فهو لايتعلم الصناعة لكبر نفسه مثل أولاد الملوك ، وأما من استولى عليه المشتري فهو لا يتعلم ولا يعمل لزهده وورعه ورضاه بقليل من أمور الدنيا واقباله على طلب الآخرة مثل الانبياء عليهم السلام ومن يقتدي بهم ، وأما من استولى عليه زحل فانه لا يعمل ولا يتعلم لكسله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان في طلب معاشه كالمكدين والسؤال ، وأما من استولى عليه القمر فانه لا يعمل من أجل مهانته واسترخاء طبيعته وقلة فهمه مثل النساء وامثالهن من الرجال

ومن أجل هذا كان اليونانيون الذين كانوا في قديم الزمان اذا ارادوا تسليم الصبي الى صناعة من الصنائع اختاروا له يوماً من الايام وادخلوه الى هيكل الصنائع وصور سائر الكواكب وقربوا قرباناً لصنم ذلك الكوكب الذي دل على صناعته وسلموه الى تلك الصناعة بعد ماعرفوا ذلك من مولده وان لم يكونوا

عرفوه من مولده عرضوا عليه الصنائع المصورة فى ذلك الهيكل فان رغب في واحدة منها بعد توقيفهم له على احوال تلك الصنعة سلموه اليها

واعلم ياأخي بأن صناعة الآباء والاجداد انجع فى الاولاد من صناعة الغرباء وخاصة من دل مولده عليها ويكونون فيها احذق وانجب ومن أجل هذا أوجبوا فى سياسة ازدشير بن بابكان على أهل كل طبقة من الناس لزوم صناعة آبائهم واجدادهم قطعاً وان لا يتجاوزها وزعموا ان ذلك فرض من الله عز وجل في كتاب زرادشت

واعم بأن هذا كله صيانة للملك ان لا يرغب فيه من ليس من اهله لانه اذا كثر الطالبون للملك كثر التنازع بينهم واذا كثر التنازع كثر الشغب واضطربت الامور وانفسد النظام وفساد النظام يتبعه البوار والبطلان

﴿ فصل في الغرض من الملك ﴾

واعلم بان الغرض من الملك هو حفظ الناموس على اهله ان لا يندرس بتركهم القيام بموجباته لان اكثر أهل الشرائع النبوية والفلسفية لولا خوف السلطان لتركوا الدخول تحت احكام الناموس وحدوده وتأدية فرائضه واتباع سنته واجتناب محارمه واتباع أوامره ونواهيه .

واعلم بأن الغرض في حفظ الناموس هو طلب صلاح الدين والدنيا جميعاً فمتى ترك القيام بواجباته انفسدا جميعاً وبطلت الحكمة ولكن السياسة الالهية والعناية الربانية لا تتركهما ينفسدان لانها هي العلة الموجبة لوجودهما وبقائهما ونظامهما وتمامهما وكمالهما وكل صورة في المصنوع فانها أولا تكون في فكر الصانع وعلمه

﴿ فصل في ان الجسم لا يتحرك من ذاته ﴾

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان موضوعات الصناع ومصنوعاتهم وآلاتهم وادواتهم واجسادهم كلها اجسام والجسم من حيث الجسمية ليس بمتحرك

والافعال لاتكون الا بالحركة فالمحرك للاجسام جوهر آخر وهو الذي نسميه نفسا والنفوس من حيث النفسية جوهر واحد كما أن الأجسام من حيث الجسمية جوهر واحد ، وانما تختلف النفوس بحسب اختلاف قواها واختلاف قواها بحسب اختلاف افعالها ومعارفها واخلاقها كما ان اختلاف الاجسام بحسب اختلاف اشكالها واختلاف اشكالها بحسب اختلاف اعراضها

واعلم بأن نفس العالم نفس واحدة كما ان جسمه جسم واحد بجميع افلاكه وكواكبه واركانه ومولداته ولكن لما كانت لنفس العالم افعال كلية بقوى كلية وافعال جنسية بقوى جنسية وافعال نوعية بقوى نوعية وافعال شخصية بقوى شخصية وهي حركتها من المشرق الى المغرب وبالعكس ومن الشمال الى الجنوب وبالعكس ومن فوق الى أسفل وبالعكس ، سميت هذه القوى بافعالها نفوساً جنسية ونوعية وشخصية فتكثرت النفوس بحسب قواها المختلفة وتكثرت قواها بحسب افعالها المفتنة كما تكثر جسم العالم بحسب اختلاف اشكاله وتكثر اشكاله بحسب اختلاف اعراضه فافعال نفس العالم الكلية هي ادارتها الافلاك والكواكب من المشرق الى المغرب بالقصد الاول وتسكينها مركزها الخاص بها وافعالها الجنسية مايختص بكل فلك وكل كوكب من الحركات الست العارضة كما بينا في رسالة السماء والعالم وما يختص أيضاً بالاركان الاربعة التى تحت فلك القمر من الحركات الطبيعية كما بينا فى رسالة الكون والفساد وافعالها النوعية مايختص بالكائنات المولدات التى هي الحيوان والنبات والمعادن وافعالها الشخصية التى تظهر من اشخاص الحيوانات ومايجرى على أيدي البشر من الصنائع التى تقدم ذكرها

واعلم ياأخى بأن النفس جوهرة روحانية حية بذاتها فاذا قارنت جسما من الاجسام صيرته حيا مثلها كما ان النار جوهرة جسمانية حارة بذاتها فاذا جاورت جسما من الاجسام صيرته حاراً مثلها واعلم بأن للنفس قوتين اثنتين احداهما علامة والاخرى فعالة فهي بقوتها العلامة تنزع رسوم المعلومات من هيولاها

وتصورها في ذاتها فتكون ذات جواهرها لتلك الرسوم كالهيولى وهي فيها كالصورة وبقوتها الفعالة تخرج الصور التي في فكرها وتنقشها في الهيولى الجسماني فيكون الجسم عند ذلك مصنوعاً لها وكل متعلم علماً فان صورة المعلوم في نفسه بالقوة فاذا تعلمها صارت فيها بالفعل وهكذا كل متعلم صنعة فان صور المصنوعات في نفسه بالقوة فاذا تعلمها صارت فيها بالفعل والتعلم ليس شيئاً سوى الطريق من القوة الى الفعل والتعليم ليس شيئاً سوى الدلالة على الطريق، والاستاذون هم الادلاء وتعليمهم هو الدلالة والتعلم هو الطريق والمعلوم هو المطلوب المدلول عليه ، فنفوس الصبيان علامة بالقوة ، ونفوس الاستاذين علامة بالفعل وكل نفس علامة بالقوة لابد لها من نفس علامة بالفعل تخرجها من القوة الى الفعل

واعلم يا أخي بان كل صانع من البشر لا بد له من استاذ يتعلم منه صنعته أو علمه وذلك الاستاذ من استاذ له قبل وهكذا حتى ينتهي الى واحد ليس علمه من أحد من البشر فيكون عند ذلك أحد الأمرين اما أن نقول انه استخرجه بقوة نفسه وفكره ورويته واجتهاده كما يزعم المتفلسفون واما أن نقول أنه أخذه عن موقف له ليس من البشر كما يقول الانبياء صلوات الله عليهم

واعلم يا أخي علما يقيناً أنه ليس من البشر أحد يحيط بعلم من العلوم لا الانبياء ولا الفلاسفة ولا غيرهم الا بما شاء الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ، وذلك أن الذين زعموا أنهم استخرجوا العلوم والصنائع بقوة عقولهم وجودة فكرهم ورويتهم لولا أنهم رأوا وشاهدوا مصنوعات الطبيعة فاعتبروها وقاسوا عليها وكان ذلك لهم كالتعليم من الطبيعة لما اهتدوا الى شيء منها والطبيعة أيضاً لولا انها مؤيدة بالنفس الكلية والنفس الكلية لولا انها مؤيدة بالعقل الكلي الذي هو أول الموجودات من الباري سبحانه والبارى سبحانه هو المؤيد للكل كيف شاء الذي هو صانع الاسباب والمؤيد للب ذوي الالباب .

واذ قد فرغنا من ذكر الصنائع البشرية وموضوعاتها وأغراضها وشرفها ومنافعها فقد بينا أن خير صناعة تبلغ اليها طاقة البشر وضع الناموس الالهي وقد ذكرنا كيفيتها وشرائطها في رسالة الناموس الالهي ، فاجتهد يا أخي في معرفة أسراره لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف العقلية فتعيش بعيش العلماء الربانيين وتنال نعيم عالم الرحانيين في جوار الملائكة المقربين مخلدا أبد الآبدين فان لم يستو لك ذلك فكن خادماً في الناموس بحفظ أحكامه والقيام بحدوده فلعلك تنجو بشفاعة أهله من بحر الهيولي وأسر الطبيعة وهاوية عالم الاجسام بالكون والفساد ذوى الآلام وفقك الله وايانا أيها الأخ للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه كريم جواد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله



الرسالة التاسعة

من القسم الرياضي

في بيان الاخلاق واسباب اختلافها وانواع عللها ونكت من آداب الانبياء وزبد من اخلاق الحكماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون .

وإذ قد فرغنا من ذكر الجواهر الجسمانية ووصفنا هيولاتها وصورها وتركيبها وإذ قد فرغنا من ذكر تصاريف الاحوال بالانسان في الرحم من يوم مسقط النطفه الى يوم ولادة الجسد وبينا كيف ينضاف الى خلقة الجنين قوى روحانيات الكواكب وكيف تنطبع في جبلته الاخلاق المختلفة المركوزة في الطبيعة تسعة أشهر شهراً بعد شهر الذي هو المكث الطبيعي الى يوم ولادة الطفل واستئناف الانسان العمر في الحياة الدنيا مائة وعشرين سنة الذي هو العمر الطبيعي في رسالة مسقط النطفة، فنريد أن نذكر في هذه الرسالة ماينضاف الى تلك الطباع المركوزة في الاخلاق المكتسبة بعد الولادة بالعادات الجارية والاسباب الداعية المولدة لها اما زائدة عليها أو ناقصة عنها في تصاريف أيام الحياة الدنيا الى يوم الممات الذي هو مفارقة النفس الجسد وولادتها الثانية التي هي النشأة الاخرى كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون » يعني النشأة الآخرة وقال تعالى « وننشئكم فيما لاتعلمون » وقال الله عز وجل « ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير »

فصل في قابلية الانسان جميع الاخلاق

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الله جل ثناؤه لما أراد أن يجعل في الارض خليفة له من البشر ليكون العالم السفلي الذي هو دون فلك القمر عامرا بكون الناس فيه مملوءاً من المصنوعات العجيبة على أيديهم محفوظاً على النظام والترتيب بالسياسات الناموسية والملكوتية والفلسفية والعامية والخاصيه جميعاً ليكون العالم باقياً على أتم حالاته واكمل غاياته كما ذكر في السفر الرابع من صحف هرمس وهو ادريس النبي عليه السلام وذكرناه في رسالة الجامعة وأشرنا اليه في رسائلنا وكما سنبين في هذه الرسالة فبدأ أولا ربنا تعالى فبنى لخليفته هيكلا من التراب عجيب البنية ظريف الخلقة مختلف الاعضاء كثير القوى ثم ركبها وصورها في أحسن صورة من سائر الحيوانات ليكون بها مفضلا عليها مالكا لها متصرفا فيها كيف يشاء ثم نفخ فيه من روحه فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانية من أفضل النفوس الحيوانية وأشرفها ليكون بها متحركا حساساً دراكا علاما عاملا فاعلا مايشاء ثم أيد نفسه بقوى روحانية سائر الكواكب في الفلك ليكون متهيئاً له بها وممكناً له قبول جميع سائر الاخلاق وتعلم جميع العلوم والآداب والرياضيات والمعارف والسياسات كما مكنه وهيأ له باعضاء بدنه المختلفة الاشكال والهيئات تعاطى جميع الصنائع البشرية والافعال الانسانية والاعمال الملكية

وذلك انه قد جمع في بنية هيكله جميع اخلاط الاركان الاربعة وكل المزاجات التسعة في غاية الاعتدال ليكون بها متهيئاً وقابلا لجميع اخلاق الحيوانات وخواص طباعها كل ذلك كيما يسهل عليه ويتهيأ له اظهار جميع الافعال والصنائع العجيبة والاعمال المتقنة المختلفة والسياسات المحكمة إذ كان اظهارها كلها بعضو واحد واداة واحدة وخلق واحد ومزاج واحد يتعذر على الانسان كما بينا في رسالة الصنائع البشرية والغرض من هذه كلها هو ان يتمكن للانسان ويتهيأ له التشبه بإلاهه وباريه الذي هو خليفته في ارضه وعامر عالمه ومالك مافيه وسائس حيوانها

ومربي نباتها ومستخرج معادنها ومتحكم ومتسلط على مافيها ليدبرها تدبيرات سياسية ويسوسها سياسة ربوبية كما رسم له الوصايا الناموسية والرياضات الفلسفية كل ذلك كيما تصير نفسه بهذه العناية والسياسة والتدبير ملكا من الملائكة المقربين فينال بذلك الخلود في النعيم أبد الآبدين ودهر الداهرين كما ذكر في بعض كتب انبياء بنى اسرائيل قال الله تعالى يابن آدم خلقتك للابد وأنا حي لا أموت اطعنى فيما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه اجعلك حياً لا تموت أبداً يابن آدم أنا قادر على أن أقول للشيء كن فيكون أطعنى فيما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه اجعلك قادراً على ان تقول للشيء كن فيكون. وإذ قد تبين بما ذكرنا ما الغرض وما المراد من وجود الاخلاق المختلفة في جبلة الانسان وطبيعته فنريد أن نذكر العلل والاسباب التى بها ومن أجلها تختلف اخلاق البشر وسجاياهم كم هي وما هي وكيف هي إذ قد تبين فيما تقدم لم هي

﴿ فصل في وجوه اختلاف الاخلاق ﴾

اعلم يا أخي أن اخلاق الناس وطبائعهم تختلف من اربعة وجوه، أحدها من جهة اخلاط اجسادهم ومزاج اخلاطها ، والثاني من جهة تربة بلدانهم واختلاف أهويتها ، والثالث من جهة نشوئهم على ديانات آبائهم ومعلميهم واستاذيهم ومن يربيهم ويؤدبهم ، والرابع من جهة موجبات احكام النجوم في أصول مواليدهم ومساقط نطفهم ، وهي الاصل وباقيها فروع عليها . ونحتاج الى شرح هذا الباب ليتبين صدق ماقلنا وحقيقة ماوصفنا ونبدأ أولا بذكر العلل والاسباب التي تكون من جهة اخلاط الجسد وتغيرات أمزجتها من الاعتدال والزيادة والنقصان وما يتبعها من الاخلاق والسجايا المختلفة المتضادة

﴿ فصل في اختلاف الاخلاق من جهة الاخلاط ﴾

اعلم يا أخي بأن المحروري الطباع من الناس وخاصة مزاج القلب يكونون على الامر الاكثر شجعان القلوب أسخياء النفوس متهورين في الامور المخوفة

قليلي الثبات والتأني في الامور مستعجلي الحركة شديدي الغضب سريعي المراجعة قليلي الحقد اذكياء النفوس حادي الخواطر جيدي التصور، والمبرودين في الامر الاكثر يكونون بليدي الذهن غليظي الطباع ثقيلي الارواح غير نضيجي الاخلاق ،والمرطوبين يكونون في أكثر الامر ذوى طباع بلدة وقلة ثبات في الامور ليني الجانب سمحاء النفوس طيبي الاخلاق سهلي القبول سريعي النسيان مع كثرة تهور في الامور الطبيعية ، واليابسي المزاج يكونون في أكثر الامور صابرين في الاعمال ثابتي الرأي عسري القبول الغالب عليهم الصبر والحقد والبخل والامساك والحفظ.

فصل فى خلق آدم عليه السلام
— كما وجد في بعض كتب بني اسرائيل —

وجد فى بعض كتب انبياء بني اسرائيل من صفة خلقة آدم وتكوين جسده أن الله عز وجل حين ابتدعه واخترعه قال : إنى خلقت آدم وركبت بدنه من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثة في ولده وذريته تنشأ في أجسادهم وينمون عليها الى يوم القيامة، ركبت جسده من رطب ويابس وحار وبارد وذلك انى خلقته من تراب وماء ثم نفخت فيه نفساً وروحا فيبوسة جسده من قبل التراب ورطوبته من قبل الماء وحرارته من النفس وبرودته من الروح ، ثم جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع أخر هن ملاك أمور الجسد لايقوم الجسد الا بهن ولاتقوم واحدة منهن الا بالاخرى فهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم اسكنت بعضها في بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء والحرارة في المرة الصفراء والرطوبة في الدم والبرودة في البلغم فايما جسد اعتدلت فيه هذه الاربعة الاخلاط التى جعلتها ملاكه وقوامه وكانت كل واحدة منهن ربعاً لاتزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته وان زادت واحدة منهن على اخواتها وقهرتهن ومالت بهن دخل السقم على الجسد من ناحيتها بقدر مازادت وإذا كانت ناقصة

ضعفت طاقتها عن مقاومتهن فغلبنها ودخل السقم على الجسد من نواحيهن بقدر قلتها عنهن وضعف طاقتها عن مقاومتهن

ثم علمته الطب وكيفية الدواء وكيف يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد حتى يعتدل ويستقيم أمر الجسد ، فالطبيب الماهر العالم بالداء والدواء هو الذي يعرف من أين دخل السقم على الجسد من الزيادة أو النقصان ويعلم الدواء الذي يعالج به فيزيد في ناقصها وينقص من زائدها حتى يستقيم أمر الجسد على فطرته ويعتدل الشيء بأقرانه

ثم صيرت هذه الأخلاط التي ركبت عليها الجسد فطراً وأصولا عليها تبنى أخلاق بنى آدم وبها توصف، فمن التراب العزم ومن الماء اللين ومن الحرارة الحدة ومن البرودة الأناة فان مالت به اليبوسة وأفرطت كانت عزمته قساوة وفظاظة وإن مالت به الرطوبة كان لينه توانياً ومهانة وان مالت به الحرارة كانت حدته طيشاً وسفاهة وإن مالت به البرودة كانت أناءته ريثاً وبلادة وان اعتدلت وكن سواء اعتدلت أخلاقه واستقام أمره وكان عازماً في اناته ليناً في عزمه هادئاً في لينه متأنياً في حدته لا يغلبه خلق من أخلاقه ولا تميل به طبيعة من أخلاطه عن المقدار المعتدل من أيها شاء استكثر ومن أيها شاء قلل وكيف شاء عدل

ثم نفخت فيه من روحي وقرنت بجسده نفساً وروحاً فبالنفس يسمع ابن آدم ويبصر ويشم ويذوق ويلمس ويحس ويأكل ويشرب وينام ويقعد ويضحك ويبكي ويفرح ويحزن وبالروح يعقل ويفهم ويدري ويتعلم ويستحي ويحلم ويحذر ويتقدم ويمنع ويتكرم ويقف ويهجم فمن النفس تكون حدته وخفته وشهوته ولعبه ولهوه وضحكه وسفهه وخداعه ومكره وعنفه وخرقه ومن الروح يكون حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وبهاؤه وفهمه وتكرمه وحذقه وصدقه ورفقه وصبره ، فاذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاق النفس قابله بضده من أخلاق الروح وألزمه إياه فيعدله به ويقومه ، فيقابل الحدة بالحلم والخفة بالوقار والشهوة بالعفاف واللعب بالحياء واللهو بالبهاء والضحك بالهم

والسفه بالكرم والخداع بالشجاعة والكذب بالصدق والعنف بالرفق والنزق بالصبر والخرق بالاناة إذ كل مرض يعالج بضده ومن التراب تكون قساوته وبخله وفظاظته وشحه ويأسه وقنوطه وعزمه واصراره، ومن الماء يكون لينه وسهولته واسترساله ومعروفه وتكرمه وسماحته وقوته وقربه وقبوله ورجاؤه واستبشاره فاذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاقه الترابية قابله بضده من الاخلاق المائية وألزمه إياه ليعدله ويقومه فيقابل القسوة باللين والبخل بالعطاء والفظاظة بالبشر والشح بالكرم واليأس بالرجاء والقنوط بالاستبشار والعزم بالقبول والاصرار بالعدل

واعلم يا أخي بأن لكل خلق من الاخلاق أخوات مشاكلات ولهن أضداد مخالفات ولهن كلهن أفعال متباينات متضادات تحتاج الى شرح لتبين وتعرف لان هذا الباب من العلوم الشريفة والمعارف اللطيفة إذ كان من هذا الفن تعرف أخلاق الكرام من بنى آدم وأخلاق الملائكة الذين هم سكان الجنان كما ذكر الله تعالى فقال « كراماً كاتبين » و « كرام بررة » ومن هذا الباب تعرف أيضاً أخلاق الشياطين الذين هم أهل النيران كما ذكر الله تعالى بقوله « كلما دخلت أمة لعنت أختها وقالوا لامرحباً بهم انهم صالوا النار » واذ قد تبين بما ذكرنا طرف من الاسباب المؤدية الى اختلاف أخلاق الانسان من جهة مزاج أخلاط جسده فنريد أيضاً أن نذكر طرفاً من الاسباب التى تكون من جهة اختلاف تربة البلاد وتغييرات أهويتها المؤدية الى اختلاف الاخلاق

فصل في تأثير طبيعة البلدان فى الاخلاق

واعلم يا أخي بأن ترب البلاد والمدن والقرى تختلف وأهويتها تتغير من جهات عدة فمنها كونها في ناحية الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب أو على رؤوس الجبال أو فى بطون الاودية والاغوار أو على سواحل البحار أو شطوط الانهار أو فى البراري والقفار أو فى الآجام والدحال والارض ذات الرملة والارضين

السباخ السهلة أو في البقاع الصخرية والحجارة والحصا والرمال أو في الارضين السهلة والتربة اللينة بين الانهار والاشجار والزروع والبساتين والزهر والنور وأيضاً فان أهوية البلاد والبقاع تختلف بحسب اختلاف تصاريف الرياح الاربع ونكباواتها وبحسب مطالع البروج عليها ومطارح شعاعات الكواكب عليها من آفاقها ، وهذه كلها تؤدي الى اختلاف أمزجة الاخلاط ، واختلاف أمزجة الاخلاط يؤدي الى اختلاف أخلاق أهلها وطباعهم وألوانهم ولغتهم وعاداتهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وتدابيرهم وسياساتهم ، لايشبه بعضها بعضاً بل تنفرد كل أمة منها بأشياء من هذه التى تقدم ذكرها لايشاركها فيها غيرها

مثال ذلك أن الذين يولدون فى البلاد الحارة ويتربون هناك وينشأون على ذلك الهواء فان الغالب على باطن أمزجة أبدانهم البرودة وهكذا أيضاً الذين يولدون فى البلدان الباردة ويتربون هناك وينشأون على ذلك الهواء يكون الغالب على باطن أمزجة أبدانهم الحرارة لأن الحرارة والبرودة هما ضدان لا يجتمعان فى حال واحدة فى موضع واحد ولكن إذا ظهر أحدهما استبطن الآخر واستجن ليكونا موجودين فى دائم الاوقات اذ كانت المكونات لاوجود لها ولا قوام الا بهما ، والدليل على ما قلنا أن مزاج أبدان أهل البلدان الجنوبية من الحبشة والزنج والنوبة وأهل السند وأهل الهند فانه لما كان الغالب على أهوية بلادهم الحرارة بمرور الشمس على سمت تلك البلاد فى السنة مرتين سخنت أهويتها فحمى الجو فاحترقت ظواهر أبدانهم واسودت جلودهم وتجمدت شعورهم لذلك السبب وبردت بواطن أبدانهم وابيضت عظامهم وأسنانهم واتسعت عيونهم ومناخرهم وأفواههم بذلك السبب ، وبالعكس فى هذا حال أهل البلدان الشمالية وعلتها أن الشمس لما بعدت من سمت تلك البلاد وصارت لا تمر عليها لا شتاء ولا صيفا غلب على أهويتها البرد وابيضت لذلك جلودهم وترطبت أبدانهم واحمرت عظامهم وأسنانهم وكثرت الشجاعة

والفروسة فيهم وسبطت شعورهم وضاقت عيونهم واستجنت الحرارة في بواطن أبدانهم لذلك السبب وعلى هذا القياس توجد صفات أهل البلدان المتضادة بالطباع والاهوية يكونون مختلفين في الطباع والاخلاق في أكثر الامر وأعم الحالات

واذ قد تبين بما ذكرنا طرف من تغير اخلاق الناس من جهة اختلاف ترب البلاد وتغير أهويتها فنريد أن نذكر طرفا من أسباب موجبات أحكام النجوم فنقول: ان الذين يولدون بالبروج النارية في الاوقات التي يكون المستولى عليها الكواكب النارية مثل المريخ وقلب الاسد وما شاكلهما من الكواكب فان الغالب على أمزجة ابدانهم الحرارة وقوة الصفراء، والذين يولدون بالبروج المائية في الاوقات التي يكون المستولى عليها الكواكب المائية مثل الزهرة والشعرى اليمانية فان الغالب على امزجة ابدانهم يكون الرطوبة والبلغم، وهكذا الذين يولدون بالبروج الترابية في الاوقات التي يكون المستولى عليها زحل وما شاكله من الكواكب الثابتة فان الغالب على امزجة ابدانهم اليبوسة والمرة السوداء، وهكذا الذين يولدون بالبروج الهوائية في الاوقات التي يكون المستولى عليها المشترى وما شاكله من الكواكب الثابتة فان الغالب على امزجة ابدانهم الدم والاعتدال، يعرف حقيقة ما قلنا وصحة ما وصفنا اهل الصناعات والتجارب

واذ قد تبين بما قلنا وذكرنا ما الاسباب والعلل الموجبة لوجود الاخلاق المركوزة في الجبلة فنريد ان نبين ما الاخلاق المركوزة في الجبلة وما المكتسبة بالعادة الجارية منها وما الغرض في ذلك وما الفرق بينهما يعني الاخلاق المكتسبة والمركوزة

فصل في ماهية الاخلاق

اعلم يا اخي، ايدك الله وايانا بروح منه، ان الاخلاق المركوزة في الجبلة هي

تهيؤ ما فى كل عضو من أعضاء الجسد يسهل به على النفس اظهار فعل من الافعال او عمل من الاعمال او صناعة من الصنائع او تعلم علم من العلوم او ادب من الآداب أو سياسة من غير فكر ولا روية ، مثال ذلك أنه متى كان الانسان مطبوعاً على الشجاعة فانه يسهل عليه الاقدام على الأمور المخوفة من غير فكر ولا روية وهكذا متى كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية من غير فكر ولا روية وهكذا متى كان الانسان مطبوعاً على العفة سهل عليه اجتناب المحظورات المحرمات من غير فكر ولا روية، وهكذا من كان مطبوعاً على الاعتدال سهل عليه الحكومة فى الخصومات والعدل والنصفة فى المعاملات، وعلى هذا المثال والقياس سائر الاخلاق والسجايا المطبوعة فى الجبلة المركوزة فيها انما جعلت لكيما يسهل على النفس إظهار أفعالها وعلومها وصنائعها وسياساتها وتدبيرها بلا فكر ولا روية

وأما من كان مطبوعاً على الضد من ذلك فهو يحتاج عند استعمال هذه الخصال واظهار هذه الافعال إلى فكر وروية واجتهاد شديد وكلفة ولا يفعل الانسان هذه الامور إلا بعد أمر ونهي ووعد ووعيد ومدح وذم وترغيب وترهيب ، وعلى هذا المثال يكون كل حكم فى الطبع خلافه يحتاج صاحبه إلى أمر ونهي وفكر واجتهاد ورغبة وبهذه العلة وردت أكثر أوامر الناموس ونواهيه ولهذا السبب كان وعده ووعيده وترغيبه وترهيبه ولو كان الانسان الواحد مطبوعاً على جميع الاخلاق لما كان عليه كلفة فى اظهار كل الافعال وجميع الصنائع ولكن الانسان المطلق الكلى هو المطبوع على قبول جميع الاخلاق واظهار جميع الصنائع والاعمال لا الانسان الجزئى

واعلم بأن كل الناس أشخاص لهذا الانسان المطلق وهو الذي أشرنا اليه انه خليفة الله فى أرضه منذ يوم خلق آدم أبو البشر الى يوم القيامة الكبرى وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة فى كل أشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه بقوله «ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» كما بينا في رسالة البعث

واعلم يا أخي، أيدك الله بروح منه، بأن هذا الانسان المطلق الذي قلنا هو خليفة الله في أرضه وهو مطبوع على قبول جميع الاخلاق البشرية وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية هو موجود في كل وقت وزمان ومع كل شخص من أشخاص البشر تظهر منه أفعاله وعلومه وأخلاقه وصنائعه ولكن من الاشخاص ما هو أشد تهيؤاً لقبول علم من العلوم أو صناعة من الصنائع أو خلق من الاخلاق أو عمل من الاعمال، والاظهار بحسب ذلك يكون

﴿ مطلب في التربية ﴾

واعلم بأن العادات الجارية بالمداومة فيها تقوى الاخلاق المشاكلة لها كما أن النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها والدرس لها والمذاكرة فيها يقوي الحذق بها والرسوخ فيها وهكذا المداومة على استعمال الصنائع والدؤوب فيها يقوي الحذق والاستاذية فيها، وهكذا جميع الاخلاق والسجايا. والمثال في ذلك ان كثيرا من الصبيان اذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم وهكذا ايضاً كثير من الصبيان إذا نشأوا مع النساء والمخانيث والمعيوبين وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم ان لم يكن في كل الخلق ففي بعض وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الاخلاق والسجايا التي يتطبع عليها الصبيان منذ الصغر اما بأخلاق الآباء والامهات أو الاخوة والاخوات والأتراب والاصدقاء والمعلمين والاستاذين المخالطين لهم في تصاريف أحوالهم وعلى هذا القياس حكم الآراء والمذاهب والديانات جميعاً

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن من الناس من يكون اعتقاده تابعاً لأخلاقه ومنهم من تكون أخلاقه تابعة لاعتقاده وذلك أن من يكون مطبوعاً على طبيعة مريخية فانه تميل نفسه الى الآراء والمذاهب التي يكون فيها التعصب والجدال والخصومات

أكثر وهكذا أيضاً من يكون مطبوعاً على طبيعة مشترية فانه تكون نفسه مائلة الى الآراء والمذاهب التي يكون فيها الزهد والورع والاين أكثر وعلى هذا القياس توجد آراء الناس ومذاهبهم تابعة لأخلاقهم ، وأما الذي تكون أخلاقه تابعة لاعتقاده فهو الذي اذا اعتقد رأياً أو ذهب مذهباً وتصوره وتحقق به صارت أخلاقه وسجاياه مشاكلة لمذهبه واعتقاده لأنه يصرف أكثر همه وعنايته الى نصرة مذهبه وتحقيق اعتقاده في جميع متصرفاته فيصير ذلك خلقاً له وسجية وعادة يصعب اقلاعه عنها وتركه لها

وعلى هذا الجنس من الاخلاق تقع المجازاة من المدح والذم والثواب والعقاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب لأنه اكتساب من صاحبه وفعل له ، والمثال في ذلك ما جاء في الخبر ان رجلين اصطحبا في بعض الاسفار أحدهما مجوسي من أهل كرمان والآخر يهودي من أهل اصفهان وكان المجوسي راكباً على بغلة عليها كل ما يحتاج اليه المسافر في سفره من الزاد والنفقة والأثاث فهو يسير مرفها واليهودي كان ماشياً ليس معه زاد ولا نفقة فبينا هما يتحدثان اذ قال المجوسي لليهودي ما مذهبك واعتقادك ياخوشاك قال اليهودي اعتقادي أن في هذه السماء الها هو إله بني اسرائيل وأنا أعبده وأسأله وأطلب اليه ومنه سعة الرزق وطول العمر وصحة البدن والسلامة من الآفات والنصرة على الأعداء أريد منه الخير لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي ولا أفكر فيمن يخالفني في ديني ومذهبي بل أرى وأعتقد أن من يخالفني في ديني ومذهبي حلال لي دمه وماله وحرام علي نصرته أو نصيحته أو معاونته أو الرحمة أو الشفقة عليه ، ثم قال للمجوسي: قد أخبرتك عن مذهبي واعتقادي لما سألتني عنه فاخبرني يامغا أنت أيضا عن مذهبك واعتقادك ، قال المجوسي أما اعتقادي ورأيي فهو اني أريد الخير لنفسي ولأبناء جنسي كلهم ولا أريد لأحد من الخلق سوءاً لا لمن كان على ديني ويوافقني ولا لمن يخالفني ويضادني في مذهبي ، فقال اليهودي له وان ظلمك وتعدى عليك ؟ قال نعم لأني أعلم أن في هذه السماء الها خبيرا فاضلا

عادلا حكيما عليما لا تخفى عليه خافية فى أمر خلقه وهو يجازي المحسنين باحسانهم ويكافيء المسيئين على اساءتهم ، فقال اليهودي للمجوسي فلست أراك تنصر مذهبك وتحقق اعتقادك ، فقال المجوسى وكيف ذلك قال لأني من أبناء جنسك وأنت تراني أمشي متعوبا جائعا وأنت راكب شبعان مترفه قال صدقت وماذا تريد، قال اطعمني واحملني ساعة لاستريح فقد اعييت فنزل المجوسى عن بغلته وفتح له سفرته فأطعمه حتى أشبعه ثم أركبه ومشى معه ساعة يتحدثان ، فلما تمكن اليهودي من الركوب وعلم ان المجوسى قد أعيا حرك البغلة وسبقه وجعل المجوسى يمشى فلا يلحقه فناداه ياخوشاك قف لى وانزل فقد اعييت ، فقال له اليهودى أليس قد أخبرتك عن مذهبي بامغا وخبرتنى عن مذهبك ونصرته وحققته وانا اريد ايضا ان انصر مذهبي وأحقق اعتقادي وجعل يجري البغلة والمجوسى في أثره يعدو ويقول ويحك ياخوشاك قف لي قليلا واحملنى معك ولا تتركنى فى هذه البرية تأكلنى السباع وأموت جوعاً وعطشاً وارحمنى كما رحمتك ، وجعل اليهودي لايفكر في ندائه ولايلوي عليه حتى مضى وغاب عن بصره . فلما يئس المجوسى منه وأشرف على الهلاك تذكر تمام اعتقاده وماوصف له بأن في السماء الهاً خبيراً فاضلا عالماً عادلا لايخفى عليه من أمر خلقه خافية فرفع رأسه الى السماء فقال يا إلهي قد علمت اني قد اعتقدت مذهباً ونصرته وحققته ووصفتك بما سمعت وعلمت وتحققت فحقق عند اليهودي خوشاك ماوصفتك به ليعلم حقيقة ماقلت . فامشى المجوسى إلا قليلا حتى رأى اليهودى وقد رمت به البغلة فاندقت عنقه وهي واقفة بالبعد منه تنتظر صاحبها • فلما لحق المجوسى بغلته ركبها ومضى لسبيله وترك اليهودى يقاسى الجهد ويعالج كرب الموت ، فناداه اليهودي يامغا ارحمني واحملني ولا تتركنى في هذه البرية تأكلنى السباع وأموت جوعاً وعطشاً وحقق مذهبك وانصر اعتقادك قال المجوسى قد فعلت مرة ولكن بعد لم تفهم ماقلت لك ولم تعقل ماوصفت لك فقال اليهودى وكيف ذلك فقال لانى وصفت لك مذهبي فلم تصدقنى بقولي حتى حققته بفعلي وأنت بعد لم تعقل ماقلت لك وذلك انى قلت لك ان في هذه

السماء الهاً خبيراً فاضلا عالماً عادلا لايخفى عليه خافية وهو يجازى المحسنين باحسانهم ويكافىء المسيئين باساءتهم ، قال اليهودى قدفهمت ماقلت وعلمت ماوصفت ، فقال له المجوسى فما الذى منعك أن تتعظ بما قلت لك ياخوشاك فقال اليهودى اعتقاد قد نشأت عليه ومذهب قد ألفته وصار عادة وجبلة بطول الدؤوب فيه وكثرة الاستعمال له اقتداء بالآباء والأمهات والأستاذين والمعلمين من أهل دينى ومذهبى فقدصار جبلة وطبيعة ثابتة يصعب علي تركها والاقلاع عنها ، فرحمه المجوسى وحمله معه حتى جاء به الى المدينة وسلمه الى أهله مكسوراً ، وحدث الناس بقصته وحديثه معه فجعلوا يتعجبون ، فقال بعض الناس للمجوسى كيف حملته بعد شدة جفائه بك وقبيح مكافأته احسانك اليه ؟ قال المجوسى اعتذر الي وقال مذهبي كيت وكيت وقد صار جبلة وطبيعة ثابتة لطول الدؤوب فيه وجريان العادة به يصعب الاقلاع عنها والترك لها وأنا أيضاً قد اعتقدت رأياً وسلكت مذهباً صار لي عادة وجبلة فيصعب الاقلاع عنها والترك لها

واذ قد تبين بما ذكرنا ان العلل الموجبة لاختلاف أخلاق النفوس والاسباب المؤدية اليها أربعة أنواع حسب كماقلنا في أول الرسالة فنقول الآن ان الاخلاق كلها نوعان اما مطبوعة في جبلة النفوس مركوزة فيها واما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها ومن وجه آخر أيضاً ان الاخلاق نوعان منها ماهي أصول وقوانين ومنها ماهي فروع وتابعة لها فنحتاج ان نبينها ونفصلها ليعرف بعضها من بعض اذ كان هذا الفن من المعرفة من العلوم الشريفة النافعة جداً وخاصة لمن له عناية برياضة النفس وتهذيبها واصلاح أخلاقها اذ كانت أخلاق النفوس هى أحد الاسباب المنجية لها من الهلكة المفصلة بعضها من بعض كما بينا في رسالة الدعوة الى الله سبحانه وتعالى

فصل فى مراتب الأنفس

اعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن الباري جل ثناؤه لما أبدع النفوس واخترعها وأبرز المستكن والمستجن من الكائنات رتبها ونظمها كمراتب

الاعداد المفردات كما ذكر تعالى بقوله حكاية عن الملائكة قولهم « ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون »

واعلم يا أخي بأن أعداد النفوس كثيرة لايحصيها الا الله جل ثناؤه كما قال « ومايعلم جنود ربك الا هو » ولكن نحتاج أن نذكر طرفاً من مراتبها ومقاماتها الجنسية اذ كانت الأنواع والاشخاص لايمكن تعديدها ولايعلمها الا هو

واعلم يا أخي بأن مراتب النفوس ثلاثة أنواع فمنها مرتبة الأنفس الانسانية ومنها ماهي فوقها ومنها ماهي دونها، فالتي هي دونها سبع مراتب والتي فوقها سبع أيضاً وجملتها خمس عشرة مرتبة والمعلوم من هذه المراتب التي ذكرناها عند العلماء ويمكن لكل عاقل أن يعرفها ويحس بها خمس منها اثنتان فوق رتبة الانسانية وهي رتبة الملكية والقدسية ورتبة الملكية هي رتبة الحكمية ورتبة القدسية هي رتبة النبوة والناموسية ، واثنتان دونها وهي مرتبة النفس النباتية والحيوانية ويعلم صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا الناظرون في علم النفس من الحكماء والفلاسفة وكثير من الاطباء

وأما الرتبتان التان فوق رتبة الانسانية فهي مرتبة الحكمة وفوقها الناموسية وأما مرتبة الانسانية فهي التي ذكرها الله تعالى بقوله « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وأما التي فوق هذه فما أشار اليه بقوله « ولما بلغ أشده واستوى » يعني الانسان « آتيناه حكماً وعلماً » وقال أيضاً « أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » يعني الانسان أحيينا نفسه بنور الهداية وهذه هي مرتبة نفوس المؤمنين العارفين والعلماء الراسخين

فاما التي فوقها فرتبة النفوس النبوية الواضعين النواميس الالهية واليها أشار بقوله جل ثناؤه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وهذه المرتبة تلي مرتبة القدسية الملكية. فقد تبين بما ذكرنا المراتب الخمس التي يمكن الانسان أن يعلمها ويحس بها . فاما المراتب التي دون النباتية وفوق القدسية

فبعيدة معرفتها على المرتاضين بالعلوم الالهية فكيف على غيرهم وإذ قد فرغنا من ذكر ما أردنا أن نقدمه فنقول الآن ونخبر بكل مايخص كل نوع من هذه النفوس الخمس من المعونة والتأييد

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان الله جل ثناؤه لما ربط الانفس الجزئية بالاجسام الجزئية للعلة التى ذكرناها في رسالة «الانسان عالم صغير» أيدها وأعانها بضروب من المعاونة وفنون من التأييدات كل ذلك جود منه ولطف بها وانعام منه عليها وافضال واحسان اليها واكرام لها وذلك انه كلما بلغت نفس منها رتبة ما أمدها بزيادة فضلا منه وجوداً أو نقلها الى مافوقها وأرفع منها وأعز وأشرف وأجل وأكرم كل ذلك ليبلغها الى اقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها وإذ قد تبين بما ذكرنا مراتب النفوس الخمس وما الفائدة والحكمة في رباطها بالاجسام فنريد أن نذكر مايخص كل نوع منها من المعاونة والتأييد وهي القوى الطبيعية والاخلاق المركوزة والهياكل الجسمانية والادوات الجسدانية والشعورات الحسية والاوهام الفكرية والحركات المكانية والافعال الارادية والاعمال الاختياريه والصنائع الحكمية والاوضاع الناموسية والسياسات الملكوتية ، ونبدأ أولا بذكر الشهوات المركوزة في الجبلة والقوى الطبيعية المعينة لها إذ كانت هي الاصل والقانون في جميع القوى والاخلاق والخصال والافعال والحركات والحس والشعور بها ومن أجلها كما سنبين بعد

فصل

وأعلم يا أخي بان من الاخلاق والقوى ماهي منسوبة الى النفس النباتية الشهوانية ومنها ماهي منسوبة الى الحيوانية الغضبية ومنها ماهي منسوبة الى النفس الانسانية الناطقة ومنها ماهي منسوبة الى النفس العاقلة الحكمية ومنها ماهي منسوبة الى النفس الناموسية الملكية. فاما المنسوبة الى النفس الشهوانية من الخصال والقوى التى تخصها فاولها شهوة الغذاء وهي النزوع والشوق نحو

المأكولات والمشروبات والمشتهيات والرغبة فيها والحرص في طلبها واحتمال المشقة والذل من أجلها والفرح والسرور بوجدانها والراحة واللذة في تناولها والملل والشبع عند الاستكفاء منها والنفور من الضار منها والبغض له، ومن القوى المختصة بها أيضاً القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة ومن الشعور والتمييز معرفة الجهات الست، ومن الافعال ارسال العروق نحو الجهات الندية والتراب اللين وتوجيه الفروع والقضبان الى الجهات المتسعة والميل والانحراف عن الامكنة الضيقة والاجسام المؤذية

كل هذه الخصال مركوزة في الجبلة من غير فكر ولا روية وكل ذلك معاونة من الطبيعة لنفوسها وتأييدها باذن باريها جل ثناؤه على طلب مشتهياتها والوصول الى منافعها والفرار من المضرة منها إذ كانت تلك المشتهيات هي غذاء لاجسامها ومادة لقوامها وسبب لبقائها كلها إذ كان في بقائها كلها تتميم لمعارفها وتكميل لفضائلها وفي تتميم معارفها وتكميل فضائلها ترق لها الى أفضل حالاتها وأشرف نهاياتها

وأما المنسوبة الى النفس الحيوانية المختصة بها من الخصال المركوزة في الجبلة زيادة على ما تقدم فهي شهوة الجماع وشهوة الانتقام وشهوة الرياسة ولها أيضاً الهيا كل اللحمية والاعضاء المختلفة للاغراض العجيبة والمفاصل اللينة للحركات المكانية والتنقل في الجهات الست لمآرب ومنافع كثيرة ولها الشعور بالحواس المخصوصة والاصوات المختلفة لدلالات متباينة ولها أيضاً الوهم والتخيل للمطالب والمنافع والحفظ والذكر لعرفان أبناء الجنس والمخالف وامكان الاحتراس من المضار والنفور والفرار من العدو، كل هذه مركوزة في جبلة الحيوانات القريبة النسبة الى الانسان فاما علة شهوة الجماع المركوزة في جبلتها فهي من أجل التناسل والتناسل هو من أجل بقاء الصورة في الاشخاص المتواترة إذ كانت الهيولى دائمة في السيلان لا تقف طرفة عين. وأما علة شهوة الانتقام المركوزة في جبلتها فهي من أجل دفع المضرات المفسدات لهيا كلها المتشخصة

واعلم يا أخي بأن دفع المضار تارة يكون بالقهر والغلبة وتارة يكون بالهرب والفرار وتارة بالتحرز والتحصن وتارة بالمكر والحيلة كما قد شرحنا ذلك في رسالة الحيوانات وأما شهوة الرياسة المركوزة في جبلتها فهي من أجل تأكيد السياسة إذ كانت السياسة لاتتم الا بعد وجدان الرياسة

واعلم يا أخي بأن المراد من السياسة هو صلاح الموجودات وبقاؤها على أفضل الحالات وأتم الغايات كما سنبين في فصل آخر

وأما المنسوبة الى النفس الناطقة المختصة بها زيادة على ما تقدم ذكره فهي شهوة العلوم والمعارف والتبحر والاستكثار منها وشهوة الصنائع والاعمال والحذق فيها والافتخار بها وشهوة العز والرفعة والترقي في غايات نهاياتها والشوق اليها والرغبة فيها والحرص في طلبها واحتمال الذل والمشقة من أجلها والفرح والسرور من وجدانها واللذة والراحة عند الوصول اليها والغم والحزن من فقدانها

فصل في اختلاف مناهج النفوس

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال مركوزة في جبلة الانسان ولكن تختلف اختيارات كل واحد لها حسب ما تيسر له وتتأكد أسبابه وذلك أن من الناس من تيسر له أسباب الصنائع والحرف وآخر أسباب العلوم والآداب وآخر تيسر له أسباب العمل والتصرف وآخر أسباب التجارات والبيع والشراء وآخر أسباب الملك والسلطان وآخر أسباب البطالة والفراغ وآخر أسباب الحكم والمعارف كما سنبينه بعد هذا الفصل

ومما أعطيت النفس الناطقة من نعم الله تعالى وخصت به من احسانه من بين نفوس سائر الحيوانات وأعينت به على البلوغ الى أقصى مدى غاياتها وأيدت للوصول الى تمام نهاياتها هذا الهيكل العجيب البنية المحكم الصورة المتقن الصنعة الذي قد عجزت الحكماء عن كنه معرفته وتركيب بنيته من غرائب الصنعة مما قد وصف طرف منه في كتاب منافع الاعضاء وكتاب التشريح

من كيفية انتصاب قامته من بين سائر الحيوانات وما خص به أيضاً من فصاحة لسانه وغرائب لغاته وفنون أقاويله وحسن بيانه من بين سائرها وماخص به أيضاً من طريف شكل يديه وما يتأتى له بهما من الصنائع المحكمة والاعمال المتقنة من بين سائرها وما خص به أيضاً من طرائف أدوات حواسه وغرائب طرقات ادراكها للمحسوسات كما وصفنا في رسالة الحاس والمحسوس

ومما خصت به أيضاً النفس الناطقة الانسانية من نعم الله تعالى واحسانه العقل الغريزي وكثرة أعوانه وجنوده وخصاله المحمودة كما سنبين بعد وأما التى تنسب من الخصال المحمودة الى النفس الحكمية فشهوة العلوم والمعارف وما أعينت به على طلبها وادراكها والوصول اليها من الخصال المركوزة والقوى المجبولة كالذهن الصافي والفهم الجيد وذكاء النفس وصفاء القلب وحدة الفؤاد وسرعة الخاطر وقوة التخيل وجودة التصور والفكر والروية والتأمل والاعتبار والنظر والاستبصار والحفظ والتذكار ومعرفة الروايات والاخبار ووضع القياسات واستخراج النتائج بالمقدمات والتكهن والقيافة والفراسة وقبول الوحي والالهام ورؤية المنامات والانذار بالكائنات بعلم النجوم والزجر كل ذلك معاونة لها وتأييد الى البلوغ الى الغاية والوصول اليها. وأما التى تنسب الى النفس الملكية القدسية فهى شهوة القرب الى ربها والزلفى لديه وقبول الفيض منه وافاضة الجود على من دونها من أبناء جنسها كما ذكر الله تعالى بقوله « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » وقوله سبحانه « يستغفرون لمن في الارض » وقوله « فاغفر للذين تابوا » وقال « كراماً كاتبين » الآية • فهذا تفصيل جملة ما ينسب الى كل جنس من النفوس والمخصوص بها من الشهوات المركوزة فيها فأما التى تعمها كلها فشهوة البقاء على أتم الحالات وأكمل الغايات وكراهية الفناء والنقص عن الحال الافضل والاكمل

فصل

واعلم يا أخي، أيدك الله بروح منه، بأنك ان أنعمت النظر فيما وصفنا وتأملت ما ذكرنا وجودت البحث عن مبادىء الكائنات وعلة الموجودات علمت وتيقنت ان هاتين الحالتين أعني شهوة البقاء وكراهية الفناء أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها وان تلك الشهوات المركوزة في جبلتها أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها وتلك الاخلاق أصول وقوانين لجميع أفعالها وصنائعها ومعارفها ومتصرفاتها كما سنبين في هذه الفصول

وانما صارت هاتان الحالتان مركوزتين في جبلة كل الموجودات وجميع الكائنات من أجل ان الباري جل ثناؤه لما كان هو علة الموجودات وسبب الكائنات ومبدعها ومخترعها وموجدها ومبقيها ومتممها ومكملها ومبلغها الى أقصى مدى غاياتها وأفضل حالاتها وكان جل ثناؤه دائم البقاء لا يعرض له شيء من الفناء صار من أجل هذا في جبلة الموجودات محبة البقاء وشهوته وكراهية الفناء وبغضه لأن في جبلة المعلول يوجد بعض صفات العلة دلالة دائمة عليها، وانما لا يعرض للباري جل ثناؤه شيء من النقص والفناء من أجل انه علة الوجود لذاته وبقاؤه من نفسه، وأما سائر الموجودات وجميع الكائنات فلوجودها أسباب وعلل ومتى عدم منها شيء أو نقص عرض لها الفناء والنقص والقصور عن البلوغ الى الحال الافضل والوجود الاكمل، والمثال في ذلك النبات والحيوان فانه متى عدم الغذاء الذي هو هيولى الأجساد ومادة بقائها هلك وانفسد وتغير واضمحل

وهكذا حكم نفوسها متى بطلت هياكلها بطل شعورها واحساسها ولم يمكنها اظهار أفعالها وتأثيراتها فتكون بتلك الحال النفوس موجودة ولكن على حال النقص كما أن تراب أجسادها يكون موجوداً لكن على حال النقص وقد يعلم بأوائل العقول بأن الوجود على الحال الافضل الذو أشرف وأفضل من الوجود على النقص • وقد قالت الحكماء والفلاسفة بأن كل شيء يراد فهو

من أجل الخير والخير يراد من أجل ذاته والخير المحض السعادة والسعادة تراد لنفسها لا لشيء آخر وقد قلنا وبينا في رسالة الايمان بأن السعادة نوعان دنيوية وأخروية فالسعادة الدنيوية هي أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته والسعادة الاخروية أن تبقى كل نفس الى أبد الآبدين على أفضل حالاتها وأتم غاياتها

واعلم يا أخي بان النفوس الجزئية انما ربطت باجسادها التي هي أجسام جزئية كيما تكمل فضائلها وتخرج كل ما في القوة والامكان الى الفعل والظهور من الفضائل والخيرات ولم يمكن ذلك الا بارتباطها بهذه الاجساد وتدبيراتها لها كما ان الباري جل ثناؤه لم يكن اظهار جوده وفيض احسانه وافضاله وانعامه الا بايجاده هذا الهيكل العظيم المبنى بالحكمة المصنوع بالقدرة أعني الفلك المحيط وما يحويه من سائر الافلاك والكواكب والاركان والمولدات الكائنات وتدبيره لها وسياسته اياها

واذقد تبين بما ذكرنا ما الغرض وما الفائدة من الشهوات المركوزة في الجبلة وما يتبعها من الاخلاق والخصال وهي ان تدعو تلك الشهوات النفوس الى طلب المنفعة لاجسادها ودفع المكروه والمضرة عنها وتعينها تلك الاخلاق والخصال عليها فنريد ان نبين الآن ما الخير منها وما الشر وما المذموم منها وما المحمود ومتى يكون الانسان مثابا بها أو معاقبا

﴿ فصل ﴾

(في ترتب الاخلاق على بعضها وكونها فضيلة أو رذيلة)

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ، بان الانسان لما كان جسده مركبا من الاخلاط الاربعة وكان مزاجه من الطبائع الاربع جعل الباري جل ثناؤه بواجب الحكمة أكثر أموره وتصاريف أحواله مربعات مشاكلات مطابقات بعضها لبعض ليكون أعون له على مايراد منه وأدل ، من ذلك انك تجد أخلاقه

وأفعاله بعضها طبيعية مركوزة فى الجبلة كما ذكرنا طرفا من ذلك وبعضها نفسانية اختيارية وبعضها عقلية فكرية وبعضها ناموسية سياسية

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الطبيعة هى خادمة للنفس ومقدمة لها وان النفس خادمة للعقل ومقدمة له وان العقل خادم للناموس ومقدمة له وذلك ان الطبيعة اذا اصلت خلقاً وركزته فى الجبلة جاءت النفس بالاختيار فاظهرته وبينته ثم جاء العقل بالفكر والروية فتممه وكمله ثم جاء الناموس بالامر والنهى فسواه وقومه وعدله وذلك انه متى ظهرت من الطبيعة هذه الشهوات المركوزة فى الجبلة وكانت على ماينبغى فى الوقت الذى ينبغى من أجل ماينبغى سميت خيرا ومتى كانت بخلافه سميت شرا ومتى فعل ذلك باختياره وارادته على ماينبغى بمقدار ماينبغى من اجل ماينبغى كان صاحبه محمودا ومتى كان بخلافه كان مذموما ومتى كان اختياره وارادته بفكر وروية على ماوصفنا كان صاحبه حكيما فيلسوفا فاضلا ومتى كان بخلافه سمى سفيهاً جاهلا رذلا ومتى كان فعله وارادته واختياره وفكره وروبته مأموراً بها ومنهياً عنها وفعل ماينبغى كما ينبغى على ماينبغى كان صاحبه مثابا بها ومجازى عليها ومتى كان بخلاف ماذكرناه كان مأخوذاً بها ومعاقبا عليها فقد تبين بما ذكرنا أن الشهوات المركوزة فى الجبلة والاخلاق المنتشئة منها والافعال التابعة لها وجميع المتصرفات من اجلها هى لان تبقى النفوس على أفضل حالاتها ويبلغ كل نوع منها الى أقصى مدى غاياتها

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان البارى جل ثناؤه لما رتب النفوس مراتبها كمراتب الاعداد المفردات على ما اقتضت حكمته جعل أولها متصلا بآخرها وآخرها متصلا باولها بوسائطها المرتبة بينهما لترتقى بها مادونها الى المرتبة التى فوقها ليبلغها الى مدى غاياتها وتمام نهاياتها وذلك انه رتب النفوس النباتية تحت الحيوانية وجعلها خادمة لها ورتب الحيوانية تحت الناطقة الانسانية وجعلها خادمة لها ورتب الناطقة الانسانية تحت العاقلة الحكمية وجعلها خادمة لها ورتب العاقلة تحت الناموسية وجعلها خادمة لها ورتب الناموسية تحت الملكية

وجعلها خادمة لهـا ، فاية نفس منها انقادت لرئيسها وامتثلت أمره في سياستها نقلت الى مرتبة رئيسها وصارت مثلها في الفعل، والمثال في ذلك من المشاهد ان أي تلميذ أو متعلم في علم أو صناعة امتثل أمر استاذه وانقاد لمعلمه ودام عليه فانه سيصير يوماً ما الى مرتبة استاذه ويصير مثل معلمه لا يخفى هذا على كل عاقل متأمل مثل ما وصفنا فعلى هذا المثال يكون تنقل النفوس في مراتبها

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان أحق النفوس الحيوانية ان تنتقل الى رتبة الانسانية التي هي الخادمة للانسان المستأنسة به المنقادة لامره المتعوبة في طاعته الشقية في خدمته وخاصة المذبوحة منها في القرابين وعلى هذا المثال والقياس حكم النفوس الانسانية فان احقها ان تنتقل الى رتبة الملائكة التي هي الخادمة في أوامر الناموس ونواهيه المنقادة لاحكامه المتعوبة في حفظ أركانه كما سنبين بعد هذا الفصل

واعلم يا أخي، أيدك الله وايانا بروح منه، بان الناس أصناف وطبقات في متصرفاتهم في أمور الدنيا لا يحصى عددها الا الله جل ثناؤه كما ذكر بقوله تعالى «وقد خلقكم أطوارا» ولكن يجمعهم كلهم هذه السبعة الاقسام وذلك ان منهم أرباب الصنائع والحرف والاعمال ومنهم أرباب التجارات والمعاملات والاموال ومنهم أرباب البنايات والعمارات والاملاك ومنهم الملوك والسلاطين والاجناد وأرباب السياسات ومنهم المتصرفون والخدامون والمتعيشون يوماً بيوم ومنهم الزمنى والعطل وأهل البطالة والفراغ ومنهم أهل العلم والدين والمستخدمون في الناموس وكل طائفة من هذه السبعة تنقسم الى اصناف كثيرة، ولكل صنف منها أخلاق وطباع وسجايا ومآرب أكسبتهم اياها أعمالهم واوجبتها لهم متصرفاتهم لا يشبه بعضها بعضاً ولا يحصى عددها الا الله عز وجل

ولكن نريد ان نذكر منهـا ما يحتاج اليـه من الاخـلاق والسجايا والخصال والاعمـال والاداب والعلوم أهل الدين المتمسكون باحكام الناموس الحافظون أركانه الذين يرجى لهم النجـاة بهـا والفوز باستعمالها كما ذكر

الله جل ثناؤه « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » وقوله « ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم » وقال تعالى « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى » الى آخر الآية ، وآيات كثيرة من القرآن في مثل هذه المعاني

فصل

(في مراتب الناس في الاخلاق حسب الاعمال)

اعلم يأخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان الناس اذا اعتبرت أحوالهم وتبينت أمورهم وجدتهم كلهم كالآلات والادوات لواضعي النواميس الالهية في تأسيسهم بنيانها وتتميمهم أحكامها وتكميلهم شرائطها وحفظهم أركانها ثم تجدهم خدما وخولا للملوك الذين هم خلفاء الانبياء من بعدهم في حفظها وحراستها على نظامها وترتيبها كما رتبها واضعو النواميس وأمروا بمراعاتها ، وهم في ذلك أصناف وطبقات ومراتب مرتبات كترتيب الاعداد المفردات وذلك ان واضع الناموس في مبدئه كالواحد في العدد وأصحابه وأنصاره الذين اتبعوه كالآحاد ومن تبعهم على مناهجهم كالعشرات ومن جاء من بعدهم كالمئات ومن بعدهم كالالوف ومن جاء من بعدهم كعشرات الالوف ومئات الالوف بالغاً ما بلغ الى يوم القيامة ثم يصيرون بذلك كلهم جملة واحدة كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله وأشار الى هذا المعنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون » وقال « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفا »

واعلم يأخي أيدك الله وايانا بروح منه بانك اذا أنعمت النظر في الامور المعقولة وجودت التأمل لاحكام الناموس وحدوده واعتبرت أحوال صاحب الناموس ونفاذ أمره ونهيه في نفوس اتباعه وانصاره وامتثالهم أمره ونهيه وطاعتهم له تبينت وعرفت بان الناموس مملكة روحانية وان وجوده وقوامه في حفظ اركانه الثمانية وتبينت بان اركانه الذين هم اتباع صاحب الناموس وانصاره وهم ثمانية اصناف كل صنف منهم كأنهم صف قيام حاملون ركناً من اركان الناموس

فاول الاصناف هم قراء تنزيله وكتبه وحفاظ الفاظه على رسومها ومعلموها لمن بعدهم من ذراريهم ليؤدوا الى من بعدهم من اتباعهم ما أخذوا عمن قبلهم كل ذلك لكيلا يجهلها من يجيء من بعدهم وتنسى فتندرس معالم الدين وتضمحل وتبطل احكام الناموس ، والصنف الثاني هم رواة أخباره وناقلو احاديثه وحافظو سيره ومؤدوها الى من بعدهم ليبلغوها الى آخرهم كيلا يجهل وينسى فتندرس آثاره ويموت أخباره فلا تعرف ، والصنف الثالث هم فقهاء احكام الناموس وعلماء سننه وحفاظ حدوده كيلا تجهل فلا تستعمل أو تنسى فتندرس معالم الدين وتضمحل ويبطل الناموس ، والصنف الرابع هم المفسرون الفاظ تنزيله الظاهرة وأقاويله المروية والمعبرون عن وجوه معانيه المختلفة لمن قصر فهمه عنها وقلت معرفته بها كل ذلك كيلا يجهلها من يجيء من بعدهم من ذراريهم واتباعهم في احكام الناموس أو تنسى فتندرس معالم الدين وتضمحل وتبطل احكام الناموس، والصنف الخامس هم أنصاره المجاهدون وغزاة اعدائه الحافظون ثغور بلاد اتباع صاحب الناموس وانصاره كيلا يغلب عليها اعداؤهم ويفسد أمر دينهم عليهم كما فعل بخت نصر بايلياء في هيكل بنى اسرائل وهو ببيت المقدس وكما فعلت الروم بثغور المسلمين ، والصنف السادس هم خلفاء صاحب الناموس في أمته ورؤساء الجماعات والحارسون شريعته على أمته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر المانعون لهم أن يسيروا بغير سيرة الناموس الحافظون اطراف المملكة كيلا يخرج خارجي سراً أو علانية فيفسد احكام الناموس بتمويهه وزوره على قلوب العامة والجهال كما فعل مزدك الخرمي في مملكة قباد ملك الفرس، والصنف السابع هم الزهاد والعباد فى المساجد والرهبان والقوام في الهياكل والخطباء على المنابر الواعظون الناس المحذرون لهم من ترك استعمال احكام الناموس الذامون أمور الدنيا المحذرون لهم من الاغترار بامانيها المزهدون للمنهمكين في الشهوات المذكرون أمر المعاد وأحوال القيامة للغافلين عنها المشوقون الى نعيم الآخرة المقرون بها ، كل ذلك كيلا يجهل أمر المعاد ولا ينسى ذكر الآخرة والاستعداد

للرحلة اليها والتزود من الدنيا التقوى الذي هو خير الزاد اذ كان هذا هو الغرض الاقصى في وضع الناموس الالهي والغاية والمطلب من الرياضيات الفلسفية، والصنف الثامن هم علماء تأويل تنزيله والراسخون في العلوم الالهيــة والمعارف الربانيــة العارفون خفيات اسرار الناموس الذين هم الأئمة المهديون والخلفاء الراشدون الذين يقضون بالحق وبه يعدلون

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بانك اذا تأملت ونظرت الى كل صـنف من هـذه الاصناف الثمانية واعتبرت أحوالهم وماهم عليه ومتعاقون به من حفظ هذه الامور الثمانية وحرصهم على مراعاتها بشرائطها كما وصفنا ثم نظرت بعين قلبك ونور بصيرتك وصفاء جوهرك الى جملتهم وتخيلتها في وهمك وفكرت ، رأيت الناموس مملكة روحانية ورأيت أتباع صاحب الناموس وأنصاره يسعون فيه ويعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ، ورأيت واضع الناموس قد استوى على عرشه نافذاً فيهم أمره ونهيه وهم حاملون عرشه يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض وهم من بعدهم من اتباعهم لانهم كالسماء لمن بعدهم ومن بعدهم كالارض لهم ولمن قبلهم من اسلافهم

واعلم يا أخي بان كل طائفة من هذه الاصناف الثمانية تحتاج في حفظها ركنا من أركان الناموس الى شرائط معلومة وخصال محمودة وأخلاق جميلة نحتاج ان نشرحها ونصفها: اما التي يحتاج اليها القراء والحفظة من الاخلاق الجميلة والخصال المحمودة والشرائط المعلومة فاولها فصاحة الالفاظ وتقويم اللسان وطيب النغمة وجودة العبارة وسرعة الحفظ وجودة الفهم ودوام الدرس والنشاط في القراءة والتواضع لمن يتعلم منه والتعظيم له ومعرفة حقه وحرمتـه والرفق بمن يعلمه والشفقة عليه وقلة الضجر من ابطاء فهمه وحفظه وترك ضيق الصدر من تلقينه وقلة الطمع في أخذ العوض منه وقلة المنة عليه بما يعلمه. واما التي يحتاج اليها من

هذه الخصال والاخلاق أصحاب الاخبار وحملة الاحاديث فاولها جودة الاستماع واستيفاء الكلام وضبط الالفاظ على رسمها وتقييدها بالكتابة والتحرز والتحرج والحذر من الزيادة فيها والنقصان عن تمامها والصدق وحسن الاداء وتجنب الكذب ، ثم الحكاية عنها بهيأتها وبذلها ونشرها لمن سأل عنها أو يصلح له الاخبار عنها ، وطيها وصونها عمن لا تصلح له ولا تليق به ، كل ذلك نصيحة للاخوان ونصرة للدين ولواضع الناموس وابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه في الآخرة

واما التي يحتاج اليها الفقهاء والقضاة والمفتون من هذه الخصال والاخلاق والشرائط المحمودة فيها والقيام منها بما تم بسبيله فاولها معرفة الرتب التي رتبها واضع الناموس من الاوامر والنواهي والفرائض والسنن والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام ، ثم معرفة القياس وكيفية استخراج الفروع من الاصول في الفتاوى والمسائل الواردة التي ليس لها ذكر في الأصول ، والتثبت والتأني في الفتيا والاستقصاء في استفهام السؤال بجميع شرائطه ، ثم قلة الترخيص في الشبهات من المحذورات وترك التحرج في المشكلات ودرء الحدود بالشبهات وقلة الخلاف مع أبناء الجنس وترك الحسد للاقران وبذل النصيحة للاخوان والشفقة والتحنن على الجهال وترك الافتخار في الاصابة في الاحكام وقلة الشنعة على العلماء بزلاتهم والاحتمال لاذية الجيران وقلة الرغبة في حطام الدنيا وعفة الفرج وترك الطمع والقيام بواجب أحكام الناموس وان لا يكون قوله مخالفا لعمله

واما التي يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط المفسرون لالفاظ التنزيل فاولها معرفة غرض صاحب الناموس في ايراده التنزيل واستعماله الالفاظ المشتركة المعاني ثم ان يكون له اتساع في معرفة تصاريف الكلام والاقاويل وما يحتملها من المعاني مما يؤكد غرض واضع الناموس ويكون له جودة بحث وبعد غور في استخراج المعاني ولطف العبارة عنها بحسب ما تحتمل عقول المستمعين ويقرب من فهم المتعلمين ويكون له من يقظة القلب ما لا يناقض في أقاويله وعباراته

ولا في المعاني التي يشير اليها في تفسيره لالفاظ تنزيل واضع الناموس وأقاويله وكلامه وبيانه

واعلم يا أخي بانه متى لم يكن المفسر عارفا بغرض واضع الناموس في ايراده الالفاظ المشتركة المعاني في تنزيله وأقاويله وعبارته وبيانه تخيل له من تلك الالفاظ من المعاني غير ما أشار اليه واضع الناموس وتوهم سوى ما أراد فيها فافهم المستمعين من تفسيره ما تخيل هو وعلم المتعلمين ما علم به فصار له ذلك دينا ومذهبا غير دين واضع الناموس وطريقته وكان مخالفاً له في اعتقاده في الشريعة وهو لا يشعر ويكون بذلك مفسداً في أحكام الناموس وهو يظن انه من المصلحين ولا يدرى فاحذر يا أخي من هذا الباب فان فساد ديانات واضعي الناموس وأحكام شرائعهم أكثرها من هذا الباب يكون

واما التى يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط أنصار واضع الناموس وغزاة أعدائه والحافظون ثغور بلاد أتباعه وأنصاره ان يكون لهم تعصب للدين وغيرة على حرمة الناموس وحمية من أجل فساد يدخل عليه وحنق على الاعداء المجاهرين بالعداوة لواضع الناموس ودينه المريدين فساد أحكامه وقلة الهيبة منهم وشجاعة النفس عند البراز وخفة الحركة عند الجولان وتيقظ القلب من غدر العدو وأخذ الحذر في أوقات الغفلة وقلة الاغترار بقلتهم وطلب الحيلة للظفر ما استوى من غير قتال ومخادعة في الحروب ومبادرة في البراز الى الاقران والاكفاء وصبر عند اللقاء وكثرة الذكر لله عزوجل والاستعانة به والانفة من الفرار وما يكون فيه من العار وقلة الرغبة في النهب والتقية من هتك الحريم عند الظفر وكثرة الشكر لله وترك الافساد عند هزيمة العدو ورحمة الاسير وقبول الصلح عند الهدنة والوفاء بالعهد وترك الاعجاب عند كثرة عدد الاعوان والانصار

واما التى يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط الزهاد والعباد والمذكرون للناس أمر الآخرة وذكر المعاد فاولها التى هي أساس الدين وملاك

الامر القناعة باليسير من حطام الدنيا والرضى بالقليل من متاعها ولذاتها وصيانة النفس عن الانهماك في شهواتها ولذاتها وترك طلب المنزلة والجلالة والكرامة وقلة الحرص في طلب الحاجات فيها والاشتغال بطلب العلم والعبادة بالصوم والصلاة مع أبناء الجنس وترك الخلطة في الراغبين فيها من أبنائها والتفرد في الخلوات وكثرة ذكر الموت وفناء نعيم الدنيا وزوال ملكها والنظر الى آثار القرون الماضية والاعتبار بها والدور الخربة والمنازل الدارسة العافية للامم الخالية والنظر في كتب الحكماء وأخبار سير الملوك الماضية والتفكر في الامثال المضروبة على ألسنة الحكماء ذوي التجربة في وصفهم الدنيا واعتبارهم تصاريف الزمان ونوائب الحدثان والتيقن بامر المعاد وشدة الاشتياق الى نعيم الاخرة دار القرار مع الابرار من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

واما التي يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط خلفاء واضع الناموس وهم طائفتان احداهما خلفاؤه في الملك والرياسة في أمور الدنيا والتدبير والسياسة في حفظ ظاهر أحكام الناموس على أهله فقد أفردناله رسالة اذ كان هذا الباب يحتاج الى خطب طويل وشرح كثير واما خلفاؤه في اسرار أحكام الناموس الذين هم الائمة المهديون والخلفاء الراشدون فقد بينا أخلاقهم وخصالهم وشرائطهم وعلومهم ومعارفهم وطرائقهم في احدى وخمسين رسالة عملناها ودوناها وهذه الرسالة واحدة منها، فقم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه، بالعمل بواجبها والقيام بحقها وأخبر جميع اخواننا حيث كانوا في البلاد بما في هذه الرسالة والرسائل الاخر، اذ الدال على الخير كفاعله

وقد بينا بما ذكرنا طرفاً من خصال صاحب الناموس وحكم اتباعه معه في حفظهم أركان الناموس وتصاريف أحوالهم في الدنيا فنريد ان نذكر طرفا من كيفية أحوالهم في الآخرة وتصاريف أحكامها اذ كان هذا هو الغرض الاقصى في وضع النواميس الالهية وسنن الديانات النبوية

فاعلم يا أخي بان لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهراً و باطنا وظواهر الامور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وان الناموس هو أحد الاشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس وله أحكام وحدود ظاهرة بينة يعلمها أهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعام ولاحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم والراسخون في العلم

واعلم يا أخي بان الناموس وضع لصلاح الدين والدنيا جميعاً وأن الدنيا والآخرة هما داران متقابلتان واسماهما متضادان ومعناهما وحقيقتهما وصفتهما مختلفات متضادات احداهما كالقشرة وهي الدنيا والاخرى كاللب وهي الآخرة ولهما أهل و بنون ولاهلهما و بنيهما صفات وأخلاق وسجايا و أعمال متخالفات متضادات نحتاج ان نشرحها ونفصلها ونذكر الفرق بينها و بين حقيقتها ونميز بين أهلها ليعلمها ويعرفها كل من أراد ان يفهمه و يريد هذا العلم اذ كان هو من أشرف العلوم وأجل المعارف التي يتعاطاها الناس من سائر العلوم فنقول: اما الدنيا فاسمها مشتق من الدنو والقرب والآخرة من التأخر واما حقيقتهما فالدنيا هي تصاريف أمور تجري على الانسان من يوم ولادة الجسد الى يوم الممات الذي هو ولادة النفس ومفارقتها اياه والآخرة هي تصاريف أمور تجري على الانسان من يوم الممات ومفارقة النفس الجسد الى ما بعدها أبد الابدين ودهر الداهرين

واعلم يا أخي بان الله جل ثناؤه سمى الحياة الدنيا عرضاً ومتاعاً الى حين لان كون الانسان في الدنيا عارض عرض في طريق الآخرة ولم يكن القصد والغرض المقام فيها كما ان الغرض في الكون في الرحم لم يكن الغرض والقصد طول المكث والمقام هناك ولكن طريقا وجوازا الى الدنيا فكذلك كون النفس في هذا الجسد هو سفينة ومركوب ومعبر الى الدار الآخرة وذلك انه لم يكن الورود الى الدنيا دون الكون هنالك زمانا لتتميم بنية الجسد وتكميل صورته كما بينا في رسالة مسقط النطفة فهكذا أيضاً حكم المكث في الدنيا والكون فيها زمانا هو طريق وجواز الى ما بعدها وذلك انه لم يمكن الورود الى الدار الاخرة دون الجواز على

الدنيا والكون فيها زمانا ما لكياتتم أحوال النفس وتكمل فضائلها كما بينا في رسالة الانسان عالم صغير ورسالة حكمة الموت

ولهذا المعنى الذي ذكرناه ووصفناه قيل في الخطب على المنابر في الاعياد والجمعات اعلموا أيها الناس انكم انما خلقتم للابد ولكن من دار الى دار تنقلون ومن الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ الى الجنة أو الى النار كما ذكر الله عز وجل بقوله «أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون» وقوله «يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة» وقوله «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا» وآيات كثيرة فى القرآن فى التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة مثل قوله تعالى «وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون» يعنى أبناء الدنيا لرغبوا فيها أكثر وحرصوا فى طلبها أشد ولكنهم عنها غافلون ساهون جاهلون لا يدرون ما هناك من النعيم واللذات والسرور والفرح والراحة كما ذكر الله عز وجل واختصر بقوله «فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون» فلما جهل أبناء الدنيا أمور الآخرة وغفلوا عنها اشتغلوا عند ذلك بطلب الدنيا ونعيمها ولذاتها وشهواتها وتمنوا الخلود فيها لانها محسوسة لهم يشهدونها وتلك غائبة عن ادراك الحواس فتركوا البحث عنها والرغبة فيها والطلب لها واليهم أشار بقوله جل ثناؤه «ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون»

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه سمى الدار الآخرة الحيوان لانها عالم الارواح ومعدن النفوس والدنيا عالم الاجسام وجواهر الاجسام موات بطبائعها وانما تكسبها الحياة النفوس والارواح بكونها فيها ومعها كما تكسب الشمس الهواء النور والضياء باشراقها عليه وفيه الدليل على ان النفوس هى التى تكسب الاجساد الحياة بكونها معها وما يرى من حال الاجساد قبل الموت من الحس والحركة والشعور والاصوات والتصاريف وكيفية فقدانها ذلك عند الموت الذي ليس هو شيئا سوى مفارقة النفس الجسد مما لا خفاء به عند كل عاقل منصف بعقله في موجبات أحكامه

واعلم يا أخي بأن أكثر الناس من اتباع واضعي الناموس وأنصارهم مقرون بالآخرة مؤمنون بها ولكنهم لا يعرفون ماهيتها ولا يدرون ما حقيقتها ولا كيفيتها ولا أبنيتها ولا متى وقت الوصول اليها وهكذا أيضاً كثير من المتفلسفين مقرون بعالم الارواح وجواهر النفوس ولكن أكثرهم أيضاً لا يدرون كيف الطريق نحوها ولا كيف الوصول وقد بينا نحن في رسائلنا الناموسية والعقلية ما يحتاج اليه كلا الفريقين جميعاً في هذا المعنى. وإذ قد تبين بما ذكرنا ما الدنيا وما الآخرة فنقول الآن ان الناس كلهم أبناء الآخرة وأهلها كما هم أبناء الدنيا وأهلها ولكنهم ينقسمون في الآخرة قسمين اثنين كما هم في الدنيا قسمان اثنان سعداء وأشقياء فأما سعداء بني الدنيا وأشقياؤهم فهم معروفون ولسنا نحتاج الى ذكرهم اذ كان هذا هو مشاهد ولكن الذي نحتاج أن نذكره علامات سعداء أبناء الآخرة وأخلاقهم وأعمالهم إذ كان هذا أمراً خفياً لا يعلم إلا بعد الوصف والشرح والدليل والعلامات .

﴿ فصل ﴾

في انقسام الناس في السعادة أربعة أقسام

اعلم يا أخي ان الناس ينقسمون في سعادة الدنيا والآخرة وشقائهما أربعة أقسام : فنهم سعداء في الدنيا والآخرة جميعاً ومنهم أشقياء فيهما جميعاً ومنهم أشقياء في الدنيا سعداء في الآخرة ومنهم سعداء في الدنيا أشقياء في الآخرة .

فأما السعداء في الدنيا والآخرة جميعاً فهم الذين وفر حظهم في الدنيا من المال والمتاع والصحة ومكنوا فيها فاقتصروا منها على البلغة ورضوا بالقليل وقنعوا به وقدموا الفضل الى الآخرة ذخيرة لأنفسهم كما ذكر الله تعالى بقوله « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » وقال الله سبحانه « ووجدوا ما عملوا حاضراً » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

وأما سعداء أبناء الدنيا وأشقياء أبناء الآخرة فهم الذين وفر حظهم من

متاعها ومكنوا منهـا وارتقوا فيها فتمتعوا وتلذذوا وتفاخروا وتكاثروا ولم يتعظوا بزواجر الناموس ولم ينقادوا له ولم يأتمروا لامره وتعـدوا حدوده وتجاوزوا المقدار وطغوا وبغوا وأسرفوا ، والله لايحب المسرفين ، وهم الذين أشار اليهم بقوله جل ثناؤه « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » الى آخر الآية وقال « من كان يريد الحياة الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » وآيات كثيرة في القرآن في وصف هؤلاء

وأما أشقياء الدنيا وسعداء الآخرة فهم الذين طالت أعمارهم فيها وكثرت مصائبهم في تصاريف أيامها واشتدت عنايتهم في طلبها وفنيت أبدانهم في خدمة أهلها وكثرت همومهم من أجلها ولم يحظوا بشيء من نعيمها ولذاتها وائتمروا بأوامر الناموس ولم يتعدوا حدوده وقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرة من القرآن « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »

وأما أشقياء الدنيا والآخرة فهم الذين بخسوا حظهم من الدنيا ولم يمكنوا منها وشقوا في طلبها فعاشوا فيها طول أعمارهم بأبدان متعوبة ونفوس مهمومة ولم ينالوا خيراً ثم لم يأتمروا بأوامر الناموس ولم ينقادوا لأحكامه وتجاوزوا حدوده ولم يتعظوا بزواجره ولم يعملوا في عمارة بنيانه ولافي حفظ أركانه فهم الذين خسروا الدنيا والآخرة جميعاً ذلك هو الخسران المبين

فصل

وإذ قد تبين بما ذكرنا بأقسام عقلية أنه لايخلو أحد من الناس من أن يكون داخلا في أحد تلك الاقسام الاربعة فنريد أن نذكر أخلاق أبناء الدنيا وطباعهم وأخلاق أبناء الآخرة وسجاياهم ليعرف الفرق بينهم

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن أخلاق بني الدنيـا هي التي ركزتها الطبيعة في الجبلة من غير كسب منهم ولا اختيار ولا فكرة ولا روية ولا اجتهاد ولا كلفة فهم يسعون فيها ويعملون عليها مثل البهائم في

طلب منافع الاجساد ودفع المضرة عنها كما قال الله تعالى ذكره « يأ كلون كما تأ كل الانعام والنار مثوى لهم » وأما أخلاق أبناء الآخرة فهي التي اكتسبوها باجتهادهم إما بموجب العقل والفكر والروية وإما باتباع أوامر الناموس وتأديبه كما سنبين وتصير عند ذلك عادة لهم بطول الدؤوب فيها وكثرة الاستعمال لها وعليها يجازون ويثابون كما ذكر الله تعالى بقوله « وأن ليس للانسان الاماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى »

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بانك اذا أنعمت النظر بعقلك وفكرت برويتك وتأملت أوامر الناموس ونواهيه وأحكامه وحدوده وترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وزجره وتهديده عرفت وتبينت أن أكثر أوامره هي بخلاف مافي طباع الناس ونواهيه عما هو في الجبلة مركوز من تركب الشهوات أو طلب الراحة والنعيم والتلذذ وماهو مركوز في الجبلة، وذلك انه أمر بالصيام وترك الاكل والشرب عند شدة الجوع والعطش وبالطهارة عند البرد وبالقيام في الصلاة وترك النوم على الفراش الوطيء وبالمواساة عند القلة وشدة الحاجة وبالتعفف عند هيجان الشهوة وبالحلم عند سورة الغضب وبالشجاعة عند المخاوف وبالعفو عند المقدرة وبالعدل عند الحكومة وبالصبر عند الشدائد وبالرضى عند مر المقادير وبحسن العزاء عند المصائب وبالاجتهاد والتشمير عند الكسل وبصدق القول عند شدة الخوف منه، وبالسخاء عند شدة الفقر وبوفاء العهد عند المغيب وبالزهد في الدنيا عند التمكن منها وما شاكل هذه الافعال والاعمال والاخلاق والسجايا التي في الجبلة خلافها وفي الطباع مركوز غيرها ويروى في الخبر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى قول الله عز وجل خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين فقال جمع في هذه الآية مكارم الاخلاق وهي سبعة عفوك عمن ظلمك واعطاؤك من حرمك وصلتك لمن قطعك واحسانك الى من أساء اليك ونصيحتك لمن غشك واستغفارك لمن اغتابك وحلمك عمن اغضبك

واعلم يا أخي بان هذه هي أمهات أخلاق الكرام من أولياء الله الذين أشار اليهم بقوله « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا» الى آخر الآية وقوله «رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً» وهي أخلاق الملائكة الذين أشار اليهم بقوله جل ثناؤه «الذين يحملون العرش ومن حوله» الآية. انظر الآن يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه الى ماذكرناه من أخلاق الكرام وتفكر فيها ان كنت تريد ان تكون من أولياء الله وأهل جنته ومن حزب ملائكته الكرام البررة فاقتد بهم وتخلق باخلاقهم باجتهاد منك وروية وعناية شديدة وكثرة استعمال لها وطول دربة بها لتصير لك عادة وطبيعة وجبلة مركوزة وتبقى في نفسك مصورة عند المفارقة ودع اخلاق إخوان الشياطين وجنود إبليس اجمعين واعلم علماً يقيناً بان ليس يصحب الانسان بعد الموت عند مفارقة النفس الجسد ويبقى معه من كل ما يملك في الدنيا من المال والاهل والمتاع الا ما كسبت يداه من هذه الاخلاق والاعمال المشاكلة لها والعلوم والمعارف والاراء التى اعتقدها واضمرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد اليكم وقال الله جل ثناؤه « ووجدوا ما عملوا حاضراً »

واعلم يا أخي بان اخلاق بنى الدنيا وسجاياهم انما جعلت طبيعة مركوزة في الجبلة لانهم وردوا الى الدنيا جاهلين غير مستعدين لها فازيحت عللهم فى ذلك فاما أبناء الاخرة فصارت اخلاقهم مكتسبة معتادة لانهم ازيحت عللهم قبل ورودهم الى الاخرة بما اعلموا بها واخبروا عنها وبشروا بها وأنذروا منها وجدوا في طلبها وأوضح لهم طريقها وأزيحت عللهم فيما يحتاجون اليه من البيان والاستطاعة والقدرة والهداية والامر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وما شاكل ذلك مما هو بين واضح في احكام النواميس وحدودها وفي موجبات العقول وقضاياها لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والعقول المركوزة. وإذ قد تبين بما ذكرنا ما العلة وما السبب في كون اخلاق أبناء الدنيا مركوزة فى الجبلة واخلاق ابناء الآخرة مكتسبة معتادة نريد أن نبين أن من الاخلاق المكتسبة

ماهي مذمومة وما هي محمودة وان المحمودة منها ماهي بموجب العقل وقضاياه ومنها ماهي بموجب احكام الناموس وأوامره وهكذا حكم المذمومة منها

واعلم ياأخي بأن كل عاقل ذكي القلب اذا نظر بعقله وتفكر برويته فى احوال الناس وميز بين طبقاتهم واعتبر تصاريف أمورهم فى دنياهم عرف وتبين له بان منهم خاصاً وعاماً وملوكا وسوقة ويعلم ويتبين له بان اخلاق الملوك وسجاياهم وآداب اتباعهم ومن يصحبهم وينادمهم خلاف اخلاق العامة والسوقة ويعلم بانه لايترك أحد من العامة والسوقة أن يدخل الى مجالس الملوك الا بعد أدب وعلم وسكون ووقار وهيبة وجلالة فيكون فى هذا دلالة له فيعلم انه لايمكن أحداً من الناس ولا يليق به ولايتفق أن يصعد الى ملكوت السموات وسعة الافلاك والدخول فى زمرة الملائكة الا بعد عناية شديدة فى تهذيب نفسه واصلاح اخلاقه وصحة اعتقاده وحقيقة معلوماته فيجتهد عند ذلك فى اصلاح ماهو فاسد منها ويتجنب ماهو مذموم بحسب ماتوجبه قضية عقله ويؤدي اليه اجتهاده كما هو مذكور فى كتب السياسة الفلسفية .

واعلم ياأخي انه لما لم يكن في مكنة كل عاقل أن يفعل ماوصفنا إذ كان يحتاج فيه الى عناية شديدة وبحث دقيق ونظر قوي خفف الله تعالى ذلك عليهم وبعث واضعي النواميس الالهية مؤيدين مع الوصايا المرضية وأمرهم بامتثال أمرهم ونهيهم فبنوا لهم الهياكل والمساجد والبيع ومواضع الصلوات وبيوت العبادات وأمروهم بالدخول اليها بعد طهارة ونظافة ولبس الزينة بسكينة ووقار وأدب وورع وخشوع وتسبيح واستغفار وترك أشياء كانت مباحة لهم وجائزاً أن يفعلوها في بيوتهم وأسواقهم ومجالسهم وطرقاتهم كل ذلك ليكون دلالة لكل عاقل فهم انه هكذا ينبغي أن تكون سيرة من يريد أن يدخل الجنة ويعرج بروحه الى ملكوت السموات طول عمره وايام حياته كلها لتصير عادة له وجبلة وطبيعة ثابتة فيستحق ويستاهل أن يعرج بروحه الى هناك كما ذكر الله تعالى بقوله « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعنى روح المؤمن فاذا

تفكر كل عاقل فيما يسمع من الخطب على المنابر فى كل الديانات والملل فى الاعياد والجمعات تبين له حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا

واعلم يا أخى أن لواضعي النواميس وصايا كثيرة مفننة لان دعوتهم عموم للخاص والعام جميعاً وهم أعنى اتباعهم مختلفو الاحوال فبينوا لكل طبقة ماينبغي ويصلح لها ولكن الذي عمهم كلهم هي الدعوة الى الاقرار بما جاؤا به والتصديق لهم بما خبروا عنه من الامور الغائبة علم ذلك اتباعهم أو لم يعلموا هذا هو الايمان كما قال تعالى « ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً » فآمنوا بالله ورسوله ثم أمرهم بعد هذا باشياء ونهاهم عن أشياء كثيرة هي معروفة معلومة عند علماء أهل الشريعة وفقهائهم ولكن آخر ماختمها به قوله « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » ويروى في الخبر بأن هذا آخر مانزل من القرآن .

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن أوامر الله تعالى لعباده مماثلة لأوامر الملوك وذلك ان من سنة الملوك والخلفاء وكثير من الرؤساء ومن آدابهم انهم اذا تفرس أحدهم في أحد أولاده أو عبيده النجابة والفلاح عنى به أفضل عناية في تعليمه وتأديبه ورياضته وحماه من اللعب واللهو والانهماك في الشهوات ونهاه عن ترك الآداب وسوء الاخلاق ومالايليق بأخلاق الرؤساء والعقلاء والأخيار كل ذلك ليتخرج ويكون مهذباً متهيئاً لقبول مايراد منه أن يكون خليفة لمولاه ومكان أبيه في الرياسة والملك وهكذا كان تأديب الله تعالى لانبيائه ورسله وأوليائه من المؤمنين فيما أمرهم به من اتباع رضوانه ونهاهم عنه من اتباع هوى أنفسهم كما قال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » وهكذا أيضاً ان كثيراً من أولاد الملوك وعبيدهم إذا أحس من أبيه أو مولاه ماذكرنا أخذ نفسه بامتثال أمره ونهيه وترك شهواته واتباع هواه كل ذلك لما يرجو من الامر الجليل والخطب العظيم فهكذا حكم أولياء الله من المؤمنين الذين يرجون لقاء الله

وأما المتخلفون والمدابير من أولاد الملوك والرؤساء وعبيدهم الاشقياء الذين لايرجون مايوعدون فهم لايقبلون مايؤمرون ولايسمعون مايقال لهم ولايفكرون فيما يقال من الترغيب والترهيب بل يسعون ليلهم ونهارهم في طلب شهواتهم وارتكاب هوى أنفسهم فلاجرم انهم يحرمون ماينال اخوانهم من الرياسة والامر والنهي والسلطان والعز والكرامات فأما هؤلاء المدابير من أولاد الملوك فلايصلحون لشيء غير أن يكونوا رهائن عند أعدائهم أو معتقلين عند اخوتهم فهكذا يا أخي حكم الكافرين والمنافقين والفاسقين في الآخرة يحرمون ماينال المؤمنين من الكرامات والقرب والمراتب والدرجات والسرور واللذات عقوبة لهم لما تركوامن وصية ربهم وارتكبوا هوى أنفسهم وضلوا عن الهدى وحرموا الثواب والجزاء كما قال الله تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » الآية

واذ قد تبين بما ذكرنا أن تأديب الله للمؤمنين مماثل لتأديب الملوك لاولادهم فنقول : اعلم يا أخي ان وعده ووعيده وعذابه للكافرين والمنافقين والفاسقين مماثل لوعيد الطبيب المشفق الحكيم لولده الجاهل العليل كما بينا في رسالة الآلام واللذات وقد ذكر الله وعده للمؤمنين ووعيده للكافرين والمنافقين في القرآن في نحو من ألف آية مثل قوله تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار » الآية . وانما جعل الله جل ثناؤه ثواب المؤمنين الجنان ونعيم الآخرة لان الايمان خصلة تجمع فضائل كثيرة ملكية وشرائط كثيرة عقلية فللمؤمنين علامات يعرفون بها ويتميزون عن الكافرين والمنافقين . وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة الايمان وخصال المؤمنين ولكن نحتاج أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً منها ليكون تذكاراً وموعظة للغافلين كما أمر الله تعالى بقوله : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان خواص عباده المؤمنين العارفين المستبصرين يعاملون الله جل ثناؤه بالصدق واليقين ويحاسبون أنفسهم في ساعات الليل والنهار فيما يعملون كأنهم يشاهدون الله ويرونه فيجدون ثواب أعمالهم ساعة ساعة لا يتأخر عنهم لحظة واحدة وهي البشرى في الحياة الدنيا قبل بلوغهم الى الآخرة ويرون جزاء سيئاتهم أيضا يعقب أفعالهم لا يخفى عليهم الا قليل واليهم أشار بقوله جل ثناؤه : « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وبقوله تعالى « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وقال : « الا عبادك المخلصين » وآيات كثيرة ذكرها بمدحهم وحسن الثناء عليهم وهم أعرف الناس بالله وأحسنهم معاملة معه

وذكروا أن واحداً منهم اجتاز يوماً في بعض سياحته براهب في صومعة له على رأس تل فوقف بازائه فناداه يا راهب فأخرج رأسه اليه من صومعته وقال من هذا ؟ قال: رجل من أبناء جنسك الآدميين ، قال فما تريد قال كيف الطريق الى الله قال الراهب في خلاف الهوى قال له فما خير الزاد قال التقوى قال لم تباعدت عن الناس وتحصنت في هذه الصومعة قال مخافة على قلبي من فتنتهم وحذراً على عقلي الحيرة من سوء عشرتهم فطلبت راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيح أفعالهم وجعلت معاملتي مع ربي فاسترحت منهم

قال فاخبرني كيف وجدتهم قال أسوأ قوم وأشر أصحاب ففارقتهم قال فكيف وجدتم يا معشر أتباع المسيح معاملتكم مع ربكم فاصدقني القول ودع عنك تزويق الكلام وزخارف الالفاظ فسكت الراهب متفكراً ثم قال أسوأ معاملة تكون قال له وكيف ذلك قال لانه أمرنا بكد الابدان وجهد النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات المركوزة في الجبلة ومخالفة الهوى الغالب ومجاهدة العدو المتسلط والرضى بخشونة العيش والصبر على الشدائد

والبلوى ومع هذه كلها جعل الاجر نسيئة في الآخرة بعد الموت مع بعد الطريق وكثرة الشكوك والحيرة فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا فخبرني عنكم يامعشر أتباع أحمد كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم قال خير معاملة تكون واحسنها

قال الراهب صفها لي قال له انه أعطانا سلفا كثيرة ومواهب جزيلة لاتحصى فنون أنواعها من النعم والاحسان والافضال فنحن ليلنا ونهارنا نتقلب في أنواع من نعمه وفنون من آلائه ما بين سالف معتاد وآنف مستفاد وخالف منقاد قال الراهب كيف خصصتم بهذه المعاملة دون غيركم والرب واحد قال أما النعمة والاحسان والافضال فعموم للجميع قد عمتنا كلنا ولكن نحن خصصنا بحسن الاعتقاد وصحة الرأي والاقرار بالحق والايمان والتسليم فوفقنا لمعرفة الحقائق لما اعطينا بالانقياد والايمان والتسليم وصدق المعاملة من محاسبة النفس وملازمة الطريق وتفقد تصاريف الاحوال الطارئة من الغيب ومراعاة القلب بما يرد عليه من الخواطر والوحي والالهام ساعة بساعة

قال الراهب زدني في البيان قال نعم اسمع ما أقوله وافهمه واعقل ما تفهم ان الله جل ثناؤه لما خلق الانسان من طين ولم يكن شيئاً مذكورا وجعل نسله من سلالة ماء مهين ثم جعله نطفة في قرار مكين ثم قلبه حالا بعد حال تسعة أشهر الى أن أخرجه من هناك خلق سوياً ببنية صحيحة وصورة تامة وقامة منتصبة وحواس سالمة ثم زوده من هناك لبناً لذيذاً خالصاً سائغاً لذة للشاربين حولين كاملين ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنون من لطفه وغرائب من حكمته الى أن بلغه أشده واستوى ثم آتاه حكماً وعلما وقلبا ذكيا وسمعا دقيقا وبصراً حاداً وذوقا لذيذاً وشما طيبا ولمسا لينا ولسانا ناطقا وعقلا صحيحاوفهماً جيداً وذهنا صافيا وتمييزاً وفكراً وروية ومشيئة واختياراً وجوارح طائعة ويدين صانعتين ورجلين ساعيتين ثم علمه الفصاحة والبيان والخط بالقلم والصنائع والحرف والزراعة والبيع والتجارة والتصرف في المعاش وطلب وجوه المنافع واتخاذ

البغيان وطلب العز والسلطان والامر والرياسة والتدبير والسياسة وسخر له ما في الارض جميعا من الحيوان والنبات والمعادن فغدا متحكما عليها تحكم الارباب ومتصرفا فيها تصرف الملاك متمتعا بها الى حين ثم أراد الله ان يزيده من احسانه وفضله وجوده وانعامه شيئا آخر أشرف وأجل مما عددنا وذكرنا وهو ما أكرم الله به ملائكته وخالص عباده وأهل جنته من النعيم الذي لا يشوبه نقص ولا تنغيص اذ كان نعيم الدنيا مشوبا بالبؤس ولذاتها بالالام وسرورها بالحزن وراحتها بالنصب وعزتها بالذل وصفوها بالكدر وغناها بالفقر وصحتها بالسقم وأهلها فيها معذبون في صورة المنعمين مغتمون في صورة المغبوطين مغرورون في صورة الواثقين مهانون في صورة المكرمين وجلون غير مطمئنين خائفون غير آمنين مترددون بين الاضداد من نور وظلمة وليل ونهار وشتاء وصيف وحر وبرد ورطب ويابس ونوم ويقظة وجوع وشبع وعطش وري وراحة وتعب وشباب وهرم وقوة وضعف وحياة وموت وما شاكل ذلك من الامور التي أهل الدنيا وأبناؤها مترددون بينها متحيرون فيها مدفوعون اليها فأراد ربك أن يخلصهم من هذه الآلام المشوبة باللذات وينقلهم منها الى نعيم لا بؤس فيه ولذة لا يشوبها ألم وسرور بلا حزن وفرح بلا غم وعز بلا ذل وكرامة بلا هوان وراحة بلا تعب وصفو لا يخالطه كدر وأمن بلا خوف وغناء بلا فقر وصحة بلا سقم وحياة بلا موت وشباب بلا هرم ومودة لازمة ونور لا يشوبه ظلام ويقظة بلا نوم وذكر بلا غفلة وعلم بلا جهالة وصداقة بلا عداوة بين أهلها ولا حسد ولا غيبة اخوانا على سرر متقابلين آمنين مطمئنين أبداً الآبدين ودهر الداهرين ولما لم يمكن أن يكون الانسان هناك بهذا الجسد الفاني والجسم الثقيل المستحيل الطويل العريض العميق المظلم المركب من أجزاء الاركان المتضادة المؤلفة من الاخلاط الاربعة اذ كان لا يليق بمن هذه سبيله من تلك الاوصاف الصافية والاحوال الباقية اقتضت العناية بواجب حكمة الباري جل ثناؤه أن ينشأ نشوءاً آخر كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا

تذكرون » يعني النشأة الاخرى وقال « وننشئكم فيما لا تعلمون » وقال « ثم ينشىء النشأة الآخرة » فبعث بلطفه أنبياءه ورسله يرغبونهم فيها ويدلونهم على طريقها كيما يطلبوها ويكونوا لها مستعدين قبل الورود اليها ولكي يسهل عليهم مفارقة ما ألفوا من الدنيا من شهواتها ولذاتها وتخف عليهم شدائد الدنيا ومصائبها اذ كانوا يرجون بعدها ما يغمرها ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها ويحذرونهم أيضا التواني في طلبها كي لا يفوتهم ما وعدوا به فانه من فاته فقد خسر الدنيا والآخرة جميعا وضل ضلالا بعيداً وخسر خسرانا مبينا.

فهذا رأينا واعتقادنا يا راهب في معاملتنا مع ربنا وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا وسهل علينا الزهد فيها وترك شهواتها واشتدت رغبتنا في الآخرة وزاد حرصنا في طلبها وخف علينا كد العبادة فلا نحس بها بل نرى أن ذلك نعمة وكرامة وعز وشرف اذ جعلنا اهلا ان نذكره واذ هدى قلوبنا وشرح صدورنا ونور أبصارنا لما عرفنا من كثرة انعامه وفنون ألطافه واحسانه ، قال الراهب جزاك الله خيرا من واعظ ما أبلغه ومن ذاكر أنعاماً ما أحسنه ومن هاد رشيد ما أبصره وطبيب رفيق ما أحذقه وأخ ناصح ما أشفقه.

فصل

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن الامور الطبيعية محيطة بنا ومحتوية على نفوسنا كاحاطة الرحم بالجنين وكاحاطة قشرة البيضة بمحها كل ذلك حرص من الطبيعة على تتميمها وتكميلها وصيانتها من الآفات العارضة الى أجل معلوم فاذا جاء وقت الخروج من هناك بعد تتميم البنية وتكميل الصورة فالجنين حينئذ هو الذى يحرك أعضاءه ويركض برجليه ويضرب بيديه حتى يخرق المشيمة وتنقطع تلك الأوتار والرباطات التى كانت تمسكه هناك ويمكنه الخروج من الرحم وكذلك أفعال الفرخ بالبيضة فهذا قياس ودليل لكل نفس

تريد فراق الدنيا والخروج من عالم الاجسام الى عالم الارواح وتنبيه لها على أنه ينبغي لنا أن نتحرك ونجتهد حتى ندفع عن أنفسنا الاخلاق الطبيعية المركوزة في الجبلة المذمومة منها المانعة للنفوس عن النهوض والخروج من عالم الكون والفساد الى عالم الافلاك وسعة السموات ومعدن الأرواح ومقر النفوس

فلما كان هذا كما ذكرناه ولم يكن في منة انسان أن يعقل هذا الامر الجليل ويفهم هذا الخطب الخطير كان من فضل الله واحسانه واكرامه لعباده أن بعث اليهم النبيين والمرسلين مؤيدين ليعلموا الناس هذه الامور ويعرفوهم هذا الخطب وينبهوهم عليه ويدعوهم اليه ويرغبوهم فيه ويحثوهم على طلبه ويكلفوهم الاجتهاد في نيله طوعاً أوكرها وهذه من جسيم نعم الله سبحانه على عباده وعظيم احسانه اليهم الذى عمهم كلهم ولم يخص أحدهم دون الآخر. واذ قد تبين بما ذكرنا بأن بعض نعم الله تعالى واحسانه ماهى عموم لجميع خلقه لا يخص واحداً دون الآخر فنريد أن نذكر مايخص منها ونبين كيف يكون ذلك ومن يستحقها ويستأهلها

فاعلم يا أخي أن من نعم الله واحسانه واكرامه ما يخص به خواص من عبيده بحسب اجتهادهم وسعيهم وحسن معاملتهم ويحرمه قوماً آخرين ، عقوبة لهم ، اذ كان سعيهم واجتهادهم ومعاملتهم بخلاف سعى أولئك واجتهادهم فهذا الباب من عدله وانصافه بين خلقه اذ كان الاحسان اليهم والنعم التى هى من قبله تفضلا عليهم تعمهم كلهم والتى يستحقونها بحسب سعيهم ويستأهلونها باجتهادهم لا يساوي بينهم فيها اذ لم يكونوا متساوين في العمل

واعلم يا أخي بان الله جل ثناؤه لما بعث أنبياءه ورسله الى الامم الجاهلة الغافلة عن هذا الامر الجليل الخطير لم يأمرهم ولا كلفهم شيئا شاقا سوى ما في وسع طاقتهم من القول والعمل والنية والاضمار فاول شيء أمرهم الانبياء وطالبوهم به هو الايمان الذي هو اقرار الانسان لهم بما جاؤا به من الانباء والاخبار عن أمور غائبة

عن حواسهم وترك الجحود والانكار لها كما ذكر بقوله جل ثناؤه « قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً» فآمنوا بالله ورسوله. فمن أعطاه الاقرار باللسان وثبت عليه ولم يرجع كان جزاؤه ومكافأته لاقراره فى الدنيا عاجلا ان يهدى الله قلبه بنور اليقين ويشرح صدره للتصديق بما أخبر به عن الغيب وينجي قلبه من ألم الكرب والتكذيب ويخلص نفسه من عذاب الشك والريبة والحيرة كما وعد جل ثناؤه بقوله « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » يعني من يقر بلسانه يهد قلبه للتصديق واليقين والاخلاص وقال « والذين اهتدوا » يعني اقروا « زادهم هدى » يعني يقيناً واستبصاراً وآتاهم تقواهم يعني أزال عنهم الشك والارتياب

واعلم يا أخي بان المقر بلسانه والمنكر بقلبه يكون شاكا مرتابا متحيراً دهشاً وهذه كلها آلام للقلوب وعذاب للنفوس فاراد الله جل ثناؤه ان يخلص عباده المقرين لانبيائه بما جاءوا به من هذه الآلام والعذاب فامر المقرين باشياء يفعلونها ونهاهم عن أشياء ليتركوها كل ذلك ليبلوهم فمن قبل وصاياه وعمل بها وثبت عليها كان جزاؤه وثواب عمله فى الدنيا عاجلا قبل وصوله الى الآخرة ان هدى قلوبهم بنور اليقين وشرح صدورهم من ضيق الشك والريبة والانكار والحيرة والدهشة والنفاق وخلصهم من عذابها واما من ترك الوصية ولم يعمل بها بل خادع ومكر واضمر خلاف ما أظهر واسر غير ما أعلن وأخلف الوعد وأقام على هذه المساوىء والمخازى كان جزاؤه وعقوبته ان يترك فى ريبة مترددا فى دينه متحيرا شاكا مذبذباً معذبا قلبه متألمة نفسه كما ذكر الله تعالى بقوله « فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماعدوه وبما كانوا يكذبون » وقوله تعالى « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون » وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله انى يؤفكون . فقد تبين بما ذكرنا طرف من كيفية اختصاص الله تعالى المؤمنين بافضاله وانعامه واحسانه الى قوم دون قوم مكافأة لهم بحسب معاملتهم مع ربهم فى عاجل الحياة الدنيا

قبل وصولهم الى الآخرة وكيف يحرم تلك النعم قوما آخرين عقوبة لهم وجزاء لما تركوا من وصاياه ولم يعملوا بها

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله بانه جل ثناؤه قد فرض على المؤمنين المقرين به وبانبيائه أشياء يفعلونها ونهاهم عن أشياء ليتركوها كل ذلك ليبتليهم بها وجعلها عللا وأسبابا ليرقيهم فيها وينقلهم بها حالا بعد حال الى ان يبلغهم الى أتم حالاتهم وأكمل غاياتهم

واعلم يا أخي بان من بلغه الله درجة ورتبة فوقف عندها ولم يرجع القهقرى بعد بلوغها ثم قام بحقها ووفى بشرائطها جعل جزاءه وثوابه ان ينقله من تلك الرتبة والدرجة الى مافوقها ويرفعه من تلك الى ماهو أشرف وأجل منها ومن جهل قدر النعمة فى تلك الرتبة فلم يشكرها ولا اجتهد في طلب مافوقها ولا رغب في الزيادة عليها كان جزاؤه ان يترك مكانه ويوقف حيث انتهى به عمله ويحرم المزيد فيفوته ماوراء ذلك وفوقه من الدرجات والمراتب وكان ذلك الفوت والحرمان هو عقوبته والمثال فى ذلك ماتقدم ذكره فى أمر المؤمنين المقرين المخلصين الصادقين والمنافقين المخادعين المرتابين وقد ذكر الله تعالى علامات المؤمنين المخلصين الموقنين الصادقين وأعمالهم وأخلاقهم فى آيات كثيرة من سور القرآن وذكر أيضاً علامات المنافقين المرتابين المرائين فى آيات كثيرة وخاصة مافى سورة الانفال وسورة التوبة وسورة الاحزاب بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا. ويروى فى الخبر ان عمر بن الخطاب (رض) كان يأمر الناس أيام امارته بقراءة هذه السور ويأمرهم بحفظها ودرسها وان يأخذوا أنفسهم بواجب ماذكر فيها وبراءة ساحتهم مما وصف فيها من صفات المنافقين المرتابين الشاكين المرائين المخادعين فينبغي لك يا أخي ان تجعل هذا الذي ذكرنا دليلا وقياساً لك فى كل ماتعامل به ربك طول عمرك وأيام حياتك ان أردت ان يرقيك

برحمته فى المراتب ويرفعك فى الدرجات حتى يبلغك اقصاها وأشرفها فى الدنيا والآخرة جميعاً كما وعد الله تعالى ذلك بقوله «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»

﴿ فصل في فضل طلب العلم ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الله جل ثناؤه قد فرض على المؤمنين أشياء كثيرة يفعلونها ونهاهم عن أشياء كثيرة يتركونها كما قلنا آنفا ولكن ليس من فريضة من جميع مفروضات الشريعة وأحكام الناموس أوجب ولا أفضل ولا أجل ولا أشرف ولا أنفع لعبد ولا أقرب له الى ربه بعد الاقرار به والتصديق لانبيائه ورسله فيما جاؤا به وخبروا عنه ، من العلم وطلبه وتعليمه . وبيان ذكر شرف العلم على ماذكرناه من فضيلته وجلالته وفضل طلبه وتعلمه ماروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تعلموا العلم فان فى تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمونه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس فى الوحدة والوحشة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والمقرب عند الغرباء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة يهتدى بهم وأئمة فى الخير تقتفى آثارهم ويوثق باعمالهم وينتهى الى آرائهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفى صلاتها تستغفرلهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الاحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يعلم الخير وبه يتورع وبه يؤجر وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام واعلم ان العلم امام العمل والعمل تابعه ويلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منـه بان طالب العلم يحتاج الى سبع خصال ، أولها السؤال والصمت ، ثم الاستماع ، ثم التفكر ، ثم العمل به ، ثم طلب الصدق من نفسه ، ثم كثرة الذكر انه من نعم الله ، ثم ترك الاعجاب بما يحسنه . والعلم يكسب صاحبه عشر خصال محمودة ، أولها الشرف وان كان دنيا ، والعز وان كان مهيناً ، والغناء وان كان فقيرا ، والقوة وان كان ضعيفاً ، والنبل وان كان حقيراً ، والقرب وان كان بعيـداً ، والقدر وان كان ناقصاً ، والجود وان كان بخيلا ، والحياء وان كان صلفا ، والمهابة وان كان وضيعاً ، والسلامة وان كان سقيما ، وقال الله جل ذكره « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب » وقال سبحانه « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال « ومن يؤت الحـكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وآيات كثيرة في القرآن فى مدح العلمـاء وفضائلهم وحسن الثناء عليهم فى مثل ذلك

واعلم يا أخي بان للعلمـاء مع كثرة فضائل العلم آفات وعيوباً وأخلاقا ردية تحتاج ان تتجنبها وتتحذرها فنها الـكبر والعجب والافتخار وقد روى عن رسول الله انه قال من ازداد علما ولم يزدد له تواضعاً وللجهال رحمـة وللعلماء مودة لم يزدد من الله الا بعدا ، ومنها كثرة الخـلاف والمنازعة فيه و طلب الرياسة به والتعصب والعداوة والبغضاء فيما بينهم وقال لقمان الحـكيم لابنه يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور العـلم كما تحيي الارض الميتة بوابل المطر واياك ومنازعة العلماء فان الحـكمة نزلت من السماء صافية فلما تعلمها الرجال صرفوها الى أهواء أنفسهم . ومن آفات العلماء الخوض فى المشكلات والترخيص فى الشبهات وترك العمل بموجبات العلم . ومن آفات العلماء أيضا كثرة الرغبة فى الدنيا وشدة الحرص فى طلبها ، وقد قيل فى المثل ان حب الدنيا رأس كل خطيئة والحرص فى طلبها مرض للنفوس وسقام لها وعلماء أحكام الناموس

هم أطباء النفوس ومداووها فمثل العالم الراغب فى الدنيا الحريص على طلب شهواتها كمثل الطبيب المداوى غيره وهو مريض لا يرجى صلاحه فكيف يشفى المريض بعلاجه . وقد قيل ان عالما زاهدا فى الدنيا يكون عالما بدين الله وبصيرا بطريق الآخرة خير من الف عالم راغب فيها وقال المسيح عليه السلام أيها العلماء والفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون اليها فتدخلون الجنة ولا تتركون أحدا يجوزكم فيصل اليها وان الجاهل أعذر من العالم وليس لواحد منهما عذر

واعلم يا أخي بأن كل علم وأدب لا يؤدى صاحبه الى طلب الآخرة ولا يعينه على الوصول اليها فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة وذلك ان الملوك والجبابرة والفراعنة والقرون الماضية كانت لهم عقول رضية وآداب بارعة وسياسة وحكمة وصنائع عجيبة وهكذا من كان يعاشرهم وينادمهم ويقرب اليهم من وزرائهم وكتابهم وعمالهم وقوادهم وعلمائهم وأدبائهم ولكن هلكوا من أجل انهم صرفوا تلك القوى والعقول والافهام وأكثر أفكارهم وتمييزهم ورويتهم فى طلب شهوات الدنيا والتمتع بلذاتها ونعيمها بالرغبة الشديدة والحرص والتمنى للخلود فيها وجعلوا أكثر كدهم وسعيهم فى صلاح أمور الدنيا حتى عمروها وأهملوا الآخرة وذكر المعاد ولم يستعدوا له وذكروا الدنيا وغفلوا عن الآخرة ولم يتزودوا من الدنيا وتركوها لغيرهم ورحلوا عنها كارهين فصارت تلك النعم وبالا عليهم اذ لم ينالوا بها الآخرة فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

وانما أكثر الله سبحانه فى القرآن ذم هؤلاء وسوء الثناء عليهم لكيما يعتبر بهم المعتبرون ممن يجيء بعدهم ويتعظون بحالهم ولا يغترون بالدنيا كاغترارهم كما قال الله جل ذكره « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » وقال « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » الى آخر الآية . وقال تعالى ذكره « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة » الاية وقال « انما

مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً » المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » وآيات كثيرة في القرآن في ذم الراغبين في الدنيا والتحذير منها ومن غرورها وأمانيها كل ذلك نصح من الله سبحانه لعباده المؤمنين ولطف بهم ونظر ورحمة لئلا تفوتهم الآخرة كما فاتت اولئك ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الاخلاق المكتسبة ماهي محمودة منسوبة الى الملائكة كما سنبينها بعد ومنها ما هي مذمومة منسوبة الى الشيطان وهي كثيرة نحتاج أن نبينها ونشرحها ليظهر الفرق بينهما ويعرفها اخواننا الكرام فيجتنبوا أخلاق الشياطين ويتركوها ويتخلقوا بأخلاق الملائكة الكرام ويؤثروها ويجتهدوا في اكتسابها اذ كانت أخلاق النفوس هي أحد الاربعة الاشياء التي لا تفارق النفس بعد مفارقتها الاجساد وعليها أيضا تجازى النفوس ان خيرا فخيرا وان شراً فشراً وهذه الاربعة الاشياء التي ذكرنا ان النفس تجازى عليها بعد الفراق أولها الاخلاق المكتسبة المعتادة والثاني العلوم التعليمية والثالث الآراء المعتقدة والرابع الاعمال المكتسبة بالاختيار والارادة فمن اخلاق الشياطين أولها كبر ابليس وحرص آدم وحسد قابيل

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال الثلاث هي أمهات المعاصي وأصول الشرور ولها أخوات مشاكلات لها وفروع وأغصان متفننات منها نحتاج أن نذكر طرفا منها ليعلم صحة ما قلنا ويعرف حقيقة ما وصفنا

فمن أخوات الكبر وأشكاله عجب المرء برأي نفسه والانفة عن قبول الحق

وترك الاقرار به والانقياد لأمر الآمر والناهي الواجب الطاعة والتعدى والخروج عن الحد الواجب والحق اللازم والظلم والجور عند القدرة فى الحكومات وترك الانصاف في المعاملة والتهاون في الواجبات والاعراض عن اللوازم من الحقوق والقحة والصلابة في الوجه في دفع الحق والعيان والضرورات والفحش والسفاهة في الخطاب والجدال واللجاج في الخصومات والخرق والنزق في العشرة والحدة والطيش في التصرف والغش والمكر في المعاملة والاستصغار والاحتقار لابناء الجنس والاستطالة عليهم والافتخار في الامور بما خص من المواهب والانكار لفضل من فضل عليه والبغي والعدوان وماشاكلها من الخصال المذمومة والاخلاق الرديئة والافعال السيئة والاعمال القبيحة

ومن أخوات الحرص وأشكاله الطمع الكاذب وشدة الرغبة والطلب الحثيث والعجلة في السعى وتعب البدن وعناء النفس وكد الروح في الجمع والادخار والاستكثار والاحتكار من خوف الفقر والبخل والمنع والشح واللؤم والنكد وما يتبعها من الشؤم والخذلان وقلة الانتفاع بالموجود والحرمان من المدخور والمضايقة في المعاملة والمناقشة في المحاسبة وسوء الظن بالامين والتهمة للثقات والمؤتمنين والخيانة فى الامانة وطلب الحرام وهتك الحرم وارتكاب الفحشاء واضمار القلب على الاضرار واظهار الكذب لكتمان السر والحيل فى أسباب الطلب من البيع والشراء والغش في الامتعة وقلة النصيحة فى الصنائع والحلف واليمين الكاذبة عند الاعتذار في الحكومات وأقاويل الزور في أسباب الخصومات والعداوة والتعدى في الحدود وما شاكلها من الخصال المذمومة والاخلاق الرديئة والاقاويل الباطلة والافعال القبيحة والاعمال السيئة

ومن أخوات الحسد وأشكاله الحقد والغل والدغل ثم تدعو هذه الخصال الى المكاشفة بالعداوة والبغضاء والبغي والغضب والحرد والتعدي والعدوان وقساوة القلب وقلة الرحمة والفظاظة والغلظة والطعن واللعن والفحشاء وتكون سبباً للخصومة والشر والحرب والقتال ان أمكن ذلك جهاراً واعلانا والا يدعو الى

المكر والحيلة والخداع والغدر والخيانة والسعاية والغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب والمداهنة والنفاق والرياء ويصير ذلك سبباً لتشتيت الشمل وتفريق الجميع وقطيعة الرحم والبعد من الاخوان ومفارقة الالف وخراب الديار ووحشة الوحدة والحزن والغم وألم القلب وهموم النفس وعذاب الارواح وتنغيص العيش وسوء المنقلب وخسران الدنيا والآخرة نعوذ بالله من هذه الخصال والشرور والاخلاق والافعال القبيحة والاعمال السيئة الدنية التى تنكرها العقول السليمة والنفوس المهذبة والارواح الطاهرة

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن المتكبر عن قبول الحق عدو للطاعة وقد قيل ان الطاعة هي اسم الله الاعظم الذي به قامت السموات والارض بالعدل وضد الكبر التواضع للحق والقبول له ويقال في المثل السائر من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقيل في بعض كتب بنى اسرائيل قال الله سبحانه وتعالى الكبر ردائي والعظمة ازاري فمن نازعنى فيهما كببته فى نار جهنم على منخريه. قال الله عز وجل فى القرآن «اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين» وقيل ان الحرص الشديد ربما كان سبب الحرمان والحاسد عدو لنعم الله وليس للحاسد الا ماحسد وقال الله جل ذكره « أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله» فاحذر ياأخي من هذه الخصال والاخلاق والاعمال فانها من اخلاق الشياطين وجنود ابليس اجمعين الذين يبغض بعضهم بعضاً ويعادي بعضهم بعضاً كما ذكر الله تعالى بقوله : « كلما دخلت أمة لعنت أختها» وقال تعالى «الامر حباً بهم إنهم صالو النار» وآيات كثيرة فى القرآن في ذم هؤلاء وسوء الثناء عليهم.

فقد تبين بما ذكرنا ان الكبر والحرص والحسد أصول وأمهات لسائر الخصال المذمومة والاخلاق الرديئة المنتشئة منها الشرور والمعاصى كلها فاحذر ياأخى منها فان قيل ما الحكمة والفائدة في كون هذه الخصال الثلاث موجودة في الخليقة مركوزة فى الجبلة، فنقول أما التكبر فهو من كبر النفس وكبر النفس هو من علو

همتها وعلو الهمة جعل في جبلة النفس لطلب الرياسة وطلب الرياسة من أجل السياسة وذلك ان الناس محتاجون في تصاريف أمورهم الى رئيس يسوسهم على شرائط معلومة كما ذكر ذلك فى كتب السياسات بشرح طويل ، وقد ذكرنا طرفا منها في رسالة سياسة النبوة والملك ، فاذا لم يكن الرئيس عالي الهمة كبير النفس لم يصلح للرياسة وكبر النفس يليق بالرؤساء ويصلح للملوك وسياسة الجماعات فاما الرعية والاعوان والاتباع والخدم والعبيد فلا يصلح لهم كبر النفس ولا يليق بهم

وأقول بالجملة ان كبر النفس في كل وقت وفي كل شيء ليس بامر محمود ولكن اذا استعمل كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي بمقدار ما ينبغي من أجل ما ينبغي سمي ذلك محمودا فيكون عامل ذلك طلق النفس ذا مروءة عالي الهمة عفيفاً كريما جميلا دينا ويكون صاحبه محمودا معظماً مبجلا مهيباً واما التكبر عن قبول الحق وترك الاقرار بالواجب والفسق عن أمر الرئيس وترك الانقياد والاذعان للطاعة المفروضة فهو المذموم وهو وهو الشر والمعصية والمنكر

وأقول بالجملة ينبغي لك يا أخي ان تعلم وتتيقن بانك كما تريد وتحب وتشتهى من عبدك ان ينقاد لامرك وكذلك خادمك وأجيرك وتابعك وزوجك وولدك ولا يتكبرون عليك ولا يخرجون عن أمرك ولا يجاوزون نهيك فهكذا ينبغي ويجب ان تكون لرئيسك ومن هو فوقك فى الامر والنهى حتى تكون عادلا منصفاً محقاً ممدوحاً مثابا مجازا ملتذا فرحاً مسرورا منعما مكرما . فقد تبين بما ذكرنا ما الحكمة والفائدة فى وجود التكبر فى طباع النفس المركوزة فى جبلتها ومتى يكون صاحبه مذموما معاقباً ومتى يكون محموداً مثابا واما كون الحرص فى طلب المرغوب فيه الموجود فى الخليقة المركوز فى الجبلة فهو من أجل ان الانسان لما خلق محتاجاً الى مواد لبقاء هيكله ودوام شخصه مدة ما وابقاء صورته فى نسله زمانا ما جعل فى طبعه وجبلته الرغبة فيها والحرص فى طلبها والجمع لها والادخار والحفظ لوقت الحاجة اليها اذ كان ليس فى كل وقت وفى كل مكان

موجوداً مايريده ويحتاج اليه فاذا رغب الانسان فيما يحتاج اليه وطلب ماينبغي له وجمع مقدار الحاجة وحفظه الى وقت الحاجة ثم استعمل ماينبغي كما ينبغي وانفق بقدر الحاجة فهو يكون محمودا عادلا منصفا محقا مصيباماً جورا ملتذا مثابا منعما فرحا مسروراً مكرما

فقد بينا ما الحكمة والفائدة في كون الرغبة والحرص في الجبلة المركوزة فاذا طلب مالايحتاج اليه كان مذموماً أو جمع أكثر مما يحتاج اليه كان متعوبا أو جمع ولم ينفق ولم يستعمل في وقت الحاجة اليه كان مقتراً محروما فان انفق واستعمل فيما لاينبغي كان مسرفا مخطئاً جائرا معاقباً معذباً . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال من طلب الدنيا تعففا عن المسألة وتوسعاً على عياله وتعطفاً على جاره لقى الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا مكاثرا مفاخرا مرائياً جعل الله فقره بين عينيه ولم يبال الله به باي واد هلك

فاما كون الحسد المركوز في الجبلة الموجود في الخليقة فهو من أجل التنافس في الرغائب من نعم الله وذلك أن نعم الباري تعالى على خلقه كثيرة لايحصى عددها الاهو ولم يمكن أن يجمع عددها كلها على شخص واحد ففرقت في الاشخاص بالقسط كما شاء ربهم عزوجل وضعها وفضل بعضهم على بعض كما اقتضت حكمته فلم يخل أحد من الخلق من نعم الله وآلائه ولا استوفاها أحد من خلقه فمن رأى على أحد من الخلق نعمة ليست عليه بعينها فلينظر هل عليه نعمة ليست بعينها على ذلك الشخص فيقابل هذه بتلك ويشكر الله ويسأله أن يديمها عليه . ومن رأى على أخيه نعمة ليس عليه مثلها فليسأل الله تعالى من فضله ولا يتمنى زوال تلك عن أخيه فان ذلك هو الحسد بعينه وهو المذموم الذي يكون الحاسد به معذبة نفسه مؤلماً قلبه عدوا لنعم الله على خلقه

﴿ فصل ﴾

في الحرص والزهد ودرجات الناس

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بانك ان انعمت النظر بعقلك وجودت الفكر برويتك وتأملت أمور الدنيا واعتبرت تصاريف أحوال الناس تبينت وعرفت أن اكثر الشرور التي تجري بين الناس انما سببها شدة الرغبة في الدنيا والحرص على طلب شهواتها ولذاتها ورياستها وتمني الخلود فيها واذا تأملت واعتبرت وجدت ان كل خير واصل كل فضيلة الزهد في الدنيا وقلة الرغبة في شهواتها ونعيمها ولذاتها والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر المعاد في آناء الليل وأطراف النهار والاستعداد للرحلة اليها .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن الخلق كلهم عبيد الله وأهل طاعته طوعا أو كرها ولكن منهم خاص وعام وما بينهما طبقات متفاوتة الدرجات فأول الخواص هم العقلاء الذين توجه نحوهم الخطاب بالامر والنهي والوعد والوعيد والمدح والذم والترغيب والترهيب ثم ان الله تعالى بواجب حكمته رفع قدر المؤمنين على سائر العقلاء وهم المقرون والقابلون أوامره ونواهيه المنقادون لطاعته فيما رسم لهم في احكام النواميس وموجبات العقول التاركون لما نهوا عنه سرا وعلانية ثم ان الله سبحانه رفع من المؤمنين المقرين المخلصين واصطفى منهم طائفة وفضلهم على غيرهم وهم العلماء والفقهاء الذين اجتهدوا في تعلم أوامر الناموس ونواهيه واحكامه وحدوده وشرائطه بواجبها كما ذكر الله تعالى بقوله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

ثم ان الله جل اسمه رفع من جملة العلماء طائفة وهم التائبون العابدون والصالحون الورعون المتقون المحسنون بما استحقوا باجتهادهم من القيام بواجبات أحكام الناموس درجات كما ذكر الله عز وجل بقوله « امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » الآية وقال تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب » وقال تعالى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » الآية وآيات كثيرة في القرآن في ذكر هؤلاء ومدحهم وحسن الثناء عليهم

ثم ان الله جل ثناؤه رفع من هؤلاء طائفة في الدرجات وهم الزاهدون في الدنيا العارفون عيوبها الراغبون في الآخرة المتحققون بها الراسخون في علمها وهم أولياء الله المخلصون وعباده المؤمنون وصفوته من خلقه اجمعين الذين سماهم الباري تعالى أولى الالباب وأولى الابصار وأولى النهى وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار التى هي الحيوان واليهم أشار بقوله سبحانه « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » وقوله « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وآيات كثيرة في القرآن في ذكرهم ومدحهم وحسن الثناء عليهم.

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان للمؤمنين فضائل كثيرة من محاسن الاخلاق ومكارم الافعال وفضائل الاعمال وجميل الفعال لا يمكن ان تجمع كلها في شخص واحد بل في عدة أشخاص فقل ومكثر ولكن ليس بعد العلم والايمان خصلة للمؤمنين ولا خلق من أخلاق الكرام أشرف ولا أجل ولا أفضل من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وذلك ان الزهد في الدنيا انما هو ترك فضول متاع الحياة الدنيا وترك طلب شهواتها والرضا بالقليل والقناعة باليسير من الذي لا بد منه وهذه خصلة تتبعها خصال كثيرة من محاسن الاخلاق وفضائل الاعمال وجميل الافعال ، وضد الزهد هو الرغبة في الدنيا والحرص في طلب شهواتها وهى خصلة تتبعها أخلاق ردية وأفعال قبيحة وأعمال سيئة كما تقدم ذكره وذلك ان من خصال الزهاد وشعارهم قلة الاكل وترك الشهوات ، وفي قلة الاكل وترك الشهوات خصال محمودة كثيرة ومناقب حسنة جميلة فمنها ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أجيعوا أنفسكم تفرح بكم سكان السماء ومنها ان الانسان يكون أصح جسما وأجود حفظاً وأزكى فهما وأجلى قلبا وأقل نوما وأصدق رؤيا وأخف نفساً وأحد بصراً والطف فكرا وأصغى سمعاً وأصح حساً وأثبت رأيا وأقبل للعلم

وأسرع حركة وأسلم طبيعة وأقل مؤنة واوسع مواساة وأكرم خلقا وأثبت صحبة وأحلى في القلوب . وقلة الاكل اذا ساعدته القناعة كان مزرعة الفكر وينبوع الحكمة وحياة الفطنة ومصباح القلب وطبيب البدن وقاتل الشهوات وهادم الوسواس ومنزل الالهام وعصمة من شر النفس واماناً من شدة الحساب والشكر له تابع وكفر النعمة عنه زائل

﴿ فصل ﴾

في آفات الشبع وكثرة الاكل وخصال الزهاد

يروى عن عائشة (رض) انها قالت : أول بلاء حدث في هذه الامة بعد ذهاب نبيها صلى الله عليه وسلم الشبع وكثرته وذلك ان القوم اذا شبعت بطونهم سمنت أبدانهم وقست قلوبهم وجمحت نفوسهم واشتدت شهواتهم، ومن آفات الشبع وكثرة الاكل عفونة القلب ومرض الاجساد وذهاب البهاء ونسيان الرب وعمى القلوب وهزال الروح وسلاح الشياطين وجراحة الدين وذهاب اليقين ونسيان العلم ونقصان العقل وعداوة الحكمة وذهاب السخاء وزيادة البخل ومزرعة ابليس وترك الادب وركوب المعاصي واحتقار الفقراء وثقل النفس وإدرار الشهوات وزيادة الجهل وكثرة فضول القول ويزيد في حب الدنيا وينقص الخوف ويكثر الضحك ويحبب العيش وينسي ذكر الموت ويهدم العبادة ويقل الاخلاص ويذهب بالحياء ويهيج عادة السوء ويطيل النوم ويكثر الغفلة ويسبب تفريق الاصحاب ويحرج الاعمال ويكدر الصفو ويذهب الحلاوة من القلوب ويحبب الشيطان ويبغض الرحمن ويكثر الغم يوم الحساب ويقرب من النيران ويبعد من الجنان لانه سبب المعاصي ويحرك الكبر ويثبت الحسد ويقل الشكر ويذهب الصبر فهذه خمسون خصلة تهيج من الشبع وكثرة الاكل

ويقال ان المعدة قدر الطعام ونارها حرارة الكبد فاذا لم ينطبخ كان سبب الامراض المختلفة فحسب ابن آدم أكلات تعمر بطنه فان غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس

ومن خصال الزهاد وشعارهم العفة والتصون فهذه خصلة يتبعها أخلاق جميلة وخصال محمودة وفضائل كثيرة فنها الكف والورع والحفظ والوقار والتقى والامانة والمروءة والكرم واللين والسكون والمراقبة والتوقى والصحة والسلامة وحسن الثناء عليهم والتزكية لهم والغبطة والسرور ومحبة القلوب وبراءة الساحة وسكون الناس اليهم والثقة بهم والاجلال لهم والاكرام، ومن خصال الزهاد أيضاً وشعارهم السخاء والكرم والجود والبذل والمواساة والاحسان والايثار والافضال والرأفة والرحمة والتودد والبر والمعروف والصدقة والهدية ومن خصالهم أيضا وشعارهم الحلم والاناة والتثبت والرزانة والتؤدة والرفق والمداراة والسكينة والوقار والحياء والصفح والعفو والتغافل والشفقة والرحمة والعدل والنصفة والمحبة والقبول والاجابة والتواضع والاحتمال ومن خصالهم أيضاً الرضى والقناعة والتجمل والكفاف واليأس من الطمع والراحة من العناء والتسليم للقضاء والصبر فى الشدائد والبلوى وحسن العزاء

ومن خصالهم وشعارهم التوكل على الله والثقة به والطمأنينة اليه والاخلاص له فى العمل والدعاء والصدق بالقول والتصديق فى الضمير والنصح للاخوان والوفاء بالعهد والحزم والعزم في عمل الخير والاحسان والبر والمعروف والمسارعة فى الخيرات رغبا ورهبا وهم من خشية ربهم مشفقون فهؤلاء هم أولياء الله وخالص عباده من المؤمنين الذين يحبون الله ويحبهم كما ذكر بقوله «والذين آمنوا أشد حبا لله» وهم الذين يتمنون لقاءه لما يرجون من التحية قال الله تعالى «تحيتهم يوم يلقونه سلام» فهل لك يا أخى أيدك الله وايانا بروح منه بان ترغب فى صحبتهم وتقصد مناهجهم وتقفو أثرهم وتتخلق بأخلاقهم وتسير بسيرتهم لعلك تفوز بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

واعلم يا أخي بأن الطريق الى هذه الخصال التى وصفناها هو أن تبتديء أولا بسنة الناموس فتعمل بوصايا صاحبه كما هي في كتب النواميس الالهية

يعرفها أكثر علماء أهل الشريعة قد استغنينا عن ذكرها ، والذي نوصيك به نحن أن تنزع عن نفسك القشور التى تعلقت عليها من صحبة الجسد وتخلع اللباس الذي أحاط بها من الامور الطبيعية والصفات الجسمانية وتجلو عنها الصدأ الذي تركب عليها من اخلاط البدن وسوء الاخلاق وتراكم الجهالات وفساد الاراء وتنحي عنها هذه الاشياء ليصفو لك الب والمخ وهو جوهر نفسك النيرة الشفافة الروحانية النورانية التى هي كلمة من كلمات الله وروح منه نفخها فى الجسد وأحياه بها وهي التى مدحها الله تعالى بقوله «ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » الآية ، وقال «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعنى به روح المؤمن اذا فارقت الجسد صعد بها الى سعة السماوات وفسحة الافلاك فيكون سائحا هناك حيث شاء ذهب وجاء ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح بالنهار في الجنة على رؤوس أشجارها وأنهارها وثمارها وتأوى بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش » ، فهذه حال أرواح المؤمنين الصالحين بعد الموت ، وأما حال أرواح الكافرين والفاسقين والفاجرين والمنافقين فلا يصعد بها الى هناك بل تحجب دون السماء وتهيم في هاوية البرزخ الى يوم يبعثون واليهم أشار بقوله تعالى « لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة » الى قوله « وكذلك نجزى الظالمين » لانه لايليق بها ذلك المكان الشريف والمحل الاعلى كما لايليق بالاوساخ من الناس والاقذار منهم مجالس الملوك والسادة والكرام

فان أردت ياأخي أن تعرج بروحك الى هناك بعد فراق الجسد فاجتهد قبل ذلك واغسلها من درن الاخلاق الرديئة ووسخ الآراء الفاسدة واخرجها من ظلمات الجهالات المتراكمة وجنبها الاعمال السيئة والبسها لباس التقوى وزمها عن الانهماك في الشهوات الجرمانية والغرور باللذات الجسمانية . فاما الآراء الفاسدة فقد بيناها فى رسالة لنا وأما كيفية الخروج من الجهالات المتراكمة فقد بيناها فى احدى وخمسين رسالة عملناها فى فنون العلوم وغرائب الحكم وطرائف

الآداب وأما تهذيب الاخلاق فقد وصفنا بعضها فى هذه الرسالة وبعضها فى رسالةعشرة إخوان الصفاءوالاصدقاء الكرام فاقرأهما واعمل بما ذكرنا فيهما وعلمهما إخوانك وأصدقاءك فانك بذلك تفوز وتنال الزلفى عند ربك أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

فصل

فى بيان علامات أولياء الله عز وجل وعباده الصالحين

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان لاولياء الله صفات وعلامات كثيرة يعرفون بها ويمتازون عمن سواهم وهكذا ايضا لاعداء الله علامات وصفات يعرفون بها ويمتازون عن غيرهم نحتاج أن نذكر طرفا منها ليعلم كل عاقل فهم مميز مستبصر اذا أراد أن يعرف من أي الفريقين هو لم يخف عليه ذلك

واعلم ياأخى بان العاقل الفهم المستبصر هو الذي يعرف الفرق بين الاشياء المتشابهة ويميز بين الامور المتجانسة ويفضل بعضها على بعض بعلامات وصفات مختصة بواحدواحد منها فنقول الآن ان من احدى علامات أولياء الله الصالحين المختصين به ماذكره الله تعالى بقوله لابليس اللعين «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان» وحكى أيضا قول ابليس مجاوبا له «فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين» وآيات كثيرة فى القرآن فى ذكر أولياء الله وصفاتهم وعلاماتهم وهي مثل قوله تعالى «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون » الى آخر الآية ، وآيات كثيرة في القرآن فى ذكر أولياء الله تعالى ومدحهم وصفاتهم وعلاماتهم وحسن الثناء عليهم

ومن علاماتهم وصفاتهم ايضا حفظ الجوارح من كل مالايحل فى الشريعة ولا يجوز فى السنة ولا يحسن فى المروءة، ومن علاماتهم وصفاتهم حفظ اللسان عن الكذب والغيبة والبهتان والزور والنميمة والفحش والسفاهة والطعن واللغو

والوقيعة فى أحد من الخليقة عدواً كان أو صديقا مخالفا كان أو مؤالفا ، ومن علاماتهم ايضا وصفاتهم وهي العمدة والاصل في جميع الخيرات والخصال المحمودة سلامة الصدر من الغل والغش والدغل والحسد والبغض والكبر والحرص والطمع والمكر والنفاق والرياء وما أشبهها من الخصال المذمومة ومما هي مملوءة منها قلوب ابناء الدنيا الراغبين فيها المكبين عليها الطالبين لها ، ومن علاماتهم ايضا وصفاتهم المختصة بهم الرحمة والتحنن ورقة القلب على كل ذي روح يحس بالآلام ، ومن خصالهم أيضاً النصيحه والشفقة والرفق والمداراة والتلطف والتودد لكل من يصحبهم ويعاشرهم، ومن احدى علامات أولياء الله وعباده المخلصين ومن أخص صفاتهم التى يمتازون بها عن غيرهم هي معرفتهم بحقيقة الملائكة وكيفية الهامها وقد ذكرنا طرفاً من هذا العلم في رسالة الايمان وماهيته وخصال المؤمنين، ومن دقيق معرفتهم ولطيف علومهم معرفة حقيقة الشياطين وجنود ابليس اللعين وكيفية وسواسهم وهمهم ومسهم كما ذكر الله سبحانه بقوله « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغي ثم لا يقصرون »

ومن علاماتهم وصفاتهم ودقيق علومهم ولطيف أسرارهم معرفة البعث والقيامة والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجواز وذلك أن أكثر علماء أهل الشرائع النبوية وفقهائها المتعبدين فيها متحيرون فى معنى الابليسية وحقيقة ابليس المخاطب لرب العالمين بقوله : « انظرني الى يوم يبعثون » وأكثر العلماء شاكون في وجود هذا القائل « لاغوينهم أجمعين » وأكثر المتفلسفة منكرون قصته مع آدم وعداوته له وخطابه لرب العالمين ومواجهته له بخشونة الخطاب بما ذكر الله سبحانه في القرآن في نحو من خمسين آية مثل قوله «ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين» وآيات كثيرة في أمثال هذه الحكايات موجودة في التوراة والانجيل

وصحف الانبياء عليهم السلام كثيرة وقد بينا نحن معانيهـا في رسـالة البعث والقيامة ولكن نريد أن نذكر في هذا الفصل منها طرفاً في كيفية عداوة أولياء الله تعالى مع أبليس وكيفية محاربتهم مع الشياطين ومخالفتهم ومجاهدتهم معهم طول أعمارهم ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وانه لا يخفى عليهم مكائدهم ولا يذهب عنهم غرورهم وأمانيهم

فصل

﴿ فيما حكاه ولي من أولياء الله عن كيفية معرفة مكائد الشياطين ﴾
(ومحاربته معهم ومخالفته جنود ابليس اجمعين)

قال العالم المستبصر لاخ له من أبناء جنسه فيما جرى بينهما من المذاكرة في أمر الشياطين وعداوتهم : كيف عرفت الشياطين ووساوسهم ؟ قال اني لما نشأت وتربيت وشدوت من الآداب طرفاً وأخذت من العلم نصيباً وعقلت من امر المعاش قسطاً وعرفت أمر المنافع والمضار تبينت ما يجب علي من أحكام الناموس من الأوامر والنواهي والسنن والفرائض والاحكام والحدود والوعد والوعيد والذم والمدح على الاعمال والافعال وعلى تركها ثم قمت بواجبها جهدي وطاقتي بحسب ما وفقت له وقضى علي ويسرلي ثم تفكرت في قول الله تعالى «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا» وقوله «ان الشيطان كان للانسان عدواً مبينا» وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى وتفكرت في قول النبي صلى الله عليه وآله : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يعنى مجاهدة النفس وتصديقه قول الله تعالى «ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه» وفكرت في قوله عليه السلام (لكل انسان شيطانان يغويانه) ، وقوله (ان شيطاني أعانني الله عليه فأسلم)، وقوله (ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) وتصديق ذلك قول الله تعالى «من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس» الى آخر السورة ، وقوله تعالى «انه يرا كم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» وآيات كثيرة في

القرآن فى مثل هذا المعنى واحاديث مروية أيضاً فى هذا المعنى كثيرة

فلما سمعت ما ذكر الله تعالى وتفكرت فيما روى عن النبي ﷺ فى هذا المعنى نظرت عند ذلك بعقلي وفكرت بقلبى وتأملت برويتى فلم أر أحدا فى ظاهر الأمر يضادنى فى هذا المعنى ولا يخالفنى ولا يعادينى من أبناء جنسي وذلك لانى وجدت الخطاب متوجها عليهم كلهم مثل ماهو متوجه علي ووجدت حكمهم في ذلك حكمي سواء لا فرق بينى وبينهم فى هذا الامر فعلمت ان هذا هو أمر عموم يشمل جميع بنى آدم ويعمهم ثم تأملت وبحثت ودققت النظر فوجدت حقيقة معنى الشياطين وكثرة جنود ابليس اللعين اجمعين ومخالفتهم بنى آدم وعداوتهم لهم ووساوسهم اياهم هي أمور باطنة وأسرار خفية مركوزة في الجبلة مطبوعة في الخليقة وهي الاخلاق الرديئة والطباع المذمومة المنتشئة منذ الصبى مع الانسان بالجهالات المتراكمة واعتقادات آراء فاسدة من غير معرفة ولا بصيرة وما يتبعها من الاعمال السيئة والافعال القبيحة المكتسبة بالعادات الجارية الخارجة من الاعتدال بالزيادة والنقصان المنسوبة الى النفس الشهوانية والنفس الغضبية، ثم تأملت ونظرت فوجدت الخطاب فى الامر والنهى والوعد والوعيد والمدح والذم متوجها كله الى النفس الناطقة العاقلة المميزة المستبصرة ووجدتها هى بما توصف من الاخلاق الجميلة والمعارف الحقيقية والآراء الصحيحة والاعمال الزكية ملكا من الملائكة بالاضافة الى النفس الشهوانية والغضبية جميعاً ووجدت هاتين النفسين أعنى الشهوانية والغضبية بما توصفان به من الجهالات المتراكمة والاخلاق المذمومة والطباع المركوزة والافعال القبيحة التى لهما بلافكر ولاروية كأنهما شيطانان بالاضافة الى النفس الناطقة

ثم تأملت وبحثت ودققت النظر فوجدت جميع الاعمال الزكية والافعال الحسنة التى هي منسوبة الى النفس الناطقة انما هي لها بحسب آرائها الصحيحة واعتقاداتها الجميلة ثم وجدت تلك الآراء والاعتقادات انما هي لها بحسب أخلاقها المحمودة المكتسبة بالاجتهاد والروية والعادات الجارية العادلة اوما كانت مركوزة في الجبلة فتبينت عند ذلك وعرفت بهذا الاعتبار أن أصل جميع الخيرات وصلاح

الانسان كلها هي الاخلاق المحمودة المكتسبة بالاجتهاد والروية والمركوزة في الجبلة ، وتبين لي وعرفت أيضاً ان أصل جميع الشرور وفساد أمور الانسان كلها هي الاخلاق المذمومة المكتسبة بالعادات الجارية منذ الصبا من غير بصيرة أو ما كانت مركوزة في الجبلة ، فلما تبين لى ماقلت وعرفت حقيقة ماوصفت تأملت قول النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وقول الله تعالى « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » يعني خالفوه وحاربوه كما تحاربون أعداءكم المشركين فتبين لى بقول النبي صلى الله عليه وسلم وقول الله عز وجل أن العدو جنسان والعداوة نوعان والجهاد قسمان : أحدهما ظاهر جلي وهو عداوة الكفار والمخالفين في الشريعة وحربهم وجهادهم والآخر باطن خفي وهو عداوة الشياطين المخالفين في الجبلة المتضادين في الطبيعة وتبين ان حربهم وعداوتهم وخلافهم هي الحقيقة وعداوة الكفار وحربهم هي العرضية

وذلك ان عداوة الكفار هي من أجل أسباب دنيوية وعداوة الشياطين من أجل أسباب دينية وان غلبتهم وظفرهم يعرض منها شقاوة الدنيا ويفوت العز والسلطان والتمتع باللذات الدنيوية ونعيمها وطيب عيشها ثم تزول يوماً ما وأما عداوة الشياطين وغلبتهم وظفرهم فيعرض منها شقاوة الآخرة وعذابها ويفوت عزها وسلطانها ونعيمها ولذاتها وسرورها وفرحها وروحها وريحانها ودوامها فبحسب التفاوت ما بين هذين الامرين قال النبي صلى الله عليه وآله « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وماذكر الله سبحانه في القرآن في عدة سور في آيات كثيرة من التحذير من مكر الشياطين والغرور بخطراتهم والامر بمخالفتهم وعداوتهم والجهاد لهم إذ كان الخطب فيهم أجل والخطر أعظم بحسب التفاوت ما بين السعادتين في الدنيا والآخرة والشقاوة فيهما . فلما تبين لى ماذكرت وعرفت حقيقة ماوصفت تبين لى أعدائي وشياطيني ومخالفي ومن يريد أن يغويني عن رشدي ويضلني عن هداي الذي دعاني اليه ربي وإلهي وأوصاني به ومانصحني نبي عليه السلام ببيانه لى ، وعلمت اني إن لم أقبل وصية ربي ونصيحة نبيي واني متى

توانيت وتركت الاجتهاد في مخالفة أعدائي وعداوتهم غلبوني وظفروا بي وأسروني وملكوني واستخدموني فى أهوائهم ومراداتهم المشاكلة لافعالهم السيئة وصارت تلك الاشياء عادة لى وجبلة في وطبيعة ثانية فتصير نفسى الناطقة التى هي جوهرة شريفة شيطانة مثلهم فأكون قد هلكت وبقيت فى عالم الكون والفساد مع الشياطين معذباً كما قال الله سبحانه « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » الآية وكقوله تعالى « لابثين فيها أحقاباً » الآية

ثم تفكرت وعرفت وتبين لى أني اذا قبلت وصية ربي ونصيحة نبيي واقتديت بهما واستعنت بربي وشمرت واجتهدت وخالفت هوى نفسى الشهوانية وعاديت نفسى الغضبية وحاربت اعدائي المخالفين لنفسى الناطقة فأني أظفر بهم وأغلبهم بقوة ربي وأملكهم باذنه واستعبدهم بحوله وقوته وأكون ملكا عليهم وسلطانا ويصيرون كلهم عبيداً لى وخدما وخولا فاصرفهم تحت أمر نفسى الناطقة ونهيها وتكون هى عند ذلك ملكا من الملائكة باظهار افعالها الحسنة واعمالها الزكية وأخلاقها الجميلة وآرائها الصحيحة ومعارفها الحقيقية وتكون هاتان النفسان الباقيتان أعني الشهوانية والغضبية عبدين مقهورين لها وتحت أمرها ونهيها ويكون جميع اخلاقهما وسجاياهما كالجنود والاعوان والخدم والعبيد للنفس الناطقة مسوسين بسياسة عادلة جارية على هذا السداد كما رسم فى الشريعة الوضية أو في الموجبات العقلية فاكون عند ذلك قد فعلت ماوصانى به ربى بقولى وفعلى بقوله « ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » الاية، وقال لنبيه عليه السلام « قل هذه سبيلى ادعو الى الله » الاية

فلما تبين لى ماذكرت وعرفت حقيقة ماوصفت نظرت عند ذلك في احوالى وتفكرت فى تصاريف أموري فوجدت بنية هيكلى مركبة من اخلاط ممتزجة متضادة القوى مركوزة فيها شهوات مختلفة ، فتأملتها فاذا هي كأنها نيران كامنة في احجار كبريتية ووجدت وقودها هي المشتهيات من ملاذ الدنيا ونعيمها ،

ووجدت اشتعال تلك النيران عند الوقود كأنها حريق لا يطفأ ولهب لا يخمد أو كامواج بحر متلاطمة أو رياح عاصفة تدمر كل شيء أو كعساكر اعداء حملت في غارة ، وذلك انى وجدت حرارة شهوات المأكولات والمشروبات في نفسى عند هيجان نار الجوع والظمأ كانها لهب النيران التى لا تطفأ ، ووجدت نفسى الشهوانية عند الاكل والشرب من الشره كأنها كلاب وقعت على جيف تنهش ووجدت حرارة الحرص في نفسي عند هيجان نار الطمع كأنها حريق تلهب الدنيا كلها ووجدت نفسى عند ذلك كأنها وعاء لا يمتلىء من جميع ما في الدنيا من المتاع ووجدت حرارة الغضب في نفسى الحيوانية عند هيجان نار الحركة كأنها حريق ترمى بشرر كالقصر ورأيتها عند هيجان حرارة نار الافتخار والمباهاة كانها خير خليقة الله واشرفهم ورأيتها عند هيجان نار حرارة شهوة الرياسة وتملكها لها كان الناس كلهم عبيد لها وخول ورأيتها عند هيجان حرارة نار شهوة الكرامة وطلبها لها كأنها دين لازم حال ورأيتها عند هيجان نار طلب خدمة خولها كأنها ترى الطاعة لها حتما فريضة كالطاعة لله ، وكالحتم والفريضة ، ورأيتها عند قضاء مايجب عليها من حق من حقوق غيرها متوانية في تأديته كانها ناقلة اجبال وكأنها عليها أحمال ثقيلة ورأيت حركتها عند اللهو واللعب كانها مجنونة والهة سكرانة ورأيتها عند محبة المدح والثناء عليها كانها أعقل الناس وأفضلهم وأجلهم ورأيتها عند هيجان نار الحسد كانها عدو يريد خراب الدنيا وزوال النعم عن أهلها وحلول النقم بهم وعلى هذا المثال وجدت ورأيت سائر اخلاقها الرديئة وخصالها المذمومة وأعمالها السيئة وافعالها القبيحة وآرائها الفاسدة فعلمت عند ذلك أن هذه كلها نيران لا تخمد وحريق لا يطفأ ، واعداء لا يتصالحون وحرب لا تهدأ وقتال لا يسكن وداء لا يبرأ ومرض لا يشفى وعناء طويل وشغل لا يفرغ منه الى الموت .

فشمرت عند ذلك بالعزم الصحيح والنية الصادقة وشددت وسطي بازار الحزم وأخذت سلاح الاجتهاد وارتديت برداء الورع ولبست قميص الحياء

وتسربلت سربال الجد ووضعت على رأسي تاج الزهد في الدنيا وأثبت قدمي على التقوى وأسندت ظهري الى الله بالتوكل عليه وجعلت شعاري الخوف منه والرجاء وزممت قوى نفسي بالنهى وفتحت عيني بالنظر الى اشارة المعلم وجعلت دليلي حسن الظن بربي وسلكت منهاج السنة وقصدت الصراط المستقيم للقاء ربي وناديته نداء الغريق ودعوته دعوة المضطر وأقررت بالعجز والتقصير وطرحت نفسي بين يديه بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتضرعت اليه مثل الصبي الى والده الشفيق الرفيق، فلما رآني ربي على تلك الحال سمع ندائي وأجاب دعائي ورحم ضعفي وأعطاني سؤلي وأمدني بجنوده ودلني على مكائد اعدائي فغزوتهم مع ملائكته وأظفرني بهم وأعانني عليهم وحرسني من غرورهم وأحرزني من خطواتهم وسلمت من خطر كيدهم وفزت بالغنيمة سالماً غانماً ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً ، وجند الله كانوا هم الغالبين وحزب الشيطان كانوا هم الخاسرين وكل هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر «ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم »

فصل في حكاية أخرى

عن ولي من أولياء الله تعالى لما تفكر في معنى التكليف والبلوى ولم يتجه له وجه الحكمة فيهما قال في مناجاته : رب خلقتني ولم تستأمرني وتوفيتني ولم تستشرني وأمرتني ونهيتني ولم تخيرني وسلطت علي هوى مؤذيا وشيطاناً مغويا وركبت في نفسي شهوات مركوزة وجعلت في عيني دنيا مزينة وخوفتني وزجرتني بوعيد وتهديد وقلت لي فاستقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلي واحذر الشيطان لا يغوينك والدنيا لا تغرنك وتجنب شهواتك لا تردك وأمانيك وآمالك أن تلهيك وأوصيك بابناء جنسك فدارهم ومعيشة الدنيا فاطلبها من وجه الحلال وأما الآخرة فلا تنسها ولا تعرض عنها فتخسر الدنيا والآخرة وذلك

هو الخسران المبين فقد حصلت يارب بين أمور متضادة وقوى متجاذبة وأحوال متغالبة فلا أدرى كيف أعمل ولا أي شيء أصنع ، وقد تحيرت في أموري ، وضلت عنى حيلتى فادركنى يارب وخذ بيدي ودلنى على سبيل نجاتى وإلا هلكت .

فأوحى الله سبحانه اليه والقى في سره والهمه وقال : ياعبدي ما أمرتك بشيء تعاوننى فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني ان فعلته بل انما امرتك لتعلم بأن لك ربا والها هو خالقك ومصورك ورازقك ومنشيك وحافظك وهاديك وناصرك ومعينك ولتعلم بأنك محتاج في جميع ما أمرتك به الى معاونتى وتوفيقي وهدايتى وتيسيري وعنايتى ولتعلم أيضاً بانك محتاج في جميع مانهيتك عنه الى عصمتى وحفظي ورعايتى وانك محتاج فى جميع متصرفاتك واحوالك في جميع أوقاتك من أمر دنياك وآخرتك ليلا ونهاراً الى تأييدي لك وانه لايخفى على من أمرك صغيرة ولا كبيرة سراً وعلانية وليتبين لك وتعرف انك محتاج ومفتقر الي وانك لابد لك مني فعند ذلك لاتعرض عنى ولا تنسانى بل تكون في دائم الاوقات في ذكري وفي جميع احوالك تدعوني وفي جميع حوائجك تسألنى وفي جميع متصرفاتك تخاطبنى وفي جميع خلواتك تناجينى وتشاهدني وتراقبنى وتكون منقطعاً الى عن جميع خلقي ومتصلا بي دونهم وتعلم اني معك حيث ماتكون أراك ولاتراني فاذا عرفت هذه كلها وتيقنت وبان لك حقيقة ماقلت وصحة ماوصفت تركت كل شيء وراءك واقبلت علي وحدك فعند ذلك أقربك منى وأوصلك الى وارفعك عندى وتكون من أوليائي وأصفيائى وأهل جنتى في جوارى مع ملائكتى مكرماً مفضلا فرحاً مسروراً منعما ملتذاً آمناً أبداً دائماً سرمداً

فلا تظن بى ياعبدى الظن السوء ولا تتوهم على غير الحق واذكر سالف انعامي عليك وقديم احساني اليك وجميل آلائى لديك اذ خلقتك ولم تكن شيئاً مذكوراً خلقا سويا ، وجعلت لك سمعا لطيفا وبصرا حادا وحواس دراكة وقلبا ذكيا وفهما ثاقبا وذهنا صافيا وفكرا لطيفا ولسانا فصيحا وعقلا رصينا وبنية

تامة وجنانا ثابتا وصورة حسنة وأعضاء صحيحة وأدوات كاملة وجوارح طائعة، ثم الهمتك الكلام والمقال وعرفتك المنافع والمضار وكيفية التصرف في الاحوال والصنائع والاعمال وكشفت الحجب عن بصرك وفتحت عينيك لتنظر الى ملكوتي وترى عجائب فعلي وتقدير مجاري الليل والنهار والافلاك الدوارة والكواكب السيارة، وعلمتك حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام وسخرت لك مافي البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان تتصرف فيها تصرف الملاك وتتحكم عليها تحكم الارباب، فلما رأيتك متعديا وجائراً ظالما طاغيا باغياً متجاوزاً للحدود والمقدار عرفتك الحدود والاحكام والقياس والمقدار والعدل والانصاف والحق والصواب والخير والمعروف والسيرة العادلة ليدوم لك الفضل والنعم وينصرف عنك العذاب والنقم وعرضتك لما هو خير وافضل وأجل وأشرف وأعز وأكرم وألذ وأنعم، ثم أنت تظن بي ظنون السوء وتتوهم غير الحق

ياعبدي إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم كما قال حملة العرش لما ثقل عليهم حمله، وإذا أصابتك مصيبة فقل إنا لله وإنا اليه راجعون كما يقول صفوتي وأهل ولايتي، وإذا زلت بك القدمان في معصيتي فقل كما قال صفيي آدم وزوجته «ربنا ظلمنا أنفسنا» الى آخر الآية وإذا أشكل عليك أمر وأهمك رأي وأردت رشداً وقولا صواباً فقل كما قال خليلي ابراهيم «الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين» الى آخر الآيات الى قوله «إلا من أتى الله بقلب سليم» وإذا أصابتك مصيبة أو غم أو حزن فقل كما قال يعقوب اسرائيل «انما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون» وقال «يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن» الآية، وإذا جرت منك خطيئة فقل كما قال موسى نجيي «هذا من عمل الشيطان» الآية، وإذا صرفت عنك معصية فقل كما قال يوسف الصديق «وما أبرىء نفسي» الآية، وإذا ابتليت بفتنة فافعل كما فعل داوود خليفتي «فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب» وإذا رأيت العصاة من خلقي والخاطئين من

عبادي ولاتدري ماحكمي فيهم فقل كما قال المسيح روحي « إن تعذبهم فأنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » وإذا استغفرتني وطلبت عفوي فقل كما قال محمد نبيي صلى الله عليه وآله وأنصاره « ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » الى آخر السورة ، وإذا خفت من عواقب الأمور ولاتدري بماذا يختم لك فقل كما قال أصفيائي « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »

فصل

في فضل التوبة والاستغفار والدعاء

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن الله عز وجل لم يذكر ذنوب أنبيائه وخطاياهم في القرآن شنعة عليهم ولاتقبيحاً لآثارهم ولالسوء الثناء عليهم ولكن ليكون للباقين قدوة بهم في التوبة والندامة والرجوع عن الذنوب والاستغفار لله عز وجل والانابة اليه كما أمر الله بقوله « توبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون » وقال الله تعالى « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » يعنى الذين لم يذنبوا ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « قل ياعبادي الذين أسرفوا » الآية ، وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لولا أن بنى آدم إذا أذنبوا تابوا واستغفروا فيغفر الله لهم لخلق الله خلقاً يذنبون فيتوبون ويستغفرون فيغفر لهم. وانما ذكرنا هذه الحكايات لكيما تتفكر فيها وتعتبر وماذكر الله من اخبار رسوله وقصص أوليائه فلاتيأس من روح الله ولاتقنط من رحمته إذا سمعت قول الذين لايعلمون وذلك ان قوماً من أهل الحشوية والجدل يتعصبون في الورع من غير حقيقة ولامعرفة بأحكام الدين فيكفرون المؤمنين بالذنوب ويفسقونهم ويحكمون لهم بالخلود في النار بغير علم ولابيان بل بقياسات لفقوها لهم

وسولوها بعقولهم الناقصة وحكموا بها بزعمهم فلاجرم انهم انقطعوا عن الله ويئسوا من روحه وقنطوا من رحمته

واعلم ياأخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن لكل طائفة من المؤمنين وجماعة من المتدينين صناعة ينفردون بها عن غيرهم أو حرفة يمتازون بها عمن سواهم وان من صنعة أولياء الله وعباده الصالحين الدعاء الى الله بالتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة على بصيرة ومعرفة ويقين وحقيقة كما ذكر الله تعالى وأخبر عنهم واحداً واحداً .

من ذلك حكاية عن رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه قوله « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب » ومن ذلك قوله « ياليت قومي يعلمون » الآية ، وقوله حكاية عن نفر من الجن قولهم (ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم) الى آخر الآية . ومن ذلك قوله (انهم فتية آمنوا بربهم) الآية ومن ذلك قوله حكاية عن أحد الأخوين في الدنيا (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) الى قوله (فلن تستطيع له طلباً) وقوله حكاية عن أخ مؤمن في الآخرة قوله لأهل الجنة (انه كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدقين) الى آخر الآية ، ومن ذلك قوله حكاية عن لقمان (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله) الآية

ومن ذلك قوله حكاية عن السحرة قولهم لفرعون (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) الى آخر الآيات . ومن ذلك قوله حكاية عن العلماء المستبصرين في أمر الآخرة اذ قالوا لقومهم المريدين الحياة الدنيا (اذ قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) الى آخر الآية . ومن ذلك قول أصحاب طالوت (وقال الذين لايعلمون لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة

غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ومن ذلك قول أتباع المسيح (اذ قال المسيح من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) وقول أتباعه أيضاً لما سمعوا القرآن (ومالنا ألا نؤمن بالله وماجاءنا من الحق) الآية ، ومن ذلك قول المؤمنين العارفين المستبصرين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) وآيات كثيرة في القرآن في صفات المؤمنين وعلامات أولياء الله وكلام عباد الله الصالحين

فهذه الكلمات والأقاويل وأمثالها من كلام أولياء الله وعباده الصالحين المستبصرين تدل على انهم يعرفون حقيقة المعاد وحقيقة أمر الآخرة وهؤلاء العلماء بأسرار النبوات والمتخرجون بالرياضات الفلسفية وهم ورثة الانبياء وصناعتهم الدعاء الى الله والى الدار الآخرة التي هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون ، يعني أبناء الدنيا

ومن صناعتهم أيضاً الترهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة بضروب الامثال والوصف البليغ والمواعظ الحسنة والحكمة البالغة والتذكار والبشارة والانذار بمعرفة واستبصار ويقين ودراية بلاشك ولاريبة ، وقال الله تعالى في مدحهم (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) ومن علامات أولياء الله أيضاً وصفات عباده الصالحين انهم لايذكرون في مجالسهم وخلواتهم أحداً الا الله ، ولايتفكرون الا في مصنوعاته ولاينظرون الا الى فنون احسانه وعظيم انعامه وجميل آلائه ولايعملون الا لله ولايخدمون الا اياه ولا يرغبون الا اليه ولايرجون الا منه ولايسألون الا هو ولايخافون غيره وهم من خشيته مشفقون ، كل ذلك لصحة آرائهم وتحقق اعتقادهم في ربهم وشدة استبصارهم انه لايقدر على ذلك بالحقيقة الا الله تعالى . وهذا الاعتقاد الحق والرأي الصحيح الجميل ينتج لهم من صحة معرفتهم بربهم وتيقن علمهم به وذلك انهم يرونه رؤية الحق في جميع متصرفاتهم ويشاهدونه في كل حالاتهم لايسمعون الا منه ولاينظرون الا اليه ولايرون غيره على الحقيقة ، فمن أجل ذلك انقطعوا

اليه عن الخلق واشتغلوا بالخالق عن المخلوق وبالرب عن المربوب وبالصانع عن المصنوع وبالمسبب عن السبب وتساوت عندهم الاماكن والازمان وانمحقت الأغيار عند رؤيتهم حقيقته فتركوا الشك وأخذوا باليقين وباعوا الدنيا بالدين وربحوا السلامة من التعب والعناء وعاشوا في الدنيا آمنين ورحلوا عنها سالمين ووصلوا إلى الآخرة غانمين ، لأنهم كانوا في الدنيا محسنين وما على المحسنين من سبيل

وقد ذكر الله تعالى نعت هؤلاء القوم في القرآن في آيات كثيرة وأثنى عليهم ومدحهم ووردت عن النبي عليه السلام أخبار كثيرة في نعتهم وصفتهم ومدحهم وحسن الثناء عليهم ، ومن ذلك ماروى عنه ﷺ أنه قال : لا يزال في هذه الامة أربعون رجلا من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام . فقيل يارسول الله خبرنا عن ملة ابراهيم عند ربه فقال : انه كان حنيفاً مسلماً سليم القلب وذلك انه لما هم به قومه يقذفونه في النار بكت الملائكة في السماء رحمة له فاوحى الله سبحانه الى جبرائيل ان الحقه وأعنه ان استعان بك فجاء جبرائيل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى به في النار . فقال له يا ابراهيم هل لك من حاجة ؟ فلشدة تعلق قلبه بربه وتوكله عليه وثقته بوعده ويقينه بتخليصه إياه واستغنائه عمن سواه قال أما اليك فلا فعند ذلك قال الله تعالى يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ويقال ان من هؤلاء الاربعين رجلا أربعة منهم الابدال وانما سموا الابدال لأنهم بدلوا خلقاً بعد خلق وصفوا تصفية بعد تصفية

وذلك أن هؤلاء الاربعين منتقون من جملة اربعمائة من الزاهدين العارفين المحققين وهؤلاء الاربعمائة منتقون من اربعة آلاف من المؤمنين التائبين المخلصين وكلما مضى شخص من الاربعة قام في رتبته شخص من الاربعين ، واذا مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعمائة ، واذا مضى شخص من الاربعمائة ارتقى الى منزلته شخص من الاربعة الآلاف فبلغ مرتبته وقام مقامه ، وكلما مضى شخص من الاربعة الآلاف ارتقى مكانه بدلا منه واحد من المؤمنين

التائبين المخلصين ، فبلغ درجته وقام مقامه ، واليهم أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله لكميل بن زياد أولئك الاقلون عدداً الاعظمون عندالله قدراً هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح حقيقة اليقين الى آخر كلامه وفيهم يقول صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالملأ الاعلى ، واليهم أشار موسى عليه السلام بقوله في مناجاته : يارب اني أجد في التوراة نعت رجال كادوا يكونون أنبياء من قوة التمييز والمعرفة والصلاح من هم يارب اجعلهم من أمتي فأوحى الله تعالى اليه وقال الله تلك أمة احمد واليهم أشار بقوله تعالى « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله »

واعلم يا أخي بأن هؤلاء القوم الذين تقدم ذكرهم هم ورثة أنبياء الله وخلفاء رسله في الارض وان الذي ورثوه منهم انما هو العلم والايمان والتعبد وقبول التأييد والالهام والزهادة في الدنيا وترك طلبها والرغبة في الاخرة والاشتياق اليها وذلك انهم متشبهون بالملائكة في أفعالهم واخلاقهم وسيرتهم من تركهم الشهوات الجسمانية واعراضهم عن اللذات الحسية المركوزة في الطبيعة بالامتناع عنها بعد المقدرة عليها مع شدة مجاذبة الطبيعة لهم اليها وهم يتركونها باجتهاد منهم وعناية شديدة بعد الفكر والروية ويختارون الشدة على الرخاء والتعب على الراحة ومخالفة الهوى وحمل ثقل التعبد على النفس وكل ذلك لمرضاة الله والاقتداء بأنبيائه ورسله في سنة الدين فلا جرم أنهم ملائكة بالقوة فاذا فارقت نفوسهم أجسادهم كانت ملائكة بالفعل فهذا الذي كان الغرض من رباط النفس بالجسد أن تصير النفس الناطقة ملكا من الملائكة بالفعل بعد ما كانت بالقوة

واعلم يا أخي بانه لو لم يكن في قوة النفس الناطقة أن تصير ملكا بالفعل لما جاءت الوصية من الله تعالى لها يأمرها بالتشبه بالملائكة في أفعالها وأخلاقها وسيرتها

ولا كانت موعودة بملاقاتها ومخاطبتها مثل قوله جل ثناؤه « تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » يعني المؤمنين عند قبض أرواحهم مثل قوله تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) ومثله قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى يطول تعدادها

واعلم يا أخي ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الصالحين هم الذين سماهم الله تعالى اولى الالباب واولي النهى وأولي الابصار وهم أولياء الله وأحباؤه واليهم أشار بقوله تعالى لا بليس « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وهم المفلحون وهم الفائزون واليهم أشار رسول الله ﷺ في وصيته لابى هريرة بقوله عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طاب الناس الامان من النار لم يخافوا . قال من هم يا رسول الله عدهم لى وصفهم حتى أعرفهم قال قوم من أمتى فى آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الخلائق ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم حتى أعرفهم أنا بسيماهم فأقول : أمتى أمتى ليعرف الخلائق انهم ليسوا بانبياء ويمرون مثل البرق والريح يغشى أبصار الجميع نورهم قلت يارسول الله مرنى بمثل عملهم لعلي الحق بهم قال يا أبا هريرة ان القوم ارتكبوا طريقاً صعباً لحقوا بدرجة الانبياء آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله والعطش بعد ما أرواهم الله والعرى بعد ما كساهم الله تركوا ذلك رجاء ما عند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بأبدانهم من غير ان تعلق بشيء منها قلوبهم تعجب الانبياء والملائكة من طاعتهم لربهم فطوبى لهم وددت ان الله جمع بيني وبينهم ثم بكى رسول الله ﷺ شوقاً الى رؤيتهم ثم قال اذا أراد الله سبحانه بأهل الارض عذاباً فنظر اليهم ان كان واحد منهم صرف العذاب عنهم فعليك يا ابا هريرة بطريقتهم فمن خالف طريقتهم وقع في شدة الحساب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لاخواني، قيل يارسول الله أولسنا اخوانك قال أنتم أصحابي وأولئك اخواني قيل من هم اخوانك يارسول الله صلى الله عليك قال : قوم يكونون في آخر الزمان يؤمنون بي ولم يروني يصدقوني ويتبعوني هم اخواني وأنتم أصحابي طوبى لهم ، واليهم أشار بقوله في وصيته لأسامة بن زيد عليك بطريق الجنة واياك أن تختلج بدونها قال يارسول الله ما أيسر مايقطع به تلك الطريق قال الظمأ في الهواجر وكسر النفوس عن لذة الدنيا يا أسامة عليك بالصوم فانه يقرب الى الله انه ليس شيء أحب الى الله من ريح فم الصائم وترك الطعام والشراب لله تعالى فانك ان استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك أشرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين عليهم السلام وتفرح الانبياء والملائكة بقدوم روحك عليهم ويصلي عليك أهل الجنان اياك يا أسامة ودعاء كل كبد جائع قد أذابوا اللحوم وأحرقوا الجلود في الرياح والسمائم واظمأوا الاكباد حتى غشيت أبصارهم فان الله سبحانه اذا نظر اليهم باهى كرام الملائكة بهم ، بهم يصرف الله الزلازل والفتن حيث كانوا ، ثم بكى رسول الله شوقاً الى رؤيتهم حتى اشتد بكاؤه وعلا نحيبه وهاب الناس أن يتكلموا حتى ظنوا انه أمر حدث من السماء ثم قال ويح لهذه الامة مايلقى منهم من أطاع الله فيهم كيف يقتلونهم ويكذبونهم من أجل انهم أطاعوا الله فقال عمر بن الخطاب يارسول الله والناس يومئذ على الاسلام قال نعم قال فيم يقتلون من أطاع الله قال ياعمر ترك القوم الطريق وركبوا فره الدواب ولبسوا الحرير والديباج واللين من الثياب وأكلوا الطيبات وشربوا بارد الشراب وجلسوا على أرائكهم متكئين وخدمهم أبناء فارس والروم يتزين الرجل منهم زينة المرأة لزوجها ويتبرج النساء بزي كسرى بن هرمز والملوك الجبابرة ويسمنون أبدانهم ويتباهون بالكساء واللباس فاذا نظروا أولياء الله وعليهم العباء منحنية أصلابهم قد ذبحوا أنفسهم من شدة العطش وان تكلم منهم

منكم كذب وأبعد وطرد وقيل قرين الشيطان ورأس ضلالة يحرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق فأولوا كتاب الله بغير تأويله واستذلوا أولياء الله وأخافوهم، يا أسامة ان أقرب الناس الى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه وعطشه في الدنيا هم الاخيار الابرار الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا يعرفهم أهل السماء ويخفون على أهل الارض تشتاق اليهم البقاع وتحف بهم الملائكة ينعم الناس بالدنيا وينعمون بالجوع والعطش لبس الناس لين الثياب ولبسوا الخشن افترش الناس الوطاء وافترشوا هم الجباه والركب ضحك الناس وبكوا هم، يا أسامة ألا لهم الشرف الأعلى يوم القيامة وددت اني رأيتهم وبقاع الارض لهم رحيبة والجبار عنهم راض، والراغب الى الله من رغب فيما رغبوا والخاسر من خالفهم، تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على بلد ليس فيه منهم أحد يا أسامة اذا رأيت أحدهم في قرية فاعلم انه أمان لأهلها لا يعذب الله قوماً فيهم منهم أحد، اتخذهم يا أسامة لنفسك أصحاباً عساك تنجو معهم، واياك أن تسلك غير طريقهم فتزل قدمك فتهوي في النار، يا أسامة ترك القوم الحلال من الطعام والشراب، طلبوا الفضل في الآخرة ولم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخلاق تراهم شعثاً غبراً اذا رآهم الناس ظنوا ان بهم داء ومابهم داء وظنوا انهم خولطوا وماخولطوا ولكن خالط القوم أمر عظيم ظن الناس ان قد ذهبت عقولهم وماذهبت ولكن نظروا بقلوبهم الى أمر الهي فهم في الدنيا عند أهلها يمشون بلا عقول، يا أسامة عقلوا حين ذهبت عقول الناس طوبى لهم وحسن مآب ألا لهم الشرف الاعظم

ويحكى عن بعضهم انه كان يسمع في خلواته وهو يقول يارب ويحي كيف أغفل ولست بمغفول عنى أم كيف يهنئنى العيش واليوم الثقيل أمامى أم كيف لايطول حزنى ولاأدري مايكون من ذنبى أم كيف أؤخر عملى ولاأدري متى يأتى أجلى أم كيف أسكن الى الدنيا وليست بداري أم كيف أجمعها وفي غيرها

مقامي ومأواي ام كيف تعظم رغبتي فيها والقليل منها يكفيني ام كيف آمن فيها وانا لايدوم فيها حالي أم كيف يشتد حرصي عليها ولا ينفعني منها ما أخلفه لغيري أم كيف اؤثرها وقد طردت من آثرها قبلي أم كيف لا ابادر بعملي من قبل أن يتصرم منها مدتي ام كيف لا اعمل في فكاك نفسي قبل أن يغلق رهني ام كيف يشتد عجبي بها وهي مفارقة لي ومنقطعة عني. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: إن هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى، قال كان فيها مكتوباً عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل السيئات وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب بدنه وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبت لمن أيقن بالجنة كيف لايعمل الحسنات لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويروى عن أبي ذر رحمة الله عليه انه قال قلت لرسول الله أوصني قال عليك بتقوى الله فانه رأس أمرك فقلت زدني يارسول الله قال عليك بذكر الله فانه رأس كل خير وقراءة القرآن فانه نور لك في السماء وذكر لك في الارض قلت زدني قال عليك بالجهاد فانه رهبانية هذه الامة قلت زدني قال انظر الى من دونك ولا تنظر الى من هو فوقك فلت زدني ،قال أقل الكلام الا من ذكر الله فانك بذلك تغلب الشيطان، قلت زدني قال أحب المساكين وجالسهم قلت زدني قال كن في الدنيا كأنك غريب وعد نفسك في الموتى قلت زدني قال قل الحق ولو كان مراً قلت زدني قال لا يأخذك في الله لومة لائم قلت زدني قال ارض من الدنيا بكسرة تقيم بها جسدك وخرقة تواري بها عورتك وظل تسكن فيه قلت زدني قال اكظم الغيظ وأحسن الى من أساء اليك قلت زدني قال أياك وحب الدنيا فانه رأس الخطايا ان الدنيا تهلك صاحبها وصاحب الدنيا لايهلكها قلت زدني قال انصح للناس كما تنصح لنفسك ولا تعب عليهم بما فيك مثله ياأباذر انه لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق

وقال رسول الله ﷺ من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق

من النار سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ،ويقال ان الزهد في الدنيا مفتاح كل خير والرغبة فيها مفتاح كل شر وخطيئة وقيل في الحكمة الدنيا قنطرة فاعبروها الى الآخرة ولا تعمروها انكم خلقتم للآخرة لا للدنيا وانما الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء وهي دار القرار ودار المقام ودار النعيم ودار الخلود.

فصل في حسن التكليف

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن الله تعالى كلم موسى بن عمران وناجاه باثني عشر الف كلمة يقول له في عقب كل كلمة ياموسى ادن مني واعرف قدري فانا الله ياموسى أتدري لم كلمتك من بين خلقي واصطفيتك لرسالتي من بين بني اسرائيل، قال موسى فمن علي يارب ، قال لاني اطلعت على أسرار عبادي فلم أر قلباً أصفى لمودتي من قلبك قال موسى عليه السلام لم خلقتني يارب بعد ان لم أكن شيئاً قال أردت بك خيرا قال رب من علي قال اسكنك جنتي وادخلك دار كرامتي مع ملائكتي فتخلد هناك منعما ، ملتذا مسروراً ، قال فما الذي ينبغي لي أن أعمل قال لايزل لسانك رطبا من ذكري وقلبك وجلا من خشيتي وبدنك مشغولا بخدمتي ولا تأمن مكري الى ان ترى رجلك في الجنة ، قال يارب لم ابتليتني بفرعون قال انما اصطنعتك لنفسي على أن اخاطب بلسانك بني اسرائيل فاسمعهم كلامي وأعلمهم شريعة التوراة وسنة الدين وأدلهم على الآخرة ومن اتبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان ، ياموسى بلغ بني اسرائيل اني لما خلقت السموات والارض جعلت لها أهلا وسكانا فاهل سماواتي هم ملائكتي وخالص عبادي الذين لايعصونني ويفعلون مايؤمرون ياموسى قل لبني اسرائيل وبلغهم عني انه من قبل وصيتي ووفى بعهدي ولم يعص رقيته الى رتبة ملائكتي وادخلته جنتي وجازيته باحسن الذي كانوا يعملون، ياموسى قل لبني اسرائيل وابلغهم عني اني لما خلقت الجن والانس والحيوانات اجمع الهمتهم مصالح الحياة الدنيا

وعرفتهم كيفية التصرف فيها لطلب منافعها والهرب من المضار منها كل ذلك بما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتمييز والشعور اجمع وهكذا الهمت أنبيائي ورسلي والخواص من عبادي وعرفتهم أمر المبدأ والمعاد والنشأة الآخرة وبينت لهم الطريق وكيفية الوصول اليها، ياموسى قل لبني اسرائيل يقبلون من أنبيائي وصيتي ويعملون بها واضمن لهم عني اني أكفيهم كل مايحتاجون اليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً ومن وفى بعهدي وفيت بعهده كائنا من كان من بني آدم وألحقتهم بأنبيائي وملائكتي في الآخرة دار القرار . قال موسى يارب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها وبلاءها اليس كان خيراً لنا قال ياموسى قد فعلت بأبيكم آدم ماذكرت ولكن لم يعرف حقي وقدر نعمتي ولم يحفظ وصيتي ولم يوف بعهدي بل عصاني فاخرجته منها فلما تاب واناب وعدته ان ارده اليها وآليت على نفسي ان لايدخلها أحد من ذريته الا من قبل وصيتي واوفى بعهدي ولا ينال عهدي الظالمين ولا يدخل جنتي المتكبرون لاني جعلتها للذين لايريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ياموسى ادع لعبادي وذكرهم آلائي فانهم لايذكرون مني الا كل خير سالفاً وخالفاً عاجلا وآجلا ياموسى ويل لمن تفوته جنتي وياحسرة عليه وندامة حين لاينفعانه ، ياموسى خلقت الجنة يوم خلقت السموات وزينتها بالوان المحاسن وجعلت نعيم أهلها وسرورها روحاً وريحاناً ، فلو نظر أهل الدنيا اليها نظرة من بعيد لما تهنوا بالحياة في الدنيا بعدها ، ياموسى هي مدخرة لأوليائي والصالحين من عبادي تحيتهم يوم يلقونه سلام وطوبى لهم وحسن مآب

قال موسى: يارب قد شوقتني اليها فارني يارب لانظر اليها قال ياموسى لايهنئك العيش في الدنيا بعد النظر اليها لانك من ابناء الدنيا الى وقت معلوم فاذا فارق الروح الجسد رأيتها. ووصلت اليها ودخلتها وتكون فيها مادامت السموات والارض فلا تعجل ياموسى واعمل كما أمرت وبشر بني اسرائيل بالذي بشرتك به وادعهم اليها ورغبهم فيها وزهدهم في الدنيا .

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بان الرغبة فى الدنيا مع طلب الآخرة لايجتمعان ، فمن زهد فى الآخرة رغب في الدنيا ومن رغب في الاخرة زهد في الدنيا . وقال المسيح عليه السلام في بعض مواعظه لبنى اسرائيل: اعلموا ان مثل دنيا كم مع الآخرة كمثل مشرقكم ومغربكم كلما أقبلتم الى المغرب ازددتم من المشرق بعداً وكلما اقبلتم الى المشرق ازددتم من المغرب بعداً . وقيل في بعض كتب بنى اسرائيل : رغبنا كم في الآخرة فلم ترغبوا وزهدنا كم في الدنيا فلم تزهدوا وخوفناكم من النار فلم تخافوا وشوقنا كم الى الجنة فلم تشتاقوا وونحنا كم فلم تبكوا بشر القائلين بان لله سيفاً لاينام وهو نار جهنم ويقول الله تعالى يا ابن آدم خيري اليك نازل وشرك الى صاعد أتحبب اليك بالغنى وأنت تتبغض الى بالمعاصى لايزال يأتينى كل يوم ملك كريم بقبيح افعالك ، ياابن آدم أما تراقبنى أما تعلم انك بعينى ياابن آدم اذكرني عند خلواتك وعند حضور الشهوات الحرام واسألنى أن انزعها من قلبك واعصمك عن معصيتي وأبغضها اليك وأيسر لك طاعتى وأحببها اليك وأزينها فى عينيك ، ياابن آدم انما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلى لئلا تستغنى وتتولى عنى فاعرض عنك وانا الغني عنك وأنت الفقير الى انما خلقتك في الدنيا وسخرتها لك لتستعد للقائى وتتزود منها للقدوم على لئلا تعرض عنى وتخلد الى الارض ، واعلم يا ابن آدم بان الدار الآخرة خير لك من الدنيا فلا تختر غيرما اخترت لك ولا تكره لقائى فانه من كره لقائى كرهت لقاءه ومن أحب لقائي أحببت لقاءه

﴿ فصل فى عظات مختلفة ﴾

تأمل يا أخي، أيدك الله وايانا بروح منه ، ماترى من الامور الدنيوية واعتبر بما تشاهد فيها من تصاريفها باهلها حالا بعد حال وتفكر فيما ذكرنا في هذه الرسالة من هذه الحكايات عن انبياء الله وأوليائه وعباده الصالحين

وما وصفنا من اخلاقهم الحسنة وسيرتهم العادلة وأفعالهم الجميلة ، فاجتهد ان تقتدي بهم وتسلك طريقهم واستعن بالله واسأله التوفيق ، وانظر ان استوى لك أن تكون في اعلى المراتب فلا ترض لنفسك بأدونها واحذر مخالفتهم وترك الاقتداء بهم فانهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى والدعاة والهداة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وهم حجج الله على خلقه وصفوته من عباده فالمفلح من اتبعهم والخاسر من خالف طريقهم هم صفوة الله وخيرته من خلقه

واعلم يا أخي بانه ليس بين الله عز وجل و بين أحد من خلقه من قرابة وان أكرم عباده عنده اتقاهم وأحبهم اليه اطوعهم له وأكثرهم له ذكراً وأكيسهم في الامور وأشدهم اجتهاداً وأشدهم استعدادا للرحلة من الدنيا الى الآخرة وأكثرهم زاداً للمعاد .

واعلم ان أخفهم مؤنة في الدنيا وأروحهم قلباً من زهد فيها ، فبادر يا أخي وتزود من الدنيا لطريق الاخرة فان خير الزاد التقوى ، فسارع الى الخيرات ونافس في الدرجات قبل فناء العمر ونفاد الاجل وقرب الفوت

واعلم يا أخي بأن خير مناقب الانسان العقل وأفضل خصاله العلم ولكل شيء خاصية وخاصية العقل صحة التمييز ومعرفة الحقائق والسيرة العادلة وحسن الاختيار فانظر الآن ان كنت عاقلا واختر من الامور افضلها ومن الاخلاق أجلها ومن الاعمال خيرها ومن المراتب أشرفها ومن المنافع أعمها وأدومها.

واعلم يا أخي بان الآخرة أفضل من الدنيا وأهلها أفضل من اهل الدنيا واخلاقهم اكرم من اخلاقهم وسيرتهم اعدل من سيرتهم ومراتبهم أشرف ونعيمهم أدوم وسرورهم أبقى ولذاتهم أخلص فانظر الآن على مايقع اختيارك وكيف يكون ولا يهما تعمل ولا يكن ايثارك ان كنت عاقلا الا للآخرة فقد تبين لك الرشد من الغي وعرفت الضلالة من الهدى وميزت الصواب من الخطاء وعلمت الحق من الباطل وانزاحت العلة ، وقد اعذر من انذر ليهلك من هلك عن

بينة ويحيى من حي عن بينة ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وما على الرسول الا البلاغ المبين

فانظر الآن يا أخي ان كان لم يتبين لك بعد ما قد شرحناه من هذه الاوصاف ولم ينبهك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ما خولناك ولم يشفك ما ذكرناه ولم ينفعك ما وصفناه فابيت الا التغمد والغمرة فى طغيان أبناء الدنيا المغرورين بها الغافلين عن الآخرة الجاهلين لها بان تقول لا بدلى من الاقتداء بهم ومداخلتهم فيما هم فيه من الغرور ومزاحمتهم على ما هم مزدحمون عليه ورضيت لنفسك بالتشبه بهم في سوء اخلاقهم وتراكم جهالاتهم وفساد آرائهم وسوء اعمالهم وقبيح افعالهم وسيرتهم الجائرة وأمورهم المسيئة وأحوالهم المتغايرة وتصاريفهم المختلفة واسبابهم المتضادة من عداوة بعضهم بعضاً وحسد بعضهم بعضاً وبغي بعضهم على بعض وتكبرهم وتكاثرهم وتفاخرهم فيما هم فيه من أمور هذه الدنيا الدنية والاغترار بها وما يتكلفونه بينهم من زخرف القول غروراً ويتمكنون به من الكلام خداعا وقلوبهم مملوءة غشا وغلا وحسداً وكبراً وحرصاً وطمعاً وبغضاً وعداوة ومكرا وحيلا مثل قوم دينهم التعصب واعتقادهم النفاق واعمالهم الرياء واختيارهم شهوات الدنيا يتمنون الخلود فيها مع علمهم بانه لا سبيل اليه، يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون ويكسبون من الحرام وينفقون فى المعاصى ويمنعون من المعروف ويركبون كل منكر سكارى متمردون في طغيانهم يعمهون، لا يسمعون النداء ولا يبصرون الهدى ولا ينجع فيهم الوعظ ولا الذكر ولا الامر ولا النهي ولا الوعد ولا الوعيد ولا الترغيب ولا الترهيب ولا الزجر ولا التهديد بل تراهم فى غيهم يترددون وفى طغيانهم يعمهون، مولون مدبرون عن الآخرة معرضون على الدنيا يتكالبون تكالب الكلاب على الجيفة منهمكين في الشهوات تاركين للصلوات لا يسمعون الموعظة ولا تنفعهم التذكرة فلا جرم انهم يمهلون قليلا ويمتعون يسيرا ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق ان شاؤا أو أبوا فيفارقون محبوباتهم على رغم منهم ويتركون

ماجمعوا لغيرهم يتمتع بمال أحدهم حليل زوجه وامرأة ابنه وبعل ابنته وصاحب ميراثه لهم المهنأة وعليه الوبال ثقيل ظهره باوزاره معذب النفس بما كسبت يداه ياحسرة عليهم قامت القيامة على أهلها . وفقك الله أيها الاخ للسداد وهداك للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا فى البلاد انه رؤوف بالعباد

تمت رسالة الاخلاق والحمد لله والصلاة على رسوله مستنبط ينابيع الحكمة بصفاء جوهره والمقارع به أنوف الجاحدين لاوله ومصدره والمفصح عن غرائبه وعلى آله وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

الرسالة العاشرة

من القسم الرياضي

في ايساغوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه انه لما كان الانسان أفضل الموجودات التى تحت فلك القمر وكان من فضيلته العلوم والصنائع وكان النطق من أفضل الصنائع البشرية أردنا أن نبين ماهية النطق وكميته وكيفيته اذ كان به ينفصل الانسان من سائر الحيوانات كما يقال في حده انه حى ناطق مائت لان سائر الحيوانات كلها أحياء مائتون غير ناطقين وأيضاً فان النطق من سائر الصنائع البشرية الى الروحانية ما هو أقرب ، وذلك أن سائر الصنائع الموضوع فيها الاجسام الطبيعية موضوعاتها كلها جواهر جسمانية كما بينا في رسالة الصنائع

فأما النطق فان الموضوع فيه جواهر النفس الجزئية الحية وتأثيراته فيها روحانية مثل الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمديح والهجاء ، والدليل على ذلك ما يتبين لنا من تأثيرات الكلام في النفوس مثل ما يرى من تأثيرات الاجسام بعضها في بعض

وذلك أن تأثيرات الاجسام بعضها في بعض نوعان مفسد ومصلح فالمصلح

مثل الطعام والشراب المصلحين لاجساد الحيوانات ومثل العقاقير والادوية المصلحة لاجساد المرضى ، والمفسد مثل النار المهلكة لاجساد الحيوانات وأجساد النبات ومثل الضرب بالسيف والسكين وما شاكله من الاجساد المفسدة المهلكة لاجسام الحيوانات فكذا حكم الكلام والاقاويل في النفوس نوعان مصلح ومفسد فالمصلح كالمديح والثناء الجميل الباعثين للنفوس على مكارم الاخلاق ومثل المواعظ والمواعيد الزاجرين للنفوس عن الافعال القبيحة وعن مساوىء الاخلاق والمفسد من الكلام للنفوس كالشتيمة والتهديد والقبيح من الاقاويل الجالبة الى النفوس العداوة والبغضاء كما يقال رب كلمة جلبت فتنة وحروبا كما قيل في المثل أن سبب العداوة بين الغربان والبوم كلمة تكلم بها الغراب يوم اجتماع الطير على تمليك البوم ،ورب كلمة أطفأت نيران الحروب كما قيل في قصيدة:

لفظ يثبت في النفوس مهابة   يكفي كفاية قائد القواد
لا تبلغ الاسياف باستهلاكها   ما تبلغ الاقلام بالايعاد

ومن فضيلة النطق أيضاً أنه كاد أن يكون مطابقاً للموجودات كلها كمطابقة العدد للمعدودات والدليل على ذلك كثرة اللغات واختلاف الاقاويل وفنون تصاريف الكلام مما لا يبلغ أحد كنه معرفتها إلا الله عز وجل فنريدأن نذكر من ذلك طرفاً شبه المدخل ليقرب على المتعلمين وليسهل على الناظرين فى علم المنطق فهم معانيها

﴿ فصل في اشتقاق المنطق وانقسام النطق الى قسمين ﴾

اعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أن المنطق مشتق من نطق ينطق نطقاً والنطق فعل من أفعال النفس الانسانية وهذا الفعل نوعان فكري ولفظي فالنطق اللفظي هوأمر جسماني محسوس والنطق الفكري أمر روحاني معقول ، وذلك أن النطق اللفظي انما هو أصوات مسموعة لها هجاء وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو من الجسد وتمر الى المسامع من الآذان التى هي

أعضاء من أجساد أخر وان النظر فى هذا المنطق والبحث عنه والكلام على كيفية تصاريفه وما يدل عليه من المعانى يسمى علم المنطق اللغوى. وأما النطق الفكري الذي هو أمر روحاني معقول فهو تصور النفس معاني الاشياء في ذاتها ورؤيتها لرسوم المحسوسات فى جوهرها وتمييزها لها في فكرتها ، وبهذا النطق يحد الانسان فيقال انه حي ناطق مائت فنطق الانسان وحياته من قبل النفس وموته من قبل الجسد لان اسم الانسان انما هو واقع على النفس والجسد جميعاً

واعلم ان النظر في هذا النطق والبحث عنه ومعرفة كيفية ادراك النفس معاني الموجودات في ذاتها بطريق الحواس وكيفية انقداح المعاني فى فكرها من جهة العقل الذي يسمى الوحي والالهام وعبارتها عنها بألفاظ بأي لغة كانت يسمى علم المنطق الفلسفي

ولما كان النطق اللفظي أمراً جسمانيا ظاهراً جليا محسوسا وضع بين الناس لكيما يعبر به كل انسان عما في نفسه من المعاني لغيره من الناس السائلين عنه والمخاطبين له احتجنا الى أن نذكر من هذا المنطق طرفاً شبه المدخل ليقرب على المتعلمين فهم علم المنطق الفلسفي ويسهل تأمله على الناظرين فنقول أيضا انه لما كان النطق اللفظي هو الفاظ مؤلفة من الحروف المعجمة احتجنا ان نذكر الحروف أولا فنقول ان الحرف ثلاثة أنواع فكرية ولفظية وخطية فالفكرية هى صورة روحانية في أفكار النفوس مصورة فى جواهرها قبل اخراجها معانيها بالالفاظ ، والحروف اللفظية هى أصوات محمولة فى الهواء مدركة بطريق الاذنين بالقوة السامعة كما بينا فى رسالة الحاس والمحسوس ، والخطية هى نقوش خطت بالاقلام فى وجوه الالواح وبطون الطوامير مدركة بالقوة الباصرة بطريق العينين

واعلم أن الحروف الخطية انما وضعت سمات ليستدل بها على الحروف اللفظية والحروف اللفظية وضعت سمات ليستدل بها على الحروف الفكرية والحروف الفكرية هى الاصل

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وسنبين ماهيتها فى فصل آخر

واعلم أن الحروف اللفظية انما هى أصوات تحدث فى الحلقوم والحنك وبين اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة بعد ترويحها الحرارة الغريزية التى هي في القلب وهى ثمانية وعشرون حرفاً فى اللغة العربية وأما فى سائر اللغات فربما تزيد وتنقص وقد بينا علة ذلك فى رسالة اختلاف اللغات. واعلم أن الحروف اذا ألفت صارت ألفاظا والالفاظ اذا ضمنت المعاني صارت أسماء والاسماء اذا ترادفت صارت كلاماً والكلمات اذا اتسقت صارت أقاويل والاقاويل نوعان موزون ونثر فالموزون كالشعر والرجز والقوافى ، والنثر نوعان فمنه فصاحة وبلاغة ومنه مخاطبات ومحاورات والخطاب نوعان فمنه ما يتكلم به جهور الناس فيما بينهم فى طلب حاجاتهم بلا احتجاج ولا خصومة ومنه ما يتكلمون به فى دعاويهم وخصوماتهم باحتجاج وبراهين. والدعاوي والخصومات نوعان إما فى أمور الدنيا وإما فى أمور الديانات والمذاهب والعلوم

ولما كانت البراهين على صحة الدعاوي التى فى أمور الدنيا لا تكون الا بالشهود والعقود والصكوك صارت البراهين أيضا على صحة الدعاوي فى أمور الديانات والمذاهب والعلوم لا تكون الا باستشهاد ما فى الكتب الالهية والاخبار عن اصحاب الشرائع أو اجماع الخصوم أو شهادة العقول بالقياس الصحيح الذي هو ميزان الحق

ولما كان اختلاف الناس بالحزر والتخمين في مقادير الأشياء الموزونة والمكيلة دعتهم الى وضع الموازين والمكاييل ليرفع الخلف بها عند الحزر وكذلك اختلاف العلماء في الحكم بالحزر والتخمين على الامور الغائبة عن الحواس دعتهم إلى وضع القياسات ليرفع الخلف بها عند النظر ولما كان في صحة الوزن والكيل يحتاج الى شرائط من عيار الصنجات وصحة المكيال والميزان وتقويم الكيل والوزن بها كذلك حكم القياسات التى يعرف بها الحق من الباطل والصواب

من الخطأ والخير من الشر يحتاج الى شرائط ليصح بها الحكم وقد ذكر ذلك في كتب المنطق الفلسفي بشرح طويل ولكن نريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً ليقرب على المتعلمين فهمها ونرجع الآن الى ذكر الالفاظ الدالة على المعاني التي في أفكار النفوس فنقول :

فصل في الالفاظ الدالة على المعاني

أولا : ماالاسم ومالمسمي وماالتسمية وما المسمى ؟ ونقول أيضاً من الواصف وماالوصف ومالموصوف ، وما الصفة ؟ وأيضاً من الناعت وما المنعوت وما النعت ؟

تفسيرها : الاسم كل لفظة دالة على معنى من المعاني بلا زمان ، والمسمي هو القائل ، والتسمية هي قول القائل ، والمسمى هو المعنى المشار اليه ، والواصف هو القائل ، والوصف هو قول القائل ، والموصوف هو الذات المشار اليه ، والصفة هي معنى متعلق بالموصوف ، والناعت هو القائل ، والنعت هو قول القائل ، والمنعوت هو الذات المشار اليه ، وليس له لفظة رابعة تدل على معنى متعلق بالمنعوت كما كانت الصفة متعلقة بالموصوف

فصل في الالفاظ الستة

واعلم ان الالفاظ التى تستعملها الفلاسفة فى أقاويلها واشاراتها الى المعانى التى في أفكار الناس ستة أنواع ثلاثة منها دالات على الاعيان التى هي موصوفات وثلاثة منها دالات على المعانى التى هي الصفات . فالألفاظ الثلاثة الدالة على الموصوفات قولهم الشخص والنوع والجنس والثلاثة الدالة على الصفات هي قولهم الفصل والخاصة والعرض

وأما شرح معانيها فنقول : الشخص كل لفظة يشار بها الى موجود مفرد عن غيره من الموجودات مدرك باحدى الحواس مثل قولك هذا الرجل وهذه

الدابة وهذه الشجرة وذا الحائط وذاك الحجر وماشا كل هذه الالفاظ المشار بها الى شيء واحد بعينه

والنوع كل لفظة يشار بها الى كثرة تعمها صورة واحدة مثل قولك الانسان والفرس والجمل والغنم والبقر والسمك وبالجملة كل لفظة تعم عدة أشخاص متفقة الصور

وأما الجنس فهو كل لفظة يشار بها الى كثرة مختلفة الصور تعمها كلها صورة أخرى كالحيوان والنبات والثمار والحب وماشا كلها من الالفاظ فان كل لفظة منها تعم جماعات مختلفة الصور، وذلك ان قولك الحيوان يعم الناس كلهم والسباع والطيور والسمك وحيوان الماء أجمع وهي كلها صور مختلفة يعمها الحيوان وهي صورة روحانية متممة للجسم

وأما قولهم الفصل والخاصة والعرض فهى الفاظ دالة على الصفات التى يوصف بها الاجناس والانواع والاشخاص. واعلم ان الصفات ثلاثة فمنها صفات اذا بطلت بطل وجدان الموصوف معه فتسمى فصولا ذاتية جوهرية مثل حرارة النار ورطوبة الماء ويبوسة الحجر وماشا كلها وذلك ان حرارة النار اذا بطلت بطل وجدان النار وكذلك حكم رطوبة الماء ويبوسة الحجر وكل صفة لموصوف هكذا حكمه سميت فصلا ذاتياً جوهرياً ومنها صفات اذا بطلت لم يبطل وجدان الموصوف ولكنها بطيئة الزوال مثل سواد القير وبياض الثلج وحلاوة العسل ورائحة المسك والكافور وماشا كلها من الصفات البطيئة الزوال ولكن ليس من الضرورة انه اذا بطل سواد القير أو بياض الثلج أن يبطل وجدان أعيانها فمثل هذه الصفات تسمى خاصية ومنها صفات سريعة الزوال تسمى عرضاً مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومثل القيام والقعود والنوم واليقظة وماشا كل هذه من الصفات يسمى عرضاً لانها تعرض لشيء وتزول عنه من غير زواله ، وسميت الصفات البطيئة الزوال خاصية لانها صفات تختص بنوع دون سائر الانواع

وتسمى الصفات الذاتية الجوهرية فصولا لانها تفصل الجنس فتجعله أنواعاً واعلم ان الصفات التى تسمى خاصية أربعة أنواع فمنها مايكون خاصية لنوع ويشاركه فيها نوع آخر مثل خاصية الانسان انه ذو رجلين من بين سائر الحيوانات ولكن يشاركه فيه الطير ، ومنها ماهي خاصية لنوع ولايشاركه فيها غيره ولكن لايوجد في جميع أشخاصه تلك الخاصية مثل الكتابة والتجارة وأكثر الصنائع فانها خاصية لنوع الناس ولكن لاتوجد فى كل انسان ، ومنها خاصية قد توجد لكل أشخاص النوع ولكن لاتوجد في كل وقت مثل المشيب فانه خاصية للانسان دون سائر الحيوانات ولكن لايوجد الا فى آخر العمر

ومنها خاصية لنوع دون غيره وتوجد في كل أشخاصه وفي كل وقت وتسمى خاص الخاص مثل الضحك والبكاء فانهما من خاصية الانسان دون سائر الحيوانات ولكل أشخاصه وفي كل وقت وذلك ان الضحك والبكاء يوجدان للانسان من وقت ولادته الى وقت موته وكذلك الصهيل للفرس والنهيق للحمار والنباح للكلاب ، وبالجملة مامن نوع من أنواع الحيوان الا وله خاصية تختص به دون غيره وهكذا حكم كل موجود من الموجودات له خاصية تميزه عما سواه تسمى رسوماً علم ذلك أو لم يعلم

واعلم ان بالفصول تنقسم الاجناس فتصير أنواعاً وبها تحد الانواع لانها مركبة منها وبالرسوم تختلف الانواع ويخالف بعضها بعضاً بعنى خاص الخاص وبالخواص التى هي أعراض بطيئة الزوال تختلف الاشخاص التى تحت نوع واحد مثل الزرقة والشهلة والغطشة والقنوة والنحافة والسمرة والطول والقصر وماشا كلها من الصفات التى تختلف بها أشخاص الناس ويمتاز بعضهم عن بعض وكل هذه صفات بطيئة الزوال وبالاعراض تختلف أحوال الاشخاص مثل القيام والقعود والغضب والرضا وماشا كلها من الصفات التى لاتدوم ويتعاقبها ضدها

واعلم بأن كل صفة للجنس فهي في جميع أنواعه وكل صفة للنوع فهي في جميع

أشخاصه ضرورة وليس من الضرورة ان كل صفة للشخص لجميع نوعه ولا صفة النوع لجميع جنسه

فصل في ان الاشياء كلها صور واعيان

واذ قد ذكرنا طرفاً من المنطق اللفظي شبه المدخل فنريد أن نذكر طرفاً من المنطق الفكري اذ كان هو الاصل وهذا فرع عليه كما ذكرنا قبل فان الالفاظ إنما هي سمات دالات على المعاني التى في أفكار النفوس وضعت بين الناس ليعبر كل انسان عما فى نفسه من المعانى لغيره من الناس عند الخطاب والسؤال فنقول ان الاشياء كلها بأجمعها صور و أعيان غيريات أفاضها الباري تعالى على العقل الفعال الذي هو جوهر بسيط مدرك حقائق الاشياء كما بينا في رسالة المبادىء العقلية ومن العقل على النفس الكلية الفلكية التى هي نفس العالم بأسره كما بينا في الرسالة التى فسرنا فيها معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير وان العالم انسان كبير ومن النفس الكلية فاضت على الهيولى الاولى التى بينا ماهيتها في رسالة الهيولى والصورة ومن الهيولى على النفس الجزئية البشرية التى بينا كيفية نشوئها في رسالة لنا ترجمتها « الانسان عالم صغير » وهي مايتصور الناس في أفكارهم من المعلومات بعد مشاهدتهم لها فى الهيولى بطريق الحواس

فمن أراد أن يعرف كيف كانت صور الاشياء فى النفس الكلية قبل فيضها على الهيولى فليعتبر صور مصنوعات البشر كيف تكونها فى نفوسهم قبل اظهارهم لها في الهيوليات الموضوعة لهم في صناعتهم كما بينا فى رسالة الصنائع ، ومن أراد أن يعرف أيضاً كيف كانت صور الاشياء فى العقل الفعال قبل فيضه على النفس الكلية وكيف كان قبولها تلك الرسوم والصور فليعتبر حال رسوم المعلومات التى فى أنفس العلماء وكيف افادتهم للمتعلمين وكيف قبولهم لها كما بينا فى رسالة التعليم ومن أراد أيضاً أن يعرف كيف حال المعلومات فى علم الباري عز وجل قبل فيضه على العقل فليعتبر حال العدد كيف كان فى الواحد الذي قبل الاثنين وكيف نشأ منه كما بينا فى رسالة خواص العدد

فصل

فى العلم والتعلم والتعليم

واعلم ان العلم ليس بشيء سوى صورة المعلوم فى نفس العالم وان الصنعة ليست شيئاً سوى اخراج تلك الصورة التى فى نفس الصانع العالم ووضعها فى الهيولى

واعلم يا أخي ان أنفس العلماء علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة والتعليم ليس شيئاً سوى اخراج ما فى القوة الى الفعل والتعلم هو الخروج من القوة اليه ، وان كل شيء بالقوة لا يخرج الى الفعل الا لشيء هو بالفعل يخرجه اليه وان النفس الكلية الفلكية هي علامة بالفعل والانفس الجزئية علامة بالقوة فكل نفس جزئية تكون أكثر معلومات وأحكم مصنوعات فهي أقرب الى النفس الكلية لقرب نسبتها اليها وشدة شبهها بها كما قيل فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية فاجتهد أن تكتسب معلومات كثيرة تكن أفعالك كلها حكمية زكية فانها القنية الروحانية كما تجتهد أبناء الدنيا فى اكتساب المال الذى هو القنية الجسدية

واعلم انه كما ان المال يتمكن الانسان به مما يريده من اللذات فى الدنيا وطيب العيش فهكذا بالعلم تتمكن النفس من اللذات فى الدار الآخرة وبالعلم يتقرب الى الله أبناء الآخرة وبه يتفاضل بعضهم على بعض كما قال الله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الآية

واعلم ان بالعلم تحيا النفوس من موت الجهالة وبه تنتبه من نوم الغفلة كما قال الله (أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به) الآية فالعلم يهديك الى طريق ملكوت السماء ويعينك على الصعود الى هناك كقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وأخبر عن أهل الجهالة فقال تعالى (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)

وهذا وعيد لهم بالاياس عن الصعود الى ملكوت السماء فأعيذك أيها الأخ أن ترضى بأن تكون منهم أو معهم وقيل ان المرء مع من أحب بل كن من الذين أمرهم رسول الله ﷺ فقال: كن عالماً أو متعلماً أو تجالس العلماء أو تحب العلماء واياك والخامس الا ان تكون من الطوائف

﴿ فصل في اشتراك الالفاظ وأخواتها ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر المعاني وأخبرنا بأنها صور كلها ورسوم في أفكار النفوس الجزئية وانها تناولتها من الهيولى بطريق الحواس وقلنا أيضاً ان الصور التى فى الهيولى فاضت عليها من النفس الكلية الفلكية وان التى فى النفس أيضاً فاضت عليها من العقل الفعال وان التى فى العقل أيضا أفاضها عليه الباري عزوجل وذكرنا أيضا الالفاظ بمجردها وأخبرنا أن الحروف التى هى أصوات مفردة إذا ألفت صارت ألفاظا وان الالفاظ اذا ضمنت المعاني صارت أسماء وان الاسماء إذا ترادفت صارت كلاما وان الكلام اذا الصق صار أقاويل واعلم ان المعانى هى الارواح والالفاظ كالاجساد لها، وذلك أن كل لفظة لا معنى لها فهى بمنزلة جسد لا روح فيه وكل معنى في فكر النفس لا لفظ له فهو بمنزلة روح لا جسد له. واعلم أن الكلمات اذا اتسقت صارت أقاويل وأن الاقاويل تختلف تارة من جهة اللفظ وتارة من جهة المعنى وتارة منهما جميعا وهى خمسة أنواع فمنها المشتركة في اللفظ المختلفة في المعنى كقولك عين الانسان وعين الماء ومقابلتها هى المترادفة التى هى المختلفة في اللفظ المتفقة في المعنى كقولك البر والحنطة، ومنها المتباينة فى اللفظ والمعنى جميعا كقولك حجر وشجر ومقابلتها المتواطئة وهى المتفقة فى اللفظ والمعنى جميعا كقولك هذا انسان اسمه زيد وهذا اسمه عمر ومنها المشتق أسماؤها وهى كقولك الضارب والمضروب وما شاكلها من الاسماء المشتقة من الافعال

﴿ فصــل ﴾

في أن الاشياء كلها جواهر وأعراض

واعلم يا أخي أن العلماء قالوا ان الاشياء كلها نوعان جواهر وأعراض وأن الجواهر كلها جنس واحد قائمة بانفسها وان الاعراض تسعة أجناس وهي حالة في الجواهر وهي صفات لها وان الباري عز وجل ليس يوصف بانه عرض ولا جوهر بل هو خالقهما وعلتهما الفاعلة ونحن نقول أن الاشياء كلها صور وأعيان غيريات مرتب بعضها تحت بعض كترتيب العدد ومتعلق وجود بعضها ببعض كوجود العدد من الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في رسالة العدد وان الباري جل جلاله هو علتها وهو موجدها كما بينا في رسالة المبادىء العقلية

واعلم ان الصورة نوعان مقومة ومتممة وقد سمت العلماء الصور المقومة جواهر وسمت الصور المتممة أعراضا وقد بينا الفرق بين الصورة المقومة والصورة المتممة فى رسالة الهيولى والصورة وفي رسالة الكون والفساد فاعرفهما من هناك ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

فى حاجة الانسان الى المنطق

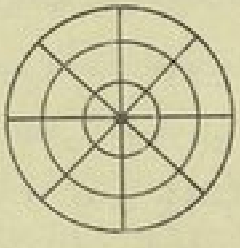
واعلم أيها الاخ أنه لو أمكن الناس ان يفهم بعضهم من بعض المعاني التى فى أفكار نفوسهم من غير عبارة اللسان لما احتاجوا الى الاقاويل التى هى أصوات مسموعة لان فى استماعها واستفهامها كلفة على النفوس من تعليم اللغات وتقويم اللسان والافصاح والبيان ولكن لما كانت نفس كل واحد من البشر مغمورة فى الجسد مغطاة بظلمات الجسم حتى لا ترى واحدة منهما الاخرى الا الهياكل الظاهرة التى هى الاجسام الطويلة العريضة العميقة ولا يدري ما عند كل واحدة منها من العلوم الا ما عبر كل انسان عما في نفسه لغيره من أبناء جنسه ولا يمكنه ذلك الا بادوات وآلات مثل اللسان والشفتين واستنشاق الهواء وما

شا كلها من الشرائط التى يحتاج الانسان اليها فى افهامه غيره من العلوم واستفهامه منه فمن أجل هذا احتيج الى المنطق اللفظى وتعليمه والنظر فى شرائطه التى يطول الخطاب فيها

فأما النفوس الصافية الغير المتجسدة فهى غير محتاجة الى الكلام والاقاويل فى افهام بعضها بعضا من العلوم والمعانى التى فى الافكار وهي النفوس الفلكية لأنها قد صفت من درن الشهوات الجسمانية ونجت من بحر الهيولى وأسر الطبيعة واستغنت عن الكون مع الاجساد المظلمة التى هى أسفل السافلين وعالم الكون والفساد وارتفعت الى أعلى أفق العالم العلوى وسرت فى الجواهر النيرة والشفافة التى هى الكواكب والافلاك وذلك كما توجب الحكمة الالهية والعناية الربانية إذ لم تقرن بالاجسام الساترة ولم تحتج الى كتمان أسرارها ولا الى اخفاء ما فى ضمائرها اذ كانت صافية من الخبث والدغل وبريئة من الاضمار للشر فقرنت بالجواهر النيرة والاكر الشفافة التى يتراءى الجزء منها فى الكل والكل يتراءى فى الجزء كما تتراءى وجوه المرايا المجلاة بعضها فى بعض وكما تتراءى وجوه الجماعة المتقابلين فى عين الواحد منهم ووجه الواحد فى اعين الجميع فهم غير محتاجين الى الاخبار عن الاضمار ولا السؤال عن كتمان الاسرار لانهم فى الاشراق والانوار التى هى معدن الاخيار والابرار

فاجتهد يا أخى فلعل نفسك تصفو وهمتك تعلو من الرغبة فى هذه الدنيا الدنية التى ذمها رب العالمين فقال عز وجل « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر » الى قوله « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وقال تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء » الآية وقال تعالى «قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات » الآية وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

واعلم بأنه اذا عدم الجنس عدم جميع أنواعه معه واذا عدم النوع عدم جميع أشخاصه معه وليس من الضروري اذا وجد الشخص وجد النوع كله ولا إذا وجد النوع وجد الجنس كله . واعلم بأن الاجناس أربعة أنواع ثلاثة يستعملها صاحب اللغة في أقاويله وواحد يستعمله صاحب الفلسفة في أقاويله فالذي يستعمله صاحب اللغة من هذه الثلاثة أحدها جنس البلدي والآخر جنس الصناعي والآخر جنس النسبي فالجنس البلدي كقولك لجماعة تشير اليهم فتقول البغداديون والبصريون والخراسانيون وما شاكله ، والصناعي كقولك لجماعة تشير اليهم فتقول نجارون حدادون خبازون وما شاكله ، والنسبي كقولك لجماعة هاشميون علويون ربعيون . وأما الذى يستعمله الفيلسوف في أقاويله فهو عشرة الفاظ بيناها في قاطيغورياس



الرسالة الحادية عشرة

من القسم الرياضي

في المقولات العشر التي هي قاطيغورياس

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قد فرغنا من ذكر الستة الالفاظ التي في ايساغوجي وبينا ماهية المعاني التي تدل عليها واحداً واحداً فنريد أن نذكر العشرة الالفاظ التي في قاطيغورياس ونبين معانيها ونصف كيف هي وأن كل لفظة منها اسم لجنس من الاجناس الموجودة وان المعاني كلها كيف هي داخلة تحت هذه العشرة الالفاظ

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان الحكماء الاولين لما نظروا الى الاشياء الظاهرة بابصار عيونهم وشاهدوا الامور الجلية بحواسهم تفكروا عند ذلك في معاني بواطنها بعقولهم وبحثوا عن خفيات الامور برويتهم وادركوا حقائق الموجودات بتمييزهم وبان لهم ان الاشياء كلهاأعيان غيريات مرتبة في الوجود كترتيب العدد ومتعلقة مرتبطة بعضها ببعض في البقاء والدوام عن العلة الاولى الذي هو الباري سبحانه كتعلق الاعداد ورباط بعضها ببعض من الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في رسالة العدد

ولما تبين لهم هذه الاشياء كما ذكرنا لقبوا وسموا الاشياء المتقدمة في الوجود الهيولى وسموا الاشياء المتأخرة في الوجود الصورة ، ولما بان لهم ان

الصورة نوعان مقومة ومتممة كما بينا في رسالة «الكون الفساد» سموا الصور المقومة جواهر وسموا الصور المتممة أعراضاً ، ولما بان لهم أيضاً أن الصور المقومة حكمها حكم واحد قالوا ان الجواهر كلها جنس واحد ، وكذلك لما تبينوا ان الصور المتممة احكامها مختلفة قالوا ان الاعراض مختلفة الاجناس وهي تسعة اجناس مثل تسعة آحاد فالجوهر فى الموجودات كالواحد في العدد والاعراض التسعة كالتسعة الآحاد التى بعد الواحد فصارت الموجودات كلها عشرة اجناس مطابقة لعشرة آحاد وصارت الاعراض مرتبة بعضها تحت بعض كترتيب العدد وتعلقه في الوجود عن الواحد الذي قبل الاثنين

فاما الالفاظ العشرة التى تتضمن معانى الموجودات كلها فهى قولهم: الجوهر والكم والكيف والمضاف والاين ومتى والنصبة (الوضع) والملك ويفعل وينفعل

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي بأن كل لفظة من هذه الالفاظ اسم لجنس من الاشياء الموجودة وكل جنس ينقسم الى عدة انواع وكل نوع الى انواع أخر وهكذا دائما الى ان تنتهي القسمة الى الاشخاص كما سنبين بعد

واعلم ياأخي بأن الحكماء لما نظروا الى الموجودات فاول مارأوا الاشخاص مثل زيد وعمرو وخالد ، ثم تفكروا فيمن لم يروه من الناس الماضين والغابرين جميعاً فعلموا ان كلهم تشملهم الصورة الانسانية وان اختلفوا في صفاتهم من الطول والقصر والسواد والبياض والسمرة والزرقة والشهلة والفطسة والقنوة وماشا كلها من الصفات التى يمتاز بها بعضهم من بعض فقالوا كلهم انسان وسموا الانسان نوعا لانه جملة الاشخاص المتفقة في الصور المختلفة بالاعراض ، ثم رأوا شخصاً آخر مثل حمار زيد واتان عمرو وجحش خالد فعلموا أن الصورة الحمارية تشملها كلها فسموها أيضاً نوعا ، ثم رأوا فرس زيد وحصان عمرو ومهر خالد فعلموا ان صورة الفرسية تشملها كلها فسموها أيضاً نوعا ، وعلى هذا القياس سائر اشخاص الحيوانات من الانعام والسباع والطير وحيوان الماء ودواب البر

كل جماعة منها تشملها صورة واحدة سموها نوعاً ، ثم تفكروا فى جميعها فعلموا ان الحياة تشملها كلها فسموها الحيوان ولقبوها الجنس الشامل لجماعات مختلفة الصور وهي أنواع له . ثم نظروا الى أشخاص أخر كالنبات والشجر وأنواعها فعلموا ان النمو والغذاء يشملها كلها فسموها النامي فقالوا هي جنس والحيوان والنبات نوعان له ، ثم رأوا أشياء أخر مثل الحجر والماء والنار والهواء والكواكب وعلموا بأنها كلها أجسام فسموها جنساً، وعلموا بأن الجسم من حيث هو جسم لايتحرك ولا يعقل ولايحس ولا يعلم شيئاً ، ثم وجدوه متحركا منفعلا ومصنوعاً فيه الاشكال والصور والنقوش والاصباغ فعلموا انمع الجسم جوهراً آخر هو الفاعل في الاجسام هذه الافعال والآثار فسموه روحانياً ، ثم جمعوا هذه كلها فى لفظة واحدة وهي قولهم جوهر فصار الجوهر جنساً والروحانى والجسمانى نوعان له، والجسم جنس لما تحته من النامى والجماد وهما نوعان له ، والنامي جنس لما تحته من الحيوان والنبات وهما نوعان له ، والحيوان جنس لما تحته من الناس والطير التى هي سكان الهواء والسابح التى هي سكان الماء والمشاء التى هي سكان البر والهوام التى هي سكان التراب وهي كلها أنواع الحيوان وهو جنس لها

فالانسان نوع الانواع والجوهر جنس الاجناس والجسم والنامى والحيوان نوع من جنس المضاف لانها اذا أضيفت الى ماتحتها سميت أجناساً لها واذا أضيفت الى مافوقها سميت أنواعاً لها . فهذا وجيز من القول في معاني أحد المقولات العشر التى هي الجوهر وأقسامه وأنواعه وأشخاصه وليس له حد ولكن رسمه انه القائم بنفسه القابل للأعراض المتضادة ، ولما رأوا من الجواهر مايقال له ثلاثة أذرع وأربعة أرطال وخمسة مكاييل وماشا كلها جمعواهذه وسموها جنس الكم وهي كلها أعراض في الجوهر ولما رأوا أشياء أخر ليست بالجوهر ولا يقال لها كم مثل البياض والسواد والحلاوة والمرارة والرائحة وماشا كلها جمعوها كلها وسموها جنس الكيف وهذه الأعراض هي صفات للجوهر وهو

موصوف بها وهي قائمة به وكلها صور متممة له كما بينا في رسالة الكون والفساد

ثم انهم وجدوا أشياء شتى تقع على شيء واحد لم يتغير في ذاته بل من أجل اضافته الى أشياء شتى فسموها جنس المضاف مثال ذلك رجل يسمى أباً وابناً وأخاً وزوجاً وجاراً وصديقاً وشريكا وماشا كلها من الاسماء التي لا تقع إلا بين اثنين يشتركان في معنى من المعاني وذلك المعنى لا يكون موجوداً في ذاتيهما ولكن في نفس المفكر سموها جنس المضاف، وأصحاب الصفات يسمون هذه المعاني أحوالا . ثم انهم وجدوا أسماء أخر معانيها غير معاني ماتقدم ذكرها مثل فوق وتحت وهاهنا وماشا كلها من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس الاين . ثم وجدوا أسماء أخر معانيها غير معاني ماذكرنا مثل يوم وشهر وسنة وحين ومدة وماشا كلها من الأسماء فجمعوها كلها وسموها جنس المتى . ثم وجدوا أسماء معانيها غير ذلك مثل قائم وقاعد ونائم ومنحن ومتكىء ومستند ومستلق وماشا كل ذلك من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس النصبة يعني الوضع . ثم وجدوا أسماء أخر مثل قولك له وبه ومنه وعليه وعنده وما شا كلها من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس الملكة . ثم وجدوا أسماء أخر مثل قولك ضرب وفعل وصنع وماشا كلها من الالفاظ التي تدل على تأثير الفاعل فجمعوها كلها وسموها جنس يفعل . ثم وجدوا أسماء أخر مثل قولك انقطع انكسر انبعث انبجس وماشا كلها من الالفاظ وجمعوها كلها وسموها جنس ينفعل . ثم تأملوا الاشياء كلها فلم يجدوا معنى خارجاً عن هذه التي ذكرنا فاجتمعت لهم معاني الاشياء كلها في عشرة الفاظ حسب كما وجدوا لمراتب الآحاد عشرة ألفاظ حسب

واعلم يا أخي بأنه قد جمعت هذه الاجناس كل موجود من الجواهر والاعراض وما كان وما يكون ولا يقدر أحد أن يتوهم شيئاً خارجاً عن هذه الاجناس وماتحتويه من الانواع والاشخاص

واعلم بأنه ربما اجتمعت هذه المعاني في شخص واحد مثال ذلك زيد فانه جوهر وفيه كمية لانه طويل وفيه كيفية لأنه أسود وفيه مضاف لانه ابن وأين

لانه في مكان ومتى لانه في زمان ونصبة لانه قائم أو قاعد وملكة لانه ذومال ويفعل اذا ضرب وينفعل اذا ضرب

واذ قد فرغنا من ذكر الاجناس العشرة بقول وجيز فانا نذكر الآن طرفاً من كيفية تقسيمها الى الانواع ليكون ارشاداً للمتعلمين الى أحد طرق التعاليم اذ كانت طرق التعاليم أربعة أنواع أحدها طريق الحدود والآخر طريق البرهان والآخر طريق التحليل والآخر طريق التقسيم وهي هذه : الجوهر نوعان جسماني وروحاني ، فالجسماني نوعان فلكي وطبيعي ، فالطبيعي نوعان بسيط ومركب ، فالبسيط أربعة أنواع نار وهواء وماء وأرض والمركب نوعان جماد ونامي فالجماد هو الاجسام المعدنية والنامي نوعان نبات وحيوان والنبات ثلاثة أنواع منه مايكون بالغرس كالاشجار ومنه مايتكون بالبذر كالزرع ومنه مايكون بنفسه كالحشائش والكلاء . والحيوان نوعان ناطق كالانسان وغير ناطق كسائرها وهو ثلاثة أنواع منه مايتكون في الرحم ومنه مايتكون في البيض ومنه مايتكون في العفونات كالديب وتحت كل نوع من هذه أنواع وتحت تلك الانواع أنواع أخر الى أن ينتهي الى الاشخاص

وأما الجواهر الروحانية فتنقسم قسمين الهيولى والصورة فالصورة نوعان مفارقة كالنفس والعقل وغير مفارقة كالاشكال والاصباغ ، والكم ينقسم نوعين متصل ومنفصل فالمتصل خمسة أنواع الخط والسطح والجسم والمكان والزمان والمنفصل نوعان العدد والحركة ، والخط ثلاثة أنواع مستقيم ومقوس ومنحن والسطوح ثلاثة أنواع بسيط ومقبب ومقعر والجسم قد تقدم ذكر أقسامه والمكان سبعة أنواع فوق وتحت وقدام وخلف ويمنة ويسرة ووسط ، والزمان ثلاثة ماض ومستقبل وحاضر وكل واحد ينقسم أربعة أنواع السنون والشهور والايام والساعات ، والعدد نوعان أزواج وأفراد ووجه آخر صحيح وكسور ووجه آخر آحاد وعشرات ومئون وألوف . والحركة ستة أنواع الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة وخاصة هذا الجنس مساو وغير مساو ،

والكيف نوعان جسماني وروحاني فالجسماني مايدرك بالحواس والروحاني مايعرف بالعقول كالعلم والقدرة والشجاعة والاعتقادات، والجسماني نوعان مفردة ومركبة فالمفردة نوعان فاعلة وهي الحرارة والبرودة ومنفعلة وهي اليبوسة والرطوبة والمركبة نوعان ملازمة ومزايلة فالملازمة كالطعوم والالوان والروائح وزرقة الازرق وفطسة الافطس والمزايلة كالقيام والقعود وصفرة الوجل وحمرة الخجل

والكيفية الروحانية أربعة انواع الاخلاق والعلوم والآراء والاعمال وخاصية هذا الجنس الشبيه وغير الشبيه ، والمضاف نوعان النظير وغير النظير فالنظير ما كان المضافان في الاسماء سواء كالاخ والجار والصديق وغير النظير ما كان المضافان في الاسماء مختلفين كالاب والابن والعبد والمولى والعلة والمعلول والاول والآخر والنصف والضعف والاصغر والاكبر وكلها في الاضافة معا ، فأماذواتها في الوجود فعلى وجهين الوجه الاول أن يكون أحدهما قبل الآخر كالاب والابن والعلة والمعلول والآخرأن يكونا موجودين قبل الاضافة مثل العبد والمولى والجار والصديق، وجنس المضاف اذا أضيفت ادارته دخل باقي الاجناس كلها فيه بالعرض لا بالذات وذلك ان الجوهر موصوف بالاعراض والاعراض صفات له والصفة صفة للموصوف والموصوف موصوف بالصفة كما ان الاب أب للابن والابن أبن للاب وخاصية هذا الجنس ان المضافين يدوران أحدهما على الآخر ولايتنافيان وهما فى الاضافة معاً فهذه الاربعة الاجناس يقال لها البسيطة

وأما الستة الباقية فيقال لها مركبة أولها الاين وهو من تركيب جوهر مع المكان والاماكن سبعة أنواع كما بينا في جنس الكمية التى هي من تركيب جوهر مع الزمان وقد بينا أنواع الزمان فيجنس الكم والنصبة تركيب جوهر مع جوهر آخر فان المتكيء متكيء على المتكأ والمستند مستند على المستند والملكة من تركيب جوهر مع جوهر آخر وهو ينقسم نوعين إما داخل وإما خارج فالداخل

اما في النفس كما يقال له علم وعقل وحلم وإما في الجسم كما يقال له حسن وجمال ورونق والذي من خارج نوعان حيوان وجماد كما يقال له عبيد ودواب ودراهم وعقارات وتجارات، وجنس يفعل نوعان إما أن يكون أثر الفاعل يبقى في المصنوع كالكتابة والبناء وما شاكلهما من الصنائع ومنها مالا يبقى للفاعل أثر كالرقص والغناء، وجنس ينفعل نوعان اما في الاجسام كما بينا في رسالة الصنائع العملية واما في النفوس كما بينا في رسالة الصنائع العلمية .

وإذ قد فرغنا من ذكر الاجناس العشرة وبينا كيفية انقسامها الى الانواع فنحتاج أن نذكر الاشياء التي لا بد من ذكرها وذلك ان هذه الاشياء اذا قابل بعضها بعضاً فلا يخلو أن يكون تقابلها في القول أو في ذواتها فالذي في القول هو الايجاب والسلب فالايجاب هو اثبات صفة لموصوف والسلب هو نفي صفة عن موصوف والذي يخص هذا التقابل الصدق والكذب وأما الذي في ذوات الاشياء فهو ثلاثة أنواع احدها في الاشياء المتضادة والآخر في الاشياء التي في جنس المضاف والآخر في القنية والعدم والمتضادان هما الشيئان اللذان ينافي كل واحد منهما صاحبه ولا يدور عليه والمتضادان نوعان ذو وسط وغير ذي وسط فالذي هو ذو وسط مثل السواد والبياض اللذين هما ضدان وبينهما وسائط من الالوان كالحمرة والصفرة والخضرة وغيرها ومثل الحلو والمر فانهما ضدان وبينهما طعوم أخر كالحموضة والملوحة والعذوبة وغيرها من الطعوم وغير ذي الوسط كالصحة والمرض ومن خاصية هذين الضدين أن احدهما اذا كان في الجسم فالآخر أيضاً يكون في الجسم فان كان أحدهما في النفس فالآخر أيضاً يكون في النفس وخاصية أخرى ان ادراك أحدهما اذا كان بحاسة فالآخر أيضاً يدرك بتلك الحاسة

مثال ذلك ان السواد لايكون الا في الجسم ولا يدرك الا في البصر كذلك حكم البياض، والعلم لايكون إلا في النفس ولا يدرك الا بالعقل والجهل كذلك حكمه وأما المضافان فانهما متقابلان ولا يتنافيان ويدور أحدهما على الآخر كما بينا

قبل وأما القنية والعدم فشبيه الضد والمضاف جميعاً وذلك ان العدم يضاف الى القنية والقنية لا تضاف الى العدم فيقال عمى البصر ولا يقال بصر العمى والقنية والعدم لا يجتمعان كما ان الضدين لا يجتمعان فاذا كانت القنية جسمانية كان العدم أيضاً جسمانياً وان كانت روحانية فكذلك العدم أيضاً روحاني ولا يقال العادم للقنية الا اذا حان وقت وجوده مثال ذلك لا يقال للطفل انه ادرد الا اذا حان خروج اسنانه ولا تاركا للفعل الا حين امكانه الفعل

فصل في معنى قدم الاشياء

واعلم بان تقدم الاشياء بعضها على بعض من خمسة أوجه أحدها بالزمان والكون كما يقال ان موسى أقدم من عيسى والآخر بالطبع كما يقال ان الحيوان اقدم من الانسان والثالث بالشرف كما يقال الشمس أقدم من القمر والرابعة بالمرتبة كما يقال في العدد ان الخمسة أقدم من الستة والوجه الخامس بالذات كالعلة والمعلول والشيء في الشيء على عدة أوجه الشيء في المكان وفي الزمان وفي الوعاء والعرض في الجوهر والجوهر في العرض والشخص في النوع والنوع في الجنس وعكس هذا والسائس في السياسة والسياسة في السائس والشيء في التمام والاجزاء في الكل وماشا كلها . والشيء مع الشيء يقال على ثلاثة أوجه مع الزمان مثل الفيء مع الضوء ومثل المضافين كما بينا ومثل الانواع التي كلها معاً تحت جنس واحد .

واعلم يا أخي بأن مثل هذه العشرة الالفاظ ومايتضمنها من المعاني التي هي عشرة اجناس المحتوية على جميع معاني الاشياء وما تحت كل واحد من الانواع وماتحت تلك الانواع من الاشخاص كمثل بستان فيه عشرة اشجار على كل شجرة عدة فروع واغصان وعلى كل غصن عدة قضبان وعلى كل قضيب عدة أوراق وتحت كل ورقة عدة أنوار وثمار وكل ثمرة لها طعم ولون ورائحة لا تشبه الاخرى وان مثل النفس اذا هي عرفت معاني هذه العشرة الاجناس وتصورتها

فى ذاتها وتأملت فنون تصاريفها وماتحتوي عليه من المعلومات المختلفة الصور المفننة الهيئات المتلونة الاصباغ كمثل صاحب ذلك البستان اذا فتح بابه ونظر الى مافيه من الالوان والازهار واشتم من روائح تلك الانوار وتناول من تلك الثمار وتطعم من تلك الطعوم وتمتع بنتائج ذلك البستان ، فاجتهد يا أخي فى طلب العلوم وفنون الآداب فان العلوم بساتين النفوس وفنون معانيها وفوائدها الوان الثمار والعلوم غذاء النفس كما ان الطعام غذاء الجسد وبها تكون حياتها ولذة عيشها وسرورها ونعيمها بعد مفارقة الجسد كما بينا في رسالة المعاد .

وفقك الله أيها الاخ البار الرحيم للسداد والرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

تمت الرسالة الحادية عشرة فى المنطق الفلسفي والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين

الرسالة الثانية عشرة

من القسم الرياضي

في معنى بارمانياس

﴿ وهي الرسالة الثالثة من المنطقيات ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر العشرة الالفاظ التي يسميها الحكماء المنطقيون « المقولات العشرة » ووصفنا كمية ما يتضمن كل واحد منها جنساً من المعاني وهي الصور المنتزعة من الهيولى ورسومها المصورة في أفكار النفوس الانسانية مثالها في رسالة قاطيغورياس، وقبل ذلك قد ذكرنا في فصل آخر الستة الالفاظ التي تستعملها الفلاسفة في أقاويلها وفي فصل آخر قبله وصفنا أن الحروف المفردة اذا ألفت صارت الفاظاً وان الالفاظ اذا ضمنت المعاني صارت سمات وان السمات اذا ترادفت صارت كلاماً مفيداً فنقول في هذا الفصل :

ان الكلام كله ثلاثة أنواع ، فمنها ما هي سمات دالات على الاعيان يسميها المنطقيون والنحويون الاسماء ، ومنها ما هي سمات دالات على تأثيرات الاعيان بعضها في بعض ويسميها النحويون الافعال ويسميها المنطقيون الكلمات ، ومنها ما هي سمات دالات على معان كأنها أدوات للمتكلمين تربط بعضها ببعض كالأسماء بالأفعال والأفعال بالأسماء يسميها النحويون الحروف ويسميها المنطقيون الرباطات

فالاسماء هي كل لفظة دالة على معنى بلا زمان كقولك زيد وعمرو وحجر وخشب وما شاكلها من الالفاظ، والفعل مثل ضرب يضرب وعقل يعقل وهو كل لفظة دالة على معنى في زمان والحروف مثل قولك من وفي وعلى وما شاكلها

من الفاظ مذكور شرحها في كتب النحو. وبالجملة ينبغي لمن يريد أن ينظر في المنطق الفلسفي أن يكون قد ارتاض أولا في علم النحو قبل ذلك

واعلم يا أخي ان الكلمات والاسماء اذا اتسقت صارت أقاويل والاقاويل نوعان فمنها ما يقع فيه الصدق والكذب ومنها ما لا يقع فيه لا الصدق ولا الكذب وهذه أربعة أنواع الامر والسؤال والنداء والتمني. والذي يقع الصدق والكذب فيه يسمى الاخبار والاخبار نوعان اما ايجاب صفة لموصوف واما سلبها عنه كقولك النار حارة وليست بحارة فقولك ليست بحارة سلب فالايجاب إما ان يكون صدقا واما أن يكون كذبا وكذلك السلب مثل قولك اذا قلت النار حارة فصدق واذا قلت باردة فكذب واذا قلت النار ليست بباردة فصدق واذا قلت ليست بحارة فكذب فقد تبين لك كيف يكون السلب والايجاب تارة صدقاً وتارة كذبا

واعلم بان الايجاب والسلب تارة يكون حكما حتما وتارة شرطاً واستثناء فالايجاب الحتم مثل قولك الشمس فوق الارض وهو نهار والشرط مثل قولك ان كانت الشمس فوق الارض فهو نهار وكذلك حكم السلب مثله مثال ذلك ليست الشمس فوق الارض ولا هو نهار والشرط والاستثناء مثل قولك ان كانت الشمس ليست فوق الارض فليس هو نهاراً

واعلم بان الحكم نوعان تارة يكون الصدق والكذب فيه ظاهرين وتارة يكونان فيه خفيين بيان ذلك أنه متى كان قول القائل محتملا للتأويل لم يتبين فيه الصدق والكذب ومتى كان غير محتمل للتأويل بان فيه الصدق والكذب

واعلم بان القول يكون غير محتمل للتأويل متى كان محصوراً والمحصور من الاقاويل ما كان عليه سور وسور الاقاويل نوعان كلي وجزئي فالسور الكلي مثل قولك كل انسان حيوان فهذه صدق وظاهر بين لأن عليه سورا كليا والكذب الظاهر البين مثل قول القائل ليس واحد من الناس حيوانا فكذب ظاهر لان عليه سورا كلياً، وأما السور الجزئي فمثل قولك بعض الناس كاتب

وبعض الناس ليس بكاتب والصدق فيهما ظاهر بين لأن عليهما سوراً جزئياً وأما ما كان من الاقاويل الغير المحصورة فهو الذى ليس عليه سور وهو نوعان مهمل ومخصوص فالمهمل مثل قولك الانسان كاتب والانسان ليس بكاتب فلا يتبين فيه الصدق والكذب لانه لا يمكن للقائل أن يقول أردت بعض الناس وأما المخصوص فمثل قول القائل زيد كاتب وزيد ليس بكاتب فلا يتبين فيهما الصدق والكذب لانه يمكنه أن يقول أردت بزيد الفلاني . واما اذا جعل على كل قول قائل سور كلى كما وصفنا فيتبين الصدق عند ذلك لانه لا يمكنه ان يقول أردت غير ما أوجبه الحكم

واعلم انه يجب على المستمع ان يلزم القائل ما يوجبه قوله ويطالبه به لا بما فى ضميره لان الضمائر لا يطلع عليها أحد الا الله تعالى، فقد تبين بهذا المثال ان الكلام اذا لم يكن محصوراً بسور لا يتبين فيه الصدق ولا الكذب ظاهراً

واعلم بأن الاسوار انما تحصل الصفات للموصوفات وتحتاج أيضا ان يكون الموصوف محصلا بصفات معلومة معروفة وذلك ان الموصوف اذا لم يكن معروفا باسم فلا يتبين فيه الصدق والكذب فى القول مثل قولك غير الانسان حيوان وغير زيد كاتب وما سوى الحيوان جواهر ميتة وما شاكل هذه الالفاظ التى هى سمات لاعيان غير معروفة بل مشتركة لكل شيء سوى ذلك المستثنى منه

واعلم يا أخى بأن السلب والايجاب هما حكمان متناقضان في اللفظ والمعنى جميعاً لا يجتمعان فى الصدق والكذب فى صفة واحدة في زمان واحد من جهة واحدة فى اضافة واحدة لأنه رفع الشيء الذى أوجب من الشيء الذي أوجبته له على النحو الذى اوجبته له في الوقت الذي اوجبته له من الوجه الذى اوجبته له ومتى نقصت من هذه الشرائط واحدة جاز اجتماعها على الصدق والكذب جميعا مثال ذلك قولك بعض الناس كاتب وبعض الناس ليس بكاتب وفي الصبى انه كاتب بالقوة ليس بكاتب بالفعل واليه أشار بقوله عليه السلام : « كنت

نبياً وآدم بين الماء والطين» عنى كنت نبياً بالقوة لا بالفعل وفى الرجل الواحد انه عالم بشىء ليس بعالم بشىء آخر وصائم فى رمضان بالنهار ليس بصائم بالليل وكبير بالاضافة الى ما هو أصغر منه وليس بكبير بالاضافة الى ما هو أكبر منه والكلب ليس يتحرك لان الكلب اسم مشترك وكذلك يتحرك اسم يقع فيه الحركات الست

واعلم يا أخى بأنه اذا حكم بالقول على موصوف بصفة سميت تلك الصفة قضية ثنائية مثل قولك زيد كاتب لانه يجوز أن يكون كاتباً وغير كاتب فاذا قطعت على أحد الخبرين كان قولا جازما وقضية جازمة واذا قرن بهذه القضية أحد الازمان الثلاثة سميت قضية ثلاثية مثل قولك زيد كتب أمس او يكتب غدا أو هو كاتب اليوم وان زدت على إحدى القضايا الثلاثية أحد العناصر الثلاثة الذى هو من الممكن والممتنع والواجب سميت رباعية مثل قولك يمكن ان يكون هذا الصبى يوما ما رجلا جلدا وممتنع ان يحمل يوما ما الف رطل وواجب ان يموت يوما ما

واعلم بأن السلب والايجاب نوعان كلية وجزئية فالكلية الموجبة مثل قولك كل نار حارة وسالبتها ليس شىء من النيران حارة فاذا تقابلتا سميتا أضداداً كبرى والموجبة الجزئية مثل قولك بعض الناس كاتب وسالبتها ليس واحد من الناس بكاتب واذا تقابلتا سميتا أضداداً صغرى ، واذا تقابلت قضيتان موجبتان أو سالبتان سميتا متتاليتين مثل قولك بعض الناس حيوان بل كل الناس حيوان وان بعض الناس لا يطير بل كل الناس لا يطيرون والقضيتان المتلازمتان هما اللتان تتفقان في المعنى وتختلفان في اللفظ مثال ذلك كل نار حارة وليست شىء من النيران باردة وبعض الناس كاتب ليس بعض الناس أمياً

واعلم ان الصفة تسمى محمولا والموصوف يسمى موضوعاً لحمله فاذا كثرت الموصوفات والصفة واحدة فالقضايا تكون كثيرة مثل قولك زيد كاتب وخالد كاتب وعمرو كاتب واذا كثرت الصفات والموصوف واحد فالقضايا كثيرة مثل

قولك زيد كاتب وحداد ونجار فاذا كثرت الصفات في اللفظ والمعنى واحد فالقضية واحدة مثل قولك زيد فهم فقيه عالم

واعلم أن القضايا تختلف تارة بالسلب والايجاب وتارة بالكل والجزء والاختلاف بالسلب والايجاب يسمى كيفية وبالكلية والجزئية يسمى كمية فاذا اختلفت القضايا بالكيفية والكمية سميتا متناقضتين واذا اختلفت بالكيفية سميتا متضادتين والمتناقضان أشد عناداً من المتضادين والمتضادان مثل قولك كل انسان كاتب كل انسان ليس بكاتب والمتناقضان مثل قولك كل انسان كاتب ليس كل من الناس بكاتب

واعلم بأن الواجب في الكون أقدم في الطبع من الممكن والممكن أقدم من الممتنع لانه لو لم يكن الواجب في الكون لما عرف الممكن ولو لم يكن الممكن لما عرف الممتنع

واعلم يا أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه بأن كل قضية كلية أو جزئية ،وجبة كانت أو سالبة فهي مركبة من حدين يسمى أحدهما الموضوع والآخر المحمول مثال ذلك قولك النار حارة فالنار هي الموضوعة والحرارة هي المحمولة

واعلم بأنه ربما جعل الموضوع محمولا والمحمول موضوعاً مثال ذلك اذا قيل النار حارة ثم قيل الحارة نار ويسمى هذا عكس القضية

واعلم بأنه ربما تكون القضية قبل العكس صادقة وبعده كاذبة مثل قولك كل حيوان انسان وكل انسان حيوان وربما تكون صادقة قبل العكس وبعده مثل قولك كل انسان ضحاك وكل ضحاك انسان وربما تكون كاذبة فى الحالتين جميعاً مثل قولك كل انسان طائر وكل طائر انسان

هذه آخر رسالة بارامانياس وتليها رسالة انولوطيقا الاولى والحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الرسالة الثالثة عشرة

من القسم الرياضي

في معنى انولوطيقا

﴿ فصل في أنولوطيقا الاولى ﴾

اعلم يا أخي بأن كل قضيتين اذا قرنتا ووجب عنهما حكم آخر سميت القضيتان مقدمتين وسمي ذلك الحكم نتيجتهما مثال ذلك اذا قيل كل انسان حيوان وكل حيوان نام فينتج من هاتين ان كل انسان نام

واعلم بأن المقدمتين لاتقترنان الا ان تشتركا في كل حد واحد وتتباينان بحدين آخرين، وذلك الحد لايخلو من أن يكون موضوعاً في احداهما ومحمولاً في الاخرى أو يكون محمولاً في كلتيهما أو يكون موضوعاً فيهما جميعاً فان كان موضوعاً في احداهما محمولاً في الاخرى يسمى ذلك الشكل الاول وهو مثل قولك كل انسان حيوان وكل حيوان متحرك فالحيوان هو الحد المشترك في المقدمتين جميعاً محمولاً في الاولى موضوعاً في الاخرى وان كان محمولاً فيهما جميعاً سمي ذلك الشكل الثاني وهو قولك كل انسان حيوان وكل طير حيوان فالحد المشترك الذي هو الحيوان محمول فيهما جميعاً وان كان موضوعاً فيهما سمي ذلك الشكل الثالث وهو مثل قولك كل انسان حيوان وكل انسان ضحاك.

واعلم ياأخي بانه إذا اقترنت هذه المقدمات على هذه الشرائط واستخرج بها حكم ماسمي جميع ذلك الشكل « سلوجيسموس » يعني القياس المنتج

واعلم ياأخي بان من المقدمات ماهو منتج ومنها ماهو غير منتج فالمنتج ماتقدم ذكره وغير المنتج هو ماليس له حد مشترك مثل قولك كل انسان حيوان وكل حجر يابس فان هاتين المقدمتين وان كانتا صادقتين فليستا تنتجان شيئاً لانه ليس لهما حد مشترك .

واعلم يا أخي انه انما احتيج فى المقدمات الى الحد المشترك ليقع الازدواج بينهما وانما يراد الازدواج لتخرج النتيجة التى هى الغرض من تقديم المقدمات كما ان الغرض من تزويج الحيوان الذكور مع الاناث هو ان ينتج منها أولاد مثلهم، فهكذا أيضا حكم المقدمتين واقترانهما هو لان ينتج منهما حكم على شىء ليس بظاهر للعقول فمن أجل هذا احتيج الى اقتران المقدمات

واعلم يا أخى بانه ليس كل اقتران منتجاً كما انه ليس من كل تزويج يكون الولادة وذلك انه اذا قيل كل انسان حيوان وكل طائر حيوان فان هاتين المقدمتين وان كانتا قد اشتركتا في حد فليس ينتج من اقترانهما نتيجة لانهما من الشكل الثاني وهكذا اذا قيل ليس واحد من الناس طائراً ولا واحد من الناس حجراً فان هاتين المقدمتين وان كانتا قد اشتركتا فليس ينتج من اقترانهما شىء لانهما من الشكل الثالث وهذان الشكلان ليس يوثق بنتيجتهما دون أن يعتبر بالشكل الاول كما بين ذلك في كتب المنطق بشرح طويل

واعلم يا أخى بأن مقدمات الشكل الاول منتجة كلها كلية كانت أو جزئية سالبة كانت أو موجبة مثال ذلك اذا قيل كل انسان حيوان كلية موجبة صادقة وكل حيوان متحرك كلية موجبة صادقة ينتجان كل انسان متحرك كلية موجبة صادقة واذا قيل ليس واحد من الناس حجراً كلية سالبة صادقة ولا واحد من الاحجار طائراً كلية سالبة صادقة نتيجتهما ليس واحد من الناس طائراً كلية سالبة صادقة وبعض الناس كاتب جزئية موجبة صادقة وبعض الكتاب حاسب جزئية موجبة صادقة نتيجتهما بعض الناس حاسب جزئية موجبة صادقة وبعض الناس ليس بكاتب جزئية سالبة صادقة وبعض الكتاب ليس بحاسب جزئية سالبة صادقة نتيجتهما بعض الناس ليس بحاسب جزئية سالبة صادقة فقد بان ان هذا الشكل ومقدماته ينبغي أن يتحفظ بها ويعرف استعمالها فى القياسات وكيفية استخراج نتائجها ويتحرز من السهو والغلط فيها فانه يدخل عليها الآفات العارضة كما يدخل فى سائر الموازين والقياسات اما بقصد من المستعملين لها أو بسهو يدخل

عليهم فيها وذلك انه ربما تكون المقدمات صادقة ونتائجها كاذبة وربما* كانت المقدمات كاذبة ونتائجها صادقة وربما تكون المقدمات والنتيجة كاذبة كلها أو صادقة كلها .

واعلم يا أخي بان هذا الباب ينبغي أن يتفحص وينظر موضع المغالطة فيه ويتحرز منه فان الذين راموا ابطال القياس المنطقي من هذا الباب أتوا وذلك ان أرسطاطاليس لما عمل كتاب القياس وبين فيه القياس الصحيح الذي لايدخله الخطاء والزلل وذكر انه ميزان يعرف به الصدق من الكذب في الاقاويل والصواب من الخطأ في الاراء والحق من الباطل في الاعتقادات والشر من الخير في الافعال فكثر الراغبون فيه في ذلك الزمان والطالبون له وتركوا ماسواه من كتب الجدل وزال الاختلاف الذي كان بينهم لرجوعهم الى الميزان الذي ريهم الحق ووثقوا به وأيقنوا انه لايجوز غيره كقوم اختلفو في وزن شيء من الاشياء فلما اعتبروه بالميزان عرفوه يقيناً ورجعوا اليه وتركوا الجدل والمراء فلما زال الاختلاف فيما بينهم حسده جماعة من أبناء جنسه من المتفلسفة وراموا ابطال ذلك عليه من هذا الطريق وهو ان أتوا بمقدمات صادقة نتائجها كاذبة وبمقدمات كاذبة نتائجها صادقة وبمقدمات كاذبة نتائجها كاذبة وعارضوا بها تلامذة ارسطاطاليس لكيما ينفروهم عنها ويزهدوهم فيها وهي هذه ليس واحد من الناس بحجر سالبة صادقة ولاواحد من الاحجار بحيوان سالبة صادقة نتيجتهما لاواحد من الناس بحيوان سالبة كاذبة والآخر كل انسان طائر موجبة كاذبة وكل طائر ناطق موجبة كاذبة نتيجتهما كل انسان ناطق موجبة صادقة وكل انسان طائر موجبة كاذبة وكل طائر حجر موجبة كاذبة نتيجتهما كل انسان حجر موجبة كاذبة وكل انسان حيوان موجبة صادقة

واعلم يا أخي بأن مثل هذه المغالطة تدخل في الصناعة من وجهين أحدهما أن يكون المتعاطى جاهلا بصناعة القياس أو ناقصاً فيها فيغالط ولايدري من أين وكيف ولم ، كما يغلط من يحسب ولايدري الحساب أو يزن أو يكيل ولايدري

كيف الوزن والكيل أو يكون عارفاً بالصناعة ولكن يقصد عمداً وعناداً لغرض من الاغراض كما يفعل الحاسب والوزان والكيال دغلا وغشاً وحيلة فمن أجل هذه المغالطة التي أتى بها القوم أوصى ارسطاطاليس تلاميذه بسبع شرائط أن لا يستعمل قياس برهاني من مقدمتين سالبتين لا كليتين ولا جزئيتين أصلا ولا مهملتين ولا جزئية ولا خاصية البتة إذ كان منها تكون هذه المقدمات التي أتى بها القوم لمغالطتهم بل يقتصر على استعمال المقدمات الصادقة التي نتائجها صادقة وهي التي تغافل القوم عن ذكرها والمقدمات التي تصدق هي ونتائجها في كل مادة وفي كل زمان قبل العكس وبعد العكس تبين ذلك كله في انولوطيقا الثانية

فصل

في بيان العلة الداعية الى تصنيف القياسات المنطقية

اعلم يا أخي بأن الحكماء الأولين لما نظروا في فنون العلوم وأحكموها واستخرجوا الصنائع العجيبة وأتقنوها واستنبطوا عند ذلك لكل علم وصناعة أصلا منه تتفرع أنواعه ووضعوا له قياساً يعرف به فروعها وميزاناً يتبين به الزائد والناقص والمستوي منها مثل صناعة العروض التي هي ميزان الشعر يعرف بها الصحيح والمزحف من الابيات ومثل صناعة النحو التي هي ميزان الاعراب يعرف بها اللحن والصواب في الكلام ومثل الاسطرلاب الذي هو ميزان يعرف به الاوقات في صناعة النجوم ومثل المسطرة والبركار والكونيا التي هي موازين في أكثر الصنائع يعرف بها الاستواء من الاعوجاج ومثل المكيال والذراع والشاهين والقبان التي هي موازين يعرف بها الزائد والناقص والمستوى في البيع والشراء في معاملات التجار ومثل الحساب الذي هو ميزان العمال وأصحاب الدواوين

واعلم يا أخي بأن هذه المقاييس والموازين هي حكام بين الناس نصبها الله الباري جل ثناؤه بين خلقه قضاة وعدولا تحكم بالحق فيما يختلف الناس فيه

من الحكم بالحزر والتخمين لكيما اذا تحاكموا الى الموازين والمكاييل والمقاييس حكمت بينهم بالحق وقضى الامر وانفصل الخطاب وارتفع الخلف، فلما رأى الحكماء المنطقيون اختلاف العلماء في الاقاويل والحكم على المعلومات بالحزر والتخمين بالأوهام الكاذبة ومنازعتهم فيها وتكذيب بعضهم بعضاً وادعاء كل واحد ان حكمه الحق وخصمه المبطل ولم يجدوا لهم قاضياً من البشر يرضون بحكمه لان ذلك القاضى أيضاً يكون أحد الخصوم فرأوا من الرأي الصواب والحكمة البالغة أن يستخرجوا بقرائح عقولهم ميزاناً مستوياً وقياسا صحيحا ليكون قاضيا بينهم فيما يختلفون فيه لايدخله الخلل واذا تحاكموا اليه قضى بالحق وحكم بالعدل لايحابي أحداً وهو القياس الذي يسمى البرهان المنطقي المماثل للبرهان الهندسى الذي يشبه البرهان العددي

فصل فى القياس المنطقي

واعلم بأنه لما كان مقياس كل صناعة وميزان كل بضاعة متخذاً من الاشياء التى تشا كلها من موضوعاتها كالموازين التى يعرف بها الاثقال بصنجات لها ثقل وميزان المساحة الذى تعرف به ابعاد أشياء لها ابعاد وهي الذراع والباب والاشل، ومثل المسطرة التى تعرف بها الاشياء المستوية، فهكذا قاس الذين استخرجوا البرهان المنطقى وقالوا ان اختلاف العلماء فيما يدعون من الحق والباطل والصواب والخطأ الذي في ضمائرهم لايتبين لنا إلا فى أقاويلهم من الصدق والكذب وان الاقاويل الصادقة والكاذبة لاتعرف الابميزان وقياس يقاس بها ويوزن، ولما كان الميزان أيضا لايكون الا من أشياء تجمع وتركب ضربا من التأليف حتى تصير ميزانا يمكن أن يوزن به ويقاس عليه مثال ذلك الميزان الذي تعرف به الاثقال فانه مجموع من كفتين وعمود وخيوط وصنجات فهكذا سلكوا في اتخاذ الميزان المنطقي الذي يسمى البرهان وبدأوا أولا فذكروا الأشياء التى منها يكون الميزان والموزون جميعاً في قاطيغورياس ثم ذكروا في بارامانياس كيف تركب وتؤلف تلك الاشياء حتى يكون منها ميزان ومقياس ثم ذكروا في انولوطيقا الاولى كيف يعتبر ذلك الميزان حتى لا

يكون فيه الغبن والاعوجاج ثم ذكروا كيفية الوزن به حتى يصح ولا يدخل الخلل في أنولوطيقا الثانية

﴿ فصل في ان الحكم على الاشياء بالعقل ﴾ والحث على تحري الصواب

واعلم يا أخي بأن الانسان قادر على أن يقول خلاف ما يعلم ولكن لا يقدر أن يعلم خلاف ما يعقل وذلك انه يمكنه أن يقول زيد قائم قاعد في حال واحدة ولكن لا يمكنه ان يعلم ذلك لأن عقله ينكره عليه فلما كان هذا هكذا فلا ينبغي أن ينزل بالحكم على قول القائلين ولكن على حكم العقول

واعلم يا أخي بأن أهل كل صناعة يحرصون على حفظ أنفسهم من الخطأ والزلل في صناعتهم وذلك أن أهل كل علم يتجنبون الخطأ ويتحرون الصواب والحق ويجتهدون في ذلك فينبغي لاخواننا ، أيدهم الله وايانا بروح منه ، ومن يتعاطى منهم المنطق الفلسفي ان يحفظ أقاويله من التناقض من أولها الى آخرها فان من المتكلمين من يحفظ أقاويله من التناقض في مجلس واحد أو عدة مجالس ولكن قل من يحفظ كل أقاويله من أوائلها الى أواخرها حتى لا يناقض بعضها بعضاً مثال ذلك من قال في كتاب له ان من شأن النفس أن تتبع مزاج البدن ثم قال في كتاب آخر ان النفس مزاج البدن ثم قال في كتاب آخر لا أدري ما النفس ومثل من يعتقد بأن الله عز وجل خلق الخلق لينفعهم ثم يقول ويعتقد بأنه لا يغفر لهم ولا يخرجهم من النار ومثل من يعتقد بأن المكان جسم أو عرض حال في الجسم ثم يعتقد انه يبطل الجسم ويبقى المكان فارغا ومثل من يقول ان الجزء لا يتجزأ ثم يعتقد بأن له ست جهات وهو يشغل الحيز وما شاكل ذلك من الاقاويل المتناقضة والآراء الفاسدة يعتقدها انسان واحد في نفسه ثم يتعاطى مع هذا المنطق الفلسفي والبرهان الحقيقي

واعلم يا أخي علما يقينا بأن أهل كل صناعة وعلم اذا لم يكن لهم أصل صحيح في صناعتهم منه يتفرع علمهم وقياس مستو عليه يقاس ما يعملونه مثل

صناعة العدد كما بينا قبل فانه لا يمكنه ان يتحرز فيه من الخطأ ولا أن يتجنب فيه من الباطل لأن الاصل اذا كان خطأ فالفروع عليه تدور

واعلم بأن من لا يحس بالتناقض في أقاويله فكيف يوثق به في آرائه واعتقاده وكيف يؤمن عليه أنه غير معتقد آراء متناقضة ويكون فيها مخالفا لنفسه ولا يدري وكيف يرجى منه الوفاق مع غيره وهو مخالف لنفسه ومناقض لاعتقاده وجاهل في معلوماته ؟

فصل ان المنطق اداة الفيلسوف

واعلم يا أخي بأن الحكماء المنطقيين انما وضعوا القياس المنطقي واستخرجوا البرهان الصحيح ليكون المتعاطي للمنطق يبتديء أولا ويقيم البرهان من عند نفسه على اعتقاداته فاذا صحت في نفسه تلك رام أن يصححها عند غيره وقبل كل شيء تحتاج يا أخي أن تعلم كيف تحفظ أقاويلك من التناقض فانك اذا فعلت ذلك فقد أحكمت صناعة المنطق الفلسفي

واعلم بأن المنطق ميزان الفلسفة وقد قيل انه اداة الفيلسوف وذلك أنه لما كانت الفلسفة أشرف الصنائع البشرية بعد النبوة صار من الواجب أن يكون ميزان الفلسفة أصح الموازين واداة الفيلسوف أشرف الأدوات لأنه قيل في حد الفلسفة أنها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية

واعلم بأن معنى قولهم طاقة الانسان هو أن يجتهد الانسان ويتحرز من الكذب في كلامه وأقاويله ويتجنب من الباطل في اعتقاده ومن الخطأ في معلوماته ومن الرداءة في أخلاقه ومن الشر في أفعاله ومن الزلل في أعماله ومن النقص في صناعته . هذا هو معنى قولهم التشبه بالاله بحسب طاقة الانسان لان الله عز وجل لا يقول الا الصدق ولا يفعل الا الخير فاجتهد يا أخي في التشبه به في هذه الاشياء فلعلك توفق لذلك فتصلح ان تلقاه فانه لا يصلح للقائه الا المهذبون بالتأديب الشرعي والرياضات الفلسفية

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا ان نقدمه من هذه الرسالة بلفظ وجيز عمدنا الى الرسالة التي هي موضوعة للبرهان

الرسالة الرابعة عشرة

من القسم الرياضي

في معنى انولوطيقا الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قد فرغنا من ذكر المقولات العشرة وكمية أنواعها وكيفية اقتراناتها وفنون نتائجها فيما تقدم فنريد الآن أن نبين ماالقياس البرهاني وكمية أنواعه وكيفية تأليفه واستعماله واستخراج نتائجه ولكن نحتاج قبل ذلك كله أن نخبر أولا ماغرض الفلاسفة في استعمال القياس البرهاني

واعلم يا أخي بأنه لما كانت طرق العلوم والمعارف والاستشعار والاحساس كثيرة كما بينا بعضها في رسالة الحاس والمحسوس وبعضها فى رسالة العقل والمعقول وبعضها في رسالة أجناس العلوم وكانت الطرق التى سلكها الفلاسفة منها في التعاليم وطلبهم معرفة حقائق الاشياء أربعة أنواع وهي التقسيم والتحليل والحدود والبرهان احتجنا أن نذكر واحداً واحداً منها ونبين كيفية المسلك فيها وان المعلومات كيف تعرف بها ولم هى أربع طرق لاأقل ولا أكثر، أما علة ذلك فانه لما استبان واتضح في قاطيغورياس بطريق القسمة ان الموجودات كلها ليست تخلو أن تكون أجناساً وأنواعاً وفصولا وأشخاصاً وجب ضرورة أن تكون طريق المعرفة بكل واحد منها غير الاخرى ، بيان ذلك انه بالقسمة

تعرف حقيقة الاجناس من الانواع والانواع من الاشخاص وبالتحليل تعرف حقيقة الاشخاص أعني كل واحد منها مماذا هو مركب ومن أي الاشياء هو مؤلف والى ماذا ينحل وبالحدود تعرف حقيقة الانواع من أي الاجناس كل واحد منها وبكم فصل يمتاز عن غيره وبالبرهان تعرف حقيقة الاجناس التي هي أعيان كليات معقولات كما سنبين بعد هذا الفصل، فنريد أن نشرح أولا طريق التحليل في هذا الفصل إذ قد فرغنا من طريق القسمة في قاطيغورياس ولعلة أخرى أيضاً ان طريق التحليل أقرب الى افهام المتعلمين لانها طريق يعرف بها حقيقة الاشخاص والاشخاص هي أمورجزئية محسوسة كما سنبين بعد هذا الفصل، وأما طريق الحدود وطريق البرهان فهما أدق وألطف وانما يعرف بهما الاشياء المعقولة وهي الانواع والاجناس

﴿ فصل في طريق التحليل والحدود والبرهان ﴾

واعلم بأن معنى قولنا الشخص انما هو اشارة الى جملة مجموعة من أشياء شتى أو مؤلفة من أجزاء عدة منفردة متميزة عن غيرها من الموجودات، والاشخاص نوعان فمنها مجموع من أجزاء متشابهة مثل هذه السبيكة وهذا الحجر وهذه الخشبة وماشا كل ذلك من الاشخاص التي أجزاؤها كلها من جوهر واحد ومنها أشخاص مجموعة من أجزاء مختلفة الجواهر متغايرة الاعراض مثل هذا الجسد وهذه الشجرة وهذه المدينة وماشا كل ذلك من المجموعات من أشياء شتى ، فاذا أردنا أن نعرف حقيقة شخص من هذه الاشخاص نظرنا أولا الى الاشياء التي هي مركبة منها ماهي وبحثنا عن الاجزاء التي هي مؤلفة منها كم هي

واعلم يا أخي بأن الاشياء المركبة كثيرة الانواع لايحصى عددها الا الله عز وجل ولكن يجمعها كلها ثلاثة أجناس إما أن تكون جسمانية طبيعية أو جرمانية صناعية أو نفسانية روحانية ، فنريد أن نذكر من كل جنس منها مثالا

واحداً لكيما يقاس عليه سائرها فمن الاشخاص الجسمانية الطبيعية جسد الانسان فانه جملة مجموعة مؤلفة من أعضاء مختلفة الاشكال كالرأس واليدين والرجلين والرقبة والصدر وماشاكلها، وكل عضو منها أيضاً مركب من أجزاء مختلفة الجواهر والاعراض كالعظم والعصب والعروق واللحم والجلد وماشاكلها وكل واحد منها مكون من الاخلاط الاربعة وكل واحد من الاخلاط له مزاج من الكيموس والكيموس من صفو الغذاء والغذاء من لب النبات والنبات من لطائف الاركان والاركان من الجسم المطلق بما يخصها من الاوصاف والجسم مؤلف من الهيولى والصورة وهما البسيطان الاولان والجسد هو المركب الاخير وأما سائرها فبسائط ومركبات بالاضافة، ومثال آخر من الجرمانية الصناعية وهو قولنا المدينة فانا نشير به الى جملة من أسواق ومحال وكل واحد منها جملة من منازل ودور وحوانيت وكل واحد منها مؤلف ومركب من حيطان وسقوف وكل واحد منها أيضاً مركب من الجص والآجر والخشب وماشاكل ذلك وكلها من الاركان والاركان من الجسم والجسم من الهيولى والصورة .

ومثال آخر من الروحاني والنفساني وهو قولنا الغناء اشارة الى ألحان مؤتلفة واللحن مؤلف من نغمات متناسبة وأبيات متزنة والابيات مؤلفة من المفاعيل والمفاعيل من الاوتاد والاسباب وكل واحد منها أيضاً مؤلف من حروف متحركات وسواكن وانما يعرف هذه الاشياء صاحب العروض ومن ينظر في النسب الموسيقية وعلى هذه المثالات يعتبر طريق التحليل حتى يتضح ان الاشياء المركبة من ماذا هي مركبة ومؤلفة فعند ذلك يعرف حقيقتها . وأما طريق الحدود فالغرض منها معرفة حقيقة الانواع وكيفية المسلك فيه هو ان يشار الى نوع من الانواع ثم يبحث عن جنسه وكمية فصوله وتجمع كلها في أوجز الالفاظ ويعبر عنها عند السؤال مثال ذلك ماحد الانسان فيقال حيوان ناطق مائت فان قيل ماحد الحيوان فيقال جسم متحرك حساس فان قيل ماحد الجسم فيقال جوهر مركب طويل عريض عميق فان قيل ماحد الجوهر فيقال لاحد له ولكن له رسم وهو ان

تقول هو الموجود القائم بنفسه القابل للصفات المتضادة فان قيل ما الصفات المتضادة فيقال اعراض حالة في الجواهر لا كالجزء منها ، فعلى هذا القياس يعتبر طريق الحدود وقد افردنا لها رسالة. وأما طريق البرهان والغرض المطلوب فيه فهو معرفة الصور المقومة التى هى ذوات أعيان موجودة والفرق بينها وبين الصور المتممة لها التى هى كلها صفات لها ونعوت واحوال ترادفت عليها وهى موصوفة بها ولكن الحواس لا تميزها لانها مغمورة تحت هذه الاوصاف مغطاة بها فمن أجل هذا احتيج الى النظر الدقيق والبحث الشافي في معرفتها والتمييز بينها وبين ما يليق بها ويترادف عليها بطريق القياس والبرهان

﴿ فصل فى ماهية القياس ﴾

واعلم يا أخى انه لما كان أكثر معلومات الانسان مكتسباً بطريق القياس وكان القياس حكمه تارة يكون صوابا وتارة يكون خطاء احتجنا أن نبين ماعلة ذلك لكيما يتحرز من الخطاء عند استعمال القياس ، فنقول :

القياس هو تأليف المقدمات واستعماله هو استخراج نتائجها ومقدمات القياس مأخوذة من المعلومات التى فى أوائل العقول وتلك المعلومات أيضاً مأخوذة أوائلها من طرق الحواس كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفيتها

﴿ فصل في بيان حاجة الانسان الى استعمال القياس ﴾

اعلم يا أخى بانه لما كانت الحواس تدرك أن الاشخاص مركبة من جواهر بسيطة فى أماكن متباينة واعراض جزئية فى محال متميزة عرفت بانها اعيان غيريات موجودة فحسب وأما كمياتها وكيفياتها فلم تعلم على الاستقصاء الا بالقياسات الموضوعة المركبة مثال ذلك انه اذا علم الانسان بالحواس ان بعض الاجسام ثقيلة أو كثيرة أو عظيمة فانه لا يمكنه أن يعلم كمية اثقالها الا بالميزان ولا كثرتها الا بالكيل ولا عظمها الا بالذرع وما شاكل هذه وهي كلها موازين ومقاييس يعلم الانسان بها مالا يمكنه ان يعلمه بالحزر والتخمين

﴿ فصل فى وجوه الخطأ في القياس ﴾

واعلم يا أخى بان الخطأ يدخل فى القياس من وجوه ثلاثة احدها أن يكون المقياس معوجا ناقصاً أو زائداً والثانى أن يكون المستعمل للقياس جاهلا بكيفية استعماله والثالث أن يكون القياس صحيحاً والمستعمل عارفاً ولكن يقصد فيغالط دغلا وغشاً لمأرب له.

﴿فصل في كيفية دخول الخطأ من جهة المستعمل الجاهل﴾

واعلم يا أخي بان الانسان مطبوع على استعمال القياس منذ الصبى كما هو مجبول على استعمال الحواس وذلك ان الطفل اذا ترعرع واستوى وأخذ يتأمل المحسوسات ونظر الى والديه وعرفهما حساً وميز بينهما وبين نفسه أخذ عند ذلك باستعمال الظنون والتوهم والتخمين فاذا رأى صبياً مثله وتأمله علم عند ذلك ان له والدين وان لم يرهما حسا قياساً على نفسه وهذا قياس صحيح لاخطأ فيه لانه استدلال بمشاهدة المعلول على اثبات العلة فان كان له إخوة وقدعرفهم بالحس أخذ عند ذلك أيضاً بالتوهم والظن والتخمين بأن لذلك الصبى ايضاً إخوة قياساً على نفسه وهذا القياس يدخله الخطأ والصواب لانه استدلال بمشاهدة المعلول على اثبات ابناء جنسه لا على اثبات علته وهكذا أيضاً كما رأى هذا الصبى امرأة ورجلا ظن وتوهم ان لهما ولداً وان لم ير ولدهما قياساً على حكم والديه وربما صدق هذا القياس حكمه وربما كذب لانه استدلال بمشاهدة أبناء جنس العلة على اثبات معلولاتها وعلى هذا المثال يقيس الانسان من الصبا كلما وجد حالا أو سبباً لنفسه أو لابويه أو لاخوته ظن مثل ذلك وتوهم لسائر الصبيان ولآبائهم ولاخوتهم قياساً على نفسه وابويه واخوته حتى انه كلما أصابه جوع أو عطش أو عرى أو وجد حراً أو برداً أو أكل طعاماً فاستلذه أو شرب شراباً فاستطابه أو لبس لباسا فاستحسنه أو حزن على شيء فاته أو فرح بشيء وجده ظن عند مايصيبه من هذه الاحوال شيء ان قدأصاب سائرالصبيان الذين هم أبناء جنسه مثل ذلك

وعلى هذا المثال تجري سائر ظنونه وتوهمه فى احكام المحسوسات حتى ربما كان في دار والديه دابة أو متاع أو أثاث أو بئر ماؤها مالح ظن وتوهم أن في سائر دور الصبيان مثل ذلك حتى اذا بلغ وعقل وتفحص الامور المحسوسة واعتبر احوال الاشخاص الموجودة عرف عند ذلك حقائق ما كان يظن ويتوهم فى ايام الصبي واستبان له شيء بعد شيء صوابا كان ظنه أو خطأ

فصل فى بيان طريق الخطأ عند العقلاء وخطأ القياس عند الفلاسفة

واعلم يا أخي بأن على هذا المثال يجري سائر أحكام العقلاء وظنونهم وتوهمهم فى الاشياء قبل البحث والكشف وذلك أن أكثر الناس اذا رأوا في بلدهم ريحا أو مطراً أو حراً أو برداً أو ليلا أو نهاراً أو شتاء أو صيفا ظنوا وتوهموا بان ذلك موجود في سائر البلدان قياساً على ما يجدون في بلدهم كما كانوا يظنون وهم صبيان في سائر بيوت الناس مثل ما كانوا يجدون في بيوت آبائهم حتى استبان لهم بعد التجربة حقيقة ما كانوا يتوهمون كما بينا قبل . فهكذا يجري حكم العقلاء من الناس فى ظنونهم وتوهمهم فى مثل هذه الاشياء التى تقدم ذكرها حتى اذا نظروا فى العلوم الرياضية وخاصة علم الهيئة استبان لهم عند ذلك حقيقة ما كانوا يظنون ويتوهمون صوابا كان أو خطأ

واعلم يا أخي بأن الانسان لاينفك من هذه الظنون والاوهام لا العقلاء المتيقنون ولا العلماء المرتاضون ولا الحكماء المتفلسفون أيضاً وذلك انا نجد كثيراً ممن يتعاطى الفلسفة والمعقولات والبراهين يظنون ويتوهمون أن الارض فى موضعها الخاص بها هي ثقيلة أيضا قياسا على ما وجدوا من ثقل أجزائها أي جزء كان فاذا كان هذا هكذا فغير مأمون أن تكون سائر القياسات تجري هذا المجرى ؛ وفي هذا ما يدل على ضعف القياس وفساده ودلالته وهكذا يظن كثير منهم من يكون فى مقابلة بلدهم من جانب الارض ان قيامهم يكون منكوسا قياساً على ما يجدون

من حال من يكون واقفاً تحت سطح وآخر هو قائم فوقه رجلاه في مقابلة رجليه وهكذا يظن كثير منهم ان خارج العالم فضاء بلا نهاية إما ملاء واما خلاء قياسا على ما يجدون من خارج دورهم من أماكن أخر وخارج بلدهم بلدانا أخر وخارج عالمهم عالم الافلاك وهكذا يظنون أن الباري عز وجل خلق العالم في مكان وزمان قياسا على ما يجدون من أفعالهم وصنائعهم في مكان وزمان . ولهذه العلة ظن كثير منهم ان البارى جل جلاله جسم قياسا على ما شاهدوا اذ لم يجدوا فاعلا الا جسما ووجدوا البارى فاعلا واذا ارتاضوا فى العلوم الالهية استبان لهم ان الامر بخلاف ذلك كما بينا في الرسالة الالهية

واعلم يا أخى بان الانسان لا يرتقى فى درجات العلوم والمعارف رتبة الا وتسنح له أمور يكون علمه بها قبل البيان والكشف كظنونه بالاشياء المحسوسات قبل معرفة حقائقها وهو طفل كما بينا قبل

فصل فى معقولات الحواس ونتائجها

واعلم يا أخي بأن نسبة المعلومات التى يدركها الانسان بالحواس الخمس بالاضافة الى ما ينتج عنها فى أوائل العقول كثيرة كنسبة الحروف المعجمة بالاضافة الى ما يتركب عنها من الاسماء ، ونسبة المعلومات التى هى فى أوائل العقول بالاضافة الى ما ينتج عنها بالبراهين والقياسات من العلوم كثيرة كنسبة الاسماء الى ما يتألف عنها فى المقالات والخطب والمحاورات من الكلام واللغات، والدليل على صحة ما قلنا بان المعلومات القياسية أكثر عدداً من المعلومات التى هى فى أوائل العقول ما ذكر فى كتاب اقليدس وذلك أنه يذكر فى صدر كل مقالة مقدار عشر معلومات أقل أو أكثر مما هى فى أوائل العقول ثم يستخرج من نتائجها مئتى مسألة معلومات برهانية وهكذا حكم كتاب المجسطي وأكثر كتب الفلسفة هكذا حكمها .واذ قد فرغنا من ذكر كيفية دخول الخطأ فى القياس من جهة جهل المتعلمين فنريد أن نذكر كيفية دخول الخطأ من جهة القياس واعوجاجه

﴿ فصل في كيفية اعوجاج القياس وكيف التحرز منه ﴾

واعلم يا أخي بأن الخطأ الذي يدخل في القياس من جهة اعوجاجه كثير الفنون كثرة يطول شرحها ذكر ذلك في كتب المنطق الا انا نريد ان نذكر في هذا الفصل شرائط القياس المستوي حسب، ليتحفظ بها ويقتصر على استعمال ما في البراهين ويترك ما سواه من القياسات التي لا يؤمن فيها من الخطأ والزلل فمن القياسات التي تخطىء وتصيب القياس على مجرى العادة بالانموذج وهو قياس الجزء على الكل

واعلم يا أخي ان القياس الذي لا يدخله الخطأ والزلل هو الذي حفظ في تركيبه واستعماله الشرائط التي أوصى بها ارسطاطاليس تلاميذه وهي هذه: ينبغي أن يؤخذ في كل علم وتعلم قياسي معنيان معلومان مما هو في أوائل العقول وهي هل هو وما هو وانما أوصى بهذا من أجل أنه لا يمكن ان يعلم مجهول بمجهول ولا أن يقاس على شيء مجهول وشيء معلوم فلابد ان يؤخذ شيء معلوم مما هو في أوائل العقول ثم يقاس عليه سائر ما يطلب بالبرهان والذي في أوائل العقول شيئان اثنان هويات الاشياء وماهياتها وذلك أن هويات الاشياء تحصل في النفوس بطريق الحواس وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس واذا حصلت هويات المحسوسات في النفس بطريق الحواس وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز سميت النفوس عند ذلك عاقلة واذا تأملت وأردت يا أخي ان تعرف ما العقل الانساني فليس هو شيئاً سوى النفس الانسانية التي صارت علامة بالفعل بعد ما كانت علامة بالقوة وانما صارت علامة بالفعل بعد ما حصل فيها صور هوية الاشياء بطريق الحواس وصور ماهيتها بطريق الفكر والروية

فصل في اساس القياس البرهاني

واعلم يا أخى بان على هذين العلمين يبنى سائر القياسات البرهانية أعنى هل هو وما هو مثال ذلك ما ذكر فى كتاب اقليدس في أول المقالة الاولى تسع معلومات مما هو فى أوائل العقول ثم بتوسطها يبرهن على سائر المسائل وهي قوله اذا كانت أشياء متساوية لشيء واحد فهي أيضاً متساوية وان زيد على أشياء متساوية اشياء متساوية صارت كلها متساوية وان نقص منها متساوية كانت الباقية متساوية وان زيد على اشياء غير متساوية أشياء متساوية كانت كلها غير متساوية وان نقص منها اشياء متساوية كانت الباقية غير متساوية وان كان كل واحد مثلين لشيء واحد فهى متساوية وان كان كل واحد نصف الشيء فهى أيضاً متساوية واذا انطبقت مقاديرها ولم يفضل بعضها على بعض فهى أيضاً متساوية والكل أكثر من جزء فهذه المحكومات كلها مأخوذة من العلوم التى هي فى أوائل العقول بالسوية لا يختلف العقلاء في شيء منها ثم يقاس عليها ما هم مختلفون فيه

فصل في أوائل العقول وأوائل المعلومات

واعلم يا أخي بان هذه الاشياء وأمثالها تسمى أوائل فى العقول لأن كل العقلاء يعلمونها ولا يختلفون فيها اذا تأملوها وانعموا النظر فيها وانما اختلافهم تكون في الاشياء التى تعلم بطريق الاستدلال والمقاييس وسبب اختلافهم فيها كثرة الطرق وفنون المقاييس وكيفية استعمالها وشرح ذلك طويل قد ذكر فى كتب المنطق وكتب الجدل ونريد أن نبين كيف تحصل حقائق هذه المعلومات في أنفس العقلاء

واعلم يا أخى بأن هذه المعلومات التى تسمى أوائل في العقول انما تحصل فى نفوس العقلاء باستقراء الامور المحسوسة شيئاً بعد شيء وتصفحها جزءاً بعد جزء وتأملها شخصاً بعد شخص فاذا وجدوا منها أشخاصاً كثيرة تشملها

صفة واحدة حصلت فى نفوسهم بهذا الاعتبار أن كل ماكان من جنس ذلك الشخص ومن جنس ذلك الجزء هذا حكمه وان لم يكونوا يشاهدون جميع أجزاء ذلك الجنس وأشخاص ذلك النوع مثال ذلك أن الصبى اذا ترعرع واستوى وأخذ يتأمل أشخاص الحيوانات واحداً بعد واحد فيجدها كلها تحس وتتحرك فيعلم عند ذلك ان كل ما كان من جنسها هذا حكمه وهكذا اذا تأمل كل جزء من الماء أي جزء كان فوجده رطبا سيالا وكل جزء من النار فوجده حاراً محرقا وكل جزء من الاحجار فوجده صلباً يابسا علم عند ذلك ان كل ما كان من ذلك الجنس فهذا حكمه فبمثل هذا الاعتبار تحصل المعلومات فى أوائل العقول بطريق الحواس

واعلم يا أخي بان مراتب العقلاء فى مثل هذه الاشياء التى تحصل فى النفوس بطريق الحواس متفاوتة في الدرجات وذلك أن كل من كان منهم انعم نظراً وأحسن تأملا وأجود تفكراً وألطف روية وأكثر اعتباراً كانت الاشياء التى تعلم ببدائه العقول فى نفوسهم أكثر مما فى نفوس من يكون طول عمره ساهيا لاهيا مشغولا بالاكل والشرب واللهو واللذات والامور الجسمانية

واعلم ياأخي بأن أكثر مايدخل الخطأ على المتأملين فى حقائق الاشياء المحسوسة اذا حكموا على حقيقتها بحاسة واحدة مثال ذلك من يرى السراب ويتأمله فيظن أنه غدران وانهار وانما دخل الخطأ عليه لانه حكم على حقيقته بحاسة واحدة وليس كل الاشياء تعرف حقائقها بحاسة واحدة ذلك أن بحاسة البصر لا يدرك الا الالوان والاشكال وحقيقة الماء لا تعرف باللون واللمس والشكل بل بالذوق وذلك أن كثيراً من الاجساد السيالة تشبه لون الماء مثل الخل المصعد والنفط الابيض وما شاكلهما

واعلم بان لكل جنس من المحسوسات حاسة تعرف بها حقيقة ذلك الجنس والاجسام السيالة يعرف فرق ما بينها وبين غيرها باللمس وبعضها يعرف الفرق بينها بالذوق وألوانها تعرف بالبصر فلا ينبغى للمتأمل ان يحكم على حقيقة

شيء من المحسوسات الا بتلك الحاسة المختصة بمعرفة حقيقة ذلك الجنس من المحسوسات كما بينا فى رسالة الحاس والمحسوس . ونرجع الآن الى ما كنا فيه فنقول :

وأما قوله ينبغى ان يوضع فى القياس البرهاني أو لا شيء معلوم هل هو وما هو ليعلم به شيء آخر كما يفعل المهندس فيضع خط ا = ثم يعمل عليه مثلثا متساوي الاضلاع أو يقسمه بقسمين او يقيم عليه خطاً آخر أو يعمل عليه زاوية وما شا كل ذلك مما قد ذكر فى كتاب اقليدس وغيره من كتب الهندسة والمعلوم هل هو وما هو خط ا = والمطلوب المجهول ليعلم أو يعمل هو المثلث فهكذا ينبغي أيضا أن يعمل في القياس البرهاني ان تؤخذ أولا أشياء مما هي معلومة في أوائل العقول ويركب التأليف ضربا من التركيب ثم يطلب بها أشياء مجهولة ليس تعلم بأوائل العقول ولا تدرك بالحواس . وأما قوله ولا ينبغى فى البرهان أن يكون الشيء علة لنفسه فهذا بين فى أوائل العقول أي ان الشيء المعلول لا يكون علة نفسه ولكن من أجل ان كثيراً ممن يتعاطى البرهان ربما جعل المعلول علة لنفسه وهو لا يشعر لطول الخطاب

مثال ذلك من يتعاطى علم الطبيعيات اذا سئل ما علة كثرة الامطار فى بعض السنين فيقول كثرة الغيوم فان سئل ما علة كثرة الغيوم فيقول كثرة البخارات المتصاعدة من البحار والآجام فى الهواء فان سئل ما علة كثرة البخارات المتصاعدة فيقول أو يظن كثرة المدود وانصباب مياه الأنهار والاودية والسيول الى البحار فان سئل ما علة كثرة المياه والمدود والسيول الى البحار فيقول كثرة الامطار ، فعلى هذا القياس يلزمه ان علة كثرة الامطار هى كثرة الامطار فمن أجل هذا يحتاج صاحب البرهان أن يقول احدى العلل كيت وكيت والثانية والثالثة والرابعة ليسلم من الاعتراض اذ قد تكون الغيوم كثيرة والامطار قليلة لان لكل شيء معلول أربع علل كما بينا في رسالة العلل والمعلولات

فصل فى ان المعلول لايوجد قبل العلة

وقوله ان لا يكون المعلول قبل العلة فهذا أيضا بين فى أوائل العقول لان المعلول لا يكون قبل العلة ولـكن من أجل انهما من جنس المضاف انما يوجدان معا فى الحس وان كانت العلة قبل المعلول بالعقل حتى ربما يشكل فلاتتبين العلة من المعلول ، مثـال ذلك اذا سئل من يتعاطى علـم الهيئة ماعلة طول النهـار في بلد دون بلد فيقول كون الشمس فوق الارض هناك زمانا أطول واذا عكس هذه القضية وقيل كل بلد يكون فيه مكث الشمس فوق الارض أكثر فنهاره أطول فتصدق فيخفى على كثير ممن ليست له رياضة بالتعاليم أيهما علة للآخر أكون الشمس فوق الارض لطول النهار أو طول النهار لـكون الشمس فوق الارض وهكذا النار والدخان ربما يوجدان معا وربما يوجد أحدهما قبل الآخر وربما يستدل بالدخان على النار وربما تجعل النار سببا لوجود الدخان فلايدري أيهما علة للآخر

واعلم يا أخى بأن النار والدخان ليس أحدهما علة للآخر بل علتهما الهيولانية هى الاجسام المستحيلة وعلتهما الفاعلية هى الحرارة وهما يختلفان في الصورة وذلك ان الحرارة اذا فعلت فى الاجسام المستحيلة فعلا تاما صارت ناراً وان قصرت عن فعلها لرطوبة غالبة صارت دخانا وبخاراً

فصل فى قوله وان لايستعمل في البرهان الاعراض الملازمة وأن علة الشيء من ذاتياته ، وكون المقدمة كلية

قوله ان لا يستعمل فى البرهان الاعراض الملازمة، انما هو لأن الاعراض الملازمة لاتفارق الاشياء التى هى لازمة لها كما ان العلة لاتفارق معلولها وذلك انه متى حكم على شيء بانه معلول فقد وجب ان له علة فاعلة له والاعراض الملازمة وان كانت لاتفارق فليست هى فاعلة له مثال ذلك ان الموت وان كان لا يفارق القتـل فانه ليس له بعلة ولا القتل أيضاً علة للموت ذاتية إذ قد يكون موت كثير بلا قتل فلا يكون معلول بلا

علة. وأما قوله وان تكون العلة ذاتية للشيء فانما قال هذا من أجل انه قد يكون للشيء الواحد علل عرضية ولكنها لا تكون مستمرة فى جميع انواع ذلك الجنس ولا جميع اشخاص النوع كالقتل الذي هو علة عرضية للموت غير مستمرة فى جميع انواعه ولكن تحتاج أن تكون العلة ذاتيـة حتى تكون القضية صادقة قبل العكس وبعده كقولك كل ذي لون فهو جسم فاذا عكسته وقلت وكل جسم فهو ذو لون لانه لا يوجد شيء ذو لون الا وهو جسم فاذاً الجسم علة ذاتية لذي اللون

وأما قوله وان تـكون المقدمة كلية فمن أجل ان المقـدمات الجزئية لا تكون نتائجها ضرورية ولـكن ممكنة كقولك زيد كاتب وبعض الـكتاب وزير فيمكن أن يكون زيد وزيراً وأما اذا قيل كل كاتب فهو يقرأ وزيد كاتب فاذاً زيد بالضرورة قارىء

﴿ فصل في أن الحـكم بالصفات الذاتية ﴾

وأما قوله وان يكون كون المحمول فى الموضوع كوناً أولياً فمن أجل ان المحمولات في الموضوعات على نوعين منها أوليات ومنها ثوان مثال ذلك كون ثلاث زوايا في كل مثلث كوناً أولا لانها هى الصورة المقومة له فاما أن تكون حادة أو قائمة أو منفرجة فهو كون ثان فقد استبان أنه لا يستعمل فى القياس البرهاني الا الصفات الذاتية الجوهرية وهي الصورة المقومة للشيء وبها يكون ذلك الحـكم المطلوب الذى يخرج في النتيجة الصادقة

واعلم يا أخي أن الصـفات الذاتية الجوهرية ثلاثة اقسام جنسية ونوعيـة وشخصية كما بينا فى رسالة ايساغوجي فاقول واحكم حكما حتما كما تعلمه ولا تشك فيه بان كل صفة جنسية فهى تصدق عند الوصف على جميع انواع ذلك الجنس ضرورة وهكذا أيضا كل صفة نوعية فهى تصدق على جميع اشخاص ذلك النوع عند الوصف لها فهذه الصفات هي التى تخرج في النتيجة صادقة فاستعملها فى البرهان واحكم بها. وأما الصفات الشخصية فانها ليس من الضرورة أن تصدق على

جميع النوع ولا كل صفة نوعية تصدق على جميع الجنس فلاتستعملها في البرهان ولاتحكم بها حكماحتماً فانك لست منها على حكم يقين فقد عرفت واستبان لك أن الحكماء والمتفلسفين ماوضعوا القياس البرهاني الا ليعلموا به الاشياء التي لاتعلم الا بالقياس وهي الاشياء التي لايمكن أن تعلم بالحس ولا بأوائل العقول بل بطريق الاستدلال وهو المسمى البرهان

واعلم يا أخي بأن لكل صناعة أهلا ولأهل كل صناعة أصولا في صناعتهم هم متفقون عليها وأوائل في علومهم لايختلفون فيها لأن أوائل كل صناعة مأخوذة من صناعة أخرى قبلها في الترتيب

﴿ فصل في ان صناعة البرهان نوعان ﴾

واعلم بأن أوائل صناعة البرهان مأخوذة مما في بداية العقول وان التي في بداية العقول مأخوذة أوائلها من طريق الحواس كما بينا قبل

واعلم ان صناعة البرهان نوعان هندسية ومنطقية فالاوائل التي في صناعة الهندسة مأخوذة من صناعة أخرى قبلها مثل قول اقليدس النقطة هي شيء لاجزء له والخط طول بلاعرض والسطح ماله طول وعرض وماشا كل هذه من المصادرات المذكورة في أوائل المقالات فهكذا أيضاً حكم البراهين المنطقية فان أوائلها مأخوذة من صناعة قبلها ولا بد للمتعلمين أن يصادروا عليها قبل البرهان. فمن ذلك قول صاحب المنطق ان كل شيء موجود سوى الباري جل جلاله فهو اما جوهر واما عرض ومثل قوله ان الجوهر هو القائم بنفسه القابل للمتضادات وان العرض هو الذي يكون في الشيء لا كالجزء منه يبطل من غير بطلان ذلك الشيء ومثل قوله ان الجوهر منه ماهو بسيط كالهيولى والصورة ومنه ماهو مركب كالجسم ، ومثل قوله ان كل جوهر فهو اما علة فاعلة أو معلول منفعل ومثل قوله كل علة فاعلة فهي أشرف من معلولها المنفعل ، ومثل قوله ليس بين السلب والايجاب منزلة ولابين العدم والوجود رتبة وان العرض لافعل له

وماشا كل هذه المقدمات التى يصادر عليها المتعلمون قبل البراهين

وينبغي لمن يريد النظر في البراهين المنطقية أن يكون قد ارتاض في البراهين الهندسية أولا وقد أخذ منها طرفاً لانها أقرب من فهم المتعلمين وأسهل على المتأملين لان مثالاتها محسوسة مرئية بالبصر وان كانت معانيها مسموعة ومعقولة لان الامور المحسوسة أقرب الى فهم المتعلمين

واعلم بأن البراهين سواء كانت هندسية أو منطقية فلاتكون الا من نتائج صادقة والنتيجة الواحدة لابد لها من مقدمتين صادقتين أومازاد على ذلك بالغاً مابلغ، مثال ذلك مابين في كتاب اقليدس فى البرهان على ان ثلاث زوايا من كل مثلث مساوية لزاويتين قائمتين لم يكن ذلك الا بعد اثنين وثلاثين شكلا وعلى هذا المثال سائر الاشكال تحتاج الى براهين أخر وان مربع وتر الزاوية القائمة مساو لمربعي الضلعين لم يكن البرهان عليه الا بعد ستة وأربعين شكلا ويسمى هذا الشكل بشكل العروس وعلى هذا المثال سائر المبرهنات وهكذا أيضا حكم البراهين المنطقية وربما تكفيه مقدمتان وربما يحتاج الى عدة مقدمات مثال ذلك في البرهان على وجود النفس مع الجسم تكفي ثلاث مقدمات وهي هذه كل جسم فهو ذو جهات وهذه مقدمة كلية موجبة صادقة في أولية العقل والمقدمة الاخرى وليس يمكن الجسم أن يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وهذه مقدمة كلية سالبة صادقة في أولية العقل والمقدمة الثالثة وكل جسم يتحرك الى جهة دون جهة فلعلة ماتحركه له مقدمة كلية صادقة في أولية العقل فينتج من هذه المقدمات وجود النفس والذي ينبغي ليبرهن بأنها جوهر لا عرض أن يضاف الى هذه المقدمات التى تقدمت هذه الاخرى وكل علة محركة للجسم لاتخلو أن تكون حركتها على وتيرة واحدة فى جهة واحدة مثل حركة الثقيل الى أسفل والخفيف الى فوق فتسمى هذه علة طبيعية واما أن تكون حركتها الى جهات مختلفة وعلى فنون شتى بارادة واختيار مثل حركة الحيوان فتسمى نفسانية وهذه قسمة عقلية مدركة حسا وكل علة محركة للجسم بارادة واختيار

فهي جوهر فالنفس اذاً جوهر لأن العرض لافعل له وهذه مقدمات مقبولة فى أوائل العقول فينتج من هذه ان النفس جوهر

فصل في كيفية البرهان على انه ليس فى العالم خلاء

ومعنى الخلاء هو المكان الفارغ الذي لامتمكن فيه وليس يعقل في العالم مكان لامضيء ولامظلم مقدمة كلية سالبة صادقة فى أولية العقل، مقدمة أخرى وليس يخلو النور والظلمة أن يكونا جوهرين أو عرضين أو أحدهما جوهراً والآخر عرضاً وهذه أقسام عقلية صحيحة، مقدمة أخرى فان يكونا جوهرين فاذاً الخلاء ليس بموجود أو عرضين فالعرض لايقوم الا فى الجوهر فالخلاء اذاً ليس موجوداً وان يكن أحدهما جوهراً والآخر عرضاً فهكذا الحكم

فصل فى البرهان على انه ليس فى العالم لاخلاء ولاملاء

اعلم يا أخي بأن الخلاء والملاء صفتان للمكان والمكان صفة من صفات الاجسام فان كان خارج الفلك جسم آخر فقولنا العالم نعني به ذلك الجسم مع الفلك جميعا فمن أين خارج العالم شيء آخر

فصل في معنى قول الحكماء هل العالم قديم أو محدث

فان كان المراد بالقديم انه قد أتى عليه زمان طويل فالقول صحيح وان كان المراد به انه لم يزل ثابت العين على ماهو عليه الآن فلا، لان العالم ليس بثابت العين على حالة واحدة طرفة عين فضلا عن أن يكون لم يزل على ماهو عليه الآن وذلك ان قول الحكماء في تسميتهم العالم انما يعنون به عالم الاجسام وهو نوعان فلكي وطبيعي فاما الاجسام الطبيعية التى دون فلك القمر فهي نوعان الاركان الكليات والمولدات الجزئيات فالمولدات دائما في الكون والفساد وأما الاركان الكليات فهي دائما في التغير والاستحالة لايخفى هذا على الناظرين في الامور الطبيعية وأما الاجسام الفلكية فهي دائما في الحركة والنقلة والتبدل في المحاذيات

فاين ثباتها على حالة واحدة وأما ان يكون يراد بالثبات الصورة والشكل الكري الذي هو عليه في دائم الاوقات فليعلم بان الشكل الكري والحركة الدورية ليسا للجسم من حيث هو جسم ولا مقومين لذاته بل هما صورتان متممتان بقصد قاصد كما بينا في رسالة الهيولى والصورة وكل صورة من المصور بقصد قاصد لاتكون ثابتة العين أبدية الوجود وانما يكون الشيء ثابت العين أبدي الوجود بالصورة المقومة .

واعلم يا أخي بان الحافظ للعالم على هذه الصورة هو سرعة حركة الفلك المحيط والمحرك للفلك هو غير الفلك وان تسكين الفلك عن الحركة بطلان العالم وانما يكون طرفة عين كما قال عز وجل «وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب»

واعلم بانه ان وقف الفلك عن الدوران وقفت الكواكب عن مسيرها والبروج عن طلوعها وغروبها وعند ذلك تبطل صورة العالم وقوامه وتقوم القيامة الكبرى وهذا لامحالة كائن لان كل شيء في الامكان اذا فرض له زمان بلانهاية فلابد أن يخرج الى الفعل، ووقوف الفلك عن الدوران من الممكن لان الذي يحركه يمكنه أن يسكنه وهو أهون عليه وله المثل الاعلى وقد بينا فى رسالة المبادىء ما العلة فى حدوث عالم الاجسام وفى رسالة البعث والقيامة ماعلة فناء عالم الاجسام

﴿ فصل في ان الانسان اذا ارتقى نفساً صار ملكا ﴾

واعلم يا أخي أن الانسان اذا سلك فى مذهب نفسه وتصرف في احوالها مثل ماسلك به في خلق جسده وصورة بدنه فانه سيبلغ اقصى نهاية الانسانية ممايلي رتبة الملائكة ويقرب من باريه عز وجل ويجازى باحسن الجزاء ممايقصر الوصف عنه كما وصف الله عز وجل فقال «فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بماكانوا يعملون» وأما ماسلك به في خلقه فهو انه ابتدىء من نطفة من ماء مهين ثم كان علقة جامدة في قرار مكين ثم كان مضغة ثم كان جنينا مصوراً تاما

ثم كان طفلا متحركا حساساً ثم كان صبياً ذكيا فهماً ثم كان شابا متصرفا قويا نشيطاً ثم كان كهلا مجربا عالما عارفا ثم كان شيخاً حكيما فيلسوفا ربانياً ثم بعد الموت تكون نفسه ملكا سماويا روحانياً أبدي الوجود ملتذاً مسروراً فرحا باقيا سرمداً أبداً

واعلم ياأخي بانك لم تنقل رتبة من هذه المراتب الا وقد خلع عنك أعراض وأوصاف ناقصة والبست ماهو أجود منها وأشرف فهكذا ينبغى أن لا ترتقي في درجة العلوم والمعارف الا وتخلع عن نفسك اخلاقا وعادات وآراء ومذاهب وأعمالا مما كنت معتاداً لها منذ الصبى من غير بصيرة ولا روية حتى يمكنك أن تفارق الصورة الانسانية وتلبس الصورة الملكية ويمكنك الصعود الى ملكوت السموات وسعة عالم الافلاك وتجازى هناك باحسن الجزاء وأوفر الثواب وتعيش بالذ عيش مع أبناء جنسك الذين سبقوك اليها من الحكماء والاخيار المؤمنين الابرار، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

واعلم ياأخي بان الانسان مطبوع على استعمال القياس منذ الصبى كما هو مجبول على استعمال الحواس بلا فكر ولا روية كما بينا قبل ولكن قوانين القياسات مختلفة كما قد تبين ذلك في كتب المنطق وشرائط الجدل بشرح طويل ولكن نذكر منها طرفا ليكون مثالا على سائرها فمن ذلك ان الصبيان يجعلون قوانين القياسات مختلفة كما يجعلون قياساتهم أحوال أنفسهم وآبائهم واخوانهم وتصرفهم في الامور وما يجدون فى منازلهم من الاشياء أصولا على سائر احوال الصبيان وتصرف آبائهم وما يكون في منازلهم وان لم يروهم ولم يشاهدوا احوالهم قياساً على ماعرفوا من احوال أنفسهم، وأما العقلاء البالغون من الناس فانهم يجعلون قوانين قياساتهم ماعرفوه من الامور في متصرفاتهم وما قد جربوه من الاحوال أصولا يقيسون بها سائر الاشياء مما لم يشاهدوه ولا جربوه

بل قياساً الى ماعرفوه حسب ، وأما العلماء الذين يتعاطون الجدل ودقيق النظر فانهم يجعلون قوانين قياساتهم ماقد اتفقوا عليه هم وخصماؤهم أصولا ومقدمات يقيسون عليها ماهم فيه مختلفون سواءكان ما اتفقوا عليه حقاً أو باطلا صواباً أو خطاء ، وأما المرتاضون بالبراهين الهندسية أو المنطقية فانهم يجعلون قوانين قياساتهم الاشياء التى هي في أوائل العقول أصولا ومقدمات ويستخرجون من نتائجها معلومات أخرى ليست بمحسوسات ولا معلومات باوائل العقول بل مكتسبة بالبراهين الضرورية ثم يجعلون تلك المعلومات المكتسبة مقدمات وقياسات ويستخرجون من نتائجها معلومات أخرى هي الطف وأدق مما قبلها وهكذا يفعلون دائماً طول أعمارهم ولو عاش الانسان عمر الدنيا لكان له في ذلك متسع

﴿ فصل في ان الحيوانات تتفاوت فى الحواس ومعلوماتها ﴾

واعلم ياأخى بان من الحيوان ماله حاسة واحدة ومنه ماله حاستان ومنه ما له ثلاث حواس ومنه ماله اربع ومنه ماله خمس حواس كما بينا في رسالة الحيوان

واعلم ياأخى بأن كل حيوان كان أكثر حواس فانه يكون أكثر محسوسات فاما الانسان فله هذه الخمس بكمالها ولكن كل من كان من الناس أكثر تأملا لمحسوساته وأكثر اعتباراً لاحوالها كانت المعلومات التى في أولية العقل في نفسه أكثر ومن كان بهذا الوصف وجعل هذه المعلومات الاولية مقدمات وقياسات واستخرج نتائجها كانت المعلومات البرهانية فى نفسه أكثر وكل من كان أكثر معلومات حقيقة كان بالملائكة أشبه والى ربه أقرب.

﴿ فصل في المعلومات البرهانية والامور الروحية ﴾

واعلم ياأخى بان الانسان العاقل اللبيب اذا أكثر التأمل والنظر الى الامور المحسوسة واعتبر احوالها بفكرته وميزها برويته كثرت المعلومات العقلية فى نفسه واذا استعمل هذه المعلومات بالقياسات واستخرج نتائجها كثرت المعلومات البرهانية في نفسه وكل نفس كثرت معلوماتها البرهانية

كانت قوتها على تصور الامور الروحانية التي هي صورة مجردة عن الهيولى بحسب ذلك وعند ذلك تشبهت بها وصارت مثلها بالقوة فاذا فارقت الجسد عند الممات صارت مثلها بالفعل واستقلت بذاتها ونجت من جهنم عالم الكون والفساد وفازت بالدخول الى الجنة عالم الارواح التي هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون ابناء الدنيا الذين يريدون الحياة الدنيا ويتمنون الخلود فيها «يود أحدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر» فاعيذك أيها الاخ أن تكون منهم بل كن من أبناء الآخرة وأولياء الله الذين مدحهم بقوله تعالى توبيخاً لمن زعم انه منهم فقال جل جلاله «قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين» فبادر يا أخي واجتهد في طلب المعارف الربانية واكتساب الاخلاق الملكية وسارع الى الخيرات من الاعمال الزكية قبل فناء العمر وتقارب الاجل واغتنم خمسا قبل خمس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغتنم فراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وصحتك قبل سقمك وشبابك قبل هرمك وحياتك قبل موتك وتزود فان خير الزاد التقوى ، فلعلك توفق للصعود الى ملكوت السماء وسعة الافلاك وتدخل الى الجنة عالم الارواح بنفسك الزكية الروحانية لا بجسدك الجثة الجرمانية وفقك الله أيها الاخ للسداد وهدانا وإياك للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه رؤوف بالعباد

***

تمت الرسالة بعون الله سبحانه وتعالى والحمد لله وحده وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما، وبها تم القسم الاول في الرياضيات من كتاب «اخوان الصفا وخلان الوفا» ويتلوه القسم الثاني في الطبيعيات الجسمانية أوله رسالة الهيولى والصورة